



جامعة حلب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه وأثره في تاريخ النحو

رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

أعدّها

أمان الدين حتحات

بإشراف

الأستاذ الدكتور مصطفى جطل

١٤١٤ هـ

١٩٩٢ م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة حلب في اختصاص النحو والصرف.

المرشح

أمان الدمين حنجان



Cette these est presentee a la faculte des lettres et Sciences Humaines de l'Universite d'Alep en vue de l'obtention du titre de Doctor en grammaire arabe.

Le candidat

HATHAT AMANE EDDINE

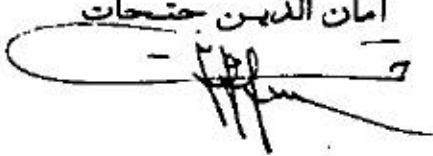


تصريح

أصرح بأن هذا البحث " الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه، وأثره في تاريخ النحو " لم يسبق أن قبل للحصول على أية شهادة وهو غير مقدم حالياً للحصول على شهادة أخرى .

التاريخ ١ / ١٩٩٣م

المترشح

امان الدين جتحات


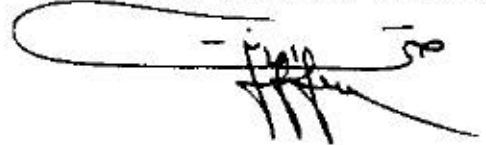
Déclaration

Je déclare que la présente étude " L'Argumentation grammaticale dans Le Livre de Sibawayh et son influence sur L'histoire de la grammaire " n'a jamais été présentée en vue de l'obtention d'un titre quelconque et n'est pas simultanément présentée auprès d'un autre établissement.

Date

Le candidat

HATHAT AMANE EDDINE



الجمهورية العربية السورية

جامعة حلب

شهادة

أشهد أن العمل الموصوف في هذه الرسالة هو نتيجة بحث قام به المرشح أمان الدين حنجات تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى جطل في قسم اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة حلب.

وأي رجوع إلى بحث آخر في هذا الموضوع موق في النص.

حلب في ١ / ١ / ١٩٩٣

المشرف على الدراسة

الأستاذ الدكتور مصطفى جطل



المرشح

أمان الدين حنجات



ATTESTATION

Je certifie que la présente thèse est le résultat des travaux de recherche menés par Hathat Amane Eddine le candidat, sous la direction de M. Dr. JATAL MOUSTAFA Professeur au Département d'arabe de la Faculté des lettres et Sciences Humaines de l'Université d'Alep.

Toute référence faite à d'autres travaux de recherche est mentionnée dans le texte.

Date Le \ \ \ 1993

Le candidat

HATHAT AMANE EDDINE



Le Directeur de recherche

Dr. JATAL MOUSTAFA



الإهداء

إلى نبع العطاء الدائم وأمله أمي
وإلى رفيقة الدرب خلوة ، ومره زوجتي منى
وإلى إخوتي، وأخواتي، رمز الصفاء، والتقاء . والمحبة في دربنا الطويل
وإلى من نعمل من أجلهم بعد الله، والوطن أولادي،
السائد ... ريوف ... ريف.

الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه

مقدمة البحث

أ-ز

الباب الأول

١١٢-١

الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه

٢٧-٢

الفصل الأول: ضروب الاستدلال عند غير النحاة

٣

*- الاستدلال عند الفقهاء

٣

- علم أصول الفقه

٥

- تاريخ أصول الفقه

٧

- ضروب الاستدلال عند الفقهاء

٢٠-٩

- مصادر الاستدلال الأصلية

٩

١- القرآن الكريم

١٢

٢- السنة

١٤

٣- الإجماع

١٦

٤- القياس

٢٤-٢١

*- الاستدلال عند علماء الكلام

٢٣-٢٢

- ضروب الاستدلال عند علماء الكلام

البرهان الكلامي - التأويل - التفويض

٢٤-٢٣

- رأي في الاستدلال عند علماء الكلام

٢٧-٢٤

•- الاستدلال عند المناطقة

٢٧-٢٥

- ضروب الاستدلال عند المناطقة

القياس - الاستقراء - التمثيل

١١٢-٢٨

الفصل الثاني: الاستدلال عند النحاة قبل سيبويه

٥٢-٢٨

•- طرائق الاستدلال

٤٤-٢٨

١- السماع

٢٩

أ- القرآن الكريم

٤٠

ب- الحديث الشريف

٤١

ج- كلام العرب

٤٩-٤٥

٢- القياس

٥٢-٥٠

٢- العلة

٨٥-٥٢

•- مصادر الاستدلال

٦٦-٥٢

١- القرآن الكريم

٦٦-٥٧

* - موقف النحاة من القراءات القرآنية

٧١-٦٧

٢- الحديث الشريف

٨٥-٧٢

٢- كلام العرب

٧٩-٧٢

أ - الشعر

٨٥-٨٠

ب- النثر

٩٢-٨٦

•- تأثر النحاة بالفقهاء

١١٢-٩٢

•- قواعد الاستدلال عند النحاة

٩٨-٩٢

١- النحاة والقواعد الزمانية

- ١٠٤-٩٦ -٢ النحاة والقواعد المكانية
 ١١٠-١٠٥ -٢ شروط من يُؤخذ عنه
 ١١٢-١١١ -٤ شروط ما يُؤخذ به

الباب الثاني

٤٠٢-١١٢

منهج سيبويه في الاستدلال

٣٦٣-١١٤

الفصل الأول: الاستدلال بالنصوص

١٨٠-١٢٠

٠- القرآن الكريم

١٢١

- علمه بالقرآن، والقراءات، والقراء

١٢٢

- استدلاله للغة القرآن، وقراءاتها، واستدلاله بها

١٢٧-١٢٥

- منهجه في الاستدلال بلغة القرآن

١٢٥

١- مكانة لغة القرآن الكريم في استدلاله

١٢٧

٢- القراءات القرآنية والقراء

١٥٠-١٢٨

- طرائق الاستدلال بلغة القرآن

١٢٨

١- أخذه بقراءة الجمهور دون إشارة إلى غيرها

١٤٠

٢- أخذه بقراءة الجمهور، ثم الإشارة إلى غيرها

١٤١

٣- عنايته بقراءة بعض القراء

١٤٢

٤- أخذه بقراءات لغير العشرة

١٤٤

٥- أخذه بقراءات عدّها المتأخرون شاذة

١٤٦

٦- نظرات في استدلاله بالقراءات القرآنية

١٨٠-١٥١

- المسائل النحوية في استدلال سيبويه بالقرآن الكريم

١٦٢-١٥٢

١- الخروج على الأصل

- ١٥٢ ١ - الأمر المعنوي
- ١٥٥ ب- الأسلوب الفني
- ١٥٧ ج- بيان الكثرة والقلّة
- ١٥٩ د- نقل لغة
- ١٦٢ هـ- بيان لهجة من لهجات العرب
- ١٦١ و- الاتّساع
- ١٦١ ز- التلميح
- ١٦٢ ح- التوهم
- ١٦٢ ٢- تتبّع القاعدة والاستدلال عليها
- ١٦٥ ٢- الاستدلال بقراءات قرآنية
- ١٦٦ ٤- الاستدلال للأصول
- ١٦٧ ٥- الاستدلال للضعيف
- ١٦٦ ٦- الاستدلال لأكثر من وجه
- ١٦٦ ٧- الاستدلال بالقرآن الكريم، وإضافة توجيهات على ما ذكره الخليل
- ١٧٠ ٨- تأكيد السماع
- ١٧١ ٩- استدلاله بالقرآن الكريم دون غيره
- ١٧٢ ١٠- الاستدلال للجيد، وبيان مقاييس الجودة
- ١٧٢ ١١- الاستدلال لجزء من القاعدة
- ١٧٤ ١٢- استدلاله بالقرآن الكريم في قواعد استنتاجية
- ١٧٧ - بيان توضيحي بالاستدلال بالقرآن الكريم
- ١٧٨ - بيان توضيحي بالاستدلال بالقرآن الكريم على ما خرج على الأصل

- - الحديث الشريف
- ١٩١-١٨١
- ١٨٥-١٨١ - الاستدلال بالحديث الشريف، وأهميته
- ١٨٦ - الحديث النبوي الشريف، وتوجيه الظواهر الإعرابية
- ١٨٧ - عدم الدقة في نقل الأحاديث الشريفة
- ١٨٩ - إقلال سيبويه من الاستدلال بلغة الحديث الشريف
- - كلام العرب
- ٢٥٨-١٩٢
- ٢٣٩-١٩٢ - الشعر:
- ١٩٨-١٩٢ ١- مشافهة سيبويه للأعراب، ونقله عنهم
- ٢٠٩-١٩٩ ٢- أخذه برواية الشيوخ
- ٢٠١ أ - الخليل
- ٢٠٢ ب- يونس بن حبيب
- ٢٠٦ ج- الأخفش الأكبر
- ٢٠٧ د- عيسى بن عمر
- ٢٠٨ هـ- الأصمعي
- ٢٤٤-٢٠٩ ٢- استدلاله بالشعر والشعراء
- ٢١٢ أ - استدلاله بالشعر الجاهلي
- ٢٢٠ ب- استدلاله بشعر المخضرمين
- ٢٢٢ ج- استدلاله بالشعر الأموي
- ٢٢٠ د- استدلاله بالشعر العباسي
- ٢٢٢ هـ- استدلاله بشعراء مطعون عليهم
- ٢٥٦-٢٤٤ ٤- القبائل التي أخذ عن شعرائها
- ٢٦٢-٢٥٦ ٥- شواهد وعزوها
- ٢٦٥-٢٦٢ ٦- استدلاله بأبيات مصنوعة ١

٢٧١-٢٦٦	٧- الضرورة الشعرية
٢٢٩-٢٧٢	- المسائل النحوية في استدلال سيبويه بالشعر
٢٠٧-٢٧٢	١- الخروج على الأصل
٢٧٢	أ - الأمر المعنوي
٢٧٥	ب- الضرورة
٢٧٨	ج- الأسلوب الفني
٢٨٠	د- بُنية الكلمة:
	إشباع الحركة، ردّ اللفظ إلى أصله،
	إبدال حرف بحرف، حذف حرف،
	أو أكثر من الحروف الأصلية.
٢٨٢	هـ- الحذف
٢٨٥	و- بيان القليل والنادر
٢٨٧	ز- بيان القبيح
٢٨٩	ح- القطع
٢٩٠	ط- الاستخفاف
٢٩١	ي- النية
٢٩٢	ك- الاتساع
٢٩٤	ل- الأمر اللفظي
٢٩٦	م- مخالفة السماع
٢٩٧	ن- نزع الخافض
٢٩٨	س- الجوار
٢٩٩	ع- عدم اللبس
٢٩٩	ف- التوهّم

- ٢٠٠ ص- صرف المنوع من الصرف
- ٢٠٢ ق- الإلقاء
- ٢٠٣ ر- المشابهة
- ٢٠٤ ش- الفصل
- ٢٠٦ ت- نيابة اللفظ
- ٢٠٦ ث- اختلاف اللفظين
- ٢٠٧ ٢- الاستدلال للأصول
- ٢٠٩ ٢- الاستدلال لأكثر من وجه
- ٢١١ ٤- بيان اللهجات
- ٢١٥ ٥- الاستدلال للجيد
- ٢١٧ ٦- الاستدلال للقليل
- ٢١٩ ٧- الاستدلال للضعيف
- ٢٢٠ ٨- تأكيد السماع
- ٢٢٢ ٩- تتبع القاعدة، والاستدلال لها
- ٢٢٥ ١٠- عدم استدلاله بالشعر
- ٢٢٠ ١١- أسلوب فني (الحكاية)
- ٢٢٠ ١٢- تكرار البيت في أكثر من موضع
- ٢٢٤ ١٣- إضافة توجيهات على ما ذكره الخليل
- ٢٢٥ ١٤- التصريح بموضع الشاهد بشكل منفصل
- ٢٢٨ - بيان توضيحي بالاستدلال بالشعر على ماخرج على الأصل
- ٢٢٩ - بيان توضيحي بالاستدلال بالشعر
- ٢٥٢-٢٤٠ الأمثال:
- ٢٤٧ - المسائل النحوية في استدلال سيبويه بالأمثال

- ٢٤٧ ١- الخروج على الأصل
 ٢٥٠ ٢- الاستدلال للأصول
 ٢٥٠ ٣- الأسلوب الفني (الحكاية)
 ٢٥١ ٤- الاستدلال لأكثر من وجه
 ٢٥٢ ٥- بُنية الكلمة
 ٢٦١-٢٥٤ - ما نقله عن العرب (لغة التخاطب):

- ٢٥٥ ١- النقل عن الشيوخ
 ٢٥٨ ٢- مشافهة الأعراب

•- الأمثلة المصنوعة

الفصل الثاني: - الاستدلال بغير النصوص

- ٢٧٠-٢٦٥ •- السماع
 ٢٨٦-٢٧١ •- القياس
 ٢٧٢ - القياس عند سيبويه
 ٢٧٧ - قياسه على الكثير
 ٢٧٩ - قياسه على القليل
 ٢٨٠ - القياس على الشاذ
 ٢٨١ - المقارنة بين ظاهرتين
 ٢٨٦-٢٨٢ - أنواع القياس في كتاب سيبويه:

قياس الشبه - قياس الاستئناس - القياس التعليمي

- ٤٠٢-٢٨٧ •- العلة النحوية
 ٢٨٩ - العلة في الكتاب
 ٢٩١ - مزج العلة بالقياس

٢٩٢	- العلة والعوامل
٢٩٤	- أقسام العلة:
	أ - التخفيف ٢٩٤
٢٩٥	ب- كثرة الاستعمال
٢٩٦	ج- العلة القياسية
٢٩٧	د- المعنى
٢٩٨	هـ- الاستغناء
٢٩٩	و- التوقم
٤٠٠	ز- العوض
٤٠٠	ح- طول الكلام
٤٠١	ط- النية
٤٠٢	ي- المشابهة

الباب الثالث

٤٠٤-٤٩٣

أثر استدلال سيبويه في تاريخ النحو

٤٠٥-٤٥٣

الفصل الأول: الاستدلال بالنصوص

٤٠٦-٤١٠

- قيمة الكتاب وأثره

٤٠٧

١- الذين درسوا عليه مباشرة

٤٠٨

٢- الذين أخذوا عن سيبويه بشكل غير مباشر

٤١١-٤٢٣

•- القرآن الكريم

٤٢٣-٤٢٩

•- الحديث الشريف

٤٣٠-٤٤١

•- الشعر

٤٤٥-٤٤٢	• - الأمثال
٤٥٢-٤٤٦	• - لغة التخاطب
٤٧٦-٤٥٤	<u>الفصل الثاني: الاستدلال بغير النصوص</u>
٤٥٥	• - السماع والقياس
٤٦٦-٤٥٦	• - المدرسة البصرية وأتباعها
٤٧٦-٤٦٧	• - المدرسة الكوفية وأتباعها
٤٩٢-٤٧٧	- خلاصة البحث وتناججه
٤٩٤	<u>- فهارس البحث:</u>
٥٠٢-٤٩٥	فهرس القرآن الكرم
٥١١-٥٠٤	فهرس القراءات القرآنية وأصحابها
٥١٤-٥١٢	فهرس الحديث الشريف
٥١٧-٥١٥	فهرس الأمثال
٥٢٢-٥١٨	فهرس الأشعار
٥٢٧-٥٢٤	فهرس الأرجاز
٥٤٩-٥٢٨	فهرس الأعلام
٥٥٧-٥٥٠	فهرس الأعلام الذفن تُرجم لهم فف الحواشف
٥٦١-٥٥٨	فهرس القبائل والأقوام والجماعات
٥٩٢-٥٦٢	فهرس المصادر والمراجع
1 - 11	<u>- خلاصة البحث باللغة الفرنسية :</u>

مقدمة البحث

كنت قد قدّمت قبل سنوات خلت إلى مجلس كلية الآداب في جامعة حلب رسالة عن «الجهود النحوية في تفسير الطبري» عرضت خلالها لكثير من المسائل النحوية والصرفية في كتب التفسير منذ ابن عباس (رض) إلى الألويسي.

وأردت آنذاك أن أبقى في دائرة النحو وما يحفّ به من صعوبة ومخاطر من خلال دراستي لقرآن النحو "كتاب سيبويه" لاكون قد لمست أطراف الشاطئ في هذا البحر؛ كتب التفسير وكتاب سيبويه. وأنا على ثقة بأنني كلما تقدمت خطوة تحسست عمقه وهزّنتي الرهبة منه لكن عجزني أمامه لريمنعني من المحاولة لما لقيته من تشجيع أستاذي الدكتور فخر الدين قباوة، الذي أعانني على رسم حدوده وأبعاده، ثم كرّمني أستاذي الدكتور مصطفى جطل بملاحظاته القيمة على خطة البحث مما أعطاه بعداً جديداً آخر حتى أخذ شكله النهائي.

وقد سحيت وراء سيبويه لأنني وجدته كغيره من العلماء عاش مرحلة من الأخذ والعطاء، تأثر بمن سبقه وأثر فيمن جاء بعده، وهذان التأثير والتأثير جعلنا لسيبويه طريقة خاصة، ومذهباً محدّداً في تناولاته النحوية يسرّ له أن ينفذ إلى هدفه في تعبيد اللغة العربية وتحديد أبعادها. ولربما يمكن المذهب الذي اعتمده سيبويه مخططاً له بل كان وليد عصره بما ضمّه من اتجاهات ومذاهب وأصول دينية أو فلسفية أو كلامية. وهذه الأصول رسمت ملامح التفكير عند سيبويه، وهذّبت نبوغه حتى وصل إلى كتابه.

وقد تأثر سيبويه بعوامل متعدّدة، رسمت شخصيته في استدلاله النحوي، من ذلك تأثره بالنحاة والفقهاء، وهذا الأمر يجعل أهمية البحث «الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه، وأثره في تاريخ النحو»، تكمن في ربطه بين سيبويه من جهة، وعلماء الفقه من جهة أخرى، ويكشف عن تأثره بهم، ويترك استدلالهم كما أنه ينظر إلى كتاب سيبويه نظرة جديدة تعتمد الكشف عن الاستدلال النحوي فيه طرفه وأنواعه وقواعده حيث عمّد صاحب الكتاب إلى الاستدلال لما خالف أصول القواعد العربية، لأن الأصول البسيطة كرفع الفاعل ونصب المفعول به، وزفع المبتدأ والخبر لا تحتاج إلى دليل، كما بين البحث أثر استدلال سيبويه في تاريخ النحو، وفيمن عاصره، وفيمن جاء بعده من النحاة.

من أجل ذلك قسمت البحث على ثلاثة أبواب درست في الباب الأول الاستدلال النحوي قبل سيبويه، وقسمته إلى فصلين، تناولت في الفصل الأول ضروب الاستدلال عند غير النحاة كالفقهاء، والمتكلمين والمناطقية. وتناولت في الفصل الثاني الاستدلال عند النحاة قبل سيبويه وفصلت الحديث عن طرائق استدلالهم: السماع، والقياس، والعلة، ومصادر هذا الاستدلال: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب من شعر ونثر، وتحدثت عن تأثر النحاة بالفقهاء. ثم فصلت الحديث عن قواعد الاستدلال عند النحاة: الزمانية والمكانية، وشروط من يؤخذ عنه، وما يؤخذ به.

أما الباب الثاني فقد درست فيه الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه وقسمته إلى فصلين، تناولت في الفصل الأول الاستدلال بالنصوص كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب، شعرهم وأمثالهم، ولغة التخاطب بينهم، ثم الأمثلة التي يصنعها سيبويه وداعبت أن أفسر الفصل إلى أبحاث، والأبحاث إلى فقرات، ففي حديثي عن استدلاله

بالقرآن الكريم تكلمت على موقفه من القراءات القرآنية والقراء ومنهجه في الاستدلال بهما ثم أسهبت في الحديث عن المسائل النحوية في استدلاله بالقرآن الكريم ووصلت إلى نتائج تشير إلى أن سيبويه كان يستدل في الغالب لما خرج على الأصول، ووضعت كل ذلك في فقرات كثيرة مختلفة، رصدت الكتاب كله، وفي حديثي عن استدلاله بالحديث الشريف تكلمت على توجيه الظواهر الإعرابية عنده، وعللت إقلال سيبويه من هذا النوع من الاستدلال.

وفي حديثي عن استدلاله بالشعر أسهبت كذلك في الحديث عن مشافهته للأعراب، ونقله عنهم، وأخذته برواية الشيوخ كالخليل، ويونس، والأخفش الأكبر، وعيسى بن عمرو، والإصمعي، واستدلاله بالشعر والشعراء بدءاً من الشعر الجاهلي وانتهاءً بالشعر العباسي، وبشعراء مطعون عليهم ثم تحدثت عن القبائل التي أخذت عن شعرائها، وعن شواهد وعزوها، وعن استدلاله بآيات مصنوعة، وعن الضرورة الشعرية في كتابه ووصلت إلى نتائج عن استدلاله بالشعر فرتبها ترتيباً موازياً لما فعلته في حديثي عن استدلاله بالقرآن الكريم وقد أتبعته المنهج نفسه في حديثي عن استدلاله بالأمثال، وبلغت النخاطب، وبالأمثلة المصنوعة.

وتناولت في الفصل الثاني من الباب الثاني الحديث عن استدلاله بغير النصوص كالسماع، والقياس، والعلّة النحوية، ففي حديثي عن السماع عنده، تكلمت على اهتمامه به وتنوع أسلوبه في الإشارة إلى سماعه، واقتصار السماع عنده على ما خالف الأصول، وتأويله للمسموع.

وفي حديثي عن القياس تكلمتُ على قياسه على الكثير، والقليل، والشاذ، وأنواع القياس عنده، كقياس الشبه، وقياس الاستئناس، والقياس التعليمي.

وفي حديثي عن العلة النحوية تكلمتُ على العلة في الكتاب، ومزج العلة بالقياس، والعلة والعوامل، وأقسام العلة في كتابه كالتخفيف وكثرة الاستعمال، والعلة القياسية، والمعنى، والاستغناء، والتوهّم، والعوض، وطول الكلام، والنية، والمشابهة.

أما في الباب الثالث فقد درستُ فيه أثر استدلال سيبويه في تاريخ النحو، وقسمته إلى فصلين موازيين لفصلَي الباب الثاني، تناولت في الفصل الأول الاستدلال بالنصوص عند من جاء بعد سيبويه ممن عاصروه، أو جازوا بعده، وتكلمت على الاستدلال بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والأمثال، ولغة التخاطب. وتناولت في الفصل الثاني الاستدلال بغير النصوص فتكلمتُ على السماع، والقياس، ثم تكلمت على المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، ومن سار على نهجها من النحاة.

وختمتُ البحث بحديث بيّنت فيه أهمّ ما توصلتُ إليه من نتائج.

وسلكتُ في هذا البحث منهجاً جديداً في دراسة الموضوعات النحوية وترتيبها، وتبويبها، وتصنيفها، فقد نظرت إلى المسائل النحوية من جهة معناها، وقادرتها بالقواعد النحوية البسيطة وقسمتها قسمين: منها ما طابق الأصول المعروفة، ومنها ما خالفها، وبدأت بالتوسع في هذا النهج حتى استوى لي أن ما خالف الأصول ينتسب إلى أقسام كثيرة، ومثله ما وافق الأصول وله أقسام كثيرة أيضاً.

واهتمامي بالمعنى لم يصرفني عن بنية اللفظ كذلك، ولم يصرفني عن أسلوب سيبويه حيث أتبعته المنهج الرصني عندما وقفت على طريقة دخول سيبويه إلى المعالجة النحوية وإشادته إلى شيخه، أو إلى أعرابي من الأعراب أو إلى أحدهم من دون أن يذكره.

وأتبعته المنهج التاريخي في ترتيب الأبواب النحوية، وما ضمه كل باب من سرد للمعلومات، أو إشارة إلى المصادر والمراجع التي أتبعتها، وأصحاب المصادر والمراجع متخذاً سنة الوفاة نقطة الارتكاز في ذلك.

ومن الطبيعي أن يكون كتاب سيبويه هو الأساس الذي اعتمدت عليه في هذا البحث، سواء أكان ذلك في تبعية لسبويه وآراده وتاولاته النحوية، أم تبعية لمن سبقه من النحاة كالحضرمي، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم.

واعتمدت في استنباط آراء كثير من النحاة على مؤلفاتهم كمعاني القرآن للقرّاء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للأخفش، والمتنضب للمبرد، ومجالس نعلب وغيرها.

واعتمدت على كتب المتأخرين في نسبة الآراء لأصحابهم، لا سيما أن كثيراً من النحاة ضاعت كتبهم أو بعضها، من ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، ومغني اللبيب لابن هشام، وهمع الهوامع للسيوطي وغيرها.

وما من شك في أن بعض المراجع كان لها أثر بالغ في إنارة الطريق أمامي، وتوفير الجهد، بما وصلت إليه من نتائج لأذخراً في استمرار العمل، وأخص بالذكر نظام الجملة

للدكتور مصطفى جطل، والاحتجاج وأصوله في النحو العربي للدكتور محمد خير الحلواني وغيرها.

وفي الختام، لا أحب أن أتحدث عن الصعوبات التي لاقيتها أثناء إعداد رسالتي، فكل ما أطمح إليه أن أكون قد وفقت في إضافة جديد ينتفع به المهتمون بالدراسة النحوية، ولينة في صرح هذا البناء الشامخ.

أما استاذي الدكتور مصطفى جطل عميد كلية الآداب المشرف على رسالتي الذي لقيت من عنايته وكرمه وعلمه ما أعجز عن البيان عنه، فقد شمل هذا البحث برعايته سنوات طويلة، كان فيها أخاً كريماً، وأستاذاً هادياً، أفدت من سديده رأيه ودقة ملاحظته وسعة صدره الشيء الكثير، وقف جانبي في أوقات شطت بي جوانب البحث وتفرعاته، ولقنتني معاني الأناة والصبر، فما البت أن أجد نفسي مقتنعاً بصواب ما ارتأى، فأثوب إلى توجيهه، وأسلك السبيل التي أقنعني بسلوكها، وبهذا أرى من الواجب عليّ أن أشكر له جهوده العلمية الطيبة التي بنت من هذا البحث ما بنته فجراه الله خيراً، وأبقاه ذخراً للعلم والعلماء.

أما استاذي الدكتور فخر الدين قباوة فقد كان من توفيق هذا البحث أن وضع لي أساسه وأشرف عليه وهو بخطو خطواته الأولى فكان أن جنبني -فيما أفدّر- كثيراً من عثرات الطريق، ووعودة مسلكها، أخذ الله بيده إلى تحقيق طموحه في خلق جيلٍ نحويٍّ يحمل عن قلبه هموم الهدم، وهموم البناء.

ذ

ولا أنسى فضلَ اثنين طوامهما الثرى، الأستاذ محمد الأنطاكي الذي شجعني في كتابة بحث صغير عن الاستدلال النحوي في مرحلة الدبلوم آنذاك، والدكتور محمد خير الحلواني الذي عاش معي طيلة فترة كتابة البحث من خلال مؤلفاته المتعددة، وفضله القديم.

كما أشكر للإساتذة الدكاترة أعضاء اللجنة المناقشة صبرهم على قراءة البحث ففضلهم عليّ يحجز مثلي أن يُعَبَّرَ عنه أخذ الله بيد الجميع إلى ما فيه صلاح هذه الأمة وسلامة لغتها ونحوها، والله ولي التوفيق.

حلب ٤/٨/١٩٩٣.

أمان الدين حنحات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول:

الاستدلال النحوي قبل سيبويه

الفصل الأول:

ضروب الاستدلال عند غير النحاة

- الاستدلال عند الفقهاء.
- الاستدلال عند علماء الكلام.
- الاستدلال عند المناطقة.

الاستدلال عند الفقهاء:

علم أصول الفقه:

هو العلم بالطرق والأصول التي تكشف للفقهاء مناهج استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية وقواعدها، والقواسم المشتركة بينها في حال وجود تعارض في الظواهر، ذلك كي لا يضل الفقيه طريقه في الاستنباط. وكان دور علم أصول الفقه بالنسبة إلى الفقيه سبيلاً تبين المسالك التي يسلكها الفقهاء المجتهدون في استنباطهم، واستخراج الأحكام الشرعية من النصوص، وكذلك استخراج العلة التي تُبنى عليها الأحكام للوصول إلى ما قصده الشرع الحكيم، وتضمنه القرآن الكريم أو السنة النبوية تصريحاً أو تلميحاً. (١)

والأصول لغة جمع أصل، والأصل هو الأساس الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي يثبت منه، وأصول العلوم قواعدها التي تبنى عليها الأحكام، والأصول في الشرع ما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، أو هو ما يثبت حكمه بنفسه، (٢)

(١)- انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به للقاضي المقلد ص ١٥ طبعة السنة المحمدية بالقاهرة بلا تاريخ. وكتاب الحدود في الأصول لابن خلف الباجي ٤١ نج: حماد بيروت ١٩٧٣. وأصول الفقه لمحمد أبي زهرة ٣ دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٨. وأصول الفقه الإسلامي لإبراهيم سلقيني ٣ جامعة دمشق ١٩٨٤-١٩٨٥. ومناهج البحث عند مفكرين الإسلام لعلي ماسي النشار ٦٤-٦٥ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٧.

(٢)- انظر إرشاد الفحول للإمام الشوكاني ٣ الطبعة الأولى ١٢٥٥ هـ. وانظر المعجم الوسيط (أصل) وانظر القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً لسعدي أبو جيب (أصل).

والأصل اصطلاحاً له معان عديدة منها: (١)

- ١- الدليل : من ذلك قوله تعالى: **وَأَتُوا الزُّكَاةَ** (٢) أصل في وجوب الزكاة، وهو الدليل الذي أخذ به الفقهاء .
- ٢- القاعدة: من ذلك قول الفقهاء: لنا أصول في هذا القول؛ أي لنا قواعد نبني عليها أحكامنا.
- ٣- الراجع: من ذلك قولنا: الكتاب أصل بالنسبة للقياس؛ أي هو راجع عليه ومتقدم (٣).
- ولعل أهم المباحث الأساسية التي تناولها علماء أصول الفقه في كتبهم هي:
 - ١- الأدلة : وتكون من القرآن الكريم والسنة، والإجماع والقياس (٤).
 - ٢- الأحكام: من حيث الوجوب والإباحة، والحرمة والكراهة. (٥).
 - ٣- التعارض والترجيح.
 - ٤- الاستنباط: وما يتبعه من العموم والخصوص، الإطلاق والتقييد، والظهور والخفاء.
 - ٥- المستنبط: وهو المجتهد، وصفاته، وأحكام الاجتهاد (٦).

(١) - انظر أصول الفقه لسليبي ٤.

(٢) - البقرة ٢٣/٢

(٣) - هناك معان أخرى منها: المستصحب والمقابل للفرع، والمقيس عليه؛ فالمستصحب هو الأمر الثابت في الماضي يحكم عليه في الحاضر من ذلك أن الطهارة في الماء أصل. والمقابل للفرع كقولهم: الولد أصل للولد. والمقيس عليه كقولهم: الخمر أصل للنبيذ. انظر أصول الفقه لسليبي ٥.

(٤) - يتبع ذلك وتتعلق به الاستصحاب، والاستحسان، والاستصلاح، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا.

(٥) - يتبع ذلك وتتعلق به الأهلية والحاكم والمحكوم فيه، والمحكوم عليه.

(٦) - انظر أصول الفقه لسليبي ١٣ وما بعدها.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن علم أصول الفقه بموضوعاته المتعددة يرجع كل الأدلة في الشريعة الإسلامية إلى الله تعالى؛ لأنه هو الذي يقضي في هذه الأصول كلها، فالقرآن الكريم رسالة الله إلى خلقه، والسنة بدورها تمحورت حول القرآن الكريم؛ لتبين أحكامه شرحاً وتفصيلاً؛ قال تعالى: **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (١)**. أما باقي الأدلة التي يستخدمها الفقهاء فهي مستمدة من هذين النبعين.

تاريخ أصول الفقه:

فكّر العلماء المسلمون في مسائل حياتهم العملية في وقت مبكّر سبق تفكيرهم في مسائل الاعتقاد، وما يحيط به، ويتفرع عنه، وهذا ما جعل مناهج البحث الإسلامي عند علماء أصول الفقه تسبق مناهج البحث لدى علماء أصول الدين (٢).

وفي المقابل فإنه لا يمكن الفصل بين أيّ من العلوم، وبين منهجه وأصوله، ومن ذلك الفقه؛ فقد نشأ علم أصول الفقه ومنهجه مع علم الفقه نفسه. ومن هذا المبدأ فإن عصر الصحابة هو بداية الاستنباط الفقهي منذ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فإذا علمنا أن علي بن أبي طالب (رض) يقول في عقوبة الشارب: إنه إذا شرب هذى، وإذا هذى قذف، فيجب حدّ القذف (٣). أدركنا أن علياً (رض) كان ينهج منهجاً يعرف بالحكم بالمال، أو الحكم بالذرائع، وهو بدوره يستند إلى أسس منهجية كانت نواة لنشأة منهج أصول الفقه.

(١) - النجم ٤/٥٣

(٢) - انظر مناهج البحث للنشار ٩٤.

(٣) - انظر أصول الفقه لأبي زهرة ٩.

وجاء بعد ذلك عصر التابعين الذي اتضحت فيه مناهج الفقهاء أكثر من ذي قبل مع وجود بعض الفروق في مناهج الاستدلال لدى كل منهم تبعاً لاختلاف كل مدرسة من المدارس. وقد تصدى بعض التابعين للفتوى نظراً لكثرة المستجدات، والحوادث التي تعترض شؤون الحياة آنذاك، منهم سعيد بن المسيب (١) بالمدينة، وعلقمة (٢)، وإبراهيم النخعي (٣) بالعراق الذين اعتمدوا القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وما عُرف عن الصحابة، أما إذا عدموا ما سبق فكانوا ينهجون نهج القياس أو المصلحة، وما يتفرع عن ذلك بما يخدم الفتوى التي لاتعارض ومستندات هذه الأصول، كالقرآن الكريم، والسنة الشريفة، وأقوال الصحابة.

بعد عصر التابعين جاء عصر الأئمة المجتهدين كأبي حنيفة (٤)، ومالك (٥) رضي الله عنهما، عندهما نجد أن القواعد والأصول في هذه المناهج تتضح، وتتلور بشكل

-
- (١) - هو سعيد بن المسيب بن خزن المخزومي القرشي (١٣-٩٤هـ) سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث، والفقه، والزهد، والورع. انظر الطبقات الكبير لابن سعد ٨٨/٥، ليدن ١٣٢١هـ.
- (٢) - هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الهمداني (١٠٠-٦٢هـ) تابعي، كان فقيه العراق، ولد في حياة النبي (ص) وتوفي في الكوفة. انظر تاريخ بغداد للمخطيب البغدادي ١٢/٢٩٦ مصر ١٣٤٩هـ.
- (٣) - هو إبراهيم بن يزيد بن قيس، أبو عمران النخعي (٤٩-٩٦هـ) من أكابر التابعين صلاحاً، وصدق رواية، وحفظاً للحديث. من أهل الكوفة. مات سخيلاً من الحجاج. أنظر طبقات ابن سعد ١٨٨/٦-١٩٩.
- (٤) - هو النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ)، إمام الحنيفة الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. إنظر تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣-٤٢٣.
- (٥) - هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (٩٣-١٧٩هـ) أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. مولده ووفاته في المدينة. انظر التمهيد لابن حجر المسقلاني ١٠/٥ حين آباء الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ.

أكثر جلاء من ذي قبل من خلال الفاظ صريحة دقيقة واضحة (١).

ضروب الاستدلال عند الفقهاء

الاستدلال لغة طلب الدليل؛ ويطلق في العرف على إقامة الدليل مطلقاً من نص أو إجماع، أو غيرهما، وقيل: هو في عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول (٢).

والاستدلال عند الفقهاء مستمد من التشريع الإسلامي الذي يتجلى بالقرآن الكريم؛ لأنه الأساس الذي يقول عليه في سائر طرق الاستدلال التي تدور حوله لتبينه، أو لتكشف أحكامه، ذلك أن الإنسان المسلم لا يقبل إلا حكم الله تعالى: **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** (٣).

أما الدواعي والدوافع التي كانت وراء توسع علم الاستدلال حتى تطور واستوى، فلم تكن وليدة بعض الظروف المرحلية التي مرّ بها المجتمع الإسلامي، ولم تكن نتيجة لأحداث معينة تخفي وراءها أهواء ومصالح، بل هي سماوية الأصول تتصل بالإنسان، وعلاقته بخالقه، وما يستتبع هذه

(١) - انظر فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد ٢٤ طبعة القاهرة، مقدمة ابن خلدون ٢١٨ القاهرة بلا تاريخ. ساهج البحث للنشار ٦٥-٦٦.

(٢) - انظر الكليات لأبي البقاء الكفوي ١٧٤/ دمشق ١٩٨١.

(٣) - الأنعام ٥٧/٦.

العلاقة من طاعة لأوامره، وتقيّد بمشيئته؛ قال تعالى: **تَأْتِمِرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا (١)**.

وطرق الاستدلال هي منهج البحث عند الفقهاء، بل هي منطق مسائله، أو بمعنى أكثر شمولية هي: « قانون عاصم لذهن الفقيه من الخطأ في الاستدلال على الأحكام » (٢). وأمام هذه الأصول والقواعد التي وضعها علماء المسلمين نرى أنها تركز بمجملها على القرآن الكريم، فهو أصل الأصول، وهو المقدم على سائر المصادر في استنباط الأحكام، فإن لم نجد فيه رجعنا إلى السنة، وإن لم نجد في السنة رجعنا إلى الإجماع، وإن لم نجد في الحكم إجماعاً رجعنا إلى القياس الذي هو آخر الأدلة الأصلية الأربعة؛ قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ (٣)**. أما طرق الاستدلال الفرعية فكثيرة (٤)، ولم يتفق جمهور العلماء على الاستدلال بها.

(١)- الروم ٣٠/٣٠.

(٢)- منهاج البحث للنشار ٦٥.

(٣)- النساء ٥٩/٤.

(٤)- منها: الاستحسان، والمصالح المرسله، والمعرف، ومنهجه الصحابي، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع، والاستصحاب، انظر

أصول الفقه لسليقيني ١٣٥.

مصادر الاستدلال الأصلية

١- القرآن الكريم :

يبقى القرآن الكريم مصدراً للأحكام الشرعية : لأنه كلام الله تعالى، ذلك أن قول الرسول (ص) -وهو مصدر من مصادر التشريع- إحياء من عند الله، وخبر عنه (١)؛ قال تعالى : **وما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحي يوحى (٢)**، ثم إن الإجماع يكون مستنداً إلى القرآن أو السنة، فالحكم أولاً وأخيراً لله وحده، وكل الأدلة تعود إلى الله تعالى وحده. **٤٦٣٧٢٩**

ولعل من أبرز خواص القرآن لغته العربية التي امتاز بها من غيره من الكتب السماوية، وخروج لفظ القرآن عن هذه اللغة سواء أكان هذا الخروج تفسيراً أم ترجمة لا يعد قرآناً مهما بلغ من سمو الكتابة أو الأسلوب، فلا تصح ممارسة العبادات بها، لأن ألفاظ القرآن ومعانيه من عند الله، وما الرسول إلا حامل لهذه الأمانة ليبلغها لبني البشر، ومفسّر لما يحتاج منها إلى تفسير وكلام الله هذا وصلنا بطريق التواتر، رواه جمع كثير عن جمع كثير فلا يرقى إليه شك لأنه يستحيل أن يتفق الرواة كلهم على الكذب، وتواتر القرآن الكريم ثابت كتابة، ومشافهة منذ الوحي إلى يومنا هذا، فقد كتبه كتّاب الوحي، وقام الرسول(ص) بتحفيظه لجمع كبير من الصحابة، ثم تناقلته الجموع الكبيرة حفظاً في الصدور، وجمعاً في الكتب جيلاً وراء جيل إلى أن وصل إلينا دون أن يمسه تغيير، أو يرقى إليه شك: قال تعالى: **إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون(٣)**.

(١)- انظر الأحكام في أصول الأحكام للأدي ٢٢٨١-٢٤٠ مطبعة المعارف ١٣٣٢هـ وإرشاد الفحول للشوكاني ٢٩-٣٢.

(٢)- انجم ٤-٣/٥٣.

(٣)- الحجر ٩/١٥.

وقد استوعب القرآن الكريم معظم شؤون الحياة، وأحاط بها إحاطة تامة، واشتمل على الأحكام التي ترتبط بالإنسان في حياته، واستدل الفقهاء بالقرآن الكريم للوصول إلى الأحكام المستمدة من روح الشريعة الإسلامية، وهي كثيرة منها:

١- العقائد: وتشمل ما يجب على المسلم الاعتقاد به كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر سواء أكان خيراً أم شراً.

ب- العبادات: وتشمل العلاقة بين العابد والمعبود، والخالق والمخلوق كالصوم والصلاة، والحج والزكاة، والصدقات، وغيرها. وكانت أوامر الله تعالى لخلقه أوامر إجمالية؛ فلم يبين شيئاً من أركان الصلاة، وأوقاتها تفصيلاً، بل ترك تفصيل هذه الأوامر الإجمالية لرسوله (ص) الذي شرح كلَّ مجمل، وفصل كلَّ عموم، قال رسول الله (ص):
«صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال «خذوا عني مناسككم».

ج- الأخلاق: وتشمل ما يرسم الإطار العام لحياة الإنسان المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وما يجب عليه أن يتحلى به من خلق وفضيلة، وعلاقة اجتماعية وسلوك قويم.

د- أحكام المعاملات: وهي كثيرة شاملة لكل مناحي الحياة مستوعبة مشاكلها، وهمومها منظمة أبعادها في الحاضر والمستقبل سواء أكان هذا الاستيعاب للإنسان فرداً أم جماعات، فنظمت حياة الأسرة، وضبطت شؤونها من زواج، وطلاق، ونفقة وميراث، وغير ذلك من العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة من الأبوين، والأولاد، والأقارب.

كما رسمت أحكام المعاملات هذه علاقةً الناس فيما بينهم كالحقوق، والمنازعات، وما يتفرع عنها من أمور مدنية أخرى، إضافة إلى إحاطة هذه الأحكام بأمر الحق والعدل، والشهادة، وكذلك الأحكام الاقتصادية التي تنظم العلاقة بين الأغنياء والفقراء.

وقد تضمن القرآن الكريم تجاه بعض الشؤون أحكاماً عامة إجمالية، لم يتعرض لها بالتفصيل، وترك أحكامها الاستدلالية بين يدي المجتهدين ليفصلوا فيها، وأضمين هذه الأحكام العامة نصب أعينهم في استدلالهم تبعاً للظروف، والمصالح، وهذا ما أكسب القرآن الكريم ميزة الخلود والشمول ليبقى دائماً ثلبياً حاجات الأمة، والمجتمع.

وقد وقف الفقهاء أمام نوعين من الاستدلال :

١- استدلال قطعي: وذلك لورود آيات أعطت أحكاماً ثابتة لأمجال فيها للاجتهاد، وإبداء الرأي، كما هو الحال في قوله تعالى: **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ** (١) وقوله: **الرَّانِيَّةُ وَالرَّانِي فَتَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مئةَ جَلْدَةٍ** (٢) فالقطع ثابت مما يدفع الاجتهاد، والاختلاف في الفهم، والتفسير.

(١)- النساء ١١/٤.

(٢)- التور ٢٤/٢٤.

ب- استدلال ظني: ذلك إذا كان النص القرآني يحتفل أكثر من معنى، وكل هذه المعاني لا تتنافى والمعنى العام للنص، وروح الشريعة الإسلامية؛ من ذلك قوله تعالى:

والمطلعاتُ يترَبِّطنَ بأنفسِهِنَّ ثلاثَةَ قُرُوءٍ (١)

٢- السنة (٢)

عد علماء الفقه السنة النبوية مصدراً تشريعياً أخذوا به إذا ثبت نقله بسند صحيح، واستدلوا بها في الوصول إلى أحكامهم، ذلك أن الله سبحانه وتعالى بيّن أهمية الرسول (ص) في كثير من أحكام الدين الإسلامي، قال تعالى: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (٣)**

(١) - البقرة ٢٢٨، والقراء أو القراء يراد به الحيض عند بعض الفقهاء، أو يراد به الطهر عند بعضهم الآخر، وهذا النوع من الاستدلال يفتح الباب أمام المجتهدين لتفسير النص القرآني الذي ورد بدلالة ظنية لاقطعية. انظر الكشاف عن الحقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزخشيري ٣٦٥/١. دار المعرفة، بيروت. تفسير النسفي ١٤٩/١ منشورات دار الكتاب العربي، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٩/١ دار المعرفة بيروت ١٩٩٩م.

(٢) - السنة في اللغة هي الطريقة، سواء أكانت حميدة أم ذميمة، وهي العادة. والسنة من الله هي حكمه في خليقته، ومنه قوله تعالى: **سنة الله يح الظهين خلّوا من قبلُ ولن تجعّ لسنة الله تبديلا.** * الأحزاب ٦١/٢٣. والسنة اصطلاحاً: ما شرعه الرسول (ص) قولاً وفعلاً، أو تقريراً كما تطلق على ما أمر به النبي (ص) ونهى عنه، وندب إليه مما لم ينطق به الكتاب العزيز. انظر المستصفي للإمام الفراهي ٨٣/١. الإحكام في أصول الأحكام للأمامي ٢٤١/١-٢٤٩. مطبعة المعارف ١٣٣٢هـ. روضة الناظر لابن قدامة المقدسي ٤٦. المطبعة السلفية ١٣٢٧هـ. القاموس الفقهي لأبي جيب

والأدلة على وجوب الاستدلال بالسنة ثابتة واضحة:

أ- الدليل القرآني:

قال تعالى: **وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** (١) وقوله تعالى: **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** (٢) فالسنة النبوية هي تبليغ رسالة الخالق، وقد تلقى أمراً بتبليغ الرسالة إلى الخلق. إضافة إلى أن الله قد قرن الإيمان بالرسول بالإيمان بالله، قال تعالى: **تآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** النبي المصطفى الذي يؤمن بالله وكلماته، **واتبعوه لعلكم تهتدون** (٣).

ب- الدليل النبوي:

ذكر الرسول (ص) أن الأحكام تؤخذ من السنة كما تؤخذ من القرآن الكريم، وأن الاستدلال بالسنة النبوية مساوٍ للاستدلال بالقرآن بدليل قوله (ص): **«تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنتي»** (٤) وقوله: **«يوشك رجل شككني على أريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال أحلناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله مثل الذي حرّم الله»** (٥)

(١)- الأحزاب ٣٣/٣٦.

(٢)- المائدة ٥/٩٧.

(٣)- الأعراف ٧/١٥٨.

(٤)- سنن المصطفى لابن ماجه، القزويني ٧/٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤. ط المطبعة النازية بمصر، سنن أبي داود ٢/١٨٢ راجعه محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٥)- سنن ابن ماجه ١/٩-١٠، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٩/١٣٢ ط ١٩٣٤م بمصر.

ج- الدليل الصحابي: أجمع الصحابة على أن السنة النبوية تكتسب ميزة تشريع الأحكام مثلها مثل القرآن الكريم في التحليل والتحریم، وعلى المسلمين واجب وهو اتباع ما جاء عن النبي (ص) من غير تمييز بينه وبين الأحكام التي صدرت عن القرآن الكريم (١)

فالسنة النبوية مكملة للقرآن الكريم في توضيح الفرائض، والأحكام الشرعية. حتى عدها الفقهاء مع الكتاب أصلاً واحداً لأنها نص، ويعول عليهما في الاستدلال تعويلاً تاماً. (٢)

٣- الإجماع: (٣)

هو مصدر تشريعي كبير يمد الأحكام بدم جديد يساير فيه الأزمان بما يتناسب مع مصلحة المجتمع في شتى المجالات، وظهرت فكرة الإجماع أصلاً بعد وفاة الرسول (ص) حين اعترضت الصحابة مشكلات المجتمع التي لم يتعرض لها القرآن الكريم ولم يروا لها أثراً في السنة الشريفة. فأبو بكر

(١)- وهناك الدليل المعقول، ذلك أن المسلمين لولا السنة لعسر عليهم الوصول إلى دقائق بعض الفرائض التي أوجبها الله، من ذلك الصلاة والزكاة كتقوله تعالى: **أَتَيْمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ** * البقرة ٤٣/٢. وقوله: **كُتِبَ عَلَيْكُمُ**

الصِّيَامُ * البقرة ١٨٣/٢.

(٢)- من هؤلا الفقهاء الشافعي. انظر أصول الفقه لأبي زهرة ٨٢-٨٣ وأصول الفقه الإسلامي لسلفيني ٦٣-٧٨.

(٣)- الإجماع لغة الاحكام، والعزيمة على الشيء، ومنه قوله تعالى: **فاجمعوا أؤكؤم** * يونس ٧١/١٠ وهو الاتفاق؛ يقال أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا عليه. والاجماع عند الفقهاء: هو اتفاق رأي المجتهدين من أمة محمد (ص) بعد وفاته على أمر من أمور الدين. انظر الإحكام في أصول الأحكام للأندلسي ٢٨٠، وروضه الناظر لابن قدامة المقدسي ٦٧، وانظر إرشاد الفحول للشوكاني ٧١-٩٠، وانظر أصول الفقه الإسلامي لسلفيني ٨١ والقاموس الفقهي لأبي جيب ٦٦.

كان ينظر في القرآن الكريم والسنة الشريفة- إذا ورد عليه الخصوم- فإن أعياءه أن يجد فيهما شيئاً دعاً رؤوس الناس، وخيارهم واستشارهم، فإن اجتمعوا على أمر قضى به. وكذلك كان عمر (رض) يستشير أصحابه على الرغم من تفقهه في الدين، فيأخذ آراء الصحابة، ويحكم بما اتفقوا عليه. ذلك أن القرآن الكريم أمر المسلمين بالمشاورة في تدبير شؤون المسلمين: قال تعالى: **وشاورهم في الأمر**. (١) وقال: **وأمرهم شورى بينهم** (٢).

وقد عتد الفقهاء الحكم المستند إلى الاجماع حكماً قطعياً يجب اتباعه، وتحرم مخالفته ويبطل تجاهه كل نزاع أو اجتهاد، وهناك أدلة متعددة تبين قوة الاستدلال بالاجماع:

١- الدليل القرآني :

استمد الاجماع حجتيه من القرآن الكريم: قال تعالى: **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوالله ما تولي، ونظلم جهنم وساءت مصيراً** (٣) فما أجمع عليه أئمة الاجتهاد من المسلمين هو سبيل المؤمنين والوارد في الآية الكريمة، وهو الحق الذي يتعين اتباعه، وهذا ما يدل على أن الاجماع هو الحق والصواب .

(١)- آل عمران ١٥٩/٣.

(٢)- الشورى ٣٨٣٧/٤٢.

(٣)- النساء ١١٥/٤.

ب- الدليل النبوي:

قال الرسول (ص): «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة» (١) من هذا الدليل، وماشابهه استمد الإجماع حجته من السنة الشريفة، فمجتهدو الأئمة لا يجتمعون على الضلالة، واجتماعهم لا يكون إلا على حق، ومنه قوله (ص): «مآرأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» (٢)

ج- الدليل المعقول:

يلجأ الفقهاء في استنباط أحكامهم إلى ما فيه نص، أو إلى الاستدلال بما قامت عليه الشريعة من دلائل أخرى (٣) وإجماع المجتهدين على حكم، واتفاقهم عليه دليل على أنهم مستندون إلى مستند شرعي حتماً؛ ذلك أنهم لو تبعوا أدلة غير شرعية، وراحوا وراء أدلة ظنية صرفة لما ظهر بينهم أي اتفاق لأن ما يتبع العقل، والهوى يكون مصيره الخلاف (٤).

٤ - القياس (٥)

هو إلحاق صورة مجهولة الحكم بصورة معلومة الحكم لأجل أمر جامع بينهما

(١) - سنن المصطفى لابن ماجه ٤٦٤/٢ ط١ مصر.

(٢) - سنن ابن حنبل ٣٧٩/١

(٣) - من ذلك الامتحسان، والامتصحاب، ومراعاة العرف.

(٤) - انظر أصول الفقه للخلاف ٥٢.

(٥) - القياس في اللغة هو التقدير، ومنه قاس فلان المسافة إذا فكرها. وهو يستعمل في التشبيه أيضاً، وهو تشبيه الشيء بالشيء، يقال: هنا قياس ذلك إذا كان بينهما مشابة. وهو رد الشيء إلى نظيره. والقياس اصطلاحاً هو حمل أحد المعلومين على الآخر في إثبات حكم أو إسقاطه بأمر يجمع بينهما. انظر المستصفي للإمام الفخراني ٥٤/٢ - ٧٠. روضة الناظر لابن قدام المقدسي ١٤٥، ١٨٥ وانظر الكليات لأبي البقاء الكفوي ٢٣/٤، إرشاد الفحول للشوكاني ١٩٨-٢٣٣، القاموس القسبي لأبي جيب ٣١٢.

يقتضي ذلك الحكم (١)، وأساس القياس هو تعليل النصوص سواء أكانت نصوصاً من القرآن الكريم، أم من السنة الشريفة، والوقوف على علل هذه النصوص، وماتناولته من أحكام؛ وبهذا يتمكن الفقيه المجتهد من معرفة هذه العلل، ويبحث عنها في وقائع أخرى لم تتناولها النصوص (٢).

وهذا ما جعل الفقهاء من عصر الرسول (ص) إلى يومنا هذا يستعملون القياس في أحكامهم وقد أجمعوا على أن نظير الحق حق، ونظير الباطل باطل، ولم يجيزوا لأحد أن ينكر القياس لأنه تشبيه الأمور والتمثيل عليها. (٣)

والحكم المبني على القياس يكتسب حجية كبيرة في الاستدلال به، وقد وضعه الفقهاء في المرتبة الرابعة بعد القرآن، والسنة، والإجماع. وهو حكم ثابت، ومصدر من مصادر التشريع، ويجب الأخذ به، والعمل بموجبه. والأدلة على قوته كثيرة منتزعة من مصادر متعددة :

أ- الدليل القرآني:

برزت حجية الاستدلال بالقياس من القرآن الكريم في مواضع كثيرة؛ من ذلك قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.** (٤)

(١) - انظر كتاب الحدود في الأصول للبايجي ٦٩ نج: نزبه حماد بيروت ١٩٧٣م. مفتاح الوصول في ابتناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني المالكي ١٥٨ دار الكتاب العربي مصر ١٩٦٢م.

(٢) - انظر أصول الفقه لأبي زهرة ١٨٨ وما بعدها.

(٣) - انظر أصول الفقه لأبي زهرة ١٧٤.

(٤) - النساء. ٥٩/٤.

والواضح من الآية الكريمة أن الرد إلى الله، والرسول يكون بفهم أحكامهما، والقياس عليهما في الاستدلال، وهو القياس عينه.

ب- الدليل النبوي:

في الحديث الشريف أمثلة كثيرة على أن القياس وجه من وجوه الاستدلال الذي يجب اتباعه؛ من ذلك أن امرأة خثعمية دخلت على رسول الله، وقالت له: يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الحج شيئاً زمناً لا يستطيع أن يحج، إن حججتُ عنه أينفعه ذلك؟ فقال لها: «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته، أكان ينفعه ذلك؟ قالت: نعم، قال: فدين الله أحقُّ بالقضاء» (١) فقد استدل رسول الله (ص) على جواز حج المرأة بدل أبيها الذي أدركته فريضة الحج في وقت لا يستطيع فيه الحج قياساً على جواز قضاء الدين بدلاً من أبيها وهو وجه من وجوه القياس الذي أخذ به الرسول (ص) في الوصول إلى حكمه.

ج- الدليل الصحابي:

ثبت عن الصحابة احتجاجهم بالقياس، وعملهم به في كثير من الأخبار التي نقلت عنهم، والقياس لا يبعد تجاوزاً للنصوص، وتركاً لها، إنما هو فهم لمفزاها وتفسير لأبعادها بمدى أبعد مما هي عليه؛ من ذلك أن بعض الصحابة قد بايع أبا بكر لأن الرسول (ص) اختاره ليكون إماماً في الصلاة، فقام الصحابة بالخلافة -وهي إمامة- على

(١) - صحيح البخاري ١٣٢/٢ طبع عثمان خليفة، سنن النسائي ١١٢/٥ بشرح السيوطي.

إمامة الصلاة؛ وقال بعضهم: «اختاره لأمر ديننا أفلا نختاره لأمر دنيانا» (١) ومنه ما كتبه عمر (رض) إلى أبي موسى الأشعري عندما كلفه ليكون قاضياً للبصرة؛ قال عمر (رض): «الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة، اعرف الأشباه والنظائر، ثم قس الأمور عند ذلك، فاعهد إلى أحبها عند الله، وأشبهها بالحقّ فيما ترى» (٢).

د- الدليل المعقول:

لو نظرنا إلى الحكمة من الأحكام التي شرعها الخالق لرأينا أنها تنصبُّ في مصلحة عباد الله. فإذا وقفنا أمام أمر لائنص فيه، وأمر آخر فيه نص صريح يقضي فيه، وكان بين الأمرين علة حكم واحدة فإن الحكمة تقضي أن يتساوى الأمران في الحكم على الرغم من أن أحدهما فيه نص، والآخر لائنص فيه.

فالله سبحانه وتعالى حرّم الخمر لضررها، فتحرّيم أنواع المخدرات يتفق مع العقل والمنطق؛ لأن فيه ضرراً يقضي بتحريمه قياساً على تحريم الخمر للعلة ذاتها. والشريعة الإسلامية عاتة شاملة لكلّ زمان ومكان محيطة بمصالح العباد وإفية لحاجاتهم على مرّ العصور بينما نرى أن النصوص في الكتاب والسنة محدودة مقيدة، وهذا ما يدفع بالقياس ليكون ركناً هاماً لمسايرة روح العصر، وتطور الزمن.

(١)- أصول الفقه لأبي زهرة ١٧٧.

(٢)- كشف الاسرار للنسفي ١٠٢/٢، وانظر أصول الفقه الإسلامي لسليبي ١٣٢.

والقياس مرادف للاجتهااد بالرأى، وهما أصل من أصول الأحكام الفقهيّة، وقد استند المسلمون على القرآن فالسنة في استدلالهم، ثم استجدت معطيات كثيرة وضعتهم أمام مواقف تتطلب الحكم، إما بحسب العرف، وإما بحسب إدراكهم لمعنى الخير. عندها نشأ ما يسمى بالاجتهااد فيما لم يرد فيه نص؛ ذلك أن القرآن لم يتعرّض إلى الأمور الجزئية في الحياة اليومية ما جعل المسلمين يلحقون هذه الأمور الجزئية بالأحكام العامة، فاتسعت دائرة البحث في الرأى، وقُعد حتى شُمّي قياساً، وعلى الرغم من الفروق بينهما فالحرية العقلية في الرأى أوسع منها في القياس، وكذلك مهما كانت القيمة العقلية للقياس كبيرة فإنه يأتي في المرتبة الرابعة بعد القرآن، والسنة، والإجماع. (١)

(١) - انظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لمحمد علي أبي رزّان ٤٩-٥٠.

ضروب الاستدلال عند علماء الكلام:

مما لا شك فيه أن لكل علم من العلوم طرائق للاستدلال، ومناهج يسير العلماء على هديها، وقد تتفق بعض العلوم بطرق الاستدلال كما هو الحال عند الفقهاء، والنحاة، وقد تشعب الهوية أحياناً كما هو الحال عند علماء الكلام. وقد سلك علماء الكلام في استدلالهم ثلاثة أضرب هي:

١- البرهان الكلامي:

يصدر المتكلمون عن مقدمات تسلموها من خصومهم، وقد اضطروهم إلى تسليمها إما التقليد، أو الإجماع، أو مجرد القبول من القرآن أو الأخبار، وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم، ومواخذتهم بلوازم مسلّماتهم (١) فالتكلم لا يعنيه أن يبدأ بمقدمات فنتائج، إنما يبدأ من أقوال خصمه إلى أن يصل إلى نتائج تبرهن تناقض أقوال الخصم فتبطلها، فإذا وصل المتكلم إلى إبطال نتائج خصمه، فإن مقدماته باطلة لامحالة (٢).

٢- التأويل :

عندما يجد المتكلم نفسه أمام نصوص تعارض رأيه الذي يتبناه يلجأ إلى تأويل هذا النص بما يناسبه، وكانت الآيات المتشابهات مجالاً خصباً لطريقة التأويل عند علماء الكلام، وكان لها الأثر الكبير في ظهور هذا العلم (٣)؛ من ذلك قوله تعالى: **قُلْ إِنْ الْفُضْلُ بِيَدِ اللَّهِ (٤)**،

(١) - انظر المنقذ من الضلال للغزالي ص ١١٨.

(٢) - انظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لأبي ريتان ١٣٢.

(٣) - انظر مقدمة ابن خلدون ١٠٥٠/٣ وما بعدها طبعة لجنة البيان وفيه حديث عن مسألة الاختيار والجبر من خلال الآيات المتشابهات كت قوله تعالى: **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** الأنفال ١٧/٨ وقوله: **مَا لَهَا بِهِمْ مِنْ حَسَنَةٍ قَمِنَ اللَّهُ**، وما لَهَا بِهِمْ مِنْ حَسَنَةٍ قَمِنَ نَفْسُهُ النساء ٧٩/٤.

(٤) - آل عمران ٧٣/٣.

وقوله: **يَدُ اللَّهِ تَوَقُّ أَيَدِيهِمْ** (١) وقوله: **الرَّحْمَنُ عَلِيُّ الْعَرْشِ اسْتَوَى** (٢).

٣- التفويض:

وهو نوع من الإقرار بأن ما يتعرّض له المتكلمون هو فوق إدراك العقل، وأن على الإنسان أن يترك الأمر لله، وهذا الأمر كان عند الأشاعرة على وجه الخصوص، ولم يكن شائعاً عند المعتزلة ذلك أن هناك أموراً يعجز العقل عن إدراكها، ولكن الإيمان بها واجب، وعلى الإنسان ألا يظن بأنه قادر على الإحاطة بالكون، وتفصيله، وهذا ما جعل الله سبحانه وتعالى ينهانا عن النظر في الأسباب؛ قال تعالى: **قُلِ اللَّهُ كُفِّرُ كُفْرَهُمْ فِي حُجُوبِهِمْ يَلْعَبُونَ** (٣) لذا فإن الإيمان المطلق بالله هو واجب، وتفويض الأمر إليه ضروري؛ لأن كثيراً من الأمور جاءت عن طريق الوحي بما يتضمّنه ذلك من أسرار إنسية يعجز العقل عن استيعابها، وإدراكها. (٤)

رأي في الاستدلال عند علماء الكلام:

حدث عليّ (رض) على الجدال في الحق، إذ بعث ابن عباس (رض) إلى الخوارج فكلمهم، فقال: لِمَ تنقمون على إمامكم؟ قالوا: قاتل ولم يسيب، ولم يغم، فقال: ذلك في قتال الكفار، أرايتم لو شببت عائشة (رض) في يوم الجمل، فوقعت عائشة في سهم أحدكم، أكنتم تستحلّون منها ما تستحلّون من شريككم، وهي أمكم في نصّ الكتاب؟ فقالوا: لا، فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان (٥)،

(١)- الفتح ٤٨/١٠.

(٢)- طه ٥٠/٢٠.

(٣)- الأنعام ٩١/٦.

(٤)- انظر مقدمة ابن خلدون (فصل علم الكلام).

(٥)- انظر قواعد العقائد للفزالي ٢٩.

إن الفوز الذي لقيه ابن عباس في مجادلته للخوارج لا يعني أن الحث عليه كان مطلقاً، وإنما كان في موقف معين رأت بصيرة علي (رض) أنه ضرورة .

وقد ذهب كثيرون إلى النهي عن الجدل حتى إن بعضهم ذهب إلى تحريمه (١) وكره بعض المسلمين البحث في أصول الدين وعقائده، ونشطوا في تشريعات الحياة العملية، وعلم الفقه الذي نظمها (٢)، ورأى بعضهم تشابهاً بين علم الكلام من جهة، والفلسفة من جهة أخرى، لكن الفرق كبير ذلك أن المتكلمين يختصون بدين معين، ويتجادلون فيه، أما الفلاسفة فلأنهم يبحثون عن الحقيقة على وجه العموم، والمتكلم يبدأ من مسلمة عقائدية، ثم يبحث عن طرق إثبات صحة هذه المسلمة، فهو يسلم بوجود الله ووحدانيته، ثم ينطلق لإقامة الأدلة على ذلك ليقف معها أمام خصومه، أما الفيلسوف فإنه لا يسلم بأي شيء، بل يحاول البرهنة على وجود الله ووحدانيته؛ لأنه في الأصل لا يسلم بهذا الوجود (٣)

الاستدلال عند المناطقة (٤)

احتلّ علم المنطق مكانة بارزة عند بعض المفكرين المسلمين، حتى قال بعضهم: إن من لا يحيط بعلم المنطق، فلا ثقة بعلومه قطعاً، لذلك عدت معرفة منطق أرسطو أصلاً من أصول

(١)- انظر المصدر السابق ٢٤ وما بعده؛ حيث يورد الفزالي قول الإمام الشافعي: «لأن يلقي الله عز وجل العبد بكل ذنب، ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام».

(٢)- انظر المصدر السابق ٣٨، ٣٤، ٣٢، حيث يقول: «إن الفقه هو قوت القلوب المومنة، أما علم الكلام فهو دواء النفوس المريضة» وانظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لأبي ريثان ٤٧.

(٣)- انظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لأبي ريثان ١٣٢.

(٤)- المنطق لغة: الكلام، وهو للإنسان ولغيره، قال تعالى: **عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ** النمل ٢٧/١٦. والمنطق اصطلاحاً: علم يعصم الذهن من الخطأ في الفكر، ويقال: فلان منطقي؛ أي عالم بالمنطق، أو يفكر تفكيراً مستقيماً. انظر لسان العرب والمعجم الوسيط (نطق).

الاجتهاد وهو فرض كفاية على المسلمين، وهذا ما دفع فقهاء المسلمين لتوجيه التهم للمناطق، والاعتراض على أقوالهم وأفكارهم (١)

ضروب الاستدلال عند المناطق:

تأثر المناطق المسلمون بغيرهم تأثراً بالغاً، وظهر ذلك بوضوح في طرقهم التي اعتمدها في استدلالهم؛ وهي:

١- القياس (٢)

وهو أبرز الأجزاء الجوهرية في منطق أرسطو من ذلك قولنا: محمد إنسان، وكل إنسان يموت، فمحمد يموت. أمّا المناطق المسلمون فقد أفادوا متن سبقهم، وطوّروا القياس بأن قسموه إلى أقسام كثيرة لم يكن أرسطو قد ذكرها (٣)

(١) انظر مناهج البحث للنشار ٧٧.

(٢) وهو الاستنباط عند أصحاب المنطق الأرسطي. انظر الأسم المنطقية للاستقراء لمحمد باقر الصدر ٥-٦ الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٢.

(٣) قسم المناطق المسلمون القياس إلى قياس حملي، وقياس شرطي، وقسموا الشرطي إلى قياس اتصالي، وآخر انفصالي. وتحدثوا عن القياس الجلي، والخفي، والبرهاني، والجدلي، والخطابي، والشعري، والمفالطي، والاستثنائي. وقياس النور، وقياس الخلف، والسبر، والتقسيم، وعكس القياس، والقياس الاتراني. انظر مفتاح العلوم للسكاكي ٢٩٦-٢٩٧، وانظر شرح قواعد الإعراب للكافيجي ٤٥ تح: فخر الدين قباوة. وانظر شرح الملوي على السلم ١٢٨ المطبعة الأزهرية المصرية. وانظر الكليات للكفوي ٢٣/٤-٢٦.

إضافة إلى ذلك فقد استطاع المناطقة الإسلاميون إعادة ترتيب المقدمات المتعلقة بالقياس كوضع المقدمة الصفري أولاً، ثم المقدمة الكبرى، وهذا الترتيب لم يُعِره أرسطو الاهتمام الكافي. وغفلُ المناطقة المسلمين هذا يتسم بالبساطة والوضوح لأن ينقل الفكرة من الخاص إلى العام فالنتيجة، ذلك كقولك: سقراط إنسان، وكلُّ إنسان فان، إذا سقراط فان. (١)

٢- الاستقراء:

وهو الاستدلال الذي تجيء نتيجته أكبر من المقدمات التي أسهمت في الوصول إلى تلك النتيجة؛ وهو «انتزاع حكم كلي عن جزئيات، وإنه إذا تيسرت الإحاطة بجميع الجزئيات حتى لايشذ عنها واحد، أفاد اليقين» (٢) وعلى سبيل المثال لو أخذنا قطعة من الحديد تتمدد بالحرارة، وحديدة أخرى تمددت بالحرارة، وقطعة ثالثة، وقطعة رابعة حكمنا بأن كلَّ حديد يتمدد بالحرارة. فالنتيجة حكمتُ بأنَّ كلَّ حديد يتمدد بالحرارة، والنتيجة أكبر من المقدمات لأنَّ المقدمات بنيت على قطع من الحديد محدودة العدد، ولم تشمل كلَّ حديد كما أنه لم يجر الفحص على كلَّ حديد. (٣)

(١)- انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام للنشار ٥٥-٥٩.

(٢)- مفتاح العلوم للسكاكي ٢٦٧.

(٣)- انظر الأسس المنطقية للاستقراء لمحمد باقر الصدر ٦ الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٢

وفي ذلك نرى أنّ الاستقراء والقياس متعاكسان من حيث تعريفهما؛ فالقياس يسير من العام إلى الخاص، والاستقراء يسير من الخاص إلى العام حينما نرصد حالات عديدة قائمة، أو تجارب نقيمها نحن، ونبني على رصدنا هذا نتيجة عامة أوحشها إلينا الملاحظات أو التجارب (١).

٣- التمثيل:

وهو الانتقال من جزئي إلى جزئي، وقد جعله بعضهم ملحقاً بالقياس لضعفه، وذكر بعضهم أنه لا يفيد اليقين (٢) وقيل: «التمثيل الملحق بالقياس: هو إثبات حكم في جزئي لوجوده في جزئي لمعنى مشترك بينهما، وهو ضعيف؛ لأن الدليل إذا قام في المستدلّ عليه أغنى عن النظر في جزء غيره، لكن يصلح لتطبيب النفس وتحصيل الاعتقاد. وإذا لم يكن التشبيه عقلياً يقال: إنه يتضمن التشبيه. ولا يقال: إن فيه تمثيلاً. وضرب المثل وإن كان عقلياً جاز إطلاق اسم التمثيل عليه، وأن يقال: ضرب الاسم مثلاً لكذا؛ يقال: ضرب النور مثلاً للقرآن، والحياة للعلم» (٣).

(١)- المصدر السابق ١٣. ذكر أن الاستقراء تسمان: كامل، ونالص. انظر في ذلك منطق أرسطو، التحليلات الأولى، المقالة

الثانية الفصل ٢٣ نج: عبد الرحمن بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨. وانظر منطق الإشارات لابن سينا

٢٣١، معيار العلم للفيزالي ١٩٣، الأسس المنطقية للاستقراء للمصدر ١٣-١٦-٢٩.

(٢)- انظر مفتاح العلوم للسكاكي ٢٦٧.

(٣)- الكلبيات للكفوي ٧٤/٢.

الفصل الثاني

الاستدلال عند النحاة قبل سيبويه

- طرائق الاستدلال.
- مصادر الاستدلال.
- تأثير النحاة بالفقهاء.
- قواعد الاستدلال عند النحاة.

شاع في تاريخ النحو أنّ أبا الأسود الدؤلي (١) هو مؤسس علم النحو العربي، وواضع لبناته الأولى، على الرغم مما تذكره الأخبار التي ترى غير ذلك؛ فمنهم من يرى أن بدايات علم النحو تعود إلى ما قبل أبي الأسود (٢)، ومنهم من يرى أنّ العصر الذي عاش فيه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي هو العصر الذي وُضع فيه النحو، حيث استخدم الرأي في الدراسات بعيداً عن الأثر والرواية. (٣)

ولانستطيع أن نحكم على بدايات علم النحو وطرق استدلاله حكماً قاطعاً إلا من خلال الأخبار المتناثرة هنا وهناك، والتي تنير لنا بعض الملامح لرسم الصورة النحوية لذلك العصر.

-
- (١) - ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل العوفي الكنعاني (١ ق هـ - ٦٩ هـ). انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٠/١، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ت ٤٣٢٢ وخزانة الأدب للبغدادي ١٣٦/١.
- (٢) - انظر الفاضل للمبرد ٩٥ تح: الميمني، دار الكتب ١٩٥٦م، مراتب النحويين لأبي الطيب ٢٢٠٦. أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي ١٣-١٤-٢٠، البصائر والنخائل لأبي حيان ٨٣/١ القاهرة ١٩٥٣.
- (٣) - انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٤/١.

وقد وردت أخبار كثيرة تذكر أن علي بن أبي طالب (رض) هو واضع الأصول النحوية التي بنى عليها أبو الأسود الدؤلي عمله؛ فقد ذكر المبرد أن «ابنة أبي الأسود الدؤلي قالت: ما أشد الحر، فقال لها: الحصباء بالرمضاء، قالت: إنما تعجبت من شدته. قال: أوقد لحن الناس؟ فأخبر بذلك علياً رحمة الله عليه، فأعطاه أصولاً بنى منها، وعمل بعده عليها» (٢) فعلي (رض) وضع أصولاً، والأصول تعني أن هناك تفكيراً معقولاً لمفهوم الخطأ والصواب، وهو كفيل برسم الخطوط العريضة للعلم الذي يعصم العربي من الخطأ، والخبر نفسه ذكره أبو الطيب اللغوي بشكل أكثر تفصيلاً لمفهوم الأصول حين قال: «ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي... وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، لأنه سمع لحناً، فقال لأبي الأسود: اجعل للناس حروفاً، وأشار له إلى الرفع والنصب والجر، فكان أبو الأسود ضنيناً بما أخذه من ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام» (٣) وذكر أبو بكر الأنباري أخباراً كثيرة؛ منها أن عمر بن الخطاب أمر أبا الأسود فوضع النحو. وفي مكان آخر ذكر أن زياد بن أبيه هو الذي طلب من أبي الأسود أن يضع النحو، ثم نقل لنا أنه أخذه عن علي بن أبي طالب (رض) (٤). ونقلت لنا كتب المؤرخين أن أبا الأسود قال عندما سئل عن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو، وعمن أرشده إليه: «تلقينه من علي بن أبي طالب رحمه الله» (٥). كما أشار أبو حيان التوحيدي إلى علي (رض) بأنه فتق لأبي الأسود حاشية النحو، وسهّد له مهاده، وضرب له قواعد» (٦).

-
- (١) - هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ٢٣هـ - ٤٠هـ، رابع الخلفاء الراشدين. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٨٣/٦ مصر ١٣٢٦هـ، وانظر مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ١٤ مصر ١٩٤٩م. وانظر سراج الذهب ومعادن الجواهر للمسمودي ٢/٢-٣٩ مصر ١٢٨٣هـ.
- (٢) - الفاضل للمبرد ٩٥ تح: عبد العزيز الميعني. دار الكتب المصرية ١٩٥٦م.
- (٣) - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٦ القاهرة ١٩٥٥م.
- (٤) - انظر إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ٣٩-٤٤، مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧١م.
- (٥) - طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢١ وما بعدها القاهرة ١٩٧٣م.
- (٦) - البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٨٣/١.

وغير ذلك من الأخبار الكثيرة. (١)

لم نجد في كل الأخبار التي مرّت ما يحقق الهدف الذي نسعى إليه، وهو الاستدلال النحوي، بل وجدنا ما نقلته الأخبار من أثر علي بن أبي طالب (رض) في وضع القواعد النحوية وأصولها التي بدأها أبو الأسود الدؤلي، وعلى الرغم من الشك الذي يكتنف هذه الأخبار، وما يخفيه من دوافع ستعرض لها لاحقاً فإنها تكشف لنا عن طاقة ذهنية كبيرة بدأت بتوجيه علي (رض) لأبي الأسود، ووضعه في أول الطريق. (٢)

أما ابن عباس (٣) فقد اهتم بلغة العرب ولهجاتها اهتماماً كبيراً، كما اهتم بشكل خاص بغريبها، وقد اتضح ذلك من خلال معالجته الظواهر الإعرابية، وربطه بين حركات الإعراب والمعنى المراد توضيحه: من ذلك قرأته لقوله تعالى: **تَنَافَسُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى السَّمَاءِ، وَامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الطعنين** (٤) بنصب (أرجلكم) وقوله: «عاد الأمر إلى الفسل» (٥) فإن عباس يلحظ دلالة نصب (أرجلكم) ويربطه بالمعنى المقصود من الآية الكريمة، وهذا إدراك كبير لأثر الحركة الإعرابية في توجيه المعنى.

(١)- انظر أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السمرقاني ١٤١٣ كرنكو، بيروت ١٩٣٩م. وانظر الفهرست لابن النديم ص ٤٥

طهران بلا تاريخ.

(٢)- انظر إنباه الرواة لللفظي ٥٠٤/١، مصر ١٣٧٤هـ، وانظر نزهة الألباء في طبقات الأدياء لأبي البركات الأنباري ص ٥.

(٣)- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الباشمي ٣ هـ-٦٨هـ. أبو العباس، خنجر الأتة وأحد صحابة رسول الله (ص).

انظر صفوة الصفوة لابن الجوزي ٣١٤/١ حيدر آباد ١٣٥٥ هـ. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني

٣٣٤/٢، والنساية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٩/١، القاهرة ١٣٨٣هـ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١٩٣/٣.

مصر ١٢٨٠هـ.

(٤)- المائدة ٦/٥.

(٥)- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥٥/١٠ نج: شاکر، مصر ١٩٦٩م.

لم تتبع اهتمامات ابن عباس من فراغ فقد لازم الرسول الكريم (ص)، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وقرأ القرآن على أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب (١) هذا الجو العلمي الذي عاشه ابن عباس ارتقى به إلى مرتبة جعلته يقود حلقات العلم التي اختلف إليها علماء العربية، وأخذوا فيها تفسير غريب القرآن. ولعلّ ما ألفه أبو عمرو، ويونس، والكسائي من كتب في معاني القرآن إنما هي تطوير لمجالس ابن عباس، وحلقات علمه، مستفيدين من تفسيره لكثير من الحالات الإعرابية في قراءاته القرآنية (٢) لأنه ما من شك في أنهم أفادوا من اطلاعهم على قراءات تلك وتوجيهها بما يناسب المعنى.

واتسعت ملاحظات علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما وتوجيهاتهما بصيغة خاصة، سعياً من خلالها إلى الولوج إلى معاني القرآن الكريم، وتفسيره، وكانت البداية محاولات تقويم للحنّ يظهر في قراءة أو كلام وعلى الرغم من أهمية هذه المرحلة التي شلّطت فيها الأضواء على الحركات الإعرابية، وثبّتت أهميتها في فهم معنى الآية، وما يؤول إليه المعنى إذا شُحّ بالتساهل في صحة اللفظ فإنها تبقى قاصرة ضئيلة أمام البنيان النحوي الشامخ الذي وصل إلى حدة الكمال في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (٣)، فقد ذكرت بعض الأخبار شيئاً قليلاً عن رقعة علي بن أبي

(١) انظر طبقات القراء لابن الجزري ٤٢٦/١

(٢) انظر المفصل في تاريخ النحو العربي للعلواني ٧٨.

(٣) يرى كثير من العلماء، من العرب والمستشرقين، أن البداية النحوية الصحيحة بدأت عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧)، وأن ما نسب إلى أبي الأسود الدؤلي لم يكن يمتد إلى الواقع بشيء، وأنه من قبيل الوهم والمبالغة. انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ١٢٣/٢-١٢٤ ترجمة عبد الحليم النجار ط٤ دار المعارف بمصر، وانظر تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي حاشية ٣٣٦/١، وانظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ٢٨٥/٢ ط٣ مصر.

طالب (رض) وصحف أبي الأسود الدؤلي (١)، وأظن أن هذه الأخبار - وإن صحت - فإنها لا تشكل ما يضيف على النحو العربي بدايات علمية، وركائز منهجية تزيل الغموض الذي يلفّ بدايات النحو العربي، إضافة إلى أننا لانملك دليلاً ملموساً يتسم بالدقة حول البدايات النحوية بمفهومها الحالي؛ وما ذكرناه سابقاً لا يتعدى أن يكون بدايات تكشف الحاجة إلى خلق قواعد، وإيجاد ضوابط للغة التي أكسبها الإسلام عزة ومنعة، وأعطتها الفتوحات الإسلامية حاجة أكبر لتقعيدها.

وليس المهم في بحثنا هذا أن نصل إلى واضعي علم النحو، وبناء صرحه، فقد سبقنا إليه كثيرون؛ لكن الذي ننشده، ونرمي إليه هو طرائق الاستدلال عند النحاة، والطريقة التي بنوا عليها قواعدهم النحوية، ومدى تأثيرهم بعلماء عصرهم من فقهاء وغيرهم. ولعل أقدم الأخبار التي وصلتنا تلك التي تشير إلى أن أبا الأسود أسس علم العربية، ووضع قياسها؛ فقد ذكر ابن سلام الجمحي (٢٣٢هـ) أن أبا الأسود «كان أول من أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها، أبو الأسود الدؤلي» (٢) فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم، لكن عمله لم يتعد استنباط بعض القواسم المشتركة للغة العرب، وإدراك بعض الرموز والحركات التي شرعى في الكلام كمرعاة المتكلم في رفع كل ما يدل على من قام بالفعل، ونصب من وقع عليه فعل الفاعل، إلخ.

(١) - انظر نزعة الألباء للأنباري (أبو الفضل)، ص ٥ وانباء الرواة للقفطي ١/٤-٥.

(٢) - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١/١٢ القاهرة ١٩٧٤م.

هذا الأمر على بساطته في معايرتنا النحوية اليوم يعدّ خطوة في وضع ركيزة النحو، وهو اللبنة الأولى لذلك. وعندما جاء ابن سلام ليعبر عن هذه الظواهر عبّر عنها بلغة عصره، لغة القرن الثالث الهجري بعد أن شاع كتاب سيبويه، وانتشرت مصطلحاته النحوية، وتداول الناس كتب النحاة، وحضروا مجالسهم النحوية، ومناظراتهم؛ ذلك أنه ليس معقولاً أن نأخذ كلام ابن سلام بشكل دقيق لنعتبر أن أبا الأسود هو الذي أسس العربية، ووضع قياسها متجاهلين قانون الارتقاء في تطور الحياة وعلومها.

وعن هذه البدايات قال أبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) إن عليّ بن أبي طالب (رض) قال لأبي الأسود: «اجعل للناس حروفاً، وأشار له إلى الرفع والنصب والجر» (١) وهذا الخبر يدلّ على أن أبا الأسود قد وضع جليّ اهتمامه في القواعد الاعرابية التي فرضتها أخطاء العامة من الناس، إضافة إلى نقط المصحف الشريف، والملاحح الاعرابية للكلمة. ومن غير شك فإن نص أبي الطيب، ونص ابن سلام قبله واضحاً الدلالة على الخطوات السليمة التي بدأت في ذلك العصر على يد الدولي. أما دلالة العبارات والمصطلحات التي وردت في نصّيهما فقد كانت معاً شاع استعماله في القرنين الثالث والرابع الهجريين، عصر ابن سلام وأبي الطيب اللغوي، على الرغم من أن أبا الأسود فيما نظن لم يكن يعرف مثل هذه المصطلحات ولم يستخدمها.

إن ما وضعه أبو الأسود الدولي كان بداية الارتقاء في تقعيد لغة العرب، لأنه تحدث عن الرفع والنصب اللذين ساهما الرواة فيما بعد فاعلاً ومفعولاً في وقت أدرك فيه لحن العامة، وحاجتهم إلى وضع قوانين ضابطة للفتهم، قوانين تجنبهم الوقوع في الخطأ، وتيسر لهم سبل قراءة القرآن بعد تنقيطه، وضبطه.

(١) - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦ القاهرة ١٩٥٥م.

وبعد ذلك تعترضنا نصوص تتحدث عن علي بن أبي طالب (رض)، وأبي الأسود، وتنقل عنهما مصطلحات، وعبارات لها مدلولات أبعد من حقيقتها؛ من ذلك قول علي (رض) لأبي الأسود: «واعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر» فقال أبو الأسود: «فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنَّ ، وأنَّ، وليت، ولعلَّ، وكانَّ، ولم أذكر (لكنَّ)، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بلى، هي منها، فزدها عليها» (١) ومنه أيضاً قول أبي الأسود: «دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- فأخرج لي رقعة فيها: الكلام كله اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى» (٢). وغير ذلك من الأخبار (٣).

نرى في هذه الأخبار، وما شابهها عبارات تكشف لنا عن نضج نحوي شائع، فالحديث عن المضمر والظاهر، وتقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ثم عبارات حدتها بالاسماء والأفعال، إضافة إلى حديثه عن بنية الكلمة، وهي تقسيمات هامة تدل على وعي بلفة العرب صادرة عن أفاد من علماء سبقوه إلى ذلك، ومهدوا له السبيل، وهذا ما أثبتنا أنه لم يحصل لأبي الأسود. لذا فإننا نضع تلك الأخبار في دائرة الشك، ونظن أن أناساً عاشوا في أيام سيبويه، أو بعد ذلك قد وضعوها؛ لأن أسلوب الأخبار المشار إليها لم يذكره أحد قبل سيبويه فكيف يتأتى لنا أن نقرأ بصحتها ونحن في بدايات الوعي اللغوي الذي اقتصر على الاستقراء، والمقارنة، والاستنباط، وإيجاد بعض القواسم المشتركة بين

(١) - إنباه الرواة على إنباه النحاة للفظي ٤/١، وانظر نزعة الألباء للأنباري ص ٥.

(٢) - إنباه الرواة على إنباه النحاة للفظي ٥/١.

(٣) - انظر المصدر السابق ١٧٩٠٦/١.

تراكيب العربية، مع مراعاة النطق، وحركة الفم، والحركات الإعرابية. وهذا ما يجعلنا نميل إلى القول: إن أبا الأسود يعود إليه الفضل في رسم بدايات تعقيد اللغة العربية، هذه البدايات التي انعدم فيها التنظيم والتبويب، لكنها كانت تصف الحالة، وتسجل الملاحظات حولها بدافع الحرص والغيرة على لغة العرب والإسلام، وحرص أبي الأسود جعله يُعنى بقراءة القرآن، ورصد لحن الناس فيها، ودفعه عنها، ناهيك باستنباطه للضوابط الإعرابية التي تحدت الرفع والنصب والجر.

أما الاستدلال عند أبي الأسود فلم يكن ظاهراً بشكل جليّ على غرار من سبقه، لكنّه من خلال ما تكلمنا عليه يتبين لنا أنه استدل بالقرآن الكريم عندما اهتدى إلى القواعد البسيطة التي أبرز فيها الرفع والنصب، وغير ذلك، وأنه حين يشير إلى ضابط من ضوابطه فإنه يستدلّ بآيات من القرآن الكريم، أو بشعر عربي نقله عن الرواة من المحيط الفصيح الذي عاش فيه في الجزيرة العربية، أو البصرة التي مات فيها.

وما العلم الذي حمله أبو الأسود إلا جزء من علوم متعددة على غرار علماء عصره من غير تنظيم ولاتبويب، بل ملاحظات قيلت في مجالس العلم هنا وهناك، ودارت حول لغة العرب ولهجاتهم من غير تأثر ظاهر بالفقه، وأصول الدين، وعلم الكلام؛ وكان الهدف منها قراءة القرآن، وضبط آياته، وإحاطته بعناية لغوية خاصة، حتّى به، وخوفاً عليه.

وفيما بعد برزت القواعد الأساسية، والمبادئ الأولية التي بُنيت عليها أحكام النحو العربي، ثم تطورت مع الزمن وأصبحت علماً مستقلاً أطلق عليه علم أصول النحو، وهو يبحث عن أدلة النحو، من السماع، والقياس، والعلة.

وخلص القول في هذه المرحلة أنّ النصوص التي تتكلم عليها قليلة، لا تكفي لرسم صورة واضحة المعالم بالإضافة إلى تعدد الروايات التي تتحدث عن أخبار هذه الفترة وما يكتنفها من شك. وعلى الرغم من ذلك فهي بداية عملية لنشأة النحو تعتمد على أمور بسيطة. وملاحظات أولية فرضتها سنة الارتقاء في تكوّن أي علم من العلوم.

طرائق الاستدلال ومصادره

سلك النحاة في استدلالهم طرقاً عديدة وهي السماع والقياس والعلّة، واعتمدوا على مصادر عديدة أيضاً وهي القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب بقسميه: الشعر والنثر. ولكل من الطرق والمصادر أصول وفروع تنقسم إلى شُعَبٍ وفقرات سلكها النحاة في سبيل الوصول إلى تقييد لفة العرب.

* طرائق الاستدلال *

١- السماع:

وهو أول أصول الاستدلال عند النحاة، وعليه بُنيت معظم قواعد النحو العربي وعرفوه بقولهم: «هو الكلام العربي الفصيح، المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حدّ القلّة إلى حدّ الكثرة، فخرج عنه إذا ما جاء في كلام غير العرب من المولدين، وما شدّ من كلامهم كالجزم بـ لـن والنصب بـ لم» (١) ثم عرفه السيوطي تعريفاً دقيقاً حيث قال: «وأعني به (يقصد السماع) ما ثبت في كلام مسنّ يُوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى:

(١) - لمع الأدلة للأخباري ٨١ للجامعة السورية ١٩٥٧م

وهو القرآن، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً أو نثراً عن مسلم، أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت» (١)

أ- القرآن الكريم:

وهو قمة الفصاحة والبلاغة، الأمر الذي دفع بالحناة للأخذ به وجعله مصدراً هاماً من مصادر السماع، وساعدهم في ذلك وجوده بين أيديهم، مما يفتنيهم عن الرحلة كما كان الحال في تتبع الشعر وكلام العرب؛ فعلي بن أبي طالب (رض) وابن عباس، وأبو الأسود الدؤلي كان القرآن الكريم وسيلتهم في كشف اللحن وإيجاد الضوابط اللغوية السليمة للغة العربية من خلال قراءة القرآن وفهم معانيه كما مر معنا، والأمر نفسه نجده عند عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي الذي استدل بالقرآن الكريم وتغرد ببعض القراءات، وحاول أن يجد لها تخریجاً نحوياً يتناسب ولفة فصحاء العرب (٢) ومثله عيسى بن عمر الذي جعل القرآن الكريم محور فهمه لكثير من المسائل والتناولات النحوية، ويبرز هذا جلياً في قراءته لآيات كثيرة (٣) أما أبو عمرو بن العلاء فقد كان سيد القراء السبعة بعلمه وأمانته حتى أمّ مذهبه كثير من القراء (٤) واختار كبار النحاة قراءته واستدلوا بها فيما بعد كسيبويه،

(١) - الاقتراح للسيوطي ١٤.

(٢) - انظر معاني القرآن للقراء ٣٨٠/١ بيروت ١٩٨٠ وانظر طبقات فعول الشعراء لابن سلام الجمعي ١/ ٢٠٧ والمختص في شواذ القراءات لابن جني ٢٥٢/١ نج: ناصف ورفاه، القاهرة ١٣٨٦هـ.

(٣) - انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢ في سورة النور ١/٢٤-٢ والمائنة ٣٨/٥ والشعراء ٢٦/٢٢٤.

(٤) - انظر البيان والتبيين للمحافظ ١/١٢١، نج: هارون. والموشح للفرزباني ١٢٥ نج: البجاوي. وانظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١/١٦٠ القاهرة، بلا تاريخ. وانظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٨٢-٨٤-٨٥.

والمبرد، وابن جني وغيرهم (١) لذا فلإننا نرى أن الشواهد القرآنية التي استدل بها سيبويه كانت في الغالب من قراءة أبي عمرو.

ب- الحديث الشريف:

وهو ما نطق به الرسول (ص)، وشُع منه وهو جدير بأن تبني عليه القواعد النحوية لأن الرسول (ص) أفصح قريش وأبينهم سليقة، وكلامه أولى أن يؤخذ به قبل سائر كلام العرب. لكن الذي حدث أن اللغويين والنحاة الأوائل أخذوا ما يروونه به رواية الشعر مستبعدين الاستدلال بالحديث الشريف تحت علة متعددة عثر عنها السيوطي تعبيراً واضحاً حين قال: «إن غالب الأحاديث مروية بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة» (٢) من ذلك ما روي عن سهل بن سعد أن امرأة عرضت نفسها على النبي، فقال له رجل: «يا رسول الله: زوجنيها» فقال: «ما عندك؟» قال: «مأعندي شيء» قال: «أذهب والتمس ولو خاتماً من حديد» فذهب ثم رجع فقال: «لا والله ما وجدت شيئاً، ولا خاتماً من حديد...» فقال له: «ماذا معك من القرآن؟» قال: «معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا» لسور يعددها؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) - انظر الكتاب ٤/١٨٦، ٢٠٢، ٣٣٨، ٤٥٩، وانظر المختضب للمبرد ١/٢٥٢، والخصائص لابن جني ١/٧٢.

(٢) - الاقتراح للسيوطي ١٦.

«مكتابها بما معك من القرآن» وفي رواية: «ذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن» (١)

ليس بمقدورنا أن نكشف مناهج النحاة الذين سبقوا سيبويه، وموقفهم تجاه الحديث الشريف والاستدلال به؛ لأننا لانملك مؤلفات نحوية خاصة بهم إضافة إلى أن كتاب سيبويه خالٍ عما يدل على استدلالهم بحديث شريف، إلا ما أورده في باب الأسماء التي تنصب على الحال بعد خبر المبتدأ حيث استدلّ بقوله عليه الصلاة والسلام: «إني عبد الله أكلاً كما يأكل العبد، وشارباً كما يشرب العبد» (٢).

ج- كلام العرب:

وهو ما سمع من أشعارهم، وأمثالهم، وحديثهم، ومنه استقرت قواعد اللفه العربية؛ وقد عرف ابن السراج النحو بقوله: إنه «علم استخراج المتقدمون من استقراء كلام العرب» (٣)

وقد عرف القدماء فضل كلام العرب لاسيما الشعر، وعلى الرغم من أن الاستدلال النحوي لم يكن قد تبلور بعد فإن ابن عباس أدرك قيمة الشعر في فهم اللفه، ومعرفة غريبها يدفعه إلى ذلك شرح المفردات القرآنية، وما عتق حرصه على لفة العرب اهتمامه

(١) - أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري ٢/١٢٠ (كتاب النكاح) وانظر خزانة الأدب للبغدادي ٥/١.

(٢) - الكتاب ٢/٨٠.

(٣) - الاقتراح للسيوطي ٦.

الكبير بلهجاتهم المتعددة المختلفة التي ظهرت في القراءات القرآنية مستوعبة كثيراً من لهجات العرب. وقد غدا ابن عباس مثلاً للعناية بكلام العرب ولفتهم مما دفع الكثيرين لمتابعتهم ليغدو مرجعاً للناس، والقراء (١)

أما عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقد تابع خطوات الجور العلمي السائد آنذاك فاهتم بلفظة العرب وكلامهم شعراً ونثراً، واستدلّ بلفظة العجاج وروية وغيرهم ساعياً تجاه النص القرآني، كما أخذ بلهجات القبائل العربية، مشيراً إلى اسم القبيلة ليضيف مزيداً من الدقة إلى منهجه (٢) واستطاع الحضرمي في نهجه هذا وضع أصول لبدايات الاستنباط بحديثه عن الجذر اللفظي للكلمة العربية وأصلها مستدلاً بكلام العرب شعراً ونثراً إضافة إلى القرآن الكريم (٣)

ثم يأتي عيسى بن عمر في ظرف كانت البصرة فيه نقطة التقاء بين الأعراب القادمين من البادية، وعلماء اللغة مما فسح المجال أمامه ليأخذ عنهم الشيء الكثير وينقل كلامهم ولهجاتهم، ليمتد بها طلابه ومريديه، لأنه من أبرز مقرئي البصرة في عصره. وقد أخذ عنه

(١) - انظر جوهرة اللغة لابن دريد ٤/٢، ٣/٣١٤، إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر ابن الأنباري ١/٦٢-٧١.

(٢) - انظر الكتاب ١٢١/٤ والعاشية، وانظر المحتسب في شواذ القراءات لابن جني ١/٤٤٤، ٢٦٦، ٣٣٦.

(٣) - انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٧٦، ٣٧٧.

أبو عبيدة في مجاز القرآن كثيراً من كلامه الذي نقله الأعرابي (١)، وكتب لأصونه البقاء على يد طلبته، وأبرزهم الخليل وسيبويه (٢)

وفي الوقت ذاته كانت اللفة الفصيحة عند أبي عمرو بن العلاء هي لغة البادية في نجد وتبهاة وغيرها، لا لغة المدن والحوضر، فقد استدلّ بلغة الأعراب الذين أدركوا الجاهلية، أو لغة حرشة الضباب وجناة الكمأة (٣) وهذا الأمر نراه عند جميع النحاة الأوائل الذي نهلوا من معين البادية لأنها تمثل أصالة اللفة وسلامة اللسان.

وقد استقرى أبو عمرو لغة الشعر، وكذلك لغة الحديث المتداول، وأخذ بهما في الاستدلال على صحة تناولاته النحوية واللغوية، كما سعى إلى امتحان الأعراب القاديين من البادية ليتأكد من سلامة لغتهم وصحتها (٤) وهذا يكشف لنا عن العلم الفزير الذي أحاط به، فقد استوعب ما وصلنا من كلام العرب، على قلته، وأتقنه وعرف تفاصيل ذلك بكل ما يحويه من لهجات وفروق حتى إنه روى لنا بعض كلام أهل اليمن (٥).

(١)- انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٥٠، ٢/١٧٠ وانظر جمهرة اللغة لابن دريد ١/١٥٢، ٢/٢٠٤ - ٢٥٠.

(٢)- انظر الكتاب ٣/١٦، ٣٤٣.

(٣)- انظر رسالة الفجران للمعري ١٦٩، وانظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٩، ٢١٤.

(٤)- انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٧٤، ٢/١١٩، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٩.

(٥)- انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١١، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٣٨، الخصائص لابن جني ١/٢٤٩.

ومن خلال ما مرّ معنا من أخبار النحاة الأوائل الذين اتصلوا بالأعراب ونقلوا عنهم نرى أنه قد اعتمد السماع عن الأعراب بشكل أساسي عند النحاة، وقد أولوه العناية الكبيرة، وجعلوه ركناً أصيلاً من أركان الاستدلال؛ وقد شمل السماع القرآن الكريم بقراءاته المتعددة وأخذ به الأوائل دون استثناء على العكس من الحديث النبوي الشريف الذي وقفوا منه موقفاً مفايراً لاعتبارات تتعلق بالمعنى، والرواية. أما كلام العرب فقد غطى مساحة كبيرة من الاستدلال لاستيعاب الشعر، وحرص النحاة على الأخذ بكلام العرب لما يعثله من دقة كبيرة لما يتكلمون به أخذين بعين الاعتبار التفاوت بين القبائل تبعاً لمعايير مكانية سنأتي على ذكرها لاحقاً.

٢-القياس:

ظهر المذهب القياسي أول ما ظهر عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، ذلك من خلال آرائه ومواقفه، فهو أول من بعج النحو، ومدة القياس والعلل (١) وقد وجد في ذلك ضالته المنشودة؛ حتى إنه لا يرى في غيره علماء، ويبرز هذا المذهب في قوله ليونس بن حبيب: «وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد، وينقاس» (٢). وظن كثير من المعاصرين أن القياس عند الحضرمي هو القياس الذي عرفه النحاة المتأخرون من جعل فرع على الأصل لعلّة جامعة بينهما، والحق أن ابن سلام في حديثه عن قياس الحضرمي لم يكن يعني شيئاً من هذا التعريف الذي ذكره النحاة المتأخرون، إنما أراد من القياس القاعدة النحوية ليس غير؛ أي أن الحضرمي كان يعدّ حكم القاعدة، ويجعله مطّرداً، وكان أكثر استنباطاً للقواعد من أبي عمرو (٣)، أمّا ماورد على لسان ابن سلام من أن أبا الأسود الدؤلي «كان أول من أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها» (٤) فإنه لايعني أن أبا الأسود له قصب السبق في تععيد هذا العلم؛ لأن (وضع القياس) يعني البدء به، وهو ما ينطبق على أبي الأسود. أمّا (تجريد القياس) وهو ماثعت به الحضرمي فالمقصود به الاستنباط، وهو ما يأتي في مرحلة تلي مرحلة الوضع، وبذلك لا يكون ثمة تناقض في كلام ابن سلام (٥)

وعلى الرغم من الخلاف الواقع حول مصطلح (القياس) الذي أورده ابن سلام فإن معناه لاينصرف إلا إلى (القاعدة) أو (الضابط) النحوي، وهذا ما ورد على لسان عبد الله بن أبي إسحاق نفسه عندما قال للفرزدق: «أسأت، إنما هي ريبٌ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع» (٦)

(١)- انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٤ (شاکر) وطبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٢٥.

(٢)- طبقات ابن سلام ١٥ وطبقات الزبيدي ٢٦.

(٣)- فصل محمد خير الحلواني في ذلك، ورد ما ذهب إليه مصطفى السقا، ومحمود شاکر. انظر مجلة مجمع اللغة العربية ٩٦/١٠، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، هامش ١٤/١، وانظر المفصل في تاريخ النحو ١٤٥ وما بعدها.

(٤)- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٢/١.

(٥)- المصدر السابق ١٤/١.

(٦)- المصدر السابق ١٧/١.

وفعلٌ ماورد على لسان الحضرمي من أوزان الأفعال واشتقاقاتها، وجذورها بدلّة على ريادته في هذا المجال؛ من ذلك قوله: «أصل الكلام بناؤه على (فَعَلَ) ثم يبنى آخره على عدد من له الفعل من المونث والمذكر من الواحد والاثنين والجميع كقولك: فعلتُ، وفعلنا، وفعلنَ، وفعلوا، وفعلوا، ويزاد في أوله ما ليس من بنائه فيزيدون الألف، كقولك: أعطيتُ إنما أصلها عطوت، ثم يقولون (مُعْطِي) فيزيدون الميم بدلاً من الألف، وإنما أصلها (عاطي)، ويزيدون في أوساط فعل، وافتعل، وانفعل واستفعل، ونحو هذا، والأصل فعل، وإنما أعادوا هذه الزوائد إلى الأصل فمن ذلك في القرآن: **وأرسلنا الرياح لواقح** (١) وإنما يريد الريح ثلجحة فأعادوه إلى الأصل، ومنه قولهم طوّحتني الطوائح وإنما هي المطاوح لأنها المَطْوُوحَة...» (٢)

وذكر سيبويه في كتابه مثلاً يبرز فيه مدة القياس عند الحضرمي، ذلك حين قال: «فإن سقيت المونث بـ (عمرو) أو (زيد) لم يجز الصرف. هذا قول ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو، فيما حدثنا يونس، وهو القياس»، (٣) فالاسم المونث إذا كان ثلاثياً ساكن الوسط نحو: هند، جاز فيه الصرف، ومنعه، والمنع أصح، وعلى ذلك قاس الاسم المونث عمرو وزيد (٤)

إن ما رأيناه لدى الحضرمي يكشف لنا ما أراده ابن سلام بقوله: «وكان أول من بعج النحو، ومدة القياس والعلل ... وكان ابن أبي إسحاق أشدّ تجريداً للقياس»، (٥) ذلك أنه سبق النحاة الذين عاصروه، وأمدتهم بأدوات جديدة للعمل، وأعطاهم مذهباً أصولياً جديداً تطوّر فيما بعد، وازداد نضجاً على يد تلامذته وتابعيه.

(١) - الحجر ٢٢/١٥.

(٢) - مجاز القرآن ٣٧٦/١-٣٧٧.

(٣) - الكتاب ٢٤٢/٢.

(٤) - انظر الفصل في تاريخ النحو للمحلواني ١٥٣.

(٥) - طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٤/١.

ثم جاء عيسى بن عمر الذي أولى القياس عناية خاصة فاقت اهتمامه بالسمع وتبدو لنا عناية هذه فيما ذكره سيهويه في قوله: «وكان عيسى بن عمر يقول: يامطرا، يشبهه بقوله: يارجلأ، يجعله إذا نون وطات كالنكرة، ولم نسمع عربياً بقوله، وله وجه من القياس إذا نون وطات كالنكرة» (١) ومن إشارته القياس إنكاره النصب في: ادخلوا الأول، فالأول؛ لأنه لا يستقيم مع القياس، ويجعله سرفوعاً بفعل محذوف (٢).

ونرى جنوحه إلى القياس من خلال نظرنا إلى قراءاته القرآنية؛ وذلك في اختياره النصب في كثير من الأحوال، فالعرب من عادتهم أن يفزعوا إليه في حال الخلاف (٣) وعيسى بن عمر لا يختار إلا ما يوافق قياس العربية، وأساليبها؛ (٤) من ذلك اختياره قراءة قوله تعالى: **يَا جِبَالُ أَوَّيْ مَعَهُ وَالطُّيُورُ (٥) بِنَصْبِ (الطير) عطفاً على محل (جبال) (٦) وقراءة قوله تعالى: **لَقَدْ دَعَا رَبَّهُ إِيَّاهُ مَغْلُوبًا فَانْتَصَرَ (٧) بكسر همزة (إني)، وقد قدر فعل القول بعد فعل (دعا) قياساً على لغة العرب. (٨)****

ويبرز القياس كذلك في اختياره للقراءات القرآنية التي عرف عنه أن له اختيارات فيها توائف قياس العربية (٩) فهو ينصب الاسم إذا دل على تعظيم، أو تحقير، الأمر الذي دفع أبا عبيدة ليقول: «وكان عيسى يقول: حقالة الحطب. نصب. يقول: هو ذم لها» (١٠).

(١) - الكتاب ٢/٢٠٣.

(٢) - انظر المصدر نفسه، ١/٣٩٨.

(٣) - انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام (شاکر) ١٨، إنباه الرواة على إنباه النحاة للقطبي ٢/٣٧٥.

(٤) - انظر طبقات القراء لابن الجزري ١/٩١٣ تح: برجستراسر.

(٥) - سبأ ٣٤/١٠.

(٦) - انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام (شاکر) ١٩.

(٧) - القمر ٥٤/١٠.

م

(٨) - الكتاب ٣/١٤٣.

(٩) - انظر طبقات القراء لابن الجزري ١/٩١٣.

(١٠) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٣١٥، ومعاني القرآن للقرطبي ٣/٢٩٨-٢٩٩.

ومن ذلك قرأته لقوله تعالى: **قُلْ إِنَّ وَبِقِي يَلْخِضُ بِالْحَقِّ عَلَامَ الْغُيُوبِ** (١) بنصب (علامة) تعظيماً، وقوله تعالى: **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وَجِوَةٌ يَوْمَنُذُ خَاشَعَةٍ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ** (٢) بنصب (خاشعة، عاملة، ناصبة) على التحقير والشم (٣)، فابن عمر يختار قرأته القرآنية بأوجه لاتجاني القياس أبداً، ويخرجها بما يخدم المعنى.

أما أبو عمرو بن العلاء فعلى الرغم من تغليب السماع فإنه لم يتجنب القياس في بعض تناولاته النحوية، وقد لجأ إليه مفترماً حالات عديدة وفق أقيسة العربية. من ذلك ما فسّر به (خاضعين) من قوله تعالى: **فَطَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** (٤) فقد زعم «أن (خاضعين) ليس من صفة الأعناق، وإنما هي من صفة الكناية عن القوم التي في آخر الأعناق، فكأنه في التمثيل، فطلّت أعناق القوم في موضع (هم) والعرب قد تترك الخبر عن الأول، وتجعل الخبر للأخر منهما» (٥) وهو بذلك يشير إلى التباس المضاف بالمضاف إليه حين يكون الأول جزءاً من الثاني، أو كالجزء (٦) ومن قياسه أيضاً أنه أجاز نصب العلم المفرد في ضرورة الشعر إذا كان سنادى منوتاً، نحو: **ياعدتياً، ويامطراً، ويقيسه على العلم المنوع من الصرف إذا نون في ضرورة الشعر، مثل: بعثمان، ومن مروان (٧) ومن قياسه أنه يذهب إلى أن حذف التنوين جائز في (هذه هند بنت عبد الله) فيعني صرف هنداً؛ لأنه لم يلتسق**

(١) - سبأ ٤٨/٣٤ وانظر معاني القرآن للفراء. ٣٦٤/٢.

(٢) - الغاشية ٣-١/٨٨.

(٣) - انظر المحتسب لابن جني ٣٥٦/٢.

(٤) - الشعراء ٤/٢٦.

(٥) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٣/٢.

(٦) - قد يكتسب المضاف المذكر من الموث المضاف إليه التانيث، بشرط أن يكون المضاف صالحاً للحنف، وإقامة المضاف إليه ثقات، ويُقسم منه ذلك المعنى، نحو: **قُطِعَتْ بَعْضُ أَسَابِغِهِ، فَصَحَّ تَانِثٌ (بعض) لإضافته إلى أصابع، وهو مؤنث؛ لصحة الاستفناء بأصابع عنه، فتقول: قُطِعَتْ أَصَابِغُ. ومن ذلك قول تعالى: **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَرِيْبِيهِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** * الأعراف ٥٦/٧. ذ (رحمة) مؤنث واكتسبت التذكير بإضافتها إلى (الله) تعالى، فلأن لم يصلح المضاف للحنف، والاستفناء بالمضاف إليه عن لم يجز التانيث؛ فلا تقول: **خَرَجَتْ غَلامٌ هَندٌ؛ إذ لا يقال: خرجت هند، ويُقسم منه خروج الغلام؛ والكلام لابن عقيل. انظر ذلك في أضواء على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ٢٤٠/٢. وانظر في الموضوع ذاته الكتاب ٧٢/٢، ٢٧٣، ٢٥٣، ٢٠٨، ١٤٤/١.****

(٧) - انظر المقتضب للبريد ٢١٣/٤.

ساكنان، وقاسه على حذف التنوين في مثل: يازيدُ بن عبد الله (١).

وكان أبو عمرو بن العلاء يقيس على الكثير الشائع من لغة العرب، ونهجه هذا صار أصلاً من أصوله التي كتب لها البقاء والاستمرار، ويقول في ذلك عبد الملك بن نوفل المدني: «سمعت أباي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عفا وضعت متاً سميت عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب، وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لفات» (٢).

وفي بعض الحالات نرى أبا عمرو بن العلاء يمزج القياس بالعلة، ولعله أول من بدأ بتفسير الظواهر اللغوية تفسيراً ذهنياً، وأشار إلى كثرة الاستعمال، وما يؤول إليه من اختصار العبارات، وحذف جزء منها، قال أبو عمرو: «هذه هند بنت عبد الله فيمن صرف». ويقول: «لما كثر في كلامهم حذفوه، كما حذفوا لا أدري، ولم يك، ولم أبل، وخذ، وكل، وأشبه ذلك وهو كثير» (٣).

أما إذا لم يكثر استعمال العبارة فإن الحذف لا يدخلها، لذلك يجب تنوين اسم العلم في: هذا زيدُ بنُ عمرو لأنه «لا يلتقي ساكنان وليس بالكثير في الكلام ككثرة (ابن) في هذا الموضوع» (٤) وغير ذلك من الأمثلة (٥)

(١) - انظر المصدر السابق ٣١٤/٢.

(٢) - طبقات التحريين واللغويين للزبيدي ٣٤.

(٣) - الكتاب ٥٠٦/٣.

(٤) - المصدر نفسه ٥٠٨/٣.

(٥) - انظر المقتضب للعتيد ٢٦٢/٢.

٣- العلة :

تكلم العرب بلفتهم العربية الفصيحة سليقةً، من غير تكلف، بعيدين عن كلّ تلقين لقواعد، أو أحكام، أو أصول. ثم جاءت ظروف سياسية، ودينية أفرزت معطيات جديدة، كثر فيها اللحن وانتشر الخطأ، الأمر الذي دفع بالنحاة الأوائل إلى استقراء اللفظة الفصيحة لمعرفة قواعدها الناظمة وقواسمها المشتركة.

وقد اتجهت عملية الاستقراء تلك إلى تصنيف الظواهر اللغوية، وجمع المتشابه وإظهار المتباين في لغة العرب، ووضع التسميات لها بغية التوضيح والتثبيت. ثم شرع النحاة في تحليل هذه الظواهر لترجمتها إلى قواعد وتُظَم.

وكان عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أوّل من وضّح العلة (١) وخرّج كثيراً من كلام العرب في وقت كان النحو فيه يحمل العمومية والاتساع بعيداً عن كلّ تحليل لهذه الأحكام، وقد حملت لنا كتب النحاة كثيراً من الأسئلة التي توضح هذا الاهتمام من ذلك ما أورده الفراء من أنّ الفرزدق مرّ بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فأنشده:

وعضّ زمانٍ يابنَ مروانٍ لم يدع
من المالِ إلّا مسحاً أو مجلّف (٢)

فقال الحضرمي للفرزدق: علام رفعت؟ فهو يبحث عن تحليل لرفع (مجلّف) ويقول له:

للرفع وجه (٣) وكان تحليل الحضرمي هذا أثر واضح في دفع قواعد اللفظة العربية وإيضاح التلازم بين التحليل النحوي من جهة والتحليل الفقهي من جهة أخرى.

(١) - انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٥.

(٢) - أسخت الشيء: استأنسه، والتخت: ما خبت وفتح من المكاسب فلزم عنه العار. والمجلّف: الذي بقيت منه بقية. انظر المعجم الوسيط (جلف).

(٣) - أراد الحضرمي رفع (مجلّف) على المعنى، لأن: لم يدع، فيه معنى: لم يبق. ثم جاء الخليل بن أحمد فتأول رفعه بفعل معنوف دل عليه (لم يدع) وتأوله الكسائي بأنّه معطوف على الضمير المستتر في قوله: مسحاً وذكر الفراء أنّه مبتدأ حذف خبره. وقدره: أو مجلف كذلك. وعنه ثعلب خبراً لمبتدأ معنوف. ووقف عنده النحاة المتأخرون في القرن الرابع وما تلاه، فذكر أبو علي الفارسي أنّه معطوف على (عضّ)، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول، على تقدير: وعضّ زمان أو تجليف، وذهب ابن جني مذهب الخليل. انظر خزائن الأدب للبغدادي ٣٤٧/٢ وما بعدها. وذكر الزنجشيري في هذا البيت أنّه «حيث لاتزال الركب تصطك في تسوية إهراجه»، الكشاف للزنجشيري ٥٤٣/٢.

ثم يأتي عيسى بن عمر ليسلك الطريق نفسها ويبين العلة لبعض كلام العرب من ذلك رفعه (الأول) في قولهم: ادخلوا الأول فالأول، لأن المعنى: ليدخل، جاعلاً (الأول) بدلاً من الواو في (ادخلوا) في الوقت الذي يرى فيه النحاة أن نصب (الأول) هو الأول، نصباً على الحالية بتقدير: ادخلوا مرتبين أو ادخلوا واحداً بعد واحد، ولا سبيل إلى الرفع (١)

وقد تبع الحضرمي وعيسى بن عمر في الاهتمام بالعلة نحاة آخرون، جعلوا من العلة واقعاً نحوياً شعاشاً، إذ يروى أن أبا عمرو بن العلاء سمع أعرابياً يقول: «فلان لغوب، جاءت كتابي فاحتقرها» فأخذ يردد قول الأعرابي: جاءت كتابي مستغرباً، وكأنه يبحث عن العلة في تأنيث الفعل، والفاعل مذكر، لكن الأعرابي قطع عليه حيرته، وقال: أليس الكتاب بصحيفة؟ وأنت الفاعل مع (الكتاب) حملاً على المعنى (٢)

ومنه أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول الشاعر:

حتى تحاجزَ عن الزوادِ

تحاجزَ الرّي، ولم تكادي (٣)

لم قال: (تكادي) ولم يقل: تكد جزماً بـ (لم)؟ فأجاب: يقصد الشاعر: ولم تكادي أيتها الإبل (٤)

(١) - انظر الكتاب ٣٩٨/١ وانظر المقتضب للمبرد ٢٧٢/٣.

(٢) - انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ٢٩.

(٣) - تحاجز القرم: تزايلوا، فانفصل بعضهم عن بعض. الذواد: الدقاع والحاسي. الرّي: ارتواء الشجر، وحسن حاله. انظر لسان العرب (حجز) و (ذود) و (روي).

(٤) - انظر طبقات التحريين واللفريين للزبيدي ٣٢.

وبقيت العلة التي لجأ إليها النحاة بسيطة تهدف إلى فهم المعنى والاحاطة بكلام العرب، وما يرمون إليه، وهي تعليقات قليلة إذا ما قيست بتعليقات الخليل ومن جاء بعده من النحاة.

* مصادر الاستدلال *

١- القرآن الكريم:

اهتم النحاة بالقرآن الكريم اهتماماً بالغا نظراً لما يمثله من أساس في استنباط قواعد اللغة، وأصولها، ولما يحتويه من دقة في الرواية وعناية في النقل، على الرغم من تعدد قراءاته وقبول بعضها، ورفض بعضها الآخر ونعتها بالشاذة.

وصرح القرآن الكريم في مواضع كثيرة بأن اللغة التي نزل بها هي اللغة العربية الصافية السليمة؛ لذا لم يشك النحاة قط في أن القرآن يمثل لغة لغتهم التي يتداولونها، صحةً ونقاءً. قال تعالى: **إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**. (١) وقال: **نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين**. (٢) وقال: **وهذا كتاب منضق، لساناً عربياً**. (٣)

وقد تجلت اللغة النقية في مجالين اثنين، القرآن الكريم، والشعر، وقد ارتفعت هذه اللغة فوق اللهجات المحلية بما فيها لهجة قريش، أما ما قيل من أن القرآن نزل بلغة قريش فهذا يعني أنه (ص) لقن الناس حروف القرآن باللهجة القرشية، وأجازهم بقراءته وفق ألعانهم على تعددها، واختلافها. وليس المقصود أن القرآن نزل وفق كلامهم ولغتهم، والدليل على ذلك أن هناك فروقا واضحة بين لغة

(١) - يوسف ٢/١٢.

(٢) - الشعراء ١٩٥/٢٦.

(٣) - الأحقاف ١٢/٤٦.

القرآن ولغة قريش؛ ففي القرآن كلمات كثيرة كان القرشيون يجهلونها، منها كلمة (أب) التي وردت في قوله تعالى: **وَالكَهَنَةُ** وَأَبًا (١) ومنها: فاطر، والرقيم، وغسلين، فقد جهل أبو بكر، وعمر، وابن عباس معناها، وهم من وجوه قريش (٢) يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم حوى كلمات أعجمية غير قليلة منها ما كان سامي الأصل كالأرائك، واليَم، وأواب، من الحبشية، وأخلد والبعير من العبرية ومنها ما كان غير سامي كإباريق، واستبرق، وجهنم من الفارسية، ودخول هذه الكلمات الغريبة لا يؤثر في أصالة اللغة العربية، ولغة القرآن في هذا عربية أصيلة، لأن تراكيبها عربية لم يدخل عليها أي تعديل، ونظام الجملة لم يتأثر بلغة أخرى (٣)

ووصلت مرحلة جمع القرآن الكريم إلى درجة كبيرة من الدقة، أدرك من خلالها النحاة أن فصاحة القرآن هي موضع ثقة لاتصل إليها أية لغة حملها الشعراء والخطباء من الجاهلية، وما ردت بعض النحاة لبعض القراءات إلا نتيجة لعدم الثقة بالناقل أو الرواية.

ومن دقة جمع القرآن قول رسول الله (ص): «**لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن**» (٤)، وما نُقل عن

(١)- عيس ٣١/٨٠.

(٢)- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١١٣/١ ط ١٩٥١.

(٣)- انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١٣٤/١، ١٣٧ وما بعدها وانظر تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون

٢٠٧، القاهرة ١٩٢٩، وانظر الاحتجاج للحلواني ٣٤.

(٤)- انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ٣٣/٨، دار الفكر ١٩٨٣م.

زيد بن ثابت بقوله: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع» (١) وهذان النصان فيهما دليل على أن القرآن الكريم كان يُكتب أمام رسول الله (ص)، بالإضافة إلى أنه (ص) كان يعرضه على جبريل، وأن صحابته أخذوه عنه وأسمعوه ما حفظوا حتى أتقنوا الحفظ، فهم على سبيل المثال أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعائشة رضي الله عنهم (٢). غير أن كتابة القرآن وتدوينه لاتعني أنه جُمع بين دفتين، إنما جمعه موضوع آخر، تم في عهد أبي بكر (رض) أول الخلفاء الراشدين وقد أخذ من مصدرين اثنين؛ ما كُتب على العُشبِ واللخاف (٣) وما حُفِظَ في صدور المسلمين. إضافة إلى المقارنة بين الحفظ، وشهادة الشهود، مبالغة في الدقة والاحتياط. (٤)

وتعددت القراءات القرآنية وفق نصّ متواتر، لكن النحاة كانوا يشكّون في صحة الرواية المنقولة، وشكّهم هذا دفعهم إلى ردّ بعض القراءات المروية، ولو كانوا يملكون نصاً ثابتاً على صحة النقل لالتفتوا حول النص تخريباً وتأويلاً ليتناسب مع الأصل النحوي. وروي عن الرسول (ص) قوله: «أقراني جبريل القرآن على حرف، فلم أزل أزيد، حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (٥)

(١) - الإتيان للسيوطي ٥٧/١.

(٢) - انظر المصدر نفسه ٧٢/١.

(٣) - العُشب: مفرداها عسيب وهي جريدة النخل المستقيمة، واللخاف: حجارة بيض رقائق المعجم الرسيط (عسب) والخب).

(٤) - انظر الإتيان ٥٧/١-٥٨.

(٥) - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح لأحمد بن أحمد الزبيدي ٣٥/٢ دار الإرشاد، وللحديث روايات متعددة.

وقال (ص): « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» (١) وقد أشار العلماء في مواضع كثيرة إلى أن الرسول (ص) لم يكن يحدّد السبعة، بل هو عدد مجازي لاجتيازي وذهب آخرون إلى أن السبعة عدد حقيقي (٢) ومهما يكن من أمر فإن السبعة أو ما فوق السبعة تشمل لهجات العرب المختلفة، ما لم تختلط آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، وهذا ما عبر عنه أنس (رض) عندما قرأ: وحططنا عنك وزرك، فقليل له: يا أبا حمزة: إنما هي ووضعنا عنك وزرك (٣)؛ فقال: وضعنا، وحلن، وحططنا عنك وزرك سواء. إن جبريل أتى النبي (ص) فقال: اقرأ على سبعة أحرف، ما لم تخلط مغفرةً بعذاب، أو عذاباً بمغفرة. (٤)

ولم تكن الاختلافات بين القراءات جوهريّة، إنما كانت تدور حول أمور صوتية نطقية، كإدغام أو إمالة أو تخفيف همز، وهذا ما وضع أمام القراء مجالاً واسعاً لتعدد القراءات، كلّ منهم يعتمد الرواية التي تصل إليه إذا لم تكن مخالفة لرسم المصحف العثماني الذي كان خالياً من الإعجام والتشكيل آنذاك.

ومهما يكن من شأن الاختلاف في القراءة، فإن المقرئ كان حريصاً جداً على تلقي قرأته عن ثقة، فإذا صحّ عندهم النقل فإنهم لا يحكّمون فيها أوجه العربية إدراكاً منهم أن القراءة سنّة لاتخالف، وهذا ما دفع أبا عمرو بن العلاء للقول: «لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا وكذا» (٥) فالقراء لا يهتمون لقراءة ما، سواء أكانت فصيحة أم غيرها أنصح منها، إذا وافقت وجهاً من وجوه العربية، يجيزه القياس، أو ورد به السماع، وهم لا يعملون في شيء «من حروف القرآن على

(١) - انشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢١١/١ القاهرة بلا تاريخ.

(٢) - انظر المصدر نفسه ٢٦١/١.

(٣) - الشرح ٢/٩٤.

(٤) - انظر المحتسب لابن جنّي ٣٦٧/٢، وانظر ٣٣٦/٢.

(٥) - طبقات القراء لابن الجزري ٢٩٠/١ تج: برجستراسر القاهرة ١٩٣٢.

الأنثى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردتها قياس عربية، ولا فثو لغة، لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها، والمصير إليها» (١)

موقف النحاة من القراءات :

بقيت المرحلة الأولى من تاريخ النحو غامضة، لم توضح لنا مواقف النحاة ومناهجهم، فما خلفوه لنا من كتب ضاع من غير أن نعرف عنه شيئاً، كالإكمال والجامع لعيسى بن عمر، والقياس النحوي ليونس بن حبيب، ولم يصل إلينا مما خلفه الخليل إلا معجم العين. وبقيت آراء النحاة الأوائل لتطلع عليها في كتاب سيبويه، وهي قليلة لاتفي بالفرض المطلوب لرسم صورة كاملة لمناهج النحاة آنذاك، لاسيما مواقفهم من القراءات القرآنية.

فقد انطلق النحاة الأوائل في استنباطهم للقواعد والأصول من لغة القرآن الكريم وكانت لغة الشعر رديفاً للغة القرآن، هذا في مرحلة البداية على الأقل، كما هو الحال عند أبي الأسود الدؤلي، وعنيسة الفيل، ويميمون الأقرن؛ بعد ذلك جاءت مرحلة أكثر تطوراً فتوسعت دائرة الاستنباط وتتبع المصادر الأصلية، فاهتم النحاة بلغة القرآن وقراءاته، ولغة فصحاء العرب شعراً ونثراً.

وشهدت مرحلة البداية نحويين كباراً، وضعوا لبنات البناء النحوي الأولى، وأشهر هؤلاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد.

(١) - النشر في القراءات المشر لابن الجزري ١/١١٠١٠.

أما الحضرمي فلا نملك مرجعاً عن نحوه غير كتاب سيبويه الذي نقل عنه مرآت قليلة وذكر قراءة له (١) وإذا أردنا تتبع منهجه نراه في كتب الفراء، والجمحي، وابن جنى من خلال تناولاته لبعض القراءات القرآنية، فهو يميل دائماً إلى النصب متفرداً في بعض الأحيان بتلك القراءة، ويدافع عن قراءته هذه، ويجد لها تخريباً نحويّاً مناسباً؛ من ذلك قراءته لقوله تعالى: **تَهْلِلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءِ تَيْشَفَعُوا لَنَا**، أو **نُورِثْ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** (٢) بنصب (ثُرِّدَ) عطفاً على (فيشفعوا)، ويرى الفراء أن (نردَ) «ليس بمعطوف على (فيشفعوا) إنما المعنى - والله أعلم - أو هل نردَ فنعمل غير الذي كنا نعمل، ولو نصبت (ثُرِّدَ) على أن تجعل (أو) بمنزلة (حتى)، كأنه قال: فيشفعوا لنا أبداً حتى نردَ فنعمل، ولانعلم قارئاً قرأ به» (٣) ومثال آخر يُبرز لنا ميل الحضرمي إلى نصب ما لم ينصبه غيره كقوله تعالى: **يَالَيْتَنَا نُرِدُّهُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِهِ وَتَبْنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** (٤) فقد قرأها الحضرمي بنصب (نكذب) ووجد لها وجهاً نحويّاً وهو النصب بأن مضمرة بعد واو المعية، وقد أنكر هذا الوجه أبو عمرو ويونس وسيبويه؛ وفي ذلك يقول ابن سلام الجمحي: «قلت لسيبويه كيف الوجه عندك؟ قال: الرفع، قلت: فالذين قرؤوا بالنصب؟ قال: سمعوا ابن أبي إسحاق فاتبعوه» (٥)

(١) - انظر الكتاب ١/٢٧٩، ٢/٣٤١، ٣/٢٤٢، ٤٤/٣.

(٢) - الأعراف ٥٣٧.

(٣) - قرأ به ابن أبي إسحاق. معاني القرآن للفراء ١/٣٨٠ والحاشية. وانظر المحتسب في شواذ القراءات لابن جنى ١/٢٥٢.

(٤) - الأنعام ٢٧/٦.

(٥) - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١/٢٠. وقراءة النصب هي قراءة ابن عامر، وقرأ حفص، وحمزة، ويمقرب بنصب (نكذب) و (نكون)، وفضل سيبويه الرفع «على وجهين: فأحدهما أن يشرك الآخر الأول، والآخر على قولك: دعني ولا أمرد؛ أي فلاني ممن لا يمرد، فلنما يسأل الترك، وقد أوجب على نفسه أن لا يعود له البتة ترك لو لم يترك، ولم يرد أن يسأل أن يجتمع له الترك وأن لا يمرد، وأما عبد الله بن أبي إسحاق فكان ينصب هذه الآية»، الكتاب ٤٤/٣، وانظر جامع البيان للطبري ١١/٣٢١.

ومن ذلك قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْهِ يُرِيدُ لِيُخَلِّقَ لَكَ مِنْ دُونِ آلِهَتِكَ آيَاتٍ يَتَوَفَّاكَ بِهَا إِلَى صِدْقٍ عَنِ الْكَلْبِ** (١) بنصب (أظهر) على أنها حال، وعدت (هو) ضمير فصل، وزعم يونس أن أبا عمرو رأى ذلك لحناً (٢) ومن ذلك قراءته لقوله تعالى: **وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ** (٣) بنصب (الصلاة) على أنها مفعول به لاسم الفاعل على الرغم من حذف النون، «وانما جاز النصب مع حذف النون؛ لأن العرب لا تقول في الواحد إلا بالنصب، فبنوا الاثنين والجمع على الواحد، فنصبوا بحذف النون، والوجه في الاثنين والجمع الخفض؛ لأن نونهما قد تظهر إذا شئت، وتحذف إذا شئت، وهي في الواحد لا تظهر» (٤)

وكان الحضرمي يلجأ إلى آيسة العرب في بعض ما يُنقل إليه، وعُرف عنه طعنه على العرب، وتبعه للشعراء يتسقط أخطاهم، ويعيب عليهم هفواتهم التي تضطربهم إليها قيود الشعراء (٥)

أما عيسى بن عمر فإن منهجه النحوي تتلمسه في كتاب سيبويه، وما تناثر من أخبار في كتب النحو الأخرى كالمقتضب، وبعض كتب الطبقات، والقراءات. وما يشتر الإلمام بالمنهج النحوي لابن عمر هو أخذ النحاة المتأخرين عنه بفضل ما تركه لهم من آثار، فقد ترك كتابين هما (الجامع) و(الكامل) (٦) وضمنها جلّ الأبواب النحوية التي اتضحت أصولها في مطلع القرن الثاني الهجري: وفي

(١) - هود ١١/٢٨.

(٢) - انظر الكتاب ٢/٣٩٦، وانظر المحتسب في شواذ القراءات ١/٣٢٦، وانظر مجالس ثعلب ٢/٣٥٩ مصر ١٩٥٦م.

(٣) - الحج ٢٢/٣٥.

(٤) - معاني القرآن للقرطبي ٢/٢٢٥-٢٢٦.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢/١٨٢، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٥، ونزهة الألباء للأنباري (أبو الفضل) ١٩.

(٦) ويقال (الإكمال) انظر: مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٢٣، وأخبار النحويين البصريين للسيباني ٣١، وطبقات

النحويين واللغويين للزبيدي ٢٣، وطبقات القراء لابن الجزري ١/٩١٣، وافية الوعاة للسيوطي ٢/٢٣٨.

ذلك يقول الخليل بن أحمد (١)

ذهب النحو جميعاً كله
ذاك، إكمال، وهذا جامع
غير ما أحدث عيسى بن عمر
فهما للناس شمس، وقمر

وقد عني سيبويه بأراء عيسى فذكر بعضاً منها في كتابه، وذكر له بعض قراءاته، منها جواز فتح همزة (أن) على تقدير قول محذوف، وأخذ بقراءة عيسى في قوله تعالى: **قَدَعَا رَبَّهُ** إني مفلوب (٢) على تقدير: فدعا ربه قائلاً: إني مفلوب (٣) ومن ذلك حديثه عن ضمير الفصل، حيث استدل بقراءته لقوله تعالى: **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمُونَ** (٤) فأجاز أن يكون (هم) اسماً مبتدأ، وما بعده خبراً له (٥) وعلى الرغم من الأراء المتناثرة فلننا لانستطيع أن نتلمس منهجاً معيناً لاسدلاله، لكنه من المرجح أنه كان يختار القراءة التي تلائم القياس، ويرد ما يجافيه، وما لا تثبت روايتها عن الرسول (ص) بدليل طعنه على العرب وعدم تسليمه بما يقولون، إضافة إلى أن له اختيارات في القراءة على ما يناسب مذاهب العربية. (٦)

ومن اختياراته في القراءة نبرز فكرة العامل النحوي لديه، فهو لم يصرح بالعامل النحوي تصريحاً مباشراً غير أن تناولاته النحوية تدل على أنه كان في ذهنه بصورة دائمة: من ذلك أنه ينصب الاسم الذي

(١) - طبقات النحويين والمفويين للزبيدي ٣٧، ١٥

(٢) - القمر ١٠/٥٤.

(٣) - انظر الكتاب ١٤٣/٣.

(٤) - الزخرف ٧٦/٤٣ و(الظالمون) قراءة عبد الله، وكبي زيد النحويين، انظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٧/٨، السعادة ١٣٢٨.

(٥) - انظر الكتاب ٣٩٢/٢.

(٦) - انظر طبقات فعول الشعراء لابن سلام ١٥، وطبقات القراء لابن الجوزي ٦١٣/١.

يقع قبل فعل مشغول بضميره كقرآته لقوله تعالى: **سورة أنزلناها وقضيناها (١)**، وقوله: **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (٢)**، وقوله: **والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة (٣)** ينصب (سورة و السارق، والزانية).

ومن النحويين الذين عاصروا عيسى بن عمر أبو عمرو بن العلاء، وهو معروف بالرواية واللفظة والقراءة أكثر منه في النحو. ومثله عيسى بن عمر لم يصل إلينا شيء من كتبه حتى نحكم على منهجه في الاستدلال إلا موقفاً واحداً ردّ فيه قراءة محمد بن سروان لقوله تعالى: **هؤلاء بني** **هرون أظهور لكم (٤)**. لأنها تخالف قياس اللفظة في ضمير الفصل الذي يقع بين المبتدأ والخبر (٥) وردّه لهذه القراءة يدلّ على أنه يشكّ في روايتها، ويتمسك بقياس اللفظة؛ لأن في غير كتاب سيبويه ما يُظهر ذلك (٦).

-
- (١) - النور ١/٢٤ انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢، وانظر إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٤٣١/٢ نج: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٠م.
- (٢) - المائدة ٣٨/٥. وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٦/٣.
- (٣) - النور ٢/٢٤، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٣/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٤٢٧/٦.
- (٤) - هود ٧٨/١١.
- (٥) - انظر الكتاب ٣٩٧/٢.
- (٦) - انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣/١، والمحاسب لابن جني ٧٣/١، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٦/١٦، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ١٥٨/١.

وكان أبو عمرو بن العلاء سيّد القراء السبعة بفضل ما اجتمع له من علم غزير وتواضع جمّ، إضافة إلى الثقة والأمانة، «دعما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ما سمع» (١)، وهذا ما جعل الناس يشقون به لاسيما طلابه (٢)، و«لم تنزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه، وتقرّ له بفضل، وتأنم في القراءة بمنه» (٣) وقد فاق أبو عمرو معاصريه من القراء كعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر الثقفي وغيرهما، وتبع قراءته أكثر أهل البصرة بعد أن عرفوا فضله، وعلوّ مكانته (٤)، واختار كبار النحاة قراءته، واستدلوا بها كسيبويه، والمبرد، وابن جنّي، وغيرهم؛ وما ذكره سيبويه قوله: «وقد قرأ أبو عمرو: **تَيْقُولُ وَيَبِيّ أَكْرَمَنَّ**» (٥) بدلاً من **(أَكْرَمَنَّ)** و **وَبِيّ أَهَانَنَّ** (٦) بدلاً من **(أَهَانَنَّ)**، «ومن ثمّ قال أبو عمرو **إِلَى بَارِكُمْ** (٧) بسكون الهمزة» بدلاً من **(بَارِكُمْ)**، «وزعموا أنّ أبا عمرو قرأ: **يَا صَالِحِيَّتَا** (٨) بدلاً من **(يَا صَالِحِ اثْنَتَا)**، «وقرأ أبو عمرو: **هَقَّوْبَ الْكِفَّارِ** (٩) يريد هل ثوب الكفّار فأدغم في الثاء» (١٠) وما ذكره المبرد في حديث عن اجتماع الهمزتين. وتخفيف إحداهما قوله: «فإذا كانتا في كلمتين، فإنّ أبا عمرو بن العلاء كان يبرى تخفيف الأولى منهما، وعلى

(١) - الموشح للمرزباني ١٢٥.

(٢) - انظر البيان والتبيين للجاحظ ١٢١/١، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١١/ ١٦٠.

(٣) - كتاب السبعة في القراءات لابن جاهد ٨٢.

(٤) - انظر المصدر نفسه ٨٤-٨٥.

(٥) - الفجر ١٥/٨٩، والكتاب ١٨٩/٤.

(٦) - للفجر ١٩/٨٩، والكتاب ١٨٩/٤.

(٧) - للبقرة ٥٤/٢، والكتاب ٢٠٢/٤، والخصائص لابن جنّي ٧٢/١.

(٨) - الأعراف ٧٧/٧، والكتاب ٣٣٨/٤.

(٩) - المطففين ٣٦/٨٣.

(١٠) - الكتاب ٤٥٩/٤، وانظر المقتضب ٢٥٢/١.

ذلك قرأ في قوله عز وجل: **لَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** (١) إلا أن يبتدأ بها ضرورة كاستناع الساكن. وكان يحقق الأولى إذا قرأ **الْبَطِّ وَأَنَا مَجْجُوزٌ** (٢) ويخفف الثانية، (٣). ونقل قراءة أبي عمرو **بِقَوْشُورُونَ** (٤) بدلاً من قوله تعالى: **بِلِ تَوْشُورُونَ** (٥). وقوله تعالى: **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادٌ لَّوْلَى** (٦) بدلاً من **عَاداً** اللؤلؤي (٧) وغير ذلك.

ولدى رجوعنا إلى منهج أبي عمرو بن العلاء في القراءات القرآنية يتبين لنا أنه كان على علم واسع بالعربية، وأقيستها، وقواعدها؛ ومن خلال القراءات القرآنية التي سبقت يظهر لنا ذلك من إدراكه لاختلاس الحركات الإعرابية، وتليين الهمز، والإدغام، وغيرها، (٨) وإذا عرفنا أن الشواهد القرآنية التي استدلت بها سيبويه كانت في الغالب من قراءة أبي عمرو عرفنا مكانته، ومنزلته.

(١) - محمد ١٨/٤٧ «واعلم أن الهمزتين إذا التقتا، وكانت كل واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما... كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا. ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الأخرى، وهو قول أبي عمرو، وذلك قولك **لَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** * و **وَيَا زُكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ** * ومنهم من يحقق الأولى، ويخفف الأخرى، سمعنا ذلك من العرب وهو قولك، **لَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**، و **وَيَا زُكْرِيَّا إِنَّا** *.. وكان الخليل يستحبّ هنا القول، فقلت له له؟ فقال: إني رأيتهم حين أرادوا أن يبدلوا إحدى الهمزتين اللتين تلتقيان في كلمة واحدة أبطلوا الأخرى، وذلك جائز، وأدم، ورأيت أبا عمرو أخذ بهراً في قوله عز وجل **وَيَاوَيْلَتَا إِلَيْكَ وَأَنَا مَجْجُوزٌ** * وحقّ الأولى. وكُلّ عربيّ وقياس من خفف الأولى أن يقول: **وَيَاوَيْلَتَا إِلَيْكَ** * المقتضب ١٥٨/١ (الحاشية) والكتاب ٥٤٨/٣، ٥٤٩.

(٢) - هود ٧٢/١١.

(٣) - المقتضب ١٥٨/١.

(٤) - الأعلى ١٦٧٨.

(٥) - انظر المقتضب ٣١٤/١.

(٦) - النجم ٥٠/٥٣.

(٧) - انظر المقتضب ٢٥٤/١.

(٨) - انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٠٥، ١١٦، ١٢٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٧٠، ١٧٤.

وقد وقف أبو عمرو بن العلاء موقفاً واضحاً من بعض المقرئيين، وقرأاتهم، ورأى أنه لا يشترط في القراءة القرآنية أن تكون مطابقة لأقيسة العربية؛ لأن القراءة سُنَّةٌ تُتَّبَعُ (١)، وقد اتهم بعض المقرئيين باللحن شكاً في النقل، وصحة الرواية؛ من ذلك ما أورده القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٢) حيث يقول: «قراءة العامة ليجزي بالياء، على معنى ليجزي الله ... وقرأ أبو جعفر، والأعرج، وشيبة: لِيَجْزِيَ، ياء مضمومة، وفتح الزاي على الفعل المجهول (قوماً) بالنصب. قال أبو عمرو: وهذا لحن ظاهر.» (٣)

ومن ذلك رده لقراءة من قرأ: **وَلَاتَقْرَبُوا حُدُودَ الشَّجَرَةِ** (٤) بكسر الشين، وقوله: «يقراً بها براءة ميكة وسوادها» (٥) ومن رده لبعض القراءات، تخطينته لها قراءة أهل المدينة لقوله تعالى: قَبِيْرٌ تُبَشِّرُونَ (٦) والكسرة في (تبشرون) دلالة على ياء المتكلم، والصحيح أن ياء المتكلم لاتذكر ههنا إلا مع نون الوقاية، وفي ذلك يقول أبو عمرو: «لأنضاف (تبشرون) إلا بنون الكناية كقولك تبشرونني» (٧)، ومنه رده لقراءة من قرأ (هَيْتَ) بكسر الهاء، وهمز الياء بدلاً من **وقالت هَيْتَ لك** (٨).

(١) - انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٨٣.

(٢) - الجاثية ١٤/٤٥.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/١٧٢.

(٤) - البقرة ٣٥/٢.

(٥) - المحنّب لابن جنّي ٧٣/١.

(٦) - الحجر ٥٤/١٥. وهي في مصحفنا اليوم قَبِيْرٌ تُبَشِّرُونَ*.

(٧) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣/١ وانظر معاني القرآن للقرطبي ٢/٩٠.

(٨) - يوسف ٢٣/١٢.

وقوله متسهماً: «استعرض العرب، حتى تنتهي إلى اليمن، هل يعرف أحد: هئت لك» (١)

هذه الأمثلة توضح لنا مذهب أبي عمرو في القراءات القرآنية، وموقفه من القراءات التي تخالف أقيسة النحو، وهذا المذهب يدحض ما ينسب إليه من تسليم للعرب فيما يقولون.

أما يونس بن حبيب فهو على شاكلة من سبقه من النحاة، فآثاره قليلة مما يعيق إظهار منهجه، ونظرته إلى لغة القرآن، والاستدلال بها، ولعل ما ذكره سيبويه وأبو عبيدة عنه لا يوضح ما نريده.

وما ورد -على الرغم من قلته- يظهر لنا تعليقه لبعض القراءات التي يختارها من ذلك قوله تعالى: **أَنَّ اللَّامَ بَوِيءٌ مِنَ الْمُحْرُكِينَ وَرَسُولُهُ** (٢) فقد اختار يونس الرفع في (رسولُهُ) (٣) ومنه قوله تعالى: **وَاسْتَوُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** (٤) فقد اختار أن يكون الاسم الموصول (الذي) بدلاً من الضمير في (استروا) «وكانه قال: انطلقوا، فقبل له: مَنْ؟ فقال: بنو فلان، فقوله جلّ وعزّ: **وَاسْتَوُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** على هذا فيما زعم يونس» (٥) وقال في قوله تعالى **بَلَى قَادُورِينَ** (٦) إنه قد نصب (قادرين) بفعل محذوف تقديره نجمعها قادرين (٧)، ومن تعليقاته لبعض القراءات ما أورده أبو

(١) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠٦/١، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٤/٩.

(٢) - التوبة ٣/٩. وانظر المقتضب للمبرد ١١٢/٤، وقراءة النصب (رسولُهُ) قراءة شاذة، قرأ بها ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وزيد بن علي عطفاً على لفظ اسم (آن)، وأجاز الزرخشري أن ينتصب على أنه مفعول معه. انظر البحر المحيط

لأبي حيان ٦٥.

(٣) - انظر الكتاب ٢٣٨/١.

(٤) - الأنبياء ٣/٢١.

(٥) - الكتاب ٤١/٢.

(٦) - القيامة ٤٧٥.

(٧) - انظر الكتاب ٣٤٩/١.

عبيدة في مجاز القرآن لقوله تعالى: **إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ** (١) حيث قال يونس: **إِنَّ الصَّوَابَ**: (إن هذين لساحران) **لَكِنَّهُ كَتَبَ بِالْأَلْفِ** «كما يزيدون وينقصون في الكتاب، واللفظ صواب» (٢)

إنَّ نُقُولَ مَسِيْبِيهِ عَنِ يُونُسَ تَدَلُّ عَلَى أَهْمِيَةِ آرَاءِ يُونُسَ النَّحْوِيَّةِ، لَكِنَّ نَقُولَ مَسِيْبِيهِ لِقِرَاءَاتِ يُونُسَ لَا تَتَعَدَّى الْإِطَارَ الَّذِي أُشْرِتُ إِلَيْهِ وَالَّذِي يَظْهَرُ ثِقَّتَهُ بِالْفَصْحَاءِ، وَقَبُولَهُ مَعْظَمَ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ عَنِ الْعَرَبِ، وَتَعْلِيلَ كَلَامِهِمْ عَلَى الْكَثِيرِ الشَّائِعِ مِنْ لَفَةِ الْعَرَبِ.

(١) - طه ٦٣/٢٠.

(٢) - مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١/٢.

٢- الحديث الشريف:

وهو ما قاله الرسول (ص)، وما نقلته الرواية، ودوتته الكتب من محاوره الرسول لأصحابه، وما قاله الصحابة في وصف أعماله، وتمييز موقف النحاة الأوائل من الحديث الشريف بالإعراض عن الاستدلال به، إلا في مواضع قليلة جداً، على الرغم من فصاحتها التي لا يرقى إليها شك. (١)

لم يُعَنَّ الصحابة بإسناد الحديث في المراحل الأولى، وكان بعضهم يفضب إذا سئل عن الإسناد، كأنس بن مالك (رض) الذي يقول لسائليه: «ما كان بعضنا يكذب على بعض» (٢) وبعضهم الآخر ينقل عن الرسول كما سمع من صحابة آخرين قال البراء (٣): «ما كل ما نحدثكم عن رسول الله (ص) سمعناه منه منه ما سمعناه منه، ومنه ما حدثنا به أصحابنا، ونحن لانكذب» (٤) حتى إن المحدثين لم يلتزموا إسناد ما ينقلونه إلا بعد فتنة عثمان (رض)، وهذا يظهر في قول محمد بن سيرين (٥): «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سئوا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم» (٦).

(١)- انظر مجالس ثعلب ٤٥٤ ط٢، وصف المطر والسحاب لابن دريد ٥ تح: عز الدين التنوخي دمشق ١٩٦٣. المخصص لابن سبويه ٩٦/٩. المطبعة الأميرية ١٣١٦-١٣٢٩هـ.

(٢)- مقدمة ابن الصلاح ٣٨ عن مجلة الشريعة. بغداد، عدد ٣، ٦٦-١٩٦٧، نقلاً عن الاحتجاج للحلواني ١٨٣.

(٣)- هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي (ت ٧١ هـ)، قائد صحابي، أسلم صغيراً، وغزا مع الرسول (ص) روى له البخاري ومسلم ٣٠٥ أحاديث. انظر الطبقات الكبير لابن سعد ٨٠/٤ ليدن ١٣٢١ هـ. ومعجم البلدان لياقوت الحموي مادة (زنجان) مصر ١٣٢٣-١٣٢٥ هـ.

(٤)- مقدمة ابن الصلاح ٨، مجلة الشريعة، نقلاً عن الاحتجاج للحلواني ١٨٣.

(٥)- محمد بن سيرين البصري (٢٣-١١٠ هـ) الأنصاري بالولاء، إمام ولته في علوم الدين بالبصرة. تابعي من أشرف الكتاب. مولده ووفاته في البصرة، تفقه وروى الحديث، استكتبه أنس بن مالك، بفارس وكان أبوه سولى لأنس. انظر وفيات الأعيان ٤٥٣/١، وشهيد التنزيه لابن حجر العسقلاني ٢١٤/٩ حيدر آباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧ هـ.

(٦)- صحيح مسلم ١٥/١ القاهرة ١٣٤٩ هـ.

وكان رواية الحديث في الفترة التي أعقبت فتنة عثمان (رض) من سكان مكة والمدينة، أو ممن نزحوا إلى الحواضر كالكوفة والبصرة، وهذا ما جعل البيئة التي ترعرعت فيها رواية الحديث بعيدة عن لغة البادية التي تكلمنا عن فصاحتها، قريبة من لغة الحاضرة التي أشرنا إلى ضعفها، والمؤثرات التي أدت إلى ذلك.

وقد أغفل النحاة الاستدلال بالحديث الشريف لأن كثيراً من المحدثين كانوا يجهلون العربية، ولا تقوى ألسنتهم على دفع اللحن في لفظ الحديث، ونطقه. وبعضهم الآخر يهتم بالعربية وفصاحتها.

فمن أخطائهم أن يوسف السمتي قال لعمرو بن عبيد: ما تقول في دجاجة ذُبِحت من قفائنها، فراجع عمرو، فقال: من قفاؤها، فراجع، فقال من قفاها (١). والأمثلة الدالة على لحن المحدثين كثيرة جداً وأسبابها متنوعة، ولسنا في معرض الحديث عن ذلك (٢).

ولم يكن المحدثون جميعاً يلحنون، إنما هناك فريق عُرف بالعناية بعلوم اللغة العربية كحماد بن سلمة (٣) الذي كان يمر بحلقة الحسن البصري في المسجد الجامع، ويتخطأها إلى أصحاب العربية يتعلم منهم، وأخذ عن أبي عمرو، والحضرمي (٤) والأمثلة كثيرة على حث المحدثين على الأخذ بعلوم العربية (٥).

-
- (١) - انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٢١٢، تح: الزاوي والطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ.
 (٢) - انظر المصدر نفسه ٢/٢١١، ٢/٢١٧، ٢/٢١٩، معاني القرآن للفراء ٢/١٢٧، البيان والتبيين للجاحظ ٢/٢٢٠. المحتسب لابن جني ١/٨٦، تح: ناصف وشلبي، القاهرة ١٣٨٦هـ. والخصائص ٣/٢٨٩، ٢/٢٩٢، والمزهر للسيوطي ٢/٣٧٤، ٣٥٤. تح: جاد المولى وصاحبيه، القاهرة بلا تاريخ. وانظر العربية لبرهان فك ٦٦، ٦٩، ٧٠. ترجمة: النجار، القاهرة ١٩٥١م.
 (٣) - حماد بن سلمة بن دينار البصري الزبدي بالولاء (ت ١٦٧ هـ). مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث ومن النحاة، كان حافظاً ثقة بأسرناً فصيحاً مفوهاً. انظر نزهة الألباء للأنباري ٥٠، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٣/١١.
 (٤) - انظر طبقات النحويين واللمويين للزبيدي ٤٨.
 (٥) - انظر الخصائص لابن جني ٣/٢٩٩، ٤٦٨، أمالي الزجاجي ٢٠، ١٨٦-١٨٥، تح: هارون القاهرة ١٩٥٠. طبقات النحويين واللمويين للزبيدي ٦٦، إنباه الرواة للقفطي ٢/٣٥٠، معجم الأدباء للحموي ١/٨٣، ٨٧، ٨٩.

ومن المؤكد أن حث رجال الحديث على الأخذ بعلم النحو واللغة العربية يدل على أن كثيراً منهم لم يكونوا من الفصحاء، فهم يتكلمون عن تكلف، ولو كانوا عربياً قد سلم لسائهم من الضعف لما احتاجوا إلى تعلم النحو، على غرار بعض المحدثين الذين عرفت فصاحتهم لأنهم عرب في أنسابهم.

ولم يحافظ رواة الحديث على لفظ الحديث، كما سمعوه من الرسول (ص) أو من صحابته، وإنما نقلوا الحديث بمعناه، وانصب اهتمامهم على الفكرة التي تعنيها ألفاظ الحديث؛ قال سفيان الثوري (١) وهو من كبار المحدثين: «إن قلت لكم: إني أحدثكم كما سمعت، فلا تصدقوني، إنما هو المعنى» (٢) وتصرف المحدثين باللفظ دون المعنى لم يكن وليد مزاج خاص، وإنما كان بإذن من الرسول (ص)؛ فقد قال له أحد الصحابة: يا رسول الله: إني أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما سمع منك، يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً، فقال له الرسول: «إذا لم تحلوا حراماً، ولم تحرموا حلالاً، وأصبتم المعنى فلا بأس» (٣) وفي المعنى ذاته قال واثلة بن الأسقع (٤): «فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم، لا تألونه حفظاً، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله (ص) عسى ألا تكون معناها منه إلا مرة واحدة، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى» (٥).

-
- (١) - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧-١٦١هـ) أمير المؤمنين في الحديث، وميّد عصره في علوم الدين والتفوق، مات في البصرة. انظر تاريخ بغداد ١٥١/٩، وفيات الأعيان ٢١٠/١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٥٧/٦.
- (٢) - خزائن الأدب للبغدادي ٥/١.
- (٣) - نقلاً عن (الحديث والمحدثون) لأبي زهرة ٢٠٤، ٢٠٣. القاهرة ١٩٥٨.
- (٤) - واثلة بن الأسقع بن عبد العزى (٢٢٢هـ - ٨٣هـ) صحابي من أهل العتقة، شهيد مع الرسول (ص) غزوة تبوك، وشهد فتح دمشق، وهو آخر من مات من الصحابة في دمشق. انظر تهذيب التهذيب للمصنفين ١٠١/١١. والإصابة: ترجمة ٩٠٨٩ للمصنفين.
- (٥) - الحديث والمحدثون لأبي زهرة ٢٠٣-٢٠٤.

وقال الحسن البصري (١): «لو كنا لانحدثكم إلا كما سمعنا ما حدثناكم بحدِيثين، ولكن إذا جاء حلاله وحرامه فلا بأس» (٢) وقال محمد بن سيرين: «ربما سمعت الحديث من عشرة، كلهم يختلف في اللفظ، والمعنى واحد» (٣)

أمام هذا الكم من الأحاديث التي رويت بألفاظ مختلفة نرى أنفسنا أمام روايات مختلفة، لا يستطيع النحوي أن يركن إلى رواية منها، يضاف إلى ذلك أن الراوي غير فصيح، وغير مثبت من صحة روايته؛ من ذلك قوله (ص): «زوجتكها بما معك من القرآن، أو ملكتكها بما معك من القرآن، أو أخذها بما معك من القرآن» (٤)

هذا الواقع الذي أشرنا إليه لم يمنع وجود أحاديث رويت بألفاظها وتواترت روايتها؛ من ذلك حديث المسح على الخفين، وأنزل القرآن على سبعة أحرف، ومن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة (٥)

وفي عهد الرسول (ص) ذوّت بعض الأحاديث، وجمعت مكتوبة؛ لكنها لم تكن من الكثرة لنطلق على ذلك بأنه تدوين للحديث الشريف. وقد دَوّن عبد الله بن عمرو بن العاص (٦) بعض الأحاديث

(١) - الحسن بن يسار البصري (٢١١-١١٠ هـ) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، عالم، فقيه، لصيح. سبّه في كنف علي (رض)، قال فيه الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٢٥٤/١ مصر ١٣٢٥، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ١٣١/٢ مصر ١٣٥١ هـ.

(٢) - السنة قبل التدوين لمحب الدين الخطيب ١٣١ وما بعدها القاهرة، ١٩٦٣.

(٣) - المصدر نفسه ١٣١ وما بعدها.

(٤) - الخزانة ٥/١.

(٥) - انظر لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية لمحمد أديب الصالح ٨٩، ٨٨ دمشق ١٣٨٨ هـ. وانظر الاحتجاج للحلواني ١٩٠.

(٦) - عبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق هـ - ٦٥ هـ) قرشي من الصحابة النسك، كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانية، واستأذن الرسول (ص) في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له. قال له الرسول (ص): «إن لجسدك عليك حقاً، وإن لزواجك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً»، شهد غزوات وحروباً، وحمل راية أبيه يوم اليرموك. له ٧٠٠ حديث. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣/٨. والإصابة في تمييز الصحابة للمسقلاني الترجمة ٤٨٣٨.

التبوية في صحيفة "الصادقة" (١)، وكان عليّ بن أبي طالب (رض) يكتب بعض ما يسمع عن (ص) إضافة إلى رسائله إلى قيسر، والنجاشي، وكسرى، وغيرهم مما حفظته لنا الكتب (٢) ولم يُعبر النحاة اهتماماً لما ورد من الأحاديث، ولم يأخذوا منها شواهدهم، ولم تقنمهم في استدلالهم، لأنهم في الأصل يعرفون على الرواية المأخوذة شفاهاً من الأعراب، أو من شيخ ثقة، ويبتعدون عما دُوّن في صحيفة؛ لينأوا عن أيّ تحريف أو تصحيف، وإذا قنعوا بالأخذ عن رواية الشيوخ وجدوا أنفسهم أمام رواة للحديث مقن لا يثبتون بسلامة اللغة، فيلحنون (٣)

وعلى ذلك فإننا لانستطيع أن نتلمس مناهج النحاة قبل سيبويه، بسبب ضياع مصنفاتهم، ولانجد في الكتاب ما يدلّ على استدلالهم بالحديث الشريف.

ولعل خير ما تلخص به الفكرة العامة عن استدلال النحاة بالحديث الشريف، وسبب صدمتهم عن ذلك قول السيوطي: «إن غالب الأحاديث مروية بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم، والمؤلفون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقتسوا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة» (٤). وهو الذي جعل النحاة لا يثقون أنّ ذلك لفظ الرسول (ص)، ويرون أنّ الأعاجم يدخلون في رواية الحديث الشريف، واللحن غير مأسون منهم، والخطأ وارد في كلامهم.

(١) - انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/١٨٧-١٨٨.

(٢) - انظر المصدر نفسه ٢/٥٠٤٧، ٣٢٠، ٣٢٤، وانظر لمحات في أصول الفقه لمحمد أديب الصالح ٦٤، ٩٣، ٥٩.

(٣) - انظر الاحتجاج للحلواني ١٩١.

(٤) - الاقتراح للسيوطي ١٦، وانظر المدارس النحوية لشرقي ضيف ٤٦-٤٧ القاهرة ١٩٦٨م.

آ- الشعر

اهتم النحاة واللفزيون على حد سواء بالشعر اهتماماً بالغاً، واستدلوا به على صحة ما جاء في القرآن الكريم من ظواهر نحوية ولفوتية، لذلك فإننا نرى الشواهد الشعرية عند النحاة تزيد على الشواهد القرآنية، وتتفاوت زيادتها بين نحوي وآخر.

مصادره:

الجزيرة العربية هي الوطن الذي نبع منه الشعر الأصيل، وكلما كان موطن الشاعر موغلاً في البادية العربية، بعيداً عن أطرافها كان أقرب إلى الفصاحة، وسلامة اللسان، ومع توضع العرب في فتوحاتهم الإسلامية صاروا أمام واقع لغوي جديد، دفع العلماء إلى تفعيد لغة العرب، ووضع ضوابط لها، فكان الأعراب خيرَ مصدر للشعر العربي الفصيح، وحكماً يلجأ إليه إذا عَسُرَ فهم، أو غمضت رواية.

أما رواية الشعر ففيها يقول ابن سلام: ((وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خيرَ فيه، ولا حجة في عربيته... وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء)) (١) وكلُّ شعر لا يرويه أعراب البادية هو شعر لا يُركن إليه، ولا يوثق بعربيته، ورد ابن سلام ما نسب إلى عاد وثمود من شعر لآته ((لم يرو قط عربيّ منها بيتاً واحداً، ولا رواية للشعر)) (٢) ويرى الأصمعي أنّ قلة ما في أيدي الناس من شعر عدي بن زيّسد، وأبي دؤاد الأيادي يعود

(١)- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥-٦.

(٢)- المصدر السابق ١١.

إلى أن أعراب البادية لم يرووا لهما لانحراف لفتهما عن لغة نجد (١)

ظلّ الأعراب أصلاً يُرجع إليه إذا اختلف الرواة في أمر، من ذلك اختلاف المفضل الضبي والأصمعي في قول أوس بن خجر:

وَدَاتُ هِدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُضْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّيَا جَدِيعَا

وهما عند سليمان بن علي الهاشمي بالبصرة، فقد أنشده المفضل (جدعاً) فظن الأصمعي لخطئه، فقال له: إنما هو (تولياً جدعاً) وعلت أصواتهما، فقال سليمان بن علي: من تختاران أجعله بينكما؟ فاتفقا على غلام من بني أسد حافظ للشعر فأحضر، فعرضاً عليه ما اختلفا فيه فصدق الأصمعي، وصوّب قوله، فقال له المفضل: وما الجدع؟ فقال: السية الفداء (٢)

بدايات الاستدلال بالشعر:

زادت العناية بالشعر، وسعى اللغويون والنحاة إلى الأخذ به، في مواقفهم وتناولاتهم، ولم تنقطع روايته في صدر الإسلام، ونجد عمر بن الخطاب (رض) يقول على المنبر: ((عليكم بديوانكم لا تضلّوا. فقالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإنّ فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم)) (٣) وكان عمر من أروى الناس (٤) وعصّر كان فيه عمر (رض) يحضّ على الأخذ بالشعر، وابن عباس يجلس

(١)- انظر: الموسع للمعري ٧٣ تح: البجاوي القاهرة ٦٥، والمريية ليوهان فك ٥١ ترجمة النجار القاهرة ٥١، وانظر الاحتجاج للعلواني ٩١.

(٢)- انظر: مقدمة تهنيب اللفّة للأزهري ١١ تح: هارون القاهرة ٦٤، وانظر: لسان العرب (جدع).

(٣)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١١٠-١١١.

(٤)- انظر الكامل للمبرد ٩٦٦، القاهرة بلا تاريخ.

((يوماً فلا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب)) (١)
يدلّ على الاتجاه المبكر لياخذ الشعر دوره البارز مادةً للاستدلال في اللغة والنحو.

فمنذ زمن بعيد عرف الناس الشعرَ مصدراً لغوياً هاماً، واستعانوا به لفهم غريب اللغة بشكل عام، والقرآن الكريم بشكل خاص، ورووا عن ابن عباس أنّ الرسول (ص) قال: ((إذا افتبه عليكم شيء من القرآن فاطلبوه في الشعر)) (٢) هذا في عهده (ص)، حيث عرفت قيمة الشعر في فهم القرآن وتفسير معانيه.

وصحيح أنّ الاستدلال النحوي لم يكن قد ظهر، ولم تتضح معالمه النظرية بعد، لكنّ ابن عباس (رض) كان يدرك أنّ الاستعانة بالشعر هي الباب الذي نصل من خلاله إلى فهم غريب القرآن، ذلك في قوله: ((إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، ديوان العرب)) (٣) وهو نوع من الاستدلال يكشف لنا مكانة الشعر، وأثره في فهم العربية، وترجمة معانيها، وفكّ معاني غريبها، وهو ما دفع حبر الأئمة لابرار مكانة الشعر في هذا المجال. ومن استدلاله بالشعر أيضاً أنّ عليّ بن زيد بن جدعان قال: ((سمعت سعيد بن جبير، ويوسف بن مهران يقولان: سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم قول الشاعر يقول فيه كذا وكذا)) (٤) ومن استدلاله لفهم غريب اللغة أنه شرح قوله تعالى: (وشهابك قطه) (٥) بقوله: لاتلبس ثيابك على غدزة أي نجاسة، ثمّ استدلّ بقول الشاعر:

(١) - الإصاية في تبيين الصحابة للمسقلاني ١٩٣/٣.

(٢) - مجالس ثعلب ٣١٧ نج: هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

(٣) - إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر ابن الأنباري ٦٢/١ دمشق ١٩٧١.

(٤) - إيضاح الوقف والابتداء ٦٢/١.

(٥) - المنشر ٤/٧٤.

فَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثُوبَ غَادِرٍ لَبَسْتُ وَلَا مِنْ سَوْعَةٍ أَتَقَنَّحُ (١)

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: (فَقَهْرٌ فِي أَمْرِ مَرْيَجٍ) (٢) يقول ابن عباس: المريج هو المختلط،
لم تسمع إلى قول الشاعر:

فَجَالَتْ وَالتَّمَسْتُ بِهِ حَشَاهَا فَخَرَّ كَأَنَّهُ خُوِطَ مَرْيَجٌ (٣)

ومن ذلك أنه شرح كلمة (الزنيمة) بالدعوى الفاحش اللثيم، واستدلّ بقول الشاعر:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عُرُضِ الأَدِيمِ أَكَارِعُهُ (٤)

واستدل في تفسيره لكلمة (السنة) بقول زهير بن أبي سلمى:

لَا بَيْتَةٌ فِي طَوَالِ الدَّهْرِ تَأْخُذُهُ وَلَا يَنَامُ وَلَا فِي أَمْرِهِ قَنْدٌ (٥)

وغير ذلك من الأمثلة التي توضح أهمية الشعر في استدلال ابن عباس (رض). (٦)

بعد ذلك نشطت الحركة اللغوية أيام أبي الأسود الدؤلي وتلامذته كيحيى بن يعمر (٧)

(١)- انظر إيضاح الوقف والابتداء للأبازي ٦٣/١.

(٢)- سورة ق ٥/٥٠.

(٣)- انظر إيضاح الوقف والابتداء للأبازي ٦٤/١.

(٤)- انظر إيضاح الوقف والابتداء للأبازي ٦٥/١. والمعرض: الجانب. الأديم: الجلد. والأكراع مفردها كراع. وهو مستدق الساق العاري من اللحم.

(٥)- انظر المصدر نفسه ٧٧-٨٧. والفند: الكذب.

(٦)- انظر: الكامل للمبرد، نج: أبو الفضل ٢٢٨/٣-٢٢٩.

(٧)- هو يحيى بن يعمر الوشقي العدواني ت ١٢٩هـ من العلماء التابعين، عارف بالحديث والفقه ولفات العرب، أخذ النحو عن أبي الأسود. تولى قضاء البصرة حتى مات. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٢٦/٢، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٢.

وعنيسة (١) وميمون (٢) الذين يعدون من أكثر الناس عناية بالشعر، وروايته، ثم جاء النحاة الأوائل وعزلوا على الشعر في استدلالهم، فعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أجاز نصب الاسم بعد إياك كقولهم: إياك الأسد واستدل بقول الشاعر:

إياك إياك المراء فإنه
إلى الشراء دعاء وللشراء جالب (٣)

ومن ذلك أنه استدلال بقول العجاج: (٤)

يكشف عن جماته ذلوا الدال (٥)

للاستدلال على جواز استخدام (الدالي) بمعنى (المدني).

واستدلاله بقول روية: (٦)

(١) - هو عنيسة بن معدان مولى سهرة، وسقي بعنيسة الفيل لأن أباه معدان أخذ من زياد بن أبيه فيلة، كان راوية للأشعار ظريفاً فصيحاً. روى شعر جرير والفرزدق، وأخذ العلم عن أبي الأسود وهجاه الفرزدق. انظر طبقات النحويين واللفويين ٢٤.

(٢) - هو أحد الذين أخذوا النحو عن أبي الأسود الدؤلي، وهو نظير لعنيسة الفيل في الأخذ عن الدؤلي، أخباره قليلة جداً، لكنه من يرجع إليه في اللغة، وقد خلف عنيسة، وصار صاحب الناس بعده. وأم النامح حلقة النحوية، وتخرجوا فيها. انظر: مراتب النحويين لأبي العلي الطيب اللخمي ١٢، وإنباه الرواة للقفطي ٣/٣٣٧، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٩/٢٠٩-٢١٠.

(٣) - المراء: المجادلة، والمخالفة في الكلام، والملاحة فيه. والشاهد فيه نصب (المراء) بعد (إياك) مع حذف حرف العطف ضرورة، لكن قال المازني: «لما كثر إياك مرتين كان أحدهما عوضاً من الواو»، الكتاب ١/٢٧٩.

(٤) - العجاج هو عبد الله بن روية بن ليبيد التميمي السعدي ت ٩٠ هـ. راجز وشاعر من المشهورين. ولد في الجاهلية، ثم أسلم. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٣٠.

(٥) - الجقات: مفردتها جقة، وجقة البشر، ونحوها: ما تراجع من مائها بعد الأخذ منه. والعلو: معرفة، واحنة الدلاء التي يستقى بها تذكر وتوثق، والدالي بمعنى المدني. انظر: لسان العرب (دال)، والمعجم الوسيط (جم)، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٧٦-٣٧٧.

(٦) - هو روية بن عبد الله العجاج بن روية التميمي السعدي ت ١٤٥ هـ. راجز من الفصحاء المشهورين، أقام في البصرة. وأخذ عنه اللخميون واحتجوا بكلامه. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٣٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/١٨٧، وخرزانه الأدب للبغدادي ١/٤٣.

يُخْرَجْنَ مِنْ أَجَازِ لَيْلٍ غَاضِي (١)

للاستدلال على جواز استخدام (غاضي) بمعنى (مفضي).

فهو يبني أصوله وأحكامه من خلال رجز فصحاء العرب أمثال العجاج، ورؤية. ومن ذلك أن الفرزدق حضر مجلس ابن أبي إسحاق، «فقال له: كيف تنشُد هذا البيت: (٢)

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر (٣)

فقال الفرزدق: كذا أنشد، فقال: ابن أبي إسحاق: ما كان عليك لو قلت: فَعُولَيْنِ! فقال الفرزدق: لو شئت أن تسبِّح لسبَّحت. ونهض فلم يعرف أحد في المجلس ما أراد بقوله: لو شئت أن تسبِّح لسبَّحت: أي لو نصب لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما أن تفعل ذلك، وإنما أراد: أنهما تفعلان بالالباب ما تفعل الخمر، (قال أبو الفتح: (كان) هنا تامة غير محتاجة إلى الخبر) « من هذا الخبر نرى أن الحضرمي يمتحن الفرزدق ببيت ذي الرمة ويقسو على نفسه ويحقل البيت كثيراً من التأويلات. وقد أسعفته في ذلك ثقته بالشعر الفصيح، ذلك حين يشق بروايته ونقله، وعلى الرغم من قلة ما وصلنا عن الحضرمي فإن هذه القلة نرى أنها تعتمد الشعر أساساً في الاستدلال (٤).

أما عيسى بن عمر فإنه يستدل بالشعر الفصيح ويوجد له التأويل المناسب ويلتمس وجهاً يعلل به ما يسمعه من الشعر: من ذلك قول الشاعر:

(١) - غضا الليل غصوا، وأغضي: لبس كل شيء. وأغضي الليل: اظلم، وليل مفض: لغة قليلة، وأكثر ما يقال: ليل غاضٍ.

انظر لسان العرب (غضا). وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) - البيت لذي الرمة، وقد ورد في ديوانه، وذو الرمة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن سمعود العموي (٧٧-١١٧هـ) شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال. انظر الشعر والشعراء لابن تقيية ٢٠٦ وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٠٤/١، خزنة الأدب للبغدادي ٥١/١-٥٣.

(٣) - انظر الخصائص لابن جني ٣٠٢/٣، والأشباه والنظائر غني النحو للسيوطي ٢٠٠/٣ تح: إبراهيم محمد عيد الله مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٩م.

(٤) - انظر الكتاب ٣٤١-٣٤١/٢، والموشح للمرزباني ١١٦، ومعاني القرآن للقرطبي ١٨٢/٢، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢١/١.

هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجتنا أو عبدَ ربِّ أخاعونِ بن مخراق (١)

وعلى الرغم من أن ابن عمر كان أكثر ميلاً إلى القياس في تناولاته النحوية، وما يتفرع عنها، غير أنه لم ينكر ما يسمعه من الشعر الذي صحّت روايته ووثق بسلامة لغة قائله.

وإذا وصلنا إلى أبي عمرو بن العلاء فإننا نجده قد أولى لغة الشعر عنايته، واستدلّ بها على

صحة بعض آرائه النحوية واللفظية، ومنها استدلاله بقول الشاعر:

كم وأينا من مُنَحَبٍ مُسَلَّحٍ صار لحمَ النسور والعقبان

للوصول إلى فصاحة الأعرابي الذي أراد امتحانه والتأكد من أن فصاحته باقية (٢) ومن ذلك أنه استدلّ بقول المنشد الذي سمعه عندما كان متستراً من بطش الخجاج وعرف أن كلمة (فُرجة) هي بفتح الفاء لابضتها (٣) ومن ذلك ما نقله عنه أبو عبيدة غير مرة من أن أبا عمرو ينصب (قيلهم) في قول كعب بن زهير:

تسمى الوشاة جنابيّها وقيلهم إنك يا بن أبي سلمى لمقتول

ويستدل بنصب (قيلهم) لأنها وقعت موقع الفعل (تقولون)، قال أبو عبيدة: «سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: معناها: ويقولون، وكذا كل شيء من هذا المنصوب كان في موضع: قُتل، أو يفعل، كقولك: صبراً، ومهلاً، وحلاً، أي اصبر، وأسهل، وتحلّل» (٤)

ويستدلّ أحياناً بالشعر ليردّ قولاً لشاعر، ويبين أنه لا يعرف له وجهاً؛ من ذلك موقفه من قول

(١) - «البيت من الخمسين، وقد نسب إلى جرير، وإلى ثابت شراً وغيرهما، وقيل إنه مصنوع، وباعث: موقظ، أو مرسل. ودينار، وعبد ربّ: رجلان، وأراد عبد ربّه، ولكنه ترك الإضافة وهو يريد بها وأخاعون: عطف بيان أو نعت، ويجوز أن يكون نصبه على النداء. والشاهد فيه: نصب (عبد ربّ) حملاً على موضع دينار»، الكتاب و (حاشية) ١٧١/١. وانظر طبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٣٨، والأماشي لأبي علي القالي ٣٩٠/٣. القاهرة ١٣٤٤ هـ.

(٢) - انظر تاريخ آداب العرب للرافعي ١/٢٥٤.

(٣) - انظر طبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٢٩.

(٤) - ساجز القرآن لأبي عبيدة ١/١٢٣، ٢٧٤، ١١٩/٢.

وعضُّ زمان يا بن مروان ثم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف

وقوله: «ولا أعرف لها وجهاً، وكان يونس لا يعرف لها وجهاً»، (١) يعني أنه لا يعرف وجهاً لرفع (مسحتاً) من قول الفرزدق السابق.

مما تقدم يظهر لنا أنّ النحاة في المرحلة التي سبقت سبويه اعتمدوا الشعر في استدلالهم، وأخذوه عن مصدر واحد وهو أعراب البادية، والشعراء، سواء أكان مشافهة في الحواضر، أم نتيجة رحلتهم إلى البادية، وسواء أكان نقلهم عن الشعراء مباشرة، أم عن شيوخهم الثقات.

١- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١٩-٢٠ (شاعر)

ب- النشر

يشمل كلام العرب عدا الشعر، لغة الكلام التي يستخدمها العرب في لغتهم المتداولة في باديتهم، من غير أن يتكلف فيها، ولغة الأشال التي تصور تجربة الإنسان في حياته، وحكمته التي اكتسبها من خلال تاريخه الطويل، والأمثلة التي وضعها النحاة قياساً على كلام العرب، وتناقلتها كتب النحو، ولغة الخطب التي حملتها كتب الأدب (١).

وقد أخذ كلام العرب اتجاهين، الأول يشمل اللغة التي قاومت التطور، وحافظت على أصالتها على مرّ العصور. والثاني وهو الذي تأثر بالتطور الذي أحاط بها نتيجة للفنوحات الإسلامية ووصول العرب إلى المدن والامصار. وقد أدرك النحاة واللغويون هذين الاتجاهين، نتيجة لمعرفتهم بلغات العرب ولهجاتهم فنصبوا لغة البدو الذين لم يتأثروا بغيرهم لغة فصيحة، أخذوا منها القواعد واستنبطوا الأصول، وفي ذلك يقول ابن جنبي: «ليس أحد من العرب الفصحاء إلا يقول إنه يحكي كلام أبيه وسلفه، يتوارثونه آخر عن أول، وتابع عن متبع، وليس كذلك أهل الحضرة، لأنهم يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة، غير أن كلام أهل الحضرة مضاهٍ لكلام الفصحاء العرب في حروفهم، وتأليفهم، إلا أنهم أخذوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح» (٢).

ويظهر أثر استدلال القدماء بكلام العرب أول ما يظهر عند من وضعوا اللبانات الأولى لقواعد العربية، ولعلّ الدوافع الأولى لذلك كانت دينية، الغاية منها تفسير آيات القرآن الكريم وبيان معانيه، لذلك نرى ابن عباس يستدلّ بكلام فصحاء العرب للوصول إلى غايته في شرح معنى المفردات الغريبة

(١) - في الفترة التي سبقت سيبويه - وهي ما نمنيه في هذا الفصل - اهتم النحاة بلغة الحديث، ولغة الأمثلة التي وضعوها قياساً على كلام العرب، وأهملوا لغة الأشال التي يعدت سيبويه أول من سلط الأضواء عليها تقريباً، ولغة الخطب والرسائل التي يعدت الجاحظ أول من جمعها ثم أخذ بها النحاة بعده. انظر الاحتجاج ١٦٦ وما بعدها.

في القرآن الكريم، من ذلك قوله: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال: أنا فطرثها، أي أنا ابتدأتها» (١).

ومن ذلك قوله: «ما كنت أدري ما قوله عز وجل: (وَبَدَأَ الْفَتْحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا) (٢) حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك! أي أحاكمك» (٣) ومما روي عنه مستدلاً بكلام العرب قوله: «لم أدري ما البغلة في القرآن، حتى رأيت أعرابياً، فقلت له: لمن هذه الناقة؟ فقال: أنا بعلمها، أي ربها» (٤).

ولم يقتصر الاستدلال عند ابن عباس على الشعر، وكلام العرب، بل تعتق بكلامهم بما أوتي من اهتمام باللغة، وغريبها، وإحاطة بلهجاتهم، ولفاتهم. فكثيراً ما كان يشير إلى لهجة من يستدل بكلامهم، ويغني باختلاف لهجاتهم، ولاسيما أن لغة القرآن الكريم بقراءاتها المتعددة ضقت لهجات العرب: من ذلك قوله في شرح كلمة (يَبْتَس) من قوله تعالى: (أَتَلُم يَبْتَسِ الْخَبِيثِ آمَنُوا) (٥): «يبتس في معنى (يعلم) لغة للفتح». (٦) وقوله في شرح كلمة (لهوا) في قوله تعالى: (لَوْ أَرَادْنَا أَنْ نَنخِذَ لَهُوَ لَاتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) (٧) «اللهو: الولد بلغة حضرموت» (٨) وقوله في شرح كلمة (بوراً) في قوله تعالى: (وَكَلَّمْنَا قَوْمًا بُورًا) (٩): «البور في لغة أزد عمان، الفاسد» (١٠).

(١) - غريب الحديث للبهروي ٣٧٣/٤ وانظر ٤٠١/٤، ٤٠٢ وانظر إيضاح الوقف والابتداء للأنباري ٧١/١-٧٢.

(٢) - الأعراف ٨٩/٧.

(٣) - جوهرة اللغة لابن دريد ٤/٢، إيضاح الوقف والابتداء للأنباري ٧١/١ ولسان العرب (فتح).

(٤) - جوهرة اللغة لابن دريد ٣/٣١٤.

(٥) - الرعد ٣١/١٣.

(٦) - معاني القرآن للفراء ٦٤/٢ والنخع: قبيلة من الأزد، وقيل: النخع قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النخعي. لسان العرب (نخع).

(٧) - الأنبياء ١٧/٢١.

(٨) - معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٠.

(٩) - الفتح ١٢/٤٨.

(١٠) - معاني القرآن للفراء ٣/٦٦. وانظر الوقف والابتداء ٧٣/١، وانظر المفصل في تاريخ النحو للحلواني ٨١.

واستدلاله باللهجات والإشارة إلى أصحابها لم يكن وليد اهتماماته اللغوية فحسب بل كان نتاجاً لعلوم كثيرة، فقد أشاع ابن عباس في الحجاز العناية بفريب اللغة، والقرآن الكريم، واهتم بالدراسات الفقهية للغة لأنه يهدف من ورائها فهم معاني القرآن الكريم، وتحديد دلالات الألفاظ، فنراه حيناً يُعنى ببيان جذر الكلمة، ووزنها، وحيناً آخر يُعنى بمعناها، ويسوق الأدلة الكثيرة على ذلك (١)، وقد يهتم في بعض المواضع بتفسير العبارة، وبيان مجازها، أو يوضح دلالة التركيب اللغوي، وغير ذلك من الطرائق التي تعينه على فهم الجملة القرآنية لإيصالها إلى المسلمين، وخاصة من يجلسون في حلقاته (٢)

أما عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فقد استدل بكلام العرب، وحاول الاستعانة بلهجات القبائل العربية، والإشارة إلى القبيلة التي تنطقها، من ذلك قوله تعالى: (قَمِنَ اتَّبِعَ هَدْيًا ٣٧) فقد قلب الألف في آخر الاسم المقصور عندما أضيف إلى ياء المتكلم، وكذلك قوله تعالى: (قَالَ يَا بُشَيْرُ ٤٧) وهذه لغة فاشية في هذيل، وغيرها أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم (٥) وقد ينفل الحضرمي ذكر اسم القبيلة إذا كانت اللهجة عربية شائعة، من ذلك أنه قرأ في سورة الفاتحة: (غِيورِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ٦٧) بضم الهاء، وإشباع ضمة الميم، وأشارته إلى أنها لهجة عربية معروفة (٧)

(١) - انظر معاني القرآن للفراء ١٢٣/٢، تفسير الطبري ١٢٩/١، إيضاح الوقف والابتداء للأبباري ٦٥/١، ٧٨٧٧.

(٢) - انظر معاني القرآن للفراء ١٧/٢، تفسير الطبري ١٦٠/١، إيضاح الوقف والابتداء ٦٣/١.

(٣) - البقرة ٣٨/٢.

(٤) - يوسف ٣٩/١٢.

(٥) - انظر المحتسب في شواذ القراءات لابن جني ٣٣٦٧٦/١.

(٦) - الفاتحة ٧/١.

(٧) - انظر المحتسب في شواذ القراءات لابن جني ٤٤/١.

أنا عيسى بن عمر فقد ترك كتابين (الجامع والكمال) ولأن سيبويه قد تلمذ لعيسى فهذا دليل على أنه تأثر به، ونقل عنه كثيراً من كلام العرب لاسيما أنه يذكر كثيراً من الآراء من غير أن يعزوها إلى أصحابها. وأثبت لنا سيبويه في الكتاب نصاً يوضح أن عيسى ينقل عن العرب كلامهم وأحاديثهم، يقول: «وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعلُ ذلك، في الجواب، فأخبرتُ يونس بذلك فقال: لا تُتبعِدَنَّ ذاً، ولم يكن ليروي إلا ما سمع.» (١)

أنا أبو عمرو بن العلاء راوية البصرة فإن عنایته باللفة فاقت عنایته بالنحو، فالتقول عنه تكاد تنحصر في المجال اللغوي، عدا آراء نحوية نراها في كتاب سيبويه تدلّ على ما كان يستنبطه من كلام العرب، وإن كنا لانجزم باتّباعها من لغة الحديث والتخاطب، من ذلك أنه يجيز: لا تَأْتِنَا فَتَشْتَكَا (٢) ويذهب إلى أنه إذا سقي رجل بالفعل الذي لوزنه شبه بأوزان الأسماء حشرف، وهو رأي الخليل ويونس (٣) وينقل عن العرب قولهم: يا أخانا زيداً (٤) وأما أنتَ منطلقاً معك، برفع (أنطلق) (٥)

وكان أبو عمرو قد أحاط بلفة العرب وحصل ذخيرة وافرة من دون شك، على الرغم من أن ما انتهى إلينا من كلام العرب لا يشكل إلا قلة قليلة، فأبو عمرو استوعب هذا القليل وأتقنه. ولعلّ في أخباره ما يدلّ على أنه عرف تفاصيل لغات العرب، ولهجاتهم، فهو يعرف لغة الحجاز، ولغة تميم، حين استدلّ بأبي المهدي الحجازي، والمنتجع التميمي، (٦) وعرف لغة جنّير، وأقاصي اليمن، وبين أنها

(١) - الكتاب ١٦٣.

(٢) - الكتاب ٤٠٣.

(٣) - انظر المصدر نفسه ٢٠٦٣.

(٤) - انظر المصدر نفسه ١٨٥/٢.

(٥) - انظر المصدر نفسه ١٠١/٣، والاحتجاج للخلعاني ١٤٥.

(٦) - انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٣٨.

تختلف عن عربيتنا آنذاك، وقد روى لنا بعضاً من كلام أهل اليمن (١).

ولم تسعفنا كتب النحاة للحديث عن عيسى، وأبي عمرو أكثر مما قدتنا؛ لكن الأمر يختلف عند يونس بن حبيب، فما نملكه يوضح لنا صورة الاستدلال بكلام العرب النثري. فحلقتة التي يوتها الأعراب الفصحاء معروفة، حتى إنه لم يكن يتردد في سؤالهم متى التقى بهم، متى جعل بعضهم يضيق ذرعاً بذلك؛ فروية (٢) موثوق الفصاحة عند يونس، ويعده أفصح من معد بن عدنان (٣)، وروية هذا ثار يوماً في وجه يونس، وقال له: «حتامٌ تسألني عن هذه البواطيل، وأزخرفها لك» (٤) وإذا نظرنا في كتاب سيبويه وجدنا أنّ يونس ينقل عن روية من ذلك قوله: «زعم يونس أنّ روية كان يقول: ما أحسن رأيتها (٥) ومنه قوله: «وزعم يونس أنّ روية كان يقول: يا زيدُ زيداً الطويل» (٦) وربما يكون قد بنى ذلك على بيت رجز له هو:

لقائل: يا نصرُ نصراً نصوا (٧)

وأجاز إعمال حرف الجرّ المحذوف، واستدل على ذلك بأن روية بن العجاج «إذا قيل له: كيف أصبحت؟» يقول: خير عافاك الله؛ أي بخير» (٨) ونقل سيبويه في مواضع كثيرة عن روية دون أن

(١) - انظر الخصائص لابن جني ٢٤٩/١، ٤١٦، وطبقات نحول الشعراء لابن سلام ١١.

(٢) - روية بن عبد الله العجاج بن روية التميمي السمدي (ت ١٤٥هـ) راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. أخذ عنه علماء اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بلانته في اللغة. مات في البادية وقد آمن. انظر الشعر والشعراء ٢٣٠، وفيات الأعيان ١٨٧/١، خزنة الأدب ٤٣/١.

(٣) - معد بن عدنان، من أحفاد إسماعيل جد جاهلي من سلسلة النسب النثري، كان النبي (ص) إذا انتسب فبلغ عدنان أسك وقال: «كذب النصابون»، انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٨ وما بعدها مصر ١٩٤٨، الاشتقاق لابن دريد ١١٩، تح: هارون، القاهرة ١٩٥٨.

(٤) - أخبار النحويين البصريين للسيراقي ٣٥ (كرنكر).

(٥) - الكتاب ٤٨٢.

(٦) - المصدر نفسه ١٨٥/٢.

(٧) - المصدر نفسه ١٨٥/٢-١٨٦.

(٨) - الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري المسألة ٥٧، ٣٩٤/١ مصر ١٩٦١.

يذكر اسمه أو اسم يونس، من ذلك: «وزعموا أنّ بعض العرب يقول: «شهر ثرى، وشهر ترى، وشهر مرعى، يريد: ترى فيه.» (١) وأظن أن سيبويه كان يقصد يونس بن حبيب حين يقول: «وزعم من نشق به أنه سمع روية يقول: هذا غلام لك ثقبلاً.» (٢).

ولم يكن اعتماد يونس على كلام روية فحسب، بل كان ينقل عن الأعراب الآخرين إذا وثق بفصاحتهم، وقد برز ذلك في مواضع متعددة من الكتاب؛ كقوله: «وزعم يونس أنها لغة كثيرة في العرب جيدة» (٣) و«حدثنا يونس أن قوماً يقولون» (٤). و«ومن ذلك قول العرب- فيما حدثنا يونس-» (٥)

(١)- الكتاب ٨٦/١، وانظر مغني اللبيب ٥٢٥ حيث نسبة الكلام إلى يونس ورؤية.

(٢)- الكتاب ١١٣/٢، وانظر الاحتجاج للخلعاني ١٤٥.

(٣)- الكتاب ٢٠٥/٢.

(٤)- المصدر نفسه ٤١٠/٢.

(٥)- المصدر نفسه ٤١٥/٢.

* تأثر النحاة بالفقهاء *

كتب للعراق بأن يكون سهداً للنحاة، ونقطة لالتقائهم بالأعراب القادمين من البادية العربية، وكان العراق آنذاك موثلاً للمؤثرات الثقافية من هندية، وفارسية ويونانية. وقد تأثر النحاة بهذه الثقافات في المراحل الزمنية المتأخرة، لاسيما تأثرهم بالمنطق الصوري، وذلك عن طريق الترجمة. إن التأثير بثقافة لا يعني الأخذ بها مطلقاً، وهذا ما جعل المتكلمين والفقهاء يهاجمون المنطق بعنف، لأنهم لم يجدوا فيه وسيلة تؤدي إلى الحقيقة، لذلك وضعوا أصولاً لهم تختلف عنه. وفي ذلك يقول ابن تيمية في المنطق اليوناني: «ما زال نظار المسلمين بعد أن عُرِّبوا وعرفوه يعيبونه، ويذمتونه، ولا يلتفتون إليه، ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية.» (١)

وفي جو كان الصراع فيه بين الثقافات محتدماً، لم يكن للنحو من بدٍ إلا أن يتأثر بغيره، على تباين بين الثقافات المؤثرة المحيطة به ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل تأثر النحو بالمنطق الصوري، أو لا؟

وقد رأى بعض المستشرقين (٢) أن بدايات النحو قد أخذت عن المنطق اليوناني، لكن الأدلة التي قُدمت اعتمدت الظن، وضعف الاستقراء، وسرعة الحكم؛ وفي مجملها ترى أن السريان درسوا كتاب أرسطو (العبارة) وترجموه، وأن ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) ربما يكون قد ساعد على إطلاع العرب على ما في اللغة الفهلوية من آثار (٣). وأن الخليل بن أحمد كان صديقاً لحنين بن إسحاق (١٩٤-٢٦٠هـ) وأنه

(١) - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ٣٣٣، مع النشر ط١ نقلأ عن الاحتجاج للحلواني ٣٢٥.

(٢) - منهم: دي بور، وسارثون، وجويدي.

(٣) - انظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام لدي بور ٥٥ ترجمة: محمد عبد الهادي ط١، ١٣٧٤هـ.

قد تبادل معه بعض القواعد النحوية؛ وإذا عرفنا أنّ الخليل قد توفي في (١٧٥هـ) وحنين بن إسحاق قد ولد (١٩٤هـ) أدركنا الروم الكبير في حجج هؤلاء المستشرقين إضافة إلى الخلط والمبالغة في استنتاجهم (١) والنحاة بدورهم كانوا يلازمون شيوخهم ويقروون الكتب عليهم، هذا شأن كلّ النحاة، ولا نعرف نحويّاً قد لازم عالم منطقي في المرحلة التي سبقت سيبويه. إضافة إلى أن النحاة الأوائل ينقلون كلام شيوخهم، ولو كان أحدهم على صلة بأحد المناطق لكانت كُتُبُ النحو قد أشارت إلى ذلك بشكل صريح لا لبس فيه.

وهذا ما يدفعنا إلى القول: إنّ النحو العربي لم ينهل من المنطق اليوناني، في مراحل الأولى التي سبقت سيبويه على الأقل.

ولم تكن علاقة النحو بعلم الكلام، والفقهاء كعلاقته بالمنطق آنذاك، فعلم الكلام انتشرت حلقاته في وقت مبكر في حياة المسلمين حتى إنّ بعض الفقهاء الأئمة بدأوا حياتهم انطلاقاً من علم الكلام ثم تحولوا منه إلى الفقه، وعرض على بعضهم القضاء (٢). وعلماء الكلام وقفوا على آراء المناطق مبكراً واطَّلَعُوا على طرائق استدلالهم التي رأوا فيها نقصاً وعبوياً، فخالفوها، حتى استوت لهم أصولهم الخاصة بهم وهي تختلف عن أصول المناطق في فهم القياس، والعلة (٣) فالتقارب كان بين علم الكلام والفقهاء، بعيداً عن التأثير المباشر بالمنطق، لاستيما في القرنين الأول والثاني الهجريين.

(١) - انظر في ذلك: ضحى الإسلام لأحمد أمين ١/٢٩١، في اللغة والأدب لإبراهيم مذكور ٤٥،٤٤ سلسلة اقرأ، مصر، النحو

العربي وسنطق أرسطو لعبد الرحمن العجاج صالح ٧٢.

(٢) - منهم الإمام أبو حنيفة (٨٠-١٥٠هـ).

(٣) - انظر الاحتجاج للحلواني ٣٣٩.

وقد تأثر النحو بعلم الكلام تأثراً مباشراً، لأن المتكلمين انتشرت حلقاتهم في كل المساجد، ومجالس الأسراء والحكام، إضافة إلى أن بعض النحاة شاركوا في علم الكلام، فقد عرف عن الكثيرين منهم الاعتزال، والخوض في مناظراته، ومتابعة مسائله (١) وليس شرطاً أن يكون النحويّ من المعتزلة حتى يتأثر بطرق استدلال علماء الكلام، فالخليل بن أحمد تأثر بالمتكلمين عن طريق الفقه ورجال أشال أبي حنيفة، وظهر هذا التأثير من خلال عنايته بالعلّة والقياس، وبالجدل أحياناً.

أما الفقه فقد كان أثره كبيراً في النحو، منذ بدايات نشأة النحو، لأن نظرة النحاة إليه كانت نظرة خاصة فقد وجدوا فيه تجسيدا لعلم أصيل في الحياة الإسلامية وعدتوا النحو علماً تابعاً للفقه، يخدمه ويوسع دائرته، الأمر الذي دفعهم إلى الاهتمام به: فعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي نجده يأخذ بالافتراض طريقاً للاستدلال، على غرار افتراض الفقهاء، ليستخدمه في قياسه؛ من ذلك ما جاء في كتاب سيبويه: «فإن سقيت المؤث بل عمرو) أو (زيد) لم يجز الصرف، هذا قول ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو، فيما حدثنا يونس، وهو القياس» (٢) فهو يفترض أن يطلق أحد من العرب على ابنته اسم زيد أو عمرو، وهذا ما لم يحدث عند العرب فيما سمعنا، لكنّه عند الفقهاء جائز، فقد أخذ بهذا الافتراض وبنى عليه من خلال أقبسة اللغة متجاوزاً ما هو شائع في المحيط العربي.

أما عيسى بن عمر الثقفي فقد تأثر بالجوّ الفكري الذي أحاط به، شأنه في ذلك شأن سائر علماء عصره، ولم يكن في معزل عن الدراسات الفقهية التي تطوّرت، وأخذت أبعادها الواسعة في ذلك العصر، وهذا ما أظهره ملامح فقهية في تناولاته النحوية، الأمر الذي يدلّ على أنّ ابن عمر قد تابع مسيرة أستاذه الحضرمي في إبراز رأيه، والدفاع عنه محاطاً بنظرة قياسية نافذة. وأظنّ أنّ معاصرته

(١) - منهم لطرب (٢٠٦هـ) والفرام (٢٠٧هـ) والسيرافي (٣٦٨هـ) والفراسي (٣٧٧هـ) والرتاني (٣٨٤هـ) وابن جني (٣٩٢هـ) والزبخري (٥٣٨هـ).

(٢) - الكتاب ٢٤٢/٣.

لأبي حنيفة صاحب مذهب الرأي، والتأويل، واستخدام القياس والجدل في فقهه، وفتاواه، إضافة إلى أن المناخ السائد في البصرة آنذاك، والصراع بين الفرق الإسلامية المتعددة من شيعة (١)، وخوارج (٢)، ومرجئة (٣)، ومعتزلة (٤)، وأهل السنة (٥)، كان لهما الأثر الكبير في تكوّن شخصيته العلمية التي نهلت من المنابع النحوية والفقهية.

ويظهر تأثر عيسى بن عمر بالفقهاء، وطرق استدلالهم بما يفترضه من مسائل، وبما بينه على هذه الافتراضات من أحكام، وهذا شأن الفقهاء الذين يفترضون أشياء قد تكون بعيدة عن الواقع ليحيبوا عنها؛ من ذلك افتراضه أنك إذا سقيت رجلاً بالفعل ضربت، أو ضارب، أو ضارب، ويجب عن افتراضه هذا، ويعطي حكمه، ويقول: إن الاسم في هذه الحال يكون ممنوعاً من الصرف. وذهب أبو عمرو، ويونس، وسيبويه إلى صرف هذا الاسم؛ لأن وزنه غير مختصّ بالفعل (٦) وافترض افتراضاً آخر عندما سقي امرأة ب (عمرو)، وحكم بأنه ينصرف لأنه أخفّ الأبنية، فقد جاء ثلاثياً ساكن الوسط، وقد خالف بذلك أستاذه الحضرمي كما مرّ معنا (٧)، ومن مظاهر تأثره بالفقهاء كذلك ترجيح النص الصحيح على كل قياس، أو اجتهاد، وهذا أمر فقهي، إذ إن الفقهاء يبطلون كل قياس واجتهاد أمام

(١) - الشيعة لغة: الفرقة والجماعة. قال تعالى: (شَرُّ لِلظَّالِمِينَ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ يُشْفِقُونَ عَلَيْهِمُ الْوَاحِشُونَ) مريم/٦٩ والشيعة هم الأتباع والأنصار، والشيعة اصطلاحاً: فرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حبّ عليّ (رض) واله، وأحقيتهم بالإمامة. انظر المعجم الوسيط ٥٠٣/١.

(٢) - الخوارج: فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا على الإمام عليّ (رض) وخالفوا رأيه. انظر المعجم الوسيط ٢٢٥/١.

(٣) - المرجئة: فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء، بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة. ومن أقوالهم: إنه لا يضرم مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة. انظر المعجم الوسيط ٣٢٩/١.

(٤) - المعتزلة: فرقة من المتكلمين يخالفون أهل السنة في بعض المعتقدات، على رأسهم أصل بن عطاء الذي اعتزل بأصحابه حلقة الحسن البصري. انظر المعجم الوسيط ٥٩٩/٢.

(٥) - أهل السنة: هم القائلون بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن استحقاق ويقابلهم الشيعة. انظر المعجم الوسيط ٤٥٦/١.

(٦) - انظر الكتاب ٢٠٦/٣.

(٧) - انظر المصدر نفسه ٢٨١، ٢٤٢/٣.

صحة نصّ من النصوص؛ من ذلك ما جاء في الكتاب من أنّ عيسى بن عمر زعم «أنّ ناساً من العرب يقولون: إذن أفعلُ ذاك في الجواب. فأخبرتُ يونس بذلك فقال: لا تُبعدنّ ذا. ولم يكن ليرويّ إلا ما سمع، جعلوها بمنزلة هَلْ، وبِلْ» (١) فقد رجّح ما نصّت عليه العرب على كل قياس.

أمّا أبو عمرو بن العلاء فقد كانت البصرة آنذاك ملتقى تيارات فكرية عديدة، فالفقهاء لهم حلقاتهم، وأفكارهم، وأشباعهم، وكذلك علماء الكلام، والمناطقية، إضافة إلى خليط من الناس يتكوّن منه نسيج هذه المدينة. ولم يكن ابن العلاء بمنأى عن هذه التيارات، وهو العالم العارف الذي التفت الناس حوله لما أوتي من علم، وفضل، وقد عاصر آنذاك أبا حنيفة النعمان (٢)، وعمرو بن عبيد المعتزلي (٣)، وحاورهما.

وقد مال أبو عمرو في مذهبه الديني إلى المرجئة (٤)، وتكلّم على القضاء، والقدر، والعدل، والتوحيد، وقال: «أشهد أنّ الله يضلّ ويهدي، والله مع هذه الحجة على عباده» (٥)

(١) - المصدر نفسه ١٦٣/٣، ٣١٩/٢.

(٢) - هو النعمان بن ثابت التيميّ بالولاء، الكوفي (٨٠-١٥٠هـ) أبو حنيفة، إمام الحنفيّة، الفقيه، المجتهد، المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند السنة، فارسي الأصل، ولد ونشأ بالكوفة، مات سجيناً لرفضه القضاء ورعاً، وقال فيه الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. انظر تاريخ بغداد للبغدادي ١٣/٣٢٣-٤٢٣، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٣/٢.

(٣) - هو عمرو بن عبيد بن باب التيميّ بالولاء، البصري (٨٠-١٤٤هـ) شيخ المعتزلة في عصره، كان فقيهاً، وأحد الزهاد المشهورين. انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/١٦٦-١٨٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٨٤.

(٤) - انظر مراتب النحويين لأبي العليّ الطيّب اللخميّ ١٢.

(٥) - طبقات القراء لابن الجزري ١/٢٩١.

فمن خلال الحوار الذي دار بين أبي عمرو، وبين عمرو بن عبّيد المعتزلي يظهر لنا مذهبه، وقوله بالإرجاء بشكل واضح، كما يظهر لنا احتكاكه بأعلام الفرق الإسلامية، ولابته لهذا الاحتكاك من أن يخلق تأثيراً بهذه التيارات؛ فقد ذكر أنّ عمرو بن عبّيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء، وقال له: «يا أبا عمرو، أخلف الله وعده؟ قال: لا، قال: أفرايت من وعده الله على عمله عقاباً يخلّف وعده فيه؟ فقال له أبو عمرو: أمّ العجّة أتيت أبا شعان، إن الوعد غير الوعيد، إنّ العرب لا تعدّ عاراً، ولا خلفاً، والله عزّ وجلّ إذا وعد وفى، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرمًا وتفضلاً» (١).

وكان الافتراض أحد الأصول النحوية عند أبي عمرو، وقد أخذ به متأثراً بالفقهاء، وكان عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر قبله قد تأثراً بذلك في الدرس النحوي.

فقد كثر الافتراض في فقه أبي حنيفة، وتأثر به أبو عمرو؛ ذلك أنّ الجواب على الافتراض لا يعتمد نصّاً أو أثراً، بل يأخذ بالاجتهاد، والرأي أساساً أصيلاً؛ ومن افتراضه أنه سأل أبا حنيفة مرة «عن رجلٍ ضرب رأس آخر بصخرة عظيمة، لا ينجو منها من ضرب بها» (٢). وقد انعكس هذا المذهب الفكري على تناولته النحوية، وظهر الافتراض في بحث المنوع من الصرف بشكل خاص؛ من ذلك افتراضه أنك سقيت رجلاً بفعل الأمر (ضارب)، أو بالفعل الماضي (ضارب) أو (ضرب) فإن ينصرف لأنه جاء على صيغةٍ مشتركة بين الأفعال، والأسماء، وليست خاصة بأوزان الأفعال. «وإن سقيت المونث بـ (عمرو) أو (زيد) لم يجز الصرف» (٣).

(١) - إنباه الرواة على أنباه النحاة للقطعي ١٣٣/٤.

(٢) - المصدر السابق ١٣٢/٤.

(٣) - الكتاب ٢٤٢/٣ وانظر ٢٠٦.

رأينا أنّ الافتراض كان نتاجاً لتأثير أبي عمرو بالمعتزلة، وبأبي حنيفة، ومعاصرته لكثير من الفرق الإسلامية، وتياراتها المتشعبة، وكذلك القياس؛ فقد كثر القياس النحوي عنده، وبرز تأثيره الواضح بالقياس الفقهي، والكلامي؛ من ذلك أنّه يوجب البناء في تابع المنادى المضاف إذا كان مفرداً، نحو: يا أخانا زيد، قياساً على عكسه، وهو قولك: يا زيد أخانا، وفي ذلك يقول سيبويه: «وقال قوم: يا أخانا زيد. وقد زعم يونس أنّ أبا عمرو كان يقوله، وهو قول أهل المدينة، قال: هذا بمنزلة قولنا: يا زيد، كما كان قوله: يا زيد أخانا بمنزلة: يا أخانا، فيجعل وصف المضاف إذا كان مفرداً بمنزلة إذا كان منادى» (١) ومن ذلك أنّه يجيز في الضرورة الشعرية نصب العلم المفرد إذا كان منادى منوناً، نحو: يا عدنيا، وبما مطراً قياساً على العلم المنوع من الصرف إذا كان منوناً في ضرورة الشعر، نحو: بعثان، ومن مروان (٢) وهو بهذا النهج يُظهر تأثيره بطرق الاستدلال عند الفقهاء، وغيرهم؛ فالافتراض الذي يعتمد الرأي والاجتهاد، وكذلك القياس يكشفان أثر المذاهب الفكرية المختلفة في معالجات أبي عمرو بن العلاء النحوية.

وظهر تأثير النحاة باستدلال الفقهاء قبل سيبويه أكثر ما ظهر في القياس والعلّة، ثم تطوّرت أخذهم عن الفقهاء عند سيبويه، ومن جاء بعده؛ فأخذوا عنهم الاستحسان، والقول بالموجب، وغيرهما (٣) من طرق الاستدلال الفقهيّة التي غزت أدلّة النحاة بشكل كبير. وقد مرّ معنا سابقاً في حديثنا عن القياس والعلّة في طرائق الاستدلال عند النحاة قبل سيبويه ما يفني عن التكرار.

(١) - الكتاب ١٨٥/٢.

(٢) - انظر المفتض ٢١٣/٤.

(٣) - كالسبر والتقسيم، والاستدلال بالأولى، والأصل والفرع، وسراعاة النظير، واستصحاب الحال. انظر مع الأدلّة لابن الأنباري ١٢٧ وما بعدها والاحتجاج للحلواني ٣٨٧.

* قواعد الاستدلال عند النحاة *

بحث فيما سبق طرائق الاستدلال بشكل عام، ونظرت إلى الأمر نظرة شمولية سلطت فيها الضوء على طرائق الاستدلال، ومصادره، ومدى تأثير النحاة بالفقهاء، وعلماء الكلام؛ وقصدت من ذلك أن أسهّد السبيل لبحثي لأصل إلى نقاط التقى فيها النحاة مع الفقهاء، أو المناطق، أو علماء الكلام، وربما التقى الجميع في بعض النقاط، وأخذوا عن بعضهم، تأثراً وتأثيراً.

وقواعد الاستدلال خمسة بينها نوع من التكامل، وهي تصل بالنحوي إلى ما يريده من صحة الاستدلال ودقته، وهي: زمانية، ومكانية، وشخصية، ومن يؤخذ عنه، وما يؤخذ به.

١ - النحاة والقواعد الزمانية:

لم يول النحاة القديما القواعد الزمانية أهمية تساوي أهمية المكان، ويظهر ذلك في أنهم لم يحددوا الزمان تحديداً دقيقاً، ولم يتعرضوا للفترة التي يصح الاستدلال بلغتها. وتبدأ مرحلة الاستدلال من القرن الرابع قبل الهجرة في عهد جذيمة الأبرش، والزيتاء وأعصر بن سعد (١) حيث استدل العلماء بلغة أهل البادية، حتى فسدت لغتهم؛ (٢) أي أن زمن

(١) - انظر الكتاب ٥١٧/٣، والخصائص ١٨٢/٣، ولوضع المسالك ٣٣٧/١ مصر ١٩٥٦م.

(٢) - ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي ت ٩٢٦ هـ، مادة (عكد) أن أهل عكاد بالقون على فصاحتهم من الجاهلية إلى اليوم، ثم جاء صاحب القاموس المحيط ت ٨١٧ هـ وأكد ذلك، ثم جاء المرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ في شرحه للقاموس مضيئاً كلمة (إلى الآن). انظر في ذلك المراجع الثلاثة المذكورة.

الاستدلال بلغ ثمانية قرون تقريباً تتراوح بين الفزارة، والقلة؛ حيث نرى بعض المتأخرين كابن جني يأخذ بكلام أعرابي من عقيل هو الشجري محمد بن العساف (١) وفي الوقت الذي تقلّ فيه مادة الاستدلال في بداية الفترة الزمنية التي يُستدلّ بلفظها، ونهايتها، نرى أنها تكثرت في وسطها، لاسيما في العصر الإسلامي، وما يرويه الأعراب آنذاك من أشعار القدماء.

ولم يختلف علماء العربية نحاة ولفويين على صحة الاستدلال بكلام العرب الجاهليين الذين لم يدركوا الإسلام، والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، أما الإسلاميون الذين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً فقد اختلف في صحة الاحتجاج بكلامهم، وذهب عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب إلى جواز الاستشهاد به (٢)

وقد قبل علماء العربية الاستدلال بأقوال عرب الجاهلية، وفصحاء الإسلام، سواء أكانوا مقن أقاموا في الحواضر أم البوادي، حتى منتصف القرن الثاني الهجري. أتأ لفة الشعر فقد قسم علماء العربية الشعراء أربعة أقسام: شعراء جاهليين، ومخضرمين، وإسلاميين، ومحدثين يبدؤون ببشار بن برد (ت ١٦٧ هـ) (٣)

وقد ضمت فترة الجاهلية أربعة قرون كما أشرت، استدلتّ فيها علماء العربية بلفظ التغاطب والأمثال، والشعر في عهد جذيمة الأبرش (٤) والزبّاء (٥) وأعصر بن سعد (٦)

(١) - انظر الخصائص لابن جني ٢٦٢/٢.

(٢) - انظر خزنة الأدب للبغدادي ٢٠٠/١.

(٣) - انظر الاقتراح للسيوطي ٣٢.

(٤) - جذيمة الأبرش أو الوضّاح، ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، قتلته الزبّاء بغدعة نحو ٣٦٦ ق.هـ تاريخ الإسلام ٣٢٢/١.

(٥) - الزبّاء بنت عمرو بن الظرب صاحبة تدمر، وسلطة الشام والجزيرة ت ٣٥٨ ق.هـ انظر الأملام ٤١٢/٣.

(٦) - منبه بن سعد بن قيس عيلان، ولقبه (أعصر) وهو أبو القبائل: باملة، وغني، والطفافة. وهو القاتل:

قالت عميرة ما لوأسك بعدما فقد الشباب أتى بلون منكرو

أعمير إن أمالك غير لونه كزّ الليالي واختلاف الأعصر

فلهنا البيت مني أعصر، وقوم يقولون: يعصر وليس بشيء. انظر معجم الشعراء للمزرياتي نج: عهد السار فراج ٤٣٢، وانظر

الخصائص ٨٩٦/٢، ١٨٢/٣، وانظر جمهرة الأنساب لابن حزم ٢٢٣.

وانتقل النحاة في استدلالهم بهذه الفترة الزمنية إلى فترة تعود إلى مئة وخمسين عاماً قبل الهجرة، وهي الفترة التي عاش فيها المهلهل (ت. نحو ١٠٠ ق.هـ.)، وأسرؤ القيس (ت. ٨٠ ق.هـ.)، وطرفة بن العبد (ت. نحو ٦٠ ق.هـ.)، وعبيد بن الأبرص (ت. نحو ٢٥ ق.هـ.) فاستدلوا بشعر هؤلاء على تفاوت بينهم، ولعل هذا التفاوت يعود إلى الرواة الذين نقلوا كثيراً من شعر اسرئ القيس مثلاً، وأقلوا من شعر المهلهل. ثم تأتي فترة لاحقة من شعر الجاهلية، حيث غزرت المادة المستدل بها لأنها أقرب زمناً إلى عصر تقييد النحو، ومن أعلام هذه الحقبة نرى النابغة (ت. نحو ١٨ ق.هـ.)، وزهيراً (ت. ١٣ ق.هـ.) والأعشى (ت. ٧ هـ.) وهو من أكثر شعراء الجاهلية الذين استدلّ بشعرهم النحاة، ولبيداً (ت. ٤١ هـ.) والحطيئة (ت. ٤٥ هـ.)، وغيرهم كثير.

وبعد ذلك تأتي حقبة زمنية أخرى هي المرحلة الإسلامية، بما فيها من شعراء كبار ففي هذه المرحلة، كان تركيز النحاة بشكل عام على شعراء العصر الأموي أكثر من غيرهم، ولعلّ شعراء تعميم نالوا قسطاً أوفر مما ناله غيرهم من الشعراء، لاسيما العجاج عبد الله بن روية (ت. ٩٠ هـ.)، وجريير (ت. ١١٠ هـ.)، والفرزدق (ت. ١١٠ هـ.)، ورؤية بن العجاج (ت. ١٤٥ هـ.).

وقد أخذت المرحلة اللاحقة بالضعف تدريجياً، فالشعراء المخضرمون بين الدولتين، الأموية والعباسية لم يسعفوا النحاة بشعرهم، ولم يقدتروا ما يُذكر مقارنة مع غيرهم، ولعلّ ابن هريرة (ت. ١٧٦ هـ.)، والحسين بن مطير (ت. ١٦٩ هـ.)، كانت لهم مساهمات في استدلال النحاة بشعرهم، إنما كانت المساهمات بسيطة، إذا ما قورنت مع مَنْ مرَّ ذكرهم فيما سبق أمثال الفرزدق وغيره.

ولم تكن مرحلة الحدائث واضحة بشكل جليّ لدى علماء العربية، نلّس ذلك من الاضطراب الذي نراه عند النحاة؛ فنحويّ يستدلّ ببيت من الشعر فيما يراه غيره من النحاة غير صالح للاستدلال به،

وقد يخالف تلميذ أستاذه في استدلاله بشعر شاعر، حتى إن بعض النحاة يضطربون في آرائهم في حديثهم عن الاستدلال بشعر شاعر واحد.

فمن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء أستاذ الأصمعي لم يعتد بشعر الفرزدق، وجريير، والأخطل، وعتهم من المحدثين (١) واستدل أبو عمرو بن العلاء بشعر عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ) الذي عاصر الكعبية بن زيد الأسدي (ت ١٢٦ هـ)، والطرتاح بن حكيم (ت ١٢٥ هـ)، فيما عدت الأصمعي - وهو تلميذ أبي عمرو بن العلاء - الكعبية، والطرتاح من المولدين الذين لا يحتج بشعرهم (٢) وكذلك عدت الأقيشر الأسدي المغيرة بن عبد الله (ت. نحو ٨٠ هـ)، والقحيف العامري مولدين غير فصيحين (٣). وفي موضع آخر يقول الأصمعي: «ختم الشعراء بأبن هزمنة، والحكم بن معمر الخضري (ت. نحو ١٥٠ هـ) وابن ميادة، وطفيل الكنانة (ت. ٨٢ هـ)» (٤) وهؤلاء الشعراء كلهم جاؤوا بعد الأقيشر الأسدي، والقحيف العامري، فكيف يُحتج بشعر جاء أصحابه بعد شعراء لم يحتج بشعرهم؟

وقد حاول النحاة تحريمي الدقة قدر المستطاع، ولم يكن بمقدورهم أن يسمعوا من الشعراء القدماء، لذا لم يكن لهم بد من أن ينقلوا عن الرواة الأعراب قصائد الجاهليين، معتمدين من بقي من فصحاء العرب آنذاك ممن لم تفسد لغتهم، وقد لمسنا ذلك من خلال عناية النحاة قبل سيبويه بإنشاد الأعراب للشواهد.

(١) - انظر البيان والتبيين للجاحظ ٣٢١/١ تح: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٩م، وانظر الأغاني ٢٨٥/٨. تصور عن طبعة دار الكتب، مصر بلا تاريخ.

(٢) - انظر الموشح للمرزباني ٣٠٢، ٣١٥. تح: البجلوي، القاهرة ١٩٦٥.

(٣) - انظر المصدر نفسه ٣٤٥-٣٤٦.

(٤) - الأغاني ٣٧٣/٤ (دار الكتب)

وتضعنا هذه الظاهرة -ظاهرة الأخذ عن الرواة- أمام ملمح جديد من ملامح اللفظة آنذاك، وهو أن القصائد والأشعار نُقلت عن الرواة، واعتمد إنشاد الرواة في عملية الاستقراء، وهذا يعني أنّ اللفظة التي تمّ استقراؤها حينئذ هي لفة العرب في الإسلام.

وهذا لا يفهم منه أنّ لفة العرب في العصر الإسلامي هي غير لفة الجاهلية، إنما يفهم منه أنّ ثمة تطوراً في الأصوات، والدلالات لحقّ اللفظة آنذاك، أمّا بنية الجملة العربية وتركيبها فلم يطرأ عليها أيّ تطور يُذكر، وانطلاقاً من مبدأ التطور الذي سبق ذكره، ربما يكون قد لحق بعض الأبيات تغيير ما، لأنّ الأعراب كانوا يتكلمون، وينشدون كما اعتادوا على لحن قبيلتهم، أو يبدلون لفظاً بلفظ، كما حدث في القراءات القرآنية حين يقرأ حافظ القرآن بعض القرآن بلفظ قبيلته من دون أن يُعنى المعنى، كمن قرأ: **إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكُوْثِرَ** (١) بلفظة من يبدلون النون بالعين. (٢) ومن ذلك ما ذُكر من أن «عيسى بن عمر قال: سمعت ذا الرقة ينشد:

وظاهرٌ لها من يابس الشَّخْتِ وأستعين عليها الصَّبَا واجعل يديك لها ستراً

فقلت: أنشدتني: من يابس. فقال: يابس وبائس واحد» (٣) وهنا نرى أنّ ذا الرقة يبدل كلمة بكلمة على الرغم من قصر الزمن معيّناً ذلك بأن المعنى واحد، فكيف الأمر في شعر نقله الرواة من قرون طويلة؟.

وعزل النحاة في احتجاجهم -كما رأينا- على شعراء ما قبل الهجرة بقرن ونصف تقريباً، وشعراء العصر الإسلامي، والأموي، وبداية العصر العباسي بشكل عام، وجعلوا هذه الفترة ركيزة أساسية فيما أخذوه عن الرواة بعد أن رأينا قلّة ما وصلهم من القرنين الثالث والرابع اللذين سبقا الهجرة النبوية الشريفة.

(١) - الكوثر ١٠٨/١.

(٢) - هي قراءة الحسن وطلحة، وابن محبسن، والزرعزاني، وهي على ما قال التبريزي لفة العرب العرباء من أولى قريش وذكر غيره أنها لفة بني تميم، وأهل اليمن. انظر روح المعاني للألوسي ٣٠/٢٤٤.

(٣) - الأغاني ٤/٣٧٣. (دار الكتب).

أما لغة المرحلة العباسية -إذا استثنينا منها بداية العصر العباسي- فقد كان موقف النحاة منها مضطرباً؛ ذلك أنّ اللغة قد فسدت، ممّا أبعد النحاة عن الثقة بها بعد أن انفتحت الدولة الإسلامية على الأمم الأخرى، والثقافات المتعددة، وحصل التأثير والتأثير اللذين فرضتهما الظروف الجديدة التي أحاطت بالعرب والمسلمين (١)

ولعلّ الأسباب التي جعلت التقسيم الزمني أقل دقة من التقسيم المكاني تعود بمجملها إلى طبيعة هذا التقسيم، ذلك أن الزمان ليس لحظة واحدة يقاس عليها الشعر، بل قد يمتد الزمان في حياة شاعر مدة قد تقارب القرن إلا قليلاً، كابن هرمة المولود سنة ٩٠ هـ، والمتوفى سنة ١٧٦ هـ، فإذا كانت حدود الاستدلال الزمانية تقف عند حدود ١٥٠ هـ معنى ذلك أننا سنحتج بجزء من شعر ابن هرمة، ونردّ جزءاً آخر من شعره بدعوى عدم فصاحته، وهذا مالا يقبله عقل ولا منطق، هذا الوضع خلق غموضاً في التقسيم الزمني، وتداخلاً دفع النحاة ليعيروا التقسيم المكاني أهمية أكبر (٢)

(١)- انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ٣/٣٨٠. وما بعدها.

(٢)- انظر الاحتجاج للحلواني ٢٤٣.

٢- النحاة والقواعد المكانية:

تشدد النحاة في القواعد المكانية؛ لأنها تقوم بمجملها على تحريم الفصاحة العربية، وقد انصب اهتمامهم بشكل خاص على أواسط الجزيرة العربية، وبأديتها التي تشمل نجداً، وتهامة، والحجاز، وما جاورها، ولم يعيروا مدن الدولة الإسلامية آنذاك أي اهتمام، هذا إذا كانت اللغة الفصيحة غاية لهم.

أما إذا كانوا يتقصّون لغة الشعر المثالية فإنهم يولون شعراء المدن أحياناً بعض الاهتمام كشعراء مكة ويشرب، وهذا ما جعلهم يحتجون بشعر عمر بن أبي ربيعة، وابن قيس الرقيات، وغيرهما.

ولم ينظر النحاة إلى الشعراء نظرة واحدة على الرغم من أنهم عاشوا في عصر واحد. فهم لم يحتجوا بشعر من عاش في المدينة كالوليد بن يزيد، ومروان بن أبي حفصة، وبشار بن برد، إلا إذا كان وافداً من البادية، حيث تشفع له فصاحته التي لم يخالطها ضعف، ولافساد، لذلك فهم يستدلون بشعر جرير، والفرزدق، والأخطل، وروبة، والعجاج، وهم من شعراء القرنين الأول والثاني.

وثمة أمر آخر يتسم به الاستدلال في تلك الفترة، وهو وقوف النحاة عند الشعر الذي يقوله شعراء المدن، ورذمهم للغة الخطابة، ولغة التخاطب بينهم. وتعليل ذلك أنّ رواية الشعر أكثر دقة من رواية النثر، وشعراء المدن في قصائدهم يحاولون النسيج على منوال فنون الشعراء القدماء، وتقليد لغتهم المثالية، وهذا ما خلق لغة شعرية سليمة امتدت قروناً طويلة لم يخالطها ضعف، ولا وهن، كما خالط لغة النثر، وكلام الناس.

ومن جهة ثانية فقد نقلت لنا أخبار كثيرة اهتمام النحاة بلغة البادية؛ من ذلك أن عيسى بن عمر الشقفي ينكر على أبي عمرو بن العلاء أن يجيز: ليس الطيب إلا المسك، ويلجأ أبو عمرو إلى أعرابيين يحتكم إليهما ليقنع عيسى بن عمر (١). ومنه أن أبا عمرو بن العلاء سعى وراء الأعراب في البادية، فأخذ عن «أشياخ العرب، حرشة الضباب في البلاد الكلدان، وجناة الكعأة في مغاني البداة» (٢) وفي مكان آخر نرى أنه عندما سئل عن اشتقاق اسم الخيل، وعجزاً عن أعرابيٍّ مُحرمٍ «فأراد السائل سؤال الأعرابي، فقال له أبو عمرو: دعني فأنا أطف بسؤاله وأعرف، فسأله، فقال الأعرابي: اشتقاق الاسم من فعل المستقى، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال: ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل، والعُجْب، ألا ترها تمشي العرِضنة خيلاء وتكُتراً» (٣). فأبو عمرو يسأل أعرابياً مُحرمًا، وهو في مكّة موطن قريش، وهذا يدلّ على أنه لا يثق بكلام أهل مكّة، وإنما يثق بكلام الأعراب دون غيرهم، وإذا عرفنا أن وفاة أبي عمرو كانت سنة ١٥٤ هـ أدركنا ملامح الصورة التي لا يحتج فيها بكلام أهل المدن (٤).

وقد اعتمد النحاة لغة البداة تتبعاً للغة السليمة، فيونس بن حبيب وهو كثير الرواية عن أبي عمرو معجب بروية والفرزدق، يعتمد لغة العرب في استدلاله وسوق حجته (٥) ويتبعه في ذلك الخليل (٦).

(١) - انظر طبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٣٨.

(٢) - رسالة الففران للمعري ١٦٩.

(٣) - طبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٢٩.

(٤) - انظر المصدر نفسه ٣٤.

(٥) - انظر الكتاب ١/٣٤٧، ٢/٣٣٧، ٣١٩، ٢٠٥، والاشتقاق لابن دريد ١١٩، تح: هارون ١٩٥٨ م.

(٦) - انظر الكتاب ٣/٣٣٥، وانظر نزهة الألباء للأنباري ٤٦، تح: أبو الفضل، القاهرة ١٩٦٧ م.

ولم يختلف علماء العربية، نحاة ولغويين في أنّ اللغة الفصيحة تؤخذ من أهل البادية، وكلما كان الأعرابي موعلاً في البداوة كان إلى سلامة اللغة أقرب، وهذا ما جعل أحدهم يفاخر بأنه يأخذ اللغة عن الأعراب البواليين على أعقابهم (١)، وغيره يفاخر نحاة الكوفة بقوله: «إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد، أكلة الكواميخ، والشواريز» (٢)

كلّ ذلك لأن النحاة في قواعدهم المكانية التي وضعوها لاستدلالهم، قصروا أخذهم على لغة أهل البادية خلال قرون عديدة، وكان هذا الاستدلال كفيلاً بتكوين قاعدة للنحاة المتأخرين الذين لم يضيفوا شيئاً يذكر على ما وضعه أسلافهم.

وكان الدافع الذي ساق النحاة للاستدلال بكلام البداوة هو انعزال هؤلاء الأعراب في صحراتهم، ويُعدهم عن الاختلاط بالأمم المجاورة. ومما لاشكّ فيه أنّ البعد عن المؤثرات الوافدة من الأمم الأخرى يُبعد اللغة عن الفساد، ويجعلها أكثر محافظة على أصالتها، الأمر الذي دفع النحاة إلى الأخذ عن «كان في أواسط بلادهم، ومن أشدهم توحشاً وجفاءً، وأبعدهم إذعائاً وانقياداً، وهم قيس، وتميم، وأسد، وطيتي، ثم هذيل. فإنّ هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب، وأما الباقيون فلم يؤخذ عنهم شيء».

(١) - انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٩٤.

(٢) - الفهرست لابن النديم ٩٢، ولخص ابن جني فكرة المقارنة بين لغة البادية، ولغة الحاضرة معللاً ضعف لغة أهل المدن بسبب ما عرض لها «من الاختلال، والفساد والخلل، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للفتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الدير، وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الدير ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالتها، وانتفاض عادة الفصاحة، وانتشارها، لوجب رفض لغتهم، وترك تلقّي ما يرد عنها»، ثم نراه يفرد باباً خاصاً عن (اختلاف اللغات وكلها حجة) وقد وقف في ذلك عند لغة أهل الدير قاصراً أمثله عليها. ومن ذلك ما عرضه الجاحظ من أن النحاة إذا رأوا أعرابياً يعرف كلام الأعاجم «ببهرجوه»، ولم يسمموا كلامه، لأن ذلك يدلّ على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة، وتنقص البيان، «الخصائص ١٠٥/٢، وما بعدها وانظر البيان والتبيين للجاحظ ١٦٢/١-١٦٣.

لأنهم كانوا بأطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم من الحبشة، والهند، والفرس، والسريانيين، وأهل الشام، وأهل مصر» (١)

وفي مجال آخر حدث النحاة المتقدمون دائرة عملهم، فأبرزوا القبائل التي استدلوا بلفتها وما يتفرع عنها من بطون وأفخاذ، وقد شملت هذه الدائرة القبائل التي عاشت وتنقلت في الحجاز، وتهامة، ونجد كقبيلة قيس عيلان التي تفرعت إلى غطفان في وادي القرى، وهوازن قرب عكاظ وتتفرع إلى بني كلاب جهة المدينة، وبني عقيل جهة الطائف، ومنها عليا هوازن التي تضم بين ثناياها سعد بن بكر، وجشم، وثقيف، ومن قيس عيلان تفرعت أيضاً سليم في شمال المدينة جهة خيبر، وعدوان التي رحلت من الطائف إلى تهامة.

وهناك قبائل كثيرة أخرى بسطت خياسها في أصقاع الجزيرة العربية كهنذيل الحجازية، وتميم التي وصلت إلى جنوبي العراق، وأسد في نجد، ووائل في اليمامة شرق الجزيرة، ومنها بكر، وتقلب. ومن القبائل الحجازية إضافة إلى هنذيل قبيلة كنانة التي استقرت في تهامة قرب مكة، وقبيلة قريش التي سكنت في مكة وما جاورها، كما احتج النحاة بلغة عرب اليمن كزبيد، لكن ذلك قليل قياساً إلى غيرها من القبائل.

هذه حال القبائل العربية، فكل أقاليم في مكان، وتنقل إلى آخر في حركة دائبة رصدها علماء

اللغة، وعرفوا ما طرأ عليها من تغيير (٢)

(١) - كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي ١٤٦، ١٤٧، تح: محسن سهدى، بيروت ١٩٦٩م.

(٢) - انظر ذلك مفصلاً في معجم قبائل العرب لرضا كحلقة، بيروت ١٩٦٨م.

وكان إهمال النحاة للاستدلال بلفة القبائل المتطرفة كتنقلب، وقضاعة، ولخم، وجذام، مقتصرًا على لغة التخاطب، أمّا شعرهم فقد استدلوا به لأنه منسوج بلفة مثالية يتقنها شعراء القبائل المتطرفة، وشعراء وسط الجزيرة على حدّ سواء، وهذا ما جعلهم يستدلّون بشعر الأخطل (١)، وعديّ بن زيد (٢)، وأشباههما من الشعراء، كما استدلّوا بلفة الشعراء الذين عاشوا في الحواضر التي تجاور بلاد العجم، كالأعشى، وطرفة، والنايفة، وأسرئ القيس، وهذا الاستدلال لا ينبع من فراغ، إنما ينبع من إدراكهم أنّ الشعراء مقنّ تأصّلت فيهم الفصاحة لاثفسيد لفتهم مؤثرات أجنبية، ولاينال من سلامة فصاحتهم شيء.

وخلاصة القول أن القواعد المكانية التي وضعها النحاة طُبقت على لغة التخاطب المتداولة، وأزيحت إلى حد ما الحدود الزمانية للاستدلال، وتُستكّ النحاة بالحدود المكانية، وهذا ما يفتر احتجاجهم بلفة شاعر، وردّهم لغة آخر على الرغم من أنهما عاشا في عصر واحد، لكنّ الفارق بينهما أنّ من استدلوا بشعره عاش في البادية يرعى الإبل، ويبحث عن مواطن الكلا، ومن ردّوا شعره عاش في الحاضرة. مثالنا على شعراء البادية نراه عند ابن ميادة، فقد استدلّ النحاة بشعره على الرغم من أنّ أمه فارسية، وحكموا بفصاحته لأنه من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان (٣)، فهو بدويّ محافظ

(١) - غياث بن غوث بن الصلت (١٩-٩٠ هـ) من بني تغلب، شاعر مبدع اشتهر في عهد بني أمية بالشام ومدحهم، نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق، وقد تناقل الرواة شعره. انظر الشعر والشعراء ١٨٩، والأغاني ٢٨٠/٨. وخزانة الأدب ٢١٩/١-٢٢١.

(٢) - عدي بن زيد بن حماد العبدي التميمي (ت ٣٥ ق.هـ) تقريباً، شاعر من أهل الحيرة، كان فصيحاً يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، وكان ترجماناً بينه وبين العرب، انظر طبقات ابن سلام ٣١، والشعر والشعراء ٦٣، والأغاني ٩٧/٢. وخزانة الأدب ١٨٤/١-١٨٦.

(٣) - انظر الأغاني ٢٦٩/٢. وخزانة الأدب ٢٨٧٧/١.

على بداوته، إضافة إلى أن الأعراب قد رووا شعره (١).

واحتج النحاة بأبي نخيلة (ت ١٤٥ هـ)، والحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ)، وأبي حية النميري (ت ١٨٣ هـ)، وحجتهم في ذلك أن كلام الأعراب، وأهل البادية، وهذا الأمر ظاهر بين في شعرهم (٢).

أما ابن هزنة فهو آخر الشعراء الذين احتج النحاة بشعرهم، وعلى الرغم من الخلاف في سنة وفاته (٣) فقد كان أكثر الشعراء المتأخرين حظاً لعناية النحاة لشعره، لأنه من بني فهر القرشيين، وظل محافظاً على بداوته في شعره، وقد عاصره شعراء كثيرون لم يلقوا عناية النحاة بهم كبشار وغيره.

(١) - انظر الكتاب ١/٣١١، ٢٠/٢.

(٢) - انظر الكتاب ١/٤١٢، ١٧٨/٢، ٣٧١/٢، ٣/١٥٦، ٣٠٥، ٦٠٦، والأغاني ١٦/١٧، ومفني اللبيب ٣٤٤، وأوضح المسالك ١/١٦٩، والخزانة ٢/٤٨٣، ٤/٢٨٢.

(٣) - أورد السيوطي أن وفاته بعد ١٥٠ هـ وذكر ذلك البغدادي من دون تحديد للسنة، إلا أن كلاهما يرحي بأن وفاته كانت في الخمسينات، وهذا وهم؛ لأن وفاته كانت سنة ست وسبعين ومئة، ويؤيد هذا ما ذكره ابن جني نقلاً عن الأصمعي أنه سمع ابن هزنة ينشد هارون الرشيد:

أَعَنَّ تَغَنَّتْ عَلَى سَاقِي مَطْوُوقَةٌ وَرَقًا، نَدَعُو هَدِيدًا فَوْقَ أَعْوَادِ

وخلافة هارون الرشيد كانت بين عامي ١٧٠ و ١٩٣ هـ. انظر الأغاني ٤/٣٩٦، الخصائص ٢/١١، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦/١٣١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢/٨٤ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، شرح شواهد المغني للسيوطي ٦٨٢ طبعة مصر ١٣٢٢ هـ، خزنة الأدب ١/٢٠٤.

٣- شروط من يؤخذ عنه:

تطور المجتمع العربي تطوراً كبيراً بعد الفتوحات الإسلامية التي امتدت في كل اتجاه، وبسطت الدولة الإسلامية الجديدة نفوذها على العالم القديم آنذاك، ولم يكن من مفرّ من الاختلاط، وما يتبعه من تأثير في كافة المجالات بين العرب الذين انطلقوا من جزيرتهم، وبين الأمم الأخرى من روم، وفرنس، وغير ذلك من الشعوب.

ولعل اللغة هي أبرز ما يظهر عليه أثر الاختلاط، وما يتبعه من تسرب الضعف والفساد إلى اللغة الأصلية. هذا شأن اللغة العربية الفصحى التي حملها بداء الجزيرة، ولم يستطع العرب المحافظة على أصالتها لجملة من العوامل، والمؤثرات، لولا حملة لواء الفصاحة من علماء العربية، نحاة لغويين.

وأمام هذا الواقع الجديد جاء النحاة ليبحثوا عن اللغة السليمة الأصلية بعد الضعف الذي ألمّ بها، فانطلقوا نحو البادية، وتجوّلوا في مواطن الكلا حيناً، والتقوا الأعراب الوافدين من البادية إلى المدينة حيناً آخر، ووضعوا فيوداً كثيرة من شأنها تحقيق الغاية المنشودة، وهي الوصول إلى اللغة السليمة التي لم تشبها شائبة، لجمعها وتقييدها، شتهقين بالمفردات والتراكيب على حد سواء وهو ما خدم علقى اللغة والنحو وما بينهما من ترابط.

وقد دأب النحاة على أن يكون الأعرابي الذي يأخذون عنه فصيحاً، لم يتسرب الضعف إلى لفته قط، واجتهدوا في تطبيق ذلك، لاسيما نحاة البصرة الأوائل. ولعل القواعد التي تحدتت عنها زمانية ومكانية كانت تهدف إلى توخي الفصاحة والسلامة فيمن يؤخذ عنه في وقت كان النحاة فيه يتهم بعضهم بعضاً بالتهاون في تطبيق هذه القيود.

وانصبّت عناية النحاة الأوائل على فصاحة الأعرابي بالدرجة الأولى، فلم ينقلوا إلا عمن يشقون به فعبد الله بن أبي إسحاق يهتم باللغة الفصيحة، وأصحابها، ويستدلّ بشعر الفصحاء، ولهجات قبائلهم (١) وعيسى بن عمر لم يكن يروي إلا ما سمع عن الفصحاء (٢) وأبو عمرو بن العلاء يبحث عن الفصيح، ويسخر مقن لأن جلدته (٣) وكذلك سائر النحاة، وقد كان معيارهم للفصاحة أنها كانت تحاكي لغة العرب في باديتهم ضمن القيود الزمانية والمكانية.

ولم يأخذ النحاة عن العربي الذي نشأ، وترعرع في بطن الجزيرة العربية إلا إذا حافظ على هذا المناخ العربي الأصيل على الدوام؛ لأن من يخرج من بيئته إلى جوار غريب لا بد له من التأثر، فتبدل بعض سلاص لفته السليمة، وهذا ما يخشاه النحاة. الأمر الذي دفعهم إلى التأكد من استمرار فصاحة المأخوذ عنه، وهذا الحرص دفعهم إلى امتحان الأعرابي ليصلوا إلى قناعة كاملة من فصاحته ودواهبها.

* - لم يسرد في كتب القدماء ما يشير إلى أن للخليل، ويونس نهجا منهجا امتحانياً واضحاً، أو لنقل: إن المنطق يفرض أنهم أخضعوا من أخذوا عنهم لهذا الامتحان، إلا أن ذلك لم يدوّن، بدليل أن شيخهم أبا عمرو بن العلاء سلك هذا المسلك، وأخضع الأعراب للفحص الدقيق، وشرع في امتحان من يرتاب بفصاحته، وذلك من خلال قوله: «ارتبت بفصاحة أعرابي»

(١) - انظر الكتاب ٢٧٩/١، ١٢١/٤، المحاسب في شواذ القراءات لابن جني ٣٣٦، ٢٦٦، ٤٤٤/١.

(٢) - انظر الكتاب ٣٤٣، ١٩/٣.

(٣) - انظر الخصائص ١٣/٢، ٣٠٤/٣، وتاريخ آداب العرب للرافعي ٢٥٤/١.

فأردت امتحانك، فقلت بيتاً، وألقيته عليه، وهو:

كم رأينا من سُحَّحٍ مُسَلَّحٍ صار لحم النور والعقبانِ

فأفكر فيه، ثم قال: ردّ عليّ ذكر المسحوب، حتى قالها مرات، فعلمتُ أنّ فصاحته باقية،^(١) ومن ذلك «قول أبي عمرو لأبي خيرة، وقد قال: استأصل الله عرقائهم -بنصب التاء-: هيهات، أبا خيرة لان جلدك»^(٢). هذان الخبران يدلان على أنّ النحوي لم يكن يقنع بالأعرابي ليأخذ منه ما لم يكن مستمراً على فصاحته باقياً على بداوته.

ولا يعود ضعف اللغة الفصيحة إلى احتكاك الأعرابي بالأعاجم فحسب، بل يتعدى ذلك إلى احتكاك اللهجات بين القبائل العربية المتباينة من حيث السلامة والضعف؛ فسماع الأعرابي لغة غيره من فسدت لغتهم يخلق تأثيراً وتأثيراً بين اللهجتين، لكن ذلك لا يمنع أنّ العربيّ الفصيح الذي جُبل على سلامة اللغة وعاش في محيط صافٍ نقي لا يتأثر بلغة أخرى ضعيفة، فإذا سمعها فإنه يتركها ولا يأنس لها^(٣).

* - وقد تنبّه علماء تلك الحقبة إلى أن الفصاحة واستمرارها يقابلها بعض الضعف أحياناً لأسباب متعددة، ولم يفضل النحاة عن الثغرات التي تعتري السماع عن الأعراب؛ لذلك فقد تعاملوا معهم بحذر؛ لأنهم قد يلحنون إذا لم يتقيدوا بقيودهم الصارمة التي أسلفت ذكرها.

(١) - تاريخ آداب العرب للراعي ١/٢٥٤.

(٢) - الخصائص ٣/٣٠٤، ١/٣٨٤.

(٣) - انظر المصدر نفسه ٢/٢٦٩.

هذا الحذر دفعهم إلى تخطئه بعض العرب حيناً، وافترض الخطأ أو السهو منهم حيناً آخر، فعبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر كانا يطعنان على العرب، ويخطئان الفحول منهم كالنابغة، والفرزدق؛ من ذلك أن أبا عمرو بن العلاء قال: مرّ الفرزدق بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي فأنشده هذه القصيدة:

عَرَفَتْ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كَدَتْ تَعْرِفُ —

حتى انتهى إلى هذا البيت:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنِ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ الْمَالِ إِلَّا سُحَّتْ أَوْ مَجْلَفُ (١).

فقال عبد الله للفرزدق: علام رفعت؟ فقال له الفرزدق: على ما يسونك. (٢)

ويبحث الخليل بن أحمد عن تعليل للخطأ يفصله، ويبين الموقف الصحيح منه، يقول: «لا يقولون إلا هذان جحراً ضبباً خريان، من قَبِلَ أَنَّ الضبَّ واحد، والجحر جحران، وإنما يفلطون إذا كان الآخر بعدة الأول، وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً، وقالوا: هذه جحرة ضباب خرية، لأن الضباب مؤنثة، ولأن الجحرة مؤنثة، والعدة واحدة، ففلطوا» (٣).

هذان نموذجان للمنهج الذي اتبعه بعض النحاة، والطريق التي سلكوها للوقوف على اللفظة الدقيقة، والشك الذي انطلقوا منه للوصول إلى اليقين معتمدين التخريج السليم مع الإشارة إلى الفلأ، والخطأ، وما إلى ذلك مما وقع فيه العرب سواء أكانوا من الشعراء أم الرواة.

* - عاش النحاة في الكوفة والبصرة، بعيدين عن البادية، ومضارب الخيام، مما جعلهم لا يشافهون الأعراب في كل ما ينقلونه عنهم، لذا فقد كان من الضروري أن ينقل النحاة اللفظة، والشعر

(١) - المنخبت: المتأصل. والمجلف: الذي بقيت منه بقية.

(٢) - معاني القرآن للقرطبي، ١٨٣، ١٨٢/٢. وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجعفي، ١٩، ١٦، ١٥.

(٣) - الكتاب ١/٤٣٧.

والأقوال عن شيوخهم. ولولا الثقة بين التلميذ وأستاذه لما حصل هذا التأخي في الفكر والمذهب بين الخلف والسلف. ومن باب الثقة القائمة بينهما نقل النحاة عن شيوخهم سائرين على هدي علماء الحديث مقتفين أثرهم في كثير من طرائق الاستدلال.

إن احتمال الكذب وارد في رواية الحديث، والتلفيق على لسان رسول اللص) أمر لجأ إليه أعداء الإسلام في ذلك العصر وهذا أمر متوقع أكثر مما هو عليه في رواية اللف، ولذلك أسباب متعددة ودوافع كثيرة، ليس هذا مجال تفصيلها، ومع كل ذلك فإن إسناد المنقول من لغة العرب أمر ضروري لإظهار مدى الدقة، والأمانة فيما يدون.

وقد كان سببويه دقيقاً في هذا الأمر فقد نقل عن الخليل مستخدماً عبارة: «وروى الخليل رحمه الله»، و «قال الخليل»، و «زعم الخليل»، و «سألت الخليل» (١) استخداماً مفرطاً جعل محقق كتابه يسقط اسم الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب من فهرس الأعلام (٢) ونقل كذلك عن يونس (٣)، وعيسى بن عمر (٤)، وأبي زيد الأنصاري (٥)، وأبي الخطاب الأخصب الأكبر (٦). وعن هؤلاء الرواة الذين وثق بهم نقل عن أبي عمرو بن العلام (٧)، والحضرمي (٨)، وكان يثق بهم ثقة كبيرة لا يرقى إليها شك، وهذا ما جعله أحياناً يفضل اسم من ينقل عنه، وهو يكتفي

(١) - الكتاب ٢/١٣٤، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤.

(٢) - انظر المصدر نفسه ١٨١/٥.

(٣) - انظر المصدر نفسه ٢/١٤٣، ١٨٥، ٢٠٥، ٢١٣.

(٤) - انظر المصدر نفسه ١/١٦٩، ١٧١، ٢٧١، ٣٤٦.

(٥) - انظر المصدر نفسه ٣/٣٧٩، ٤/٢٢٦.

(٦) - انظر المصدر نفسه ٤/٢٣٢، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٦.

(٧) - انظر المصدر نفسه ٣/٤٠٣، ٦٨٤، ١٨٦، ٢٠٦.

(٨) - انظر المصدر نفسه ٣/٤٤٢، ٣١٥، ٣١٣.

بنعت، نحو قوله: «وحدثنا من شق به»، و «زعم من شق به» (١).

وكان حديث علماء اللغة، والنحو عن الرواية، والرواة حديث الفقهاء، وعلماء الحديث، والتشدد في رواية اللغة على غرار رواية الحديث تشدد لا يبرر له، ذلك لأن التشدد في رواية الحديث واجب، لاسيما أن دواعي الكذب والتلفيق في الحديث كثيرة، وقف علماء المسلمين منها موقفاً حازماً حماية للدين من الزنادقة، والمرتدين، والملحدين الذين حاولوا النيل من الدين الإسلامي. أما دوافع الكذب في اللغة فلم تكن موجودة بشكل واضح لتشكل مقارنة سليمة بين اللغة من جهة، والحديث من جهة أخرى، إضافة إلى انقطاع الرواية منذ القرن الرابع، حيث صار النحو مودعاً في الكتب التي أضحت مخزناً كبيراً يضم النحو، والشعر، واللغة.

أما النحاة فقد فقدوا النحو، وضفوا لأنه حتى انتظم عقده، فقد كانوا على درجة كبيرة من العدل والثقة على الرغم من عدم إحاطة ما يروونه بالتواتر؛ لأنهم كانوا يخرجون إلى البادية، ويشافهون الأعراب، وينقلون عنهم، والنحوي في حال عودته إلى حاضرتهم يعكف على تسجيل ما سمع بكل دقة، وأمانة وهنا لم يعد التواتر مطلوباً، لأن الرواية نابعة عن مصدر ثقة، وما تعرض النحاة لكل ما ذكرنا من تواتر في الإسناد، ونقل الأحاد، وغير ذلك إلا ضرب من ضروب التأثر بالفقهاء والمحدثين.

(١) - الكتاب ١/٢٣٠، ٢/١٤٠.

٤- شروط ما يؤخذ به:

حين شرع النحاة في تقصي القواسم المشتركة في لغة العرب، ولهجاتها، تمهيدا لتفعيد هذه اللغة وجدوا أنفسهم أمام كمّ كبير من المادة المرصودة، وهذا ما جعل عملية استقراء اللغة سهلة عسيرة، وشاقّة؛ لأنها تبحث عن اللغة العربية في القرآن الكريم، والشعر، والنثر، والخطابة، والحديث اليومي.

ولو كان أمر الاستقراء يعتمد القرآن الكريم، وقراماته الموثوقة فحسب لهانت رحلتهم، وقلّت مشقتهم، إلا أن النحاة كان هدفهم الإحاطة باللغة من كلّ جوانبها اللغوية، ولهجاتها الكثيرة. ومما زاد عناهم رغبتهم في مشافهة الفصحاء، وهذا بدوره أضاف عليهم جهداً مضاعفاً. لاسيما إذا عرفنا أن الظواهر اللغوية كانت متعددة، منها ماشاع، وكثر، ومنها ماقلّ وندر، فوضعوا قواعدهم على الكثير المنتشر، ولم يغفلوا الإشارة إلى القليل، النادر، والشاذ. حتى صارت من أصولهم الكبرى في الاستدلال.

شيوخه وتعدّد مصادره:

برزت صورة اللغة العربية التي يبحث عنها النحاة من خلال استقراهم منذ أيام أبي عمرو بن العلاء، وذكر الزبيدي في طبقاته أنّ ابن نوفل قال: «سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عفا وضعت مقام سميت عربية، أيدخل فيه كلام العرب كلّها؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات» (١)، وتابعه عيسى ابن عمر في كتبه ورسائله النحوية التي زادت على سبعين مصنفاً، ووضع كتابه (الجامع) «على الأكثر، ويوتيه، وهذبه، وسمى ما شذّ عن الأكثر لغات» (٢).

(١) - طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي ٣٤.

(٢) - إنباه الرواة على إنباه النحاة للقطبي ٢/٣٧٥: تح: أبو الفضل إبراهيم. القاهرة بلا تاريخ.

وكثيراً ما نرى النحاة يبيّنون موقف العرب من ظاهرة من الظواهر، من حيث القلّة، والكثرة، وعلى ذلك يستنبطون قواعدهم، وقد يرجّح النحوي وجهاً على وجه، إذا كان اختياره يستند إلى ما كثر استعماله عند العرب، وإذا عرفنا أنّ سيبويه قد أخذ المبدأ عن شيخه الخليل أدركنا أنّ ما ورد في الكتاب إنما يحاكي فيه منهج سيبويه في إظهار مبدأ الكثرة، والقلّة في استدلاله (١).

وتعتمد رواية الشعر حفظ الأعراب له، في حين لم يكن هذا الأعرابي معنياً بالعودة إلى الشعر المدوّن، بل كان يعتمد الذاكرة، والفطرة في استيعاب شعر العرب، وهذا ما أوجد روايات متعددة للبيت الواحد، لا تخرج كلّها عن حدود الفصاحة، إنما تبقى في دائرة اللغة العربية، وأصولها. وكان النحاة الأوائل يهتمون بإنشاد الأعراب ومشافهتهم، فعيسى بن عمر، والخليل، ومن سبقهما من الأوائل رأينا كيف كانوا يأخذون برواية الأعراب في تأصيل قواعدهم.

والعناية بالرواية خلفت تعدداً في رواية البيت الواحد، لأنه يأتي من مصادر متعددة، وقد عبّر عن ذلك ابن هشام بقوله: «كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلّ ينكلّم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات» (٢).

ويظهر لنا من كلّ ما تقدم في شروط ما يؤخذ به أنّ النحاة لم يعيروا التقسيم الزمني أهمية كبيرة، في الوقت الذي كان للتقسيم المكاني أهمية أكبر لاعتبارات اجتماعية، وطبيعية جعلت النحاة يستدلّون بكلام أهل البادية حتى منتصف القرن الرابع، مستبعدين الأخذ بكلام أهل المدن إلا من عاش منهم في القرن الأول تقريباً، إضافة إلى قلة قليلة حافظوا على بداوتهم التي ظهرت في مشافهتهم وامتحانهم، أما الأخذ بالشاهد المجهول القائل، والشاهد ذي الروايتين فلم يكن ثابتاً، ولم يطبقه جميع النحاة، في حين يتردّد بعضهم بين الأخذ بمبدأ حيناً، وإنكاره حيناً آخر.

(١) - انظر الكتاب ٢/١٨٥، ٣٥٦.

(٢) - المزهر للسيوطي ١/٢٦١، والخزانة للبغدادي ١/٢٢.

الفصل الأول:

الاستدلال بالنصوص

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف
- كلام العرب
- الشعر
- الأمثال
- ما نقله عن العرب (لغة التخاطب)
- الأمثلة المصنوعة

الاستدلال بالنصوص

تطور النحو تطوراً ملحوظاً بدءاً من القرن الأول الهجري وحتى النصف الأول من القرن الثاني على يد أوائل النحاة كابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب. فعلى يد ابن أبي إسحاق (ت ١١٧ هـ) بدأت الآراء النحوية تظهر بشكل واضح، وبملاح بارزة بعد أن أخذ اللفظ والقراءات عن ميمون، وابن يعمر، ونصر بن عاصم تلامذة أبي الأسود (١) وقد لاحظ أصحاب المصادر القديمة ذلك، وأعطوه حقه من الثناء (٢)، وتبع ابن أبي إسحاق تلميذه عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) وسار على خطاه.

وعاش في الفترة ذاتها أحد علماء العربية البارزين؛ وهو أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، فقد وضّح علماء العربية فيما بعد منهجه، وعقدوا بين النحاة مقارنات وضعت أسس المدارس النحوية آنذاك (٣) وتبلور اتجاه نحاة البصرة الذين تأثروا بما مثله ابن أبي إسحاق، وعيسى، وغيرهما من تجريد للقياس، وطفن على العرب، ووضع لمقاييس في النحو رأوا أن تلتزم؛ فكان أن خطأ النحاة الشعراء متن

-
- (١) - انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي ١٩، ونزهة الألباء لابن الأثير ٢٠.
 (٢) - انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٥، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ١٢؛ فتح: محمد أبو الفضل إبراهيم مصر ١٩٥٥، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٥.
 (٣) - انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٤-١٨.

يُستشهد بشعرهم لتصحيح قواعد النحو، فخطأ ابن أبي إسحاق الفرزدق، وخطأ عيسى بن عمر النابغة (١) وظهر كذلك اتجاه نحاة الكوفة كأبي عمرو بن العلاء ومن تبعه، فقد كانوا أكثر تسامحاً عندما قبلوا ما خالف مقاييس العربية. وقد لخص أبو عمرو بن العلاء هذا الاتجاه عندما سُئل مرة كيف يصنع فيما خالفته فيه العرب وهم حجة، فقال: «أعمل على الأكثر، وأستي ما خالفني لغات» (٢).

وقد شهد القرن الثاني الهجري ولادة عالم بارز من أعلام العربية، وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ فقد بهر العلماء الذين جاؤوا بعده بسعة علمه، وتنوعه مما جعلهم يفتنون فترة طفولته، وما أحاط بها من ظروف. وعلى الرغم من ضآلة أخباره في مرحلة الطفولة، فقد عرف عنه أنه كان عربياً خالصاً ينتمي إلى قبيلة الأزدي اليمانية، وآته ولد عام مائة للهجرة، وعاش أربعاً وسبعين سنة (٣).

عاش الخليل في البصرة، وأقام فيها، ولم يفادرها إلا سرّاً قليلة قاصداً الحج، أو الغزو، أو الذهاب إلى أعراب الجزيرة لمشافتهم، وذكر أنه سافر إلى خراسان مرة لزيارة أحد تلاميذه (٤)

١- طبقات فحول الشعراء ١٨١٦، ١٥.

٢- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ٣٤.

٣- لم يتفق على تاريخ وفاته، فمنهم من قال: إنه توفي سنة ستين ومائة، وقيل: سنة سبعين وستة، وقيل: سنة خمس وسبعين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين ومائة. وذكرت بعض المصادر أنه توفي سنة ثلاثين ومائة، وهو غلط واضح. انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ٤٧، والفهرست لابن النديم، ٦٤، وإنباه الرواة للقفطي، ٣٤٦/١، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ١٩٢/٢، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، ٨/٢ المطبعة الحسينية المصرية، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، ١٩٢/١٠ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، ٢٧٥/١ مطبعة السعادة بمصر، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ٣١٢/١ مطبعة دار الكتب، ١٩٢٩.

٤- انظر طبقات الشعراء لابن المعتز، ٩٦؛ فتح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة دار المعارف، ١٩٦٨م ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، ٣٠ والفهرست لابن النديم، ٦٤.

إن حديثنا عن سيبويه، وعصره الذي استقرّ فيه النحو العربي يقودنا من غير شك إلى الحديث عن الخليل بن أحمد أستاذه الذي أخذ عنه العلم، والمعرفة، والتأمل في المسائل النحوية بما كان له أبلغ الأثر في شخصيته النحوية. ونظرة إلى كتاب سيبويه، وآراء الخليل فيه تجعلنا ندرك أنّ الفصل بين الشخصيتين أمر بعيد المنال لما فيهما من تداخل، وتعازج من خلال استعراض المسائل، وبلورة قواعد العربية.

وقد لزم سيبويه الخليل مع ثلاثة طلاب آخرين هم علي بن نصر الجهضمي (١)، ومؤرج السدوسي (٢)، والنضر بن شميل (٣)، لكنّ سيبويه فاقهم في النحو ومسائله في الوقت الذي برع فيه الجهضمي في الحديث، ومؤرج في الشعر واللغة، والنضر في اللغة، وتنقل لنا الأخبار اهتمام الخليل بسيبويه لأنّه توسّم فيه الطالب المجيد والمتلقّن المبدع. قال ابن النطّاح: كنت عند الخليل بن أحمد، فأقبل سيبويه، فقال الخليل: «مرحباً بزائر لا يُغفل»، قال أبو عمرو المخزومي: «ما سمعت الخليل يقولها إلا لسيبويه» (٤).

ولم تكن العلاقة بين الخليل وسيبويه علاقة محبة وإعجاب من أستاذ إلى طالبه، بل تعدت هذه الحدود، ووصلت إلى مرحلة من التلاقح الفكري بينهما، فقد حمل سيبويه علم الخليل ونقله إلينا بأمانة كبيرة من دون تفريط؛ قال معاوية بن بكر العليمي: «عمرو بن عثمان قد رأيت، وكان حدّث السنن،

(١) - علي بن نصر بن علي الجهضمي، لزم الخليل طويلاً، وغلب عليه الحديث ت١٨٧هـ انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ٦٧، وبنية والوعاء للسيوطي ٣٥٨.

(٢) - مؤرج بن عمرو السدوسي غلب عليه الشعر واللغة، وتعلّم القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري، وتوفي ١٩٥ هـ انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ٦٧، تاريخ بغداد للبغدادي ١٣/٢٥٨، وإنباه الرواة للقفطي ٣٢٧/٢.

(٣) - النضر بن شميل المازني التميمي، أخذ عن الخليل، وأقام في البادية أربعين سنة (ت٢٠٣هـ) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ٦٨.

(٤) - طبقات النحويين للزبيدي ٦٨.

كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد، «(١٠) وقيل: إنه ألف كتاباً من ألف ورقة في علم الخليل (٢) حتى إنه عقد أبواب كتابه بلفظه ولفظ الخليل (٣)، وهذا التلازم بين العالمين اللذين أكمل أحدهما الآخر جعل أبا عثمان المازني يقول: «من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي» (٤)، ذلك لأن انصهار فكريهما في بوتقة واحدة تقريباً خلق أبعاداً متكاملة للنحو العربي، وأنه لولا الخليل وعلمه الذي أخذه عنه سيبويه لما كتب للأخير أن يصل إلى المكانة التي تبوأها في النحو العربي.

أمام هذا العمل المتكامل - أعني الكتاب - تجدني ملزماً بمتابعة العمل من غير فصل بين الشخصيتين إلا من خلال ما هو ظاهر ومنسوب، ومصرّح به في الكتاب، إضافة إلى أن سيبويه كلّمنا قال: (سألته) أو (قال) فإنما يعني أستاذه الخليل؛ فجملة ما روى عنه في الكتاب ٥٢٢ مرة، وهو قدر لم يرو مثله ولا قريباً منه عن أحد من أساتذته (٥)، هذا ما ذكر صراحة، أما عدد المرات التي وردت فيها آراء الخليل من دون ذكر اسمه فهي أكثر من ذلك العدد بكثير، وهذا دليل تعادج فكريين في كتاب واحد، فمن يريد أن يبحث عن منهج الخليل النحوي ومذهبه فلن يجده إلا في الكتاب لأنّ كتبه ضاعت من يد الزمن ولم يبق منها سوى كتاب العين (٦).

(١) - المصدر السابق، ٦٧، معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١٨/١٦.

(٢) - انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤٨، طبقات النحويين للزبيدي ٦٨، معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١٧/١٦.

(٣) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٦٥.

(٤) - الفهرست لابن النديم ٧٧، نزهة الألباء لابن الأنباري ٧٥.

(٥) - انظر سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف ٩٣ مصر ١٩٧٩.

(٦) - ذكرت المصادر أنّ للخليل كتباً كثيرة هي: النغم، والإيقاع، والمروض، والنقط والشكل، والشواهد، والجمل، وفائت العين، وألفظي، وكتاب في العرائل، وهناك مقاطع متفرقة تنسب إلى الخليل، ولم تنشر إليها المصادر القديمة. انظر الفهرست لابن النديم ٦٥، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧٤/١١-٧٥ (طبعة دار المأسون) إنباه الرواة للقفطي ٣٤٦/١ وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧/٢، بغية الوعاة للسيوطي ٢٤٥.

شهدت البصرة زمن سيبويه حركة علمية كبيرة، حيث كانت الدراسات الإسلامية في تطور ونشاط، برزت خلالها علوم القرآن وتفسيره، والقراءات، والنحو، والحديث، وكذلك اللغة، والنحو، والصرف، ورواية الشعر.

ولم تكن هذه الدراسات تتبع منهجاً واضحاً في تطورها، بل اقتصر على ما يعطيه العلماء في المساجد، أو في بيوت عليّة القوم من خلفاء، وأمراء، وغيرهم من دون موضوع معين يحرص العالم على تتبعه، بل كان العالم يعطي كلّ ما عنده، على ما في ذلك من تنوع، وهذا ينعكس على الطلبة، حيث يخرج الطالب قارئاً مفهوماً فقيهاً نحوياً، راوية للشعر، ثم يُنسب إلى علم غلب عليه من هذه العلوم، أو أكثر فيه.

لم يشذّ الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه عن هذه القاعدة، فقد انصرفا إلى علوم كثيرة متنوعة، ويؤيد قولنا ما نُقل عن النضر بن شميل من أنه قال: «ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد» (١)، وقد أضاف الخليل إلى علمه بالسنة ثقافة لغوية، ونحوية واسعة، فقد نهل اللغة والشعر من أستاذه عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، وكثير من الأعراب (٢) الذين يفتنون إلى البصرة وكثيراً ما كان يشد الرحال إلى قلب جزيرة العرب يشافه أهلها في نجد وتهامة والحجاز (٣) مما جعل القدماء يقولون: إن الخليل حفظ نصف اللغة (٤) وكان أول من صنف في اللغة معجماً وهو

(١) - نزهة الألباء لابن الأنباري ٤٨.

(٢) - منهم أبو سهدية، وأبو طفيلة، وأبو البيداء، وأبو خيرة إياد بن لقيط، وأبو مالك عمرو بن كركرة، وأبو الدغيش. انظر

مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٣٩-٤٠.

(٣) - انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ٦٩.

(٤) - انظر أخبار النحويين البصريين للسيرا في ٤١.

كتاب العين الذي أشرنا إليه، والذي عُدَّ أول عمل لغوي معجمي عرفه العرب (١)

بعد ذلك يأتي سيبويه وكتابه الذي يعدّ نهاية مرحلة هامة في تاريخ النحو، بلغ فيها النحو الغاية في وضوح صورته وبيان ملامحه بعد مخاض طويل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نستطيع أن نجعل كتابه أيضاً مرحلة هامة من مراحل النحو؛ نهل منه كلُّ من جاء بعده من النحاة على اختلاف عصورهم، وامتداد رقعة أوطانهم، وهو ما جعلهم يطلقون عليه اسم (قرآن النحو) ويقرؤونه جميعاً على اختلاف مشاربهم ويتأثرونه في تناولاتهم النحوية.

ويمكننا أن نقسم الاستدلال النحوي في كتاب سيبويه قسمين اثنين؛ أولهما الاستدلال بالنصوص، وثانيهما الاستدلال بغير النصوص؛ ويشمل الأول القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب؛ شعراً وأمثالاً، ولغة تخاطب، ويشمل الأمثلة المصنوعة:

* القرآن الكريم *

أحيط القرآن الكريم بعناية بالغة في روايته من حيث الدقة، والتواتر؛ هذه العناية جعلت النحاة العرب يضعونه في مقدمة المصادر الموثوقة التي تُعتمد في وضع قواعد اللغة العربية.

لكنّ القراءات الكثيرة لكثير من آيات القرآن الكريم جعلت بعض النحاة يرددون بعضها وينسبونها إلى الشذوذ، هذا بشكل عام، أما موقف كتاب سيبويه من ذلك، فلا بدّ لنا قبل ولوجه من أن نعرض بليجاز إلى علمه بالقرآن، والقراءات، والقراء ثم استدلاله به قبل أن نتحدث عن أساليب الكتاب في الاستدلال بلغة القرآن:

(١) - انظر المزمهر للسيوطي ٧٦.

علمه بالقرآن، والقراءات، والقراء

كان سيبويه على علم جمّ بالقرآن الكريم وقراءاته وعلومه، يظهر ذلك بشكل كبير في كلّ مكان، ويظهر فيه أيضاً أثر الخليل بن أحمد في تلميذه فهو يلقنه كلّ ماتخيه الآيات الكريمة وقراءاتها من معانٍ يصعب على التلميذ إدراكها ما لم يتدخل أستاذه بها، وفي مواضع كثيرة من الكتاب نرى الحوار الذي يجري بين الاثنين عن بعض أساليب القرآن الكريم من ذلك أن سيبويه سأل الخليل «عن قوله عزّ وجلّ: (وما يشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون)، (١) ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنّه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضوع، إنّما قال: وما يشعركم، ثم ابتداء فأوجب، فقال: إنّها إذا جاءت لا يؤمنون. ولو قال: وما يشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون، كان ذلك عذراً لهم وأهل المدينة يقولون: (أنّها). فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب: انت السوق أنّك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون» (٢)

وكان لعلمه الكبير بالقرآن الكريم أخذاً عن شيوخه، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد أثر بالغ في تتبعه لقراءات القراء وإحاطته بتوجيهات كلّ قراءة قرآنية، ومذاهب القراء واتجاهاتهم، وأوجه قراءاتهم، وكتابه يكشف لنا كثيراً من ذلك، فهو يذكر أسماء القراء كآبي عمرو بن العلاء (٣) والأعرج (٤)

(١) - الأنعام ١٠٩/٦.

(٢) - الكتاب ١٢٣/٣، وانظر البحر المحيط لأبي حنبل ٢٠١/٤-٢٠٣ (السعادة ١٣٢٨هـ)، وإنحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للديبالي ٢١٥ (مطبعة حنفي ١٣٥٩هـ).

(٣) - زتان بن عتار التميمي المازني البصري وفي ذلك خلاف (٧٠-١٥٤هـ) من أئمة اللغة والأدب، وهو أحد القراء السبعة، ولد في مكة ونشأ بالبصرة. ومات في الكوفة، كان ينقل أخباره عن أصحاب أدركوا الجاهلية. انظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (مصر ١٣٥١هـ) ٢٨٨/١، فوات الرقيات للكتبي ١٦٤/١ نزهة الألباء للأنباري ٣١.

(٤) - عبد الرحمن بن هرمز ١١٧ من موالى بني هاشم حافظ قارئ من أهل المدينة، أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، مات في الاسكندرية، انظر نزهة الألباء للأنباري ١٨، تذكرة الحفاظ للذهبي ٩١/١ حيدر آباد ١٣٣٣هـ، طبقات القراء لابن الجزري ٣٨١/١.

وأبيّ بن كعب (١)، وابن مسعود (٢)، وعيسى بن عمر (٣)، والحسن البصري (٤)، وغيرهم (٥). إذا كان في معرض الحديث عن المسائل النحوية وتوجيهاتها، ويذكر في مواضع أخرى موطن القراءة وأصحابها؛ كقوله (أهل المدينة X X)، أو (أهل مكة X X)، أو (أهل الكوفة X X) وذلك من خلال وعي كامل لما تعنيه القراءة وأصحابها، وما تعكسه القراءة من توجيه لمعنى أي القرآن الكريم.

(١) - أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد (ت ٢١١هـ) صحابي أنصاري، من كتاب الوحي، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس، واشترك في جمع القرآن، روى ١٦٤ حديثاً. انظر طبقات ابن سعد ٣/ القسم الثاني ٥٩ طبعة ليدن ١٣٢١هـ. طبقات القراء لابن الجزري ٣١/١ صفوة الصفوة لابن الجوزي ١٨٨/١ (حيدر آباد ١٣٥٥هـ).

(٢) - عبد الله بن مسعود بن غافل الهنلي (ت ٣٢٢هـ) من أكابر الصحابة وأقربهم من رسول الله (ص)، وأول من جهر بقراءة القرآن، كان خادماً لرسول الله وصاحب سرّه، له ٨٤٨ حديثاً. انظر الإصابة في تمييز الصحابة للمسقلاني ت ٤٩٥٥ (مصر ١٣٤٠)، صفوة الصفوة لابن الجوزي ١٥٤/١ حيدر آباد ١٣٥٥، حلية الأولياء للأصفهاني ١٢٤/١ مصر ١٣٥١هـ.

(٣) - عيسى بن عمر الثقفي بالولاء (ت ١٤٩هـ) شيخ الخليل وسيبويه. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٣/١ وخزانة الأدب للبغدادي ٥٦/١، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٣٥-٤١. نزهة الألباء للأنباري ٢٥.

(٤) - الحسن بن يسار البصري (٢١-١١٠هـ) إمام أهل البصرة كان عالماً فقيهاً ناسكاً شجاعاً. انظر حلية الأولياء للأصفهاني ١٣١/٢، أمالي المرتضى للشريف العلوي ١٠٦/١ (مصر ١٣٢٥هـ)، ميزان الاعتدال للنهبي ٢٥٤/١ (مصر ١٣٢٥هـ).

(٥) - انظر بعض ما أورده سيبويه عن القراء في الكتاب ١/١٤٨، ١٧٢، ١٤٨، ٩٥، ٢/١٧٢، ١٤٨، ٤٣، ٣/٢١٠، ٨٣، ٤٣، ٤/١٦٦، ١٤٣، ١٣٤، ٤/٤٠٩، ٨١.

(٦) - الكتاب ٢/١٤٠، ٣/٣٩٧، ٥/١٩٠.

(٧) - المصدر نفسه ٤/١٩٦، ٤/٤٤٤، ٤/٤٤٤.

(٨) - المصدر نفسه ٢/٣٩٩، ٣/٥٤، ٤/٤٧٧.

استدلاله للغة القرآن، وقراءاتها، واستدلاله بها

هناك فارق واضح بين الاستدلال للغة القرآن، والاستدلال بها؛ فالاستدلال للغة القرآن تكون فيه لغة القراءة القرآنية مخالفة للشائع من لغة العرب، بعيدة عن قياس النحاة، غير ثابتة الأصول، وهذا ما يدفع بالنحوي لإيجاد النظائر في لغة العرب، ليبين أنّ القراءة ليست مجافية لأصول النحو، وأنها مقبولة. أمّا الاستدلال بلغة القرآن فتكون فيه هذه اللغة الضابط للأصول، والمصححة للكلام، والمعيار الدقيق على صحة الاستنباط والقياس.

وفي كتاب سيبويه نجد الاستدلاليين السابقين معاً، فقد وجد صاحب الكتاب أنّ بعض لغة القراءات القرآنية جاءت بعيدة عن قياس النحاة على غير ما شاع في لغة العرب، وهي بعيدة عن تلك الأصول الثابتة لفنهم، وهذا ما دفعه إلى أن يوجد لها التعليقات والنظائر في كلام العرب ليظهر أنّها لم تكن منافية لتلك الأصول، ولا مجافية لها، الأمر الذي دفعه ليستدلّ لصحتها؛ من ذلك حديثه عن قوله تعالى: **(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون)** (١) وهي القراءة التي عدتها بعض القراء شاذة، فإننا نرى أنّه يستدلّ لصحتها من كلام العرب في قوله: «دوقد جعل ناس كثير من العرب (هو) وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ، وما بعده مبنّي عليه، فكأنك تقول: أظنّ زيدا أبوه خير منه، ووجدتُ عمراً أخوه خير منه. فمن ذلك أنّه بلغنا أنّ روية كان يقول: أظنّ زيدا هو خير منك. وحدثنا عيسى أنّ ناساً كثيراً يقرؤونها: **(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون)** (٢). وقال الشاعر:

(١) - الزخرف ٧٦/٤٣.

(٢) - هي قراءة عبد الله، وأبي زيد النحويّين. انظر البحر المحيط لأبي حنّان ٢٧/٨.

قيس بن ذريح: (١)

تُبَيِّ على لُبَي، وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِالْمَلَا أَنْتَ أَقْدَرُ» (٢)

أما استدلاله بلفظ القرآن ففيه يجعل لفة القرآن الكريم هي الأساس الذي ينطلق منه إلى تصحيح الأصول، والدلالة على صحة الاستنباط والقياس؛ فهو يتحدث عن حذف التاء من الأفعال، ومتى يجوز ذلك، فيقول: « وهذا في الواحد من الحيوان قليل، وهو في الموات كثير، ففرقوا بين الموات والحيوان كما فرقوا الأدميين وغيرهم. تقول: هم ذاهبون، وهم في الدار، ولاتقول: جمالك ذاهبون، ولاتقول: هم في الدار، وأنت تعني الجمال، ولكنتك تقول: هي وهن ذاهبة وذاهبات. وما جاء في القرآن من الموات قد حذف فيه التاء قوله عز وجل: لَمَنْ جَاءَهُ مَوِئِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى (٣) وقوله: مِنْ بَعْدِهَا جَاءَهُمُ الْبَيْتَاتُ (٤) وهذا النحو كثير في القرآن » (٥)

ومما سبق يتضح لنا أن الاستدلال للغة القرآن، أو الاستدلال بها إنما يهدف إلى تثبيت القاعدة النحوية ورسم أصول واضحة لها.

(١) - قيس بن ذريح بن سنة الكناني (ت ٦٨ هـ) شاعر عاشق، أحب لُبَي، كان رضيعاً للحسين بن علي بن أبي طالب. انظر الأغاني ١٠٧/٨ وما بعدها. فوات الرقيات للكتبي ١٣٤/٢، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٨٢/١، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٣٩.

(٢) - يذكر تتبع نفسه لُبَي بعد طلاقها والملا: ما اتسع من الأرض. أي: كنت أكثر قدرة عليها وأنت مقيم معها بالملا قبل طلاقها؛ يأسى على ما كان منه في ذلك. والشاهد فيه استعمال (أنت) هنا مبتدأ، ورفع (أقدر) على الخبر. انظر الكتاب ٣٩٢/٢-٣٩٣. وابن عميش ١١٢/٣، والبحر المحيط ٢٧/٨، ولسان العرب (ملا).

(٣) - البقرة ٢٧٥/٢.

(٤) - آل عمران ١٠٥/٣.

(٥) - الكتاب ٣٨/٢-٣٩.

من خلال الكتاب، ومعالجته للمسائل النحوية يظهر المنهج العام لاستدلال سيبويه بلغة القرآن الكريم، سواء أكان ذلك في آيات القرآن الكريم بشكل عام، أم في القراءات القرآنية، وسنحاول هنا أن نبين هذا المنهج من الزاويتين الأولى عن الاستدلال بالقرآن، ومقارنة استدلاله هذا بلغة العرب، لاسيما الشعر، وتعليل سبب غلبة الشعر على القرآن الكريم، وجعله الشعر وكلام العرب في صدر كلامه، وتعميده للغة العرب، وغزارة الآيات القرآنية في أبحاث معينة دون أخرى؛ والثانية عن القراءات القرآنية، وموقفه منها، وكثرة القراءات وتعددتها في الموضوع الواحد، وغير ذلك مما يتعلق بالقراءات.

١- مكانة لغة القرآن الكريم، في استدلاله:

صحيح أن القرآن الكريم في كتاب سيبويه لم يُفَقَّ الشعر من حيث العدد في الاستدلال النحوي، لكنه احتل مكانة هامة، وكان مادة غنية جعلت حلقات (الكتاب) تكتمل لتشكّل عقداً نحوياً مرصوفاً، فقد بلغ عدد الشواهد القرآنية سبعة وتسعين وثلاثمئة شاهد، منها ما تكرر غير مرة، ومنها ما ضم أكثر من آية في الشاهد الواحد، وكثيراً ما تضمن الشاهد غير آية قرآنية كريمة. في الوقت الذي بلغت فيه الشواهد الشعرية ألفاً وستة وخمسين شاهداً، تختلف زيادة ونقصاً بحسب نسخ الكتاب المختلفة (١).

استدل سيبويه بالقرآن الكريم لتوضيح القواعد المستنبطة، وتقريرها، فهو يكتفي حيناً بالاستدلال بآية واحدة، أو آيتين، ويقول حيناً آخر بعد استدلاله: «وهذا النحو كثير في القرآن» أو

(١) - اعتمدنا في معرفة الأعداد (فهرس شواهد سيبويه) للنفاح، وفهارس (الكتاب) في الجزء الخامس، نج: هارون.

«وهذا الضرب كثير في القرآن» (١)؛ ومن ذلك استدلاله بقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ) (٢) على نصب (الصلاة) بـ (المؤمنين)، وذلك بآية قرآنية واحدة، ومثله قوله تعالى: (فَإِنْ طِئِنَ لُكْمٌ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَفَسَادٌ) (٣). وقد يستدلّ بآيتين بشكل متتال نحو: «ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: (لَتَعْلَمَنَّ آيُّ الْحِزْبَيْنِ أَخْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدَانًا) (٤) وقوله تعالى: (فَلْيَنْظُرُوا آيُّهَا أَرْكَىٰ طَعَامًا) (٥)». ويحرص في مواضع أخرى على ذكر عدد كبير من الآيات في موضوع نحوي واحد، الهدف منه إثبات صحة ما تمّ استنباطه، وذلك باستدلاله بالشواهد الكثيرة من آيات القرآن الكريم، من ذلك حديثه عن (إلا) حين تأتي بمعنى (لكن)؛ يقول: «فمن ذلك قوله تعالى: (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) (٦)؛ أي: ولكن من رحم، وقوله عزّ وجلّ: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمْنَةً لَنَفَعْنَا إِيمَانَهَا إِلَّا تَوْمَ يَوْمٍ يُونُسَ لِمَا آمَنُوا) (٧)؛ أي: تومّ يونس لما آمنوا، وقوله عزّ وجلّ: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) (٨)؛ أي: ولكن قليلاً ممن أنجبنا منهم. وقوله عزّ وجلّ: (أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (٩)؛ أي: ولكنهم يقولون: ربُّنا الله. وهذا الضرب في القرآن كثير» (١٠).

(١) - انظر الكتاب ١٦٢/٢، ٣٩٤/٢، ١٦٢/٢.

(٢) - النساء، ١٦٢/٤، وانظر الكتاب ١٨٣/١.

(٣) - النساء، ٤/٤، وانظر الكتاب ٢١٠/١.

(٤) - الكهف، ١٢/١٨.

(٥) - الكهف، ١٩/١٨، وانظر الكتاب ٢٣٦/١.

(٦) - هود، ٤٣/١١.

(٧) - يونس، ٩٨/١٠.

(٨) - هود، ١١٦/١١.

(٩) - الحج، ٤٠/٢٢.

(١٠) - الكتاب ٣٢٥/٢.

ويعد سببوه أحياناً إلى الاستدلال بآيات القرآن الكريم بغزارة كبيرة في أبحاث معينة؛ وهذا ما فعله في معرض حديثه عن الجزاء والقسم في مواضع متفرقة من الكتاب كقوله: «ومن ذلك قوله عز وجل: (وَمَنْ عَادَ تَتَّخِزْهُمُ اللَّهُ صَدًّا) (١) ومثله: (وَمَنْ كَفَرَ تَأْتِيهِ قَلِيلًا) (٢) ومثله: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ مِصْرَ بَرًّا) (٣)»، حتى إنه استدلك بأربع وخمسين آية قرآنية في الجزاء والقسم (٤).

ولم يقصد سببوه الدخول في تفاصيل القراءات القرآنية، واختلاف القراء ما لم يكن هذا الدخول يخدم القضايا النحوية، ومحاولاته تععيد النحو، و يتجلى هذا الأمر عندما نراه يسرد الآيات مستدلاً بها على قاعدة نحوية مستنبطة، من غير إشارة إلى قراءة بعض القراء، إذا لم تكن قراءة هؤلاء تفسر الأمر النحوي، أما إذا كان اهتمامه منصباً على آية كريمة بقراءة غير ما نحن عليه في مصحفنا، فإنه يفصل في وجوه القراءة ويوجه ظاهرتها الإعرابية مفصلاً فيها ما يلزم، ولا نجد حاجة لتقديم أمثلة على ذلك، لكنه يكفيننا قولنا: إن الآيات القرآنية التي بلغ عددها سبعة وتسعين وثلاثمائة شاهد قرآني تضم أربعاً وخمسين آية منها تناول فيها سببوه وجهاً من وجوه القراءات التي تخالف مصحفنا (٥).

ولم يكن سببوه يطعن إلى القراءات القرآنية التي يسمعا من الأعراب، ولعلّ السبب في ذلك هو أن الأعراب يفتخرون لهجاتهم في قراءاتهم القرآنية، مما جعله لا يثق بقراءاتهم، وهذا الأمر دفعه إلى الاستعانة بشيوخه وعلى رأسهم الخليل بن أحمد؛ فهو لا يتردد في سؤالهم عن القراءات القرآنية وموقفهم منها. من ذلك أنه سأل شيخه عن قوله تعالى (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) (٦) بقراءة من

(١) - المائة ٩٥/٥.

(٢) - البقرة ١٢٦/٢.

(٣) - الجن ١٣/٧٢.

(٤) - انظر الكتاب ٥٦٧/٣-٤٩٦، ٥٠٤.

(٥) - انظر حواشي شواهد القرآن في (لهرس شواهد سببويه) للنفائخ ١٣-٥٤.

(٦) - المنافقون ١٠/٦٣.

جزم (أكن) (١) فأجابه بأن (أكن) عطف على محلّ الفعل الذي قبله على توهم جزمه، لأن قد يكون في هذا الموضع مجزوماً ولا فاء فيه، وقاس ذلك على قول زهير:

بدا لي أنني لست بمدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جانبياً (٢)

الذي جرّ فيه (سابق) على توهم جرّ (مدرك) وكأنه قال: لست بمدرك ولا سابق (٣)

وسأله عن قوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً، فيوحى بأذنه ما يشاء) (٤) فأجابه الخليل: إن (يرسل) منصوب بـ (أن) مضمرة، لا عطفاً على (أن يكلمه)؛ لأنّ المعنى يصبح فاسداً. وسبب الإضمار قبل (يرسل) أنه معطوف على (وحياً)، وهذا ما يقتضيه المعنى السليم؛ ولما كان (يرسل) فعلاً و (وحياً) اسماً جرى إضمار (أن) قبل (يرسل) ليسوغ عطف الفعل على الاسم (٥)

وسأل يونس بن حبيب عن قوله تعالى: (الحمد لله ربّ العالمين) (٦) وأنه سمع بعض العرب يقرؤونها بنصب (ربّ) فأجابه يونس زاعماً إنها عربية (٧) هذه العودة إلى الشيوخ والتي نراها في كتاب سيبويه تكشف لنا أنّ هؤلاء الأعراب لا يركن إليهم في قراءة القرآن، وهو ما دفع سيبويه إلى اللجوء إلى أساتذته ليطمئن على سلامة المادة التي يستدل بها، ومطابقتها للغة العرب.

(١) - استدل بها سيبويه على قراءة (وأكن) بالجزم، وهي قراءة المشرة غير أبي عمرو فلأنه قرأها (وأكون) بالنصب. انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧١/٢، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو اللخمي ٢١١ استنبول ١٩٣٠م.

(٢) - الشاهد فيه جرّ (سابق) على تقدير البناء الزائدة في (مدرك) أي: لست بمدرك ولا سابق. الكتاب ١٠٠، ٢٩٤/٣.

(٣) - انظر المصدر السابق ١٠١/٣.

(٤) - الشورى ٥١/٤٢.

(٥) - انظر الكتاب ٤٩/٣.

(٦) - الفاتحة ٢/١.

(٧) - انظر الكتاب ٦٣/٢.

لم يخلُ الكتاب من خلل في ذكر بعض آيات القرآن الكريم، وهي أوهام مرت عليهما السنون
الكثيرة من دون أن يتنبه إليها أحد، من ذلك قوله تعالى: (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ) (١) فقد وردت في أصول الكتاب محرقةً؛ والذاكرين الله
كثيراً والذاكرات، والحافظين فروجهم والحافظات (٢)، ومن ذلك قوله تعالى: (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ
رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً) (٣)، فقد جاء نص الآية في الكتاب: (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
بِالْهَمزة في أول (أُنزِلَ) مبيناً للمفعول وهو خطأ بحث لم يقرأ به أحد (٤)، ويظهر أن هذه الآية
التبست على صاحب الكتاب ببعض الآيات التي فيها قوله تعالى: (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ،
تَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ) (٥)، وقوله: (لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) (٦) وقوله:
(لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَلِفُ حَيْثُ يَشَاءُ) (٧).

وما من شك في أن الخلل الذي ورد لم يكن مرده ضعفاً أو تقصيراً، أو عدم دراية، إنما السبب
هو تزامم الآيات وتشابهاها في الموطن الواحد وجل من لا يخطيء ولا يفغل.

من خلال ما تقدم من ملامح بارزة في استدلال سببويه بالقرآن الكريم، يظهر لنا رجحان
الاستدلال بالشعر عدداً، على الاستدلال بالقرآن الكريم بشكل يقارب الضعفين، فالشعر يرويه الأعراب
الفصحاء ويتناقلونه، وهم بدورهم عنصر هام من عناصر الاستدلال؛ لأن كلام هؤلاء الأعراب الفصحاء
هو معيار اللغة السليمة، وهم أحياء ناطقون لهذه اللغة يحيطون بالبصرة، ويفدون إليها وقت حاجتهم،

(١) - الأحزاب ٣٣/٣٥.

(٢) - أول من تنبه إلى ذلك عبد السلام هارون. انظر الكتاب (حاشية) ٧٤/١.

(٣) - الأنعام ٦/٣٧.

(٤) - انظر فهرس شواهد سببويه للنفاخ ٢١.

(٥) - يونس ١٠/٢٠.

(٦) - الرعد ١٣/٧.

(٧) - الرعد ١٣/٢٧.

ويخرج النحاة إليهم إذا جدتوا في البحث والاجتهاد، وهم بالتالي الشهود الحقيقيون على ما يستنبطه سيبويه، وغيره من النحاة، فكيف يضع قواعد للغة الأعراب وهم بالقرب منه، من دون أن يجعل لغتهم في المقام الأول، لاسيما أنه يعتمدهم في استنباط الأصول النحوية، ويعول عليهم في الاستقراء اللغوي آنذاك.

ولم يكن تقديم الاستدلال بالشعر عند سيبويه يعني أنه أهم من لغة القرآن عنده، ولكنه تنوع في أساليب الاستدلال؛ فهو يبدأ بكلام الأعراب حيناً، وبالشعر حيناً آخر، ونراه في مواضع كثيرة يبدأ بالقرآن الكريم، يستدل به ثم يعقبه بالشعر من ذلك قوله: «هذا باب ما تكون فيه (أن) بمنزلة (أي)، وذلك قوله عز وجل: (وانطلق الملائكة منهم ان أمشوا واصبروا)» (١) زعم الخليل أنه بمنزلة (أي)؛ لأنك إذا قلت: انطلق بنو فلان أن أمشوا، فأنت لا تريد أن تُخبر أنهم انطلقوا بالمشي، ومثل ذلك: (ما قلند نهم إلا ما أمرتكم به أن اعبدوا الله) (٢) وهذا تفسير الخليل. ومثل هذا في القرآن كثير، (٣) ومثله قوله: «فأتا ثمود وسبأ، فهما مرة للقبيلتين، ومرة للحيين، وكثرتهما سواء. وقال تعالى: (وعاداً وثموداً)» (٤). وقال تعالى: (إلا إن ثموداً كفروا ويهم)» (٥)، وقال: (وأتينا ثمود الناقة مبصرة)» (٦) وقال: (وأنا ثمود قهدين لهم)» (٧)، وقال: (لقد كان لسبأ في مسكنهم)» (٨) وقال: (من سبأ بنبأ يقين)» (٩) وكان أبو عمرو لا يصرف سبأ، يجعله اسماً لقبيلة.

(١) - سورة ص ٦/٣٨.

(٢) - المائدة ١١٧/٥.

(٣) - الكتاب ١٦٦/٣.

(٤) - الآية ٣٨ من كل من سورتي الفرقان، والعنكبوت.

(٥) - هود ٦٨/١١.

(٦) - الإسراء ٥٩/١٧.

(٧) - قُمتل ١٧/٤١.

(٨) - سبأ ١٥/٣٤.

(٩) - النحل ٢٢/٢٧.

مِنْ سَبَأِ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِدْ يَبْنُونَ مِنْ ذَوْنِ سَيْلِهِ الْقَرِيمَا (٢)

وقال في الصرف للنايفة الجمدي:

أَضَحَتْ يُنْفَرُهَا الْوُدَانُ مِنْ سَبَأِ كَأَنَّهُمْ تَحْتِ ذَقِّيْهَا دَحَارِيْجُ (٣)»

من الواضح أن سيبويه لا يقدم شعراً على أي القرآن الكريم بشكل مضطرد، وإنما يغير طريقة استدلاله دون أن يجعل للشعر المكانة الأولى، وفي الأمثلة السابقة رأينا يبدأ بالقرآن الكريم ثم بالشعر فالمهم عنده أن يصل إلى استنباط قواعده ووضع أصولها.

نلاحظ أمراً آخر من استقراءنا لاستدلال سيبويه بالقرآن الكريم، وهو أنه يقسم الآيات القرآنية قسمين: الأول منهما يضم آيات لاخلاف في قراءتها، ولا ظواهر إعرابية مختلفة فيها، والثاني منهما ما تعددت وجوه القراءة فيها، واختلف القراء فيها كذلك.

ونراه في القسم الأول الذي لم يختلف القراء في قراءته، يضمه سيبويه في بداية كلامه ويقدمه على الشعر، وكلام العرب بشكل عام؛ من ذلك ما بدأ به عن حذف التنوين، وإضافة الاسم بآيات من القرآن الكريم استدلالاً بها أولاً ولم يشر إلى أي وجه من وجوه القراءات الأخرى؛ يقول سيبويه: «وليس يفتقر كفو التنوين، إذا حذفته مستخفاً، شيئاً من المعنى، ولا يجعله معرفة. فمن ذلك قوله عز وجل: (كُلُّ نَفْسٍ ضَالِقَةٌ الْهَوَى) (٤)، و(إِنَّا مَرْسَلُو النَّاقَةَ) (٥)، و(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْجُرُومِ تَتَكَلَّمُ بِرُؤُوسِهِمْ) (٦)

(١) - هو النايفة الجمدي. ديوانه ١٣٤ نج: عبد العزيز رباح دمشق ١٣٨٤هـ. والإنصاف ٥٠٢، لسان العرب (دحرج).
(٢) - هم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. الحاضرون: المقيمون على الماء، والمحاضر: مباء العرب التي يقيمون عليها. ومأرب: أرض باليمن، والقرم: جمع عرمة، وهي السدة. والشاهد فيه: ترك صرف (سبأ) على معنى القبيلة والام. ولو أمكنه الصرف على معنى: الحبي والأب لجاز. وقد قرىء بهما في الكتاب الكريم: (وجفلكم من سبأ).
(٣) - وصف ناقه من فوقها بحبي سبأ، مجازاً عليهم في زئ الأعراب، فعرض له الصبيان منكرين له محيطين به تمجياً، فعملوا يُنْفَرُونَ ناقته عن يمين وشمال، فشبّههم بالدحاريج والدقّان: الجنيان. والدحاريج: جمع دحرجة، بالضم، وهي ما يدحرجه الجمل من البنادق، أو ما تدحرج من القدر. والشاهد فيه: صرف (سبأ) على معنى الحبي. الكتاب

٢٥٣-٢٥٢/٣

(٤) - آل عمران ١٨٥/٣.

(٥) - القمر ٢٧/٥٤.

(٦) - السجدة ١٢/٣٢.

و (غَيْرَ ضَحْلِي الصَّيْدِ) (١). فالمعنى معنى: (وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) (٢).

وبزيد هذا عندك بياناً قوله تعالى جَدُّهُ: (هَدْيًا بِالْبَيْتِ الْكَعْبَةِ ٣٧) و (عَارِضَ مُطَرِّفًا ٤٧) فلو لم يكن هذا في معنى النكرة والتنوين لم توصف به النكرة. وستراه مفصلاً أيضاً في باب مع غير هذا من الحجج إن شاء الله.

وقال الخليل: هو كائن أخيك، على الاستخفاف، والمعنى: هو كائن أخاك. وما جاء في الشعر غير منون قول الفرزدق:

أَتَانِي عَلَى الْقَعَا عَادِلٌ وَطِيهٍ بَرَجَلِي نَثِيمٌ وَأَسْتِ عَبْدِ ثَعَادِلِ (٥)
يريد: وعادلاً وَطِيهٍ. وقال الزبير بن بدر:
مُسْتَحْقِي حَلْقِ الْمَاذِيَّ يَحْفِزُهُ بِالْمَشْرِفِيِّ وَغَابَ فَوْقَهُ حَصِيدٌ (٦)

(١) - المئمة ١/٥.

(٢) - المئمة ٢/٥.

(٣) - المئمة ٩٥/٥.

(٤) - الأحقاف ٢٤/٤٦.

(٥) - ديوان الفرزدق ٧٣٧ (نشر الصاوي ١٣٥٤هـ). القعساء: الناقة المحمودية من الهزال. والوطب: سقاء اللبن. عدل وطبه برجليه وأسته، أي جعلها عدلاً له، أي جعل وطبه في ناحية من الراحلة معادلاً له. والعدلان: ما يوضعان على جنبي البعير. وشاهده حذف التنوين من (عادِل) وإضافته إلى ما بعده استخفافاً.

(٦) - وصف جيشاً وفرسانه. استحقبوا الحلق: جعلوه في حقائبهم، وهي ماغير الرجال، والمراد لبسهم للدروع، كأنه استحقاب. والحلق: جمع حلقة. والمآذي: الدروع الصافية الحديد، اللينة الملمس. واحمته مآذيه. يحفزه: أراد يحفز المآذي: يرفعه ويشمره. والضمير المستتر للجيش، ولذلك وحّد الضمير. بالمشرفي، أي بالسيف المنسوب إلى المشارف، وهي قرى بالشام تُطبع بها السيوف. وأراد يحفزه بحمائل المشرفي يرفع بها الدروع. والغاب: الرماح، مثقت بعنبتها، وهو الغاب: جمع غابة. والحصيد: الصلب الشديد الحكم. والشاهد فيه كنعو ما قبله، في (مستحقبي) بحيث حذف التنوين كما حذف التنوين هناك. الكتاب ١/١٦٦-١٦٧.

ففي كلّ الآيات السابقة لم يثر سببويه أي خلاف في القراءة لذلك جعلها في بداية كلامه، ثم أتبعها بكلام العرب نقلاً عن شيخه الخليل، ثم جاء بالشعر، ووضعه في المقام الأخير. ومثل ذلك النهج كثير في كتابه (١).

ونراه في القسم الثاني الذي ذكر فيه سببويه غير قراءة في الآية الواحدة، يؤخر الاستدلال بالقرآن الكريم إلى آخر الأمر، وكأنه يوحى لنا أنه يرجئ ما اختلفت قراءته إلى موضع تكون القاعدة فيه قد ثبتت من خلال كلام العرب شعرهم ونثرهم؛ من ذلك حديثه في (باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء): «وقد جاء بعض هذا رفعاً يُبتدأ، ثم يُبنى عليه. وزعم يونس أن رؤية بن العجاج كان يُشيد هذا البيت رفعاً، وهو لبعض مدحج، وهو هُنَيُّ بن أحمر الكناني:

عَجَبَ لَتَلِكْ قَضِيَّةٍ وَإِقَامَتِي فَيَكُمُّ عَلَيَّ تَلِكْ الْقَضِيَّةَ أَعْجَبَ (٢)

وسمعنا بعض العرب الموثوق به، يقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمد الله وثناء عليه، كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنه يقول: أمري وشأني حمد الله وثناء عليه. ولو نُصِبَ لكان الذي في نفسه الفعل، ولم يكن مبتدأ ليبنى، ولا ليكون مبيناً على شيء؛ هو ما أظهر. وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه:

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَهْنَا أَدُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ (٣)

(١) - انظر الكتاب ١٤٢/١، ١٤٣/٢، ١٦٢/٣، ٢٥٢/٤، ١٥٥/٤.

(٢) - اختلف في قائله، وكان الشاعر تمن يبرأته، ويخدسها، وكانت مع ذلك تؤثر أها له عليه، يقال له (جندب)، وقيل:

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسِ الْحَيِّ يُدْعَى جَنْدَبُ

فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ صِبْرِهِ عَلَيْهِ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ: رَفَعُ (عَجَبَ) عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ، أَيِ أَمْرِي عَجَبٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَرْفَعَ عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً لَوَقُوعِهِ مَوْقِعِ الْمَنْصُوبِ، وَيَتَضَمَّنُ مِنَ الْوَقُوعِ مَوْقِعَ الْفِعْلِ مَا يَتَضَمَّنُ الْمَنْصُوبِ، فَيُسْتَفْنَى عَنِ الْخَبَرِ، لِأَنَّهُ كَالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، فَكَانَتْ قَالُ: أَعْجَبْتُ. الْكِتَابُ ٣١٩/١ (حاشية) وَالْخَزَانَةُ ٢٤١/١.

(٣) - البيت للمنذر بن درهم الكلبلي. والحنان: الرحمة. سألته عن علّة مجيئه، أنه قرأه بها أم له معرفة بعينها. قالت ذلك حين فاجأها فأنكرته أو تظاهرت بلنكاره. والشاهد فيه: رفع (حنان) بتقدير مبتدأ، أي أسرنا حنان، وهو نائب عن المصدر الواقع بدلاً من الفعل. الْكِتَابُ ٣٢٠/١ وَالْخَزَانَةُ ٢٧٧/١.

لم تُرد: حين، ولكنها قالت: أمرناحنان، أو ما يصيبنا حنان، وفي هذا المعنى كله معنى النصب.

ومثله في آله على الابتداء وليس على فعل قوله عز وجل ﴿ قَالُوا صَلِّحُوا شَتْرَهُمْ إِلَىٰ وَبِحُكْمٍ ﴾ (١) فقد ترك الاستدلال بالأية الكريمة مختاراً قراءة (٢) من رفع (معذرة)، ومن ذلك أيضاً أنه في باب (أسماء السور) إذا اختار للاستدلال آيات، واختار إحدى القراءات، وأشار إلى وجود قراءة أخرى، فإنه يقدم الشعر على الآيات الكريمة نحو:

«وأتا (حم) فلا ينصرف، جعلته اسماً للسورة، أو أضفته إليه، لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي، نحو هابيل، وقابيل. وقال الشاعر، وهو الكفيت (٣):

وجدنا لكم في آل حاميه آيةً تأولها منا نقي ومقربه (٤)

وقال الحفاني (٥):

أو كتباً بين من حاميهما قد علمت أبناء إبراهيم (٦)

وكذلك: طاسين، وياسين.

(١) - الأعراف ١٦٤/٧ والكتاب ٣١٩/١-٣٢٠.

(٢) - استدل بها على قراءة الرفع في (معذرة) وهي قراءة العشرة إلا حفصاً عن عاصم، فإنه قرأ بالنصب. انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٦٣/٢ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو اللخمي ١١٤.

(٣) - انظر المقتضب ٢٣٨/١، ٣٥٦/٣، وخزانة الأدب ٢٠٩/٢ واللسان (حم).

(٤) - البيت في بني هاشم، وأراد بال حاميم السور التي أولها حم، فجعل حاميم اسماً للكلمة، ثم أضاف السور إليها إضافة النسب إلى القرابة كما تقول: آل فلان. والشاهد فيه: ترك صرف (حاميم) لشبهه بما لا ينصرف للعلمية والمعجمة نحو: هابيل، وقابيل.

(٥) - انظر المقتضب ٢٣٨/١ والمختص لابن سيده ٣٧/١٧.

(٦) - يذكر أن القرآن، وما اشتمل عليه من شأن رسالة الرسول معلوم عند أهل الكتاب. وضمن سور حاميم لكثرة ما فيها من القصص والنبیین. وأراد بأبناء إبراهيم: أهل الكتاب من بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. والشاهد فيه: ترك صرف (حاميم). انظر الكتاب ٢٥٧/٣.

واعلم أنه لا يجيء في كلامهم على بناء: حاميمٌ وياسينٌ، وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفاً على حاله. وقد قرأ بعضهم: (ياسينَ والقوآنِ ١٧)، و(قافَ والقوآنِ ٢٧). فمن قال هذا فكأنه جعله اسماً أعجمياً، ثم قال: «أذكرُ ياسينَ» (٣). ومثل ذلك كثير في كتابه (٤)

لم يكن وضع الآية الكريمة، والاستدلال بها في آخر المعالجة النحوية بضعف من قيمتها كما بينت، ولكنه قد يأتي تأكيداً لما سبق، وإحاطة بعناصر الفكرة، ودعمها لها، وهو ما يعتبر عنه أحيانا عبارة تشعرنا بأنّ للآية المقام الأول كقوله في (باب الجزاء) «فبهكذا جرى هذا في كلامهم. ألا ترى أنه قال عزّ وجلّ: (وإنْ لمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥٧) وقال عزّ وجلّ: (وَاللَّيْلِ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٧)»

ونراه أحيانا يبتعد عن الاستدلال بآيات القرآن الكريم في أبحاث معينة تتعلق بالألقاب، وما ينصرف وما لا ينصرف من بنات الياء والواو التي الياءات، والواوات منهنّ لامات، والإضافة إلى فَعِيلٍ، وفَعِيلٍ من بنات الياء، والواو، وغير ذلك حتى جاوز ابتعاده هذا ما يزيد على منتي صفحة (٧)، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى غزارة كلام العرب شعراً ونثراً في الموضوعات، وبالمقابل فهو يكثر من الاستدلال بالقرآن الكريم في أبحاث معينة كالجزء والقسم (٨) كما أشرنا سابقاً.

(١) - يس ١/٣٦ - فتح النون في (ياسين) هي قراءة عيسى بن عمر، وعبد الله بن أبي إسحاق. المختصر لابن خالويه ١٢٤ والبحر المحيط ٣٢٢/٧.

(٢) - ق ١/٥٠ - فتح الفاء في (قاف) هي قراءة عيسى بن عمر. انظر المختصر لابن خالويه ١٤٤، والبحر المحيط ١٢٠/٨.

(٣) - الكتاب ٢٥٧/٣ - ٢٥٨.

(٤) - انظر الكتاب ١٥٣/١ - ١٥٤، ١٧٣ - ١٧٤، ٤٣١ - ٤٣٢، ١٣٤/٣.

(٥) - الأعراف ٢٣/٧.

(٦) - هود ٤٧/١١، الكتاب ٩٦/٣.

(٧) - انظر المصدر السابق ٢٩٤/٣ - ٤٩٦.

(٨) - انظر المصدر السابق ٥٦/٣ - ١١٤، ٤٩٦ - ٥٠٤.

والسؤال الذي يفرض نفسه: ما السبب الذي جعل سببويه لا يعول على الأعراب في قراءة القرآن، حتى إنه يأخذ قراءة الأعرابي، ويعرضها على شيوخه كما جرى بينه وبين الخليل، وبينه وبين يونس وغيرهم؟

وأظن أن الدافع وراء ذلك هو طبيعة الأعرابي، وتلقيه للقرآن الكريم، وقراءته له فهو يأخذ القرآن، لكنه يتلوه بين أهله بسليقته التي فطر عليها، بما فيها من لهجات دون أن يعتمد أي شيء من النقل، ورسم القرآن، وهذا ما يدفعه إلى شيء من التسرع في استخدام لهجته. والقراءة عند سببويه سنة متبعة لا تخالف، لذلك كان يسمع قراءة الأعراب، فيسأل عنها، ويستدل بها إذا اطعأن إليها من حيث السلامة والصحة (١)

(١) - انظر المصدر السابق ٦٣/٢، وانظر القراءات القرآنية لمبد الهادي الفضلي ٦٠ دار القلم ١٩٨٠

٢- القراءات القرآنية والقراء :

بعد أن وقفنا على موقف سيبويه في كتابه من لغة القرآن الكريم، وطريقة استدلاله بها، نرى أن للقراءات القرآنية وقرائها مكانة متممة لاستدلاله بالقرآن، فهو يرى أن القراءات القرآنية سنة تُتبع ولا تصح مخالفتها (١) وفي هذا إيضاح لرأيه في القراءات، على الرغم من أننا نراه في بعض المواضع يضعف قراءة (٢)، ويرد أخرى (٣)، والأمر نفسه نجده عند الخليل بن أحمد (٤).

ولم يكن في ذهن سيبويه حين يعالج القراءات القرآنية في تناولاته النحوية أي تقسيم لهذه القراءات من حيث إنها قراءة سبعية أو عشرية، أو شاذة، أو غير ذلك من التقسيمات التي وجدت في وقت متأخر عن عصره، في القرن الرابع الهجري (٥) وهذا التباعد الزمني هو الذي خلق خلافاً بين نظرة سيبويه من جهة والنحاة المتأخرين من جهة أخرى.

ولم يصل استدلال سيبويه بالقرآن الكريم إلى الحد الذي وصل إليه استدلاله بالشواهد الشعرية؛ فقد بلغت شواهده القرآنية ثلاثمائة وسبعة وتسعين شاهداً في الوقت الذي بلغت شواهد الشعرية ألفاً وستة وخمسين بيتاً، وهذا الأمر لا يعني أنه اهتم بلغة الشعر أكثر من اهتمامه بلغة القرآن الكريم، لكن

(١) - انظر الكتاب ١/١٤٨.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/٥٨.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢/٣٩٧.

(٤) - انظر المصدر السابق ٢/٨٣. وانظر مكانة الخليل لعبانة ٤٤.

(٥) - تم التصنيف الدقيق للقراءات على يد أبي بكر بن مجاهد (٢٤٥-٣٢٤ هـ)، وهو أحمد بن موسى التميمي كبير العلماء بالقراءات، له (كتاب القراءات الكبير)، و (قراءة ابن كثير)، و (قراءة أبي عمرو)، و (قراءة عاصم)، و (قراءة نافع)، و (قراءة حمزة)، و (قراءة الكسائي)، و (قراءة ابن عامر)، و (قراءة النبي ص)، و (كتاب اليامات)، و (كتاب الهامات). انظر الفهرست لابن التميمي ١/٣١. وغاية النهاية لابن الجزري ١/١٣٩. وانظر الاحتجاج للعلواني ٤٩.

طبيعة الأعراب الذين نقل عنهم في استقراته اللغوي وضعت أمام شاهد حيّ على ناطقي اللغة بسلاقتهم، وهؤلاء الأعراب إنعا يقرؤون القرآن متأثرين بلهجتهم الخاصة بقبائلهم غير أبيين بالنقل الدقيق للقراءة، أو بالرسم القرآني، وهذا مادفع سيبويه - وهو الذي لا يخالف القراءة القرآنية لأنها عنده سنة متبعة- لأن يسأل عن القراءة شيخه يونس ليتأكد من صحتها وموافقتها لأساليب العرب؛ من ذلك قوله: «وسمعنا بعض العرب يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (١) فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية» (٢) نصبا على التعظيم والمدح.

طرائق الاستدلال بلغة القرآن :

سلك سيبويه في كتابه طرقاً عديدة في استدلاله بلغة القرآن، وقراماته، وهذه الطرق وإن تعددت، فإنها تعتمد القراءة المتواترة، والشاذة بشكل عام، والقياس عليها، والإشارة إلى ضعف ماخالف الأصول اللغوية المستقرأة.

١- أخذ بقراءة الجمهور دون إشارة إلى غيرها:

اهتم سيبويه بالقرآن الكريم، وحرص على الاستدلال بالقرامات القرآنية، وكثيراً ما كان يذكر قراءة الجمهور، ويورد آيات كثيرة تؤيد القراءة التي اختارها، ويقصر استدلاله هذا على القراءة التي اختارها دون أن يشير إلى قراء آخرين مقل لهم اختياراتهم في هذه القرامات.

من ذلك قوله (٣) «وتقول ما كان أخاك إلا زيد، كقولك ما ضرب أخاك إلا زيد. ومثل ذلك قوله عز وجل: ما كان حجَّتْهم إلا أن قالوا (٤)، و ما كان جواب قومهم إلا أن قالوا (٥)». فقد أشار

(١)- الفئحة ٢/١. وقراءة النصب لزيد بن علي. انظر البحر المحيط ١٩/١.

(٢)- الكتاب ٦٣/٢.

(٣)- المصدر السابق ٥٠/١.

(٤)- الجانية ٢٥/٤٥.

(٥)- الأعراف ٨٢/٧.

سببوه إلى قراءة الجمهور، واستدلّ بها في الآيتين للوصول إلى صحة تقديم خبر كان على اسمها، ولم يشر إلى قراءة الحسن (١) برفع (حجّتهم)، وكذلك رفع (جواباً) بقراءة حمّاد بن سلمة والحسن (٢) ومن قوله تعالى: الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدًا (٣) وقول: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (٤) وقوله: سورة أنزلناها وقرّضناها (٥) فقد أخذ سببوه بقراءة الجمهور (٦) من دون إشارة إلى قارئ يخالف قراءة الجمهور على الرغم من تعددهم؛ فقد قرأها (الزّانية والزّاني) بالنصب عيسى بن عمر الثقفني، ويحيى بن يعمر، وعمرو بن فائد، وأبو جعفر، وغيرهم (٧)، وقرأ (السارق والسارقة) بالنصب أيضاً عيسى بن عمر، وابن أبي عمير (٨) وقرأ (سورة) عيسى بن عمر (٩).

فسببوه يأخذ بقراءة الجمهور دون إشارة إلى أيّ قارئ، ووجه قرأته لهذه الآيات التي كان للنحاة رأي في توجيهها. ومثل ذلك كثير في كتابه (١٠).

-
- (١) - انظر البحر المحيط ٤٩/٨، وانظر إتحاف فضلاء البشر للديلمي ٣٩٠.
 (٢) - انظر مختصر ابن خالويه ٢٣، ومشكل إعراب القرآن لمكي القيسي ٢/٢٩٧، وإعراب النحاس ٢/٥٢٩، والبحر المحيط ٣٣٤/٤.
 (٣) - النور ٢/٢٤.
 (٤) - الملتمة ٣٨/٥.
 (٥) - النور ١/٢٤.
 (٦) - انظر الكتاب ١/٤٩، ١٤٦، ١٤٣، ١٤٤.
 (٧) - انظر سجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٦٥-١٦٦، ومعاني القرآن للفراء ١/٣٠٦، وانظر ١/٢٤١، ٢/٢٤٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٤٣١.
 (٨) - انظر البحر المحيط ٣/٤٧٦، ٦/٤٢٧.
 (٩) - انظر المحتسب لابن جنّي ٢/٩٩-١٠٠.
 (١٠) - انظر الكتاب ٢/٣٥٥، ٣/١٥٤، ١٢٦.

٢- أخذته بقراءة الجمهور ثم الإشارة إلى غيرها:

أسلوب آخر من أساليب سيبويه نرى فيه أنه يورد القراءة القرآنية، ثم يشير إلى غيرها من القراءات بما يدعم القاعدة النحوية عنده، ويعلل اختياره لإحداها سواء أكان هذا الاختيار لقراءة الجمهور أم لغيرها؛ من ذلك قوله تعالى **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى (١)** بنصب (فتذكر) عطفاً على (تضل)، وهي قراءة الجمهور، ثم يشير إلى قراءة أهل الكوفة (فتذكر) رفعاً (٢)، وفي موضع آخر يقول: **«وقد قرئ هذا الحرف على وجهين: قل هي للذين أصلوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة (٣) بالرفع والنصب» (٤)** في كلمة (خالصة)، ويقول **«وقد قرأ الناس هذه الآية على وجهين: قل إن وبني يتكفرون بالحق، علام الغيوب (٥)، وعلام الغيوب (٦) فقراءة الرفع هي قراءة الجمهور، وقراءة النصب لعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق، وزيد بن علي، وابن أبي عبيدة وغيرهم (٧)»**، ولم يكن الخليل بعيداً عن القراءة التي يختارها سيبويه، وكثيراً ما كان سيبويه يسأل أستاذه عن رأيه في هذه القراءة أو تلك ويتلقى إجابة معلنة للوجه المختار؛ من ذلك قوله تعالى: **كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْفُسٌ نَزَّاهَةٌ لِّلشُّوْقِ (٨) و هذا بعلي شَيْخٌ (٩)** في حديثه عما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة (١٠).

-
- (١) - البقرة ٢٨٢/٢.
 (٢) - انظر الكتاب ٥٣/٣-٥٤، وقوله (أهل الكوفة) فيه إطلاق يفتقر إلى الدقة؛ لأن صاحب القراءة هو حمزة فقط من الكوفيين ووافقهم الأعمش. انظر تفصيل ذلك في البحر المحيط ٣٤٨/٢-٣٤٩، واتحاف فضلاء البشر للديلماتي ١٦٦.
 (٣) - الأعراف ٣٢/٧.
 (٤) - الكتاب ٩١/٢، وانظر معاني القرآن للقرطبي ٣٥٨/١، والمختصر لابن خالويه ٤١ والمحاسب لابن جني ٢٣٢/١، والبحر المحيط ٢٣١/٤.
 (٥) - سبأ ٤٨/٣٤.
 (٦) - الكتاب ١٤٧/٢.
 (٧) - انظر البحر المحيط ٢٩٢/٧.
 (٨) - المعارج ١٥/٧٠.
 (٩) - هود ٧٢/١١.
 (١٠) - رفع (نزاهة)، و(شيخ) هي قراءة ابن مسعود، انظر الكتاب ٨٣/٢.

وتوله تعالى: وما يشعركم إنها إذا جاءت لليومنون (١) بكسر همزة (إن) وفتحها فقد سأل سيبويه شيخه عن هذه القراءة فأجابه معللاً فتح همزة (أن) (٢)، وهذا كثير في كتابه (٣).

٣- عنايته بقراءة بعض القراء:

تنوعت القراءات في كتاب سيبويه، ووافقت معظم قراءات الأصمعي، وعلى الرغم من أنه يرى أن القراءة ستة شُئع ولانصح مخالفتها (٤) فلننا نرى أنه يأخذ بقراءات بعض القراء أكثر من غيرهم، ومن خلال متابعتنا لقراءاته المختارة نرى أنه أخذ بقراءة أبي عمرو بن العلاء، فالكسائي، فنافع، فابن كثير، وحمزة، فيعقوب، فعاصم، فابي بكر، فحفص، فابن عامر، فعجاهد، إضافة إلى قراءات كثيرة اختارها أو ذكرها لعيسى بن عمر وعبد الله بن أبي إسحاق، وابن مسعود، وأبي بن كعب (٥).

إن لأخذ سيبويه بقراءة أبي عمرو أكثر من غيره من القراء مدلولاً خاصاً يظهر لنا أثر الخليل بن أحمد في اختيارات سيبويه، ذلك لأن الخليل تتلمذ على يد أبي عمرو، ولاشك في أنه تأثر باتجاهاته النحوية واختياراته لقراءات معينة، وسيبويه بدوره أخذها عن الخليل، إذا فسيبويه لم يأخذ عن أبي عمرو إلا من طريق الرواية عمن روى عنه، وقد بلغ ذلك أربعاً وأربعين مرة (٦) بين قراءة ولفظة.

(١)- الأنعام ١٠٩/٦.

(٢)- انظر الكتاب ١٢٣/٣.

(٣)- انظر المصدر السابق ٣٤٩/٢.

(٤)- انظر المصدر السابق ١٤٨/٦.

(٥)- انظر الكتاب ١٨١/٥ وما بعدها، وفهارس كتاب سيبويه لمضية ٨٨٣ وما بعدها الطبعة الأولى ١٩٧٥، حواشي (فهرس شواهد سيبويه) للنفاح، بيروت ١٩٧٠، والاحتجاج للعلواني ٤٩.

(٦)- انظر سيبويه إمام النحاة لناصر ٩٨.

من ذلك أنه اختار قراءة أبي عمرو لقوله تعالى: **حَاشَعَا أَبْصَارَهُمْ** (١) وقوله: **يَاعْبَادِي قَاتِلُونِي** (٢) وقوله: **أُولَىٰ أَجْحَجٍ مَّثَلِي وَثَلَاثَ وَدُبَاعٍ** (٣).

ومهما يكن من أمر ذكره لأصحاب القراءات فإن المواضع التي أغفل فيها أسماءهم كثيرة جداً، فنراه أحياناً لا يذكر شيئاً عن القراءة وصاحبها، ونراه في مكان آخر يشير إليها إشارة غير واضحة كقوله: «وقد قرئ هذا الحرف على وجهين» (٤) وما شابه هذه العبارة، وكقوله: «وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً: **وَأَمْرًا فَمَحَالَّةُ الْحَطْبِ**» (٥) فنصب (محالة) قراءة معروفة لعاصم، وافقه عليها ابن محيصن، لكن سيبويه لم يشير إلى ذلك (٦).

٤- أخذه بقراءات لغير العشرة:

لم يتبع سيبويه أو الخليل قارئاً معيناً أو قراءة معينة إلا سعياً وراء تثبيت قاعدة وإقرار لفة، لذلك فإننا لانرى في اختياراته أسماء لأكابر القراء، بل يأخذ بقراءة لغير العشرة المعروفين (٧)

(١) - القلم ٤٣/٦٨، والمعارج ٤٤/٧٠، وفي المصحف (خاشعة)، الكتاب ٤٣/٢.

(٢) - الزمر ١٦/٣٩. وفي المصحف (ياعبادي)، الكتاب ٢١٠/٢.

(٣) - فاطر ١/٣٥، وانظر الكتاب ٢٢٥/٣.

(٤) - الكتاب ٩١/٢.

(٥) - المسد ٤/١١١، والكتاب ٧٠/٢.

(٦) - انظر إتجاف فضلاء البشر للديلمي ٤٤٥.

(٧) - القراء العشرة هم:

• نافع المدني: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة.

• ابن كثير هو عبد الله بن كثير المكي. وهو من التابعين. وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة.

• أبو عمرو البصري: وهو زيان بن الملا. بن عقار الملازني البصري، وقيل اسمه يحيى. وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة.

• ابن عاصم الشامي: وهو عبد الله بن عاصم الشامي البحصبي، قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا

عمران، وهو من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ثمانين ومائة. = = =

كاستدلاله بقراءة من نصب (أظهر) في قوله تعالى: هَوَلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُونَ لَكُمْ (١) وهي قراءة الحسن، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير وغيرهم من القراء عدا القراء العشرة (٢)، وقوله تعالى: **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** (٣) بنصب (أنتكم) ورفع (أنت) وهي قراءة الحسن (٤)، وقوله تعالى: **تَمَاماً عَلَيَّ الَّذِي أَحْسَنَ** (٥) وهي قراءة يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، والحسن، والأعمش (٦) ومثل ذلك كثير جداً (٧).

-
- * * * * *
 - * - عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهلقة، ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة.
 - * - حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، ويكنى أبا عمارة، وتوفي بطلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة.
 - * - الكسائي الكوفي: هو علي بن حمزة النحوي، ويكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، وتوفي برنبوية قرية من قرى الري حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة.
 - * - أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة.
 - * - يعقوب البصري: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، وتوفي بالبصرة سنة خمس ومائتين.
 - * - خلف: هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزاز البغدادي، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين.
- انظر: تحبير التيسير لابن الجزري نقلاً عن البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ص ٧، وانظر إتحاف فضلاء البشر للديلمي ٨٨، وحجة القراءات لأبي زرعة ٥١ وما بعدها.

(١) - هود ٧٨/١١ وفي مصحفنا (أظهر)

(٢) - انظر الكتاب ٣٩٦-٣٩٧ (الحاشية)، والمحتسب لابن جني ٣٢٦/١.

(٣) - الأنبياء ٩٢/٢١ وفي مصحفنا (إن هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً).

(٤) - انظر: البحر المحيط ٣٣٧/٦.

(٥) - الأنعام ١٥٤/٦ وفي مصحفنا (أحسن).

(٦) - انظر البحر المحيط ٢٥٥/٤، وإتحاف فضلاء البشر للديلمي ٢٢٠.

(٧) - انظر الكتاب ١٤٨/١، ١١٩، ٩٣/٢، ١٤٣، ٩٠/٣.

٥- أخذه بقراءات عدتها المتأخرون شاذة:

من خلال ما تناوله سيبويه في كتابه يتبين لنا أنه يحذو حذو أستاذه الخليل باستدلاله بقراءة عدتها المتأخرون شاذة من ذلك أنه ثقل عقر يوثق به من العرب أنه قال: هذا عبد الله منطلق، فزعم الخليل أن رفعه على وجهين: الأول أن (منطلق) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هذا) أو (هو)، والثاني: «أن تجعلها جميعاً خبراً لهذا، كقولك: هذا حلو حامض، لا تريد أن تنقض الحلاوة، ولكنك تزعم أنه جمع الطعمين. وقال الله عز وجل: **كَلَّا إِنَّهَا لَنظَىٰ ۖ ذَوَاعِمٌ لِّلسُّوۗوِ** (١) وزعموا أنها في قراءة أبي عبد الله (٢): **هَذَا بَعْلَىٰ شَيْخٌ**» (٣) بالرفع وهي قراءة شاذة (٤) وفي مكان آخر نرى سيبويه يستدل بقوله تعالى: **وَحُورًا مَّحِينًا** (٥) على جواز حذف الفعل إذا دلّ عليه دليل، وهي قراءة لأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود (٦) ومثل ذلك استدلاله على إعمال (إذن) في قوله تعالى: **وَإِذْ لَا يَلْبَسُوا خَلْقًا إِلَّا قَلِيلًا** (٧) وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود (٨).

وقد عالج كتاب سيبويه القراءة الشاذة بطريقة أخرى، فهو يتخذها دليلاً لإثبات قاعدة، وقياس

ظواهر في لغة العرب نحو قول الشاعر (٩):

- (١)- المعارج ١٥٧٠.
- (٢)- هو عبد الله بن مسعود، وأبو عبد الله كنيته.
- (٣)- هود ٧٢/١١، الكتاب ٨٣/٢.
- (٤)- انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٤٤/٥، فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٢٧.
- (٥)- الواقعة ٢٢/٥٦ وفي مصحفنا (وَحُورٌ مَّحِينٌ)
- (٦)- انظر الكتاب ٩٥/١، والبحر المحيط لأبي حيان ٢٠٦/٨.
- (٧)- الإسراء ٧٦/١٧، وفي مصحفنا (لَا يَلْبَسُونَ).
- (٨)- انظر البحر المحيط ٩٦/٦.
- (٩)- البيت للحارث بن نسيك، ونُسب إلى يزيد بن نسيك، وغيره. انظر الكتاب ٢٨٨/١، وخزانة الأدب ١٤٧/١، وشرح المفصل ٨٠/١.

لِيَبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ (١)

فقد رفع (ضارع) بفعل محذوف دلّ عليه ما قبله (لِيَبْكُ) بتقدير: ليبيك ضارعٌ. واستدل سيبويه على صحة ذلك بقوله تعالى: **وَكَذَلِكَ ذَيَّبْنَا لَكثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ هُرْكَاءَهُمْ (٢)** «رفع الشركاء على مثل ما رُفِعَ عليه ضارع» (٣). ومن ذلك حديثه عن إلغاء عمل الأحرف المشبهة بالفعل واستدلاله بقول النابغة الذبياني (٤):

قَالَتْ أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفَهُ فَقَدِ (٥)

وقياسه على قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ لَمَّا تَمُوتُهَا (٦)**. بقراءة من رفع (بعوضة) (٧).

ويجعل سيبويه نقلاً عن الخليل بن أحمد القراءة الشاذة أصلاً يقيس عليه القراءة القرآنية المتواترة كقوله: «**وَأَنَا هَذَا مَالِدِي عَتِيدٌ (٨)**» لرفعه على وجهين، على: شيء لذي عتيداً وعلى

(١) - يزيد هو يزيد بن نهدل الذي رثاه الشاعر. والضارع: النليل الغاضع. لخصومة: أي لأجل الخصومة، فهو ينصره ويبرده. والمختبب: طالب العرف. تطيح: تذهب وتهلك. والطوايح، أراد المطاوح لأنه جمع مطيحة، فجمعه على حذف الزيادة، كقوله تعالى: (لواقع) واحتمتها ثلثة. والشاهد فيه رفع (ضارع) بإضمار فعل دلّ عليه ما قبله، تقديره: ليبيك يزيد ضارعٌ. الكتاب ٢٨٨/١ وشرح أبيات سيبويه للنحاس ١٣٢.

(٢) - الأتمام ١٣٧/٦. وهي قراءة الحسن البصري، والسلمي، وأبي عبد الملك قاضي الجند صاحب ابن عامر. انظر معاني القرآن للقرطبي ٣٥٧/١، والمحاسب لابن جني ٢٣١/١، شكل إعراب القرآن لمكي القيسي ٢٩١/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٢٩/٤، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٦٣/٢. وفي مصحفنا (و**كَذَلِكَ ذَيَّبْنَا لَكثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ هُرْكَاءَهُمْ**) وهي قراءة ابن عامر. انظر المصادر السابقة.

(٣) - الكتاب ٢٩٠/١.

(٤) - الخصائص ٤٦٠/٢، شرح المفصل لابن يعين ٥٨٥٤/٨، مع الهوامع ١٤٣/٦٥.

(٥) - يذكر النابغة هنا زرقاء اليمامة وما كان من أمرها حين نظرت إلى سرب القطا طائراً، وكان عدده ستاً وستين، فلذا ضمّ إليه نصفه في العدد وأضيف إلى الحمارة ثم الحمام مائة. الكتاب ١٣٧/٢.

(٦) - البقرة ٢٦/٢ وفي مصحفنا (بعوضة).

(٧) - هي قراءة الضحاك، وإبراهيم بن أبي عبلة، وروية بن العجاج، وقطرب، ولها وجه إعرابية كثيرة منها أن (بعوضة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) أو (هي). انظر الكتاب ١٣٨/٢، البحر المحيط ١٢٢٢/١-١٢٢٣، روح المعاني للالكوسي ٢٠٧/١، توجيه النحاة للقراءات الشاذة لعمود الصغير ١٠٩٠٦٤٠٦٢، (رسالة ماجستير - جامعة حلب) ١٩٨٥.

(٨) - سورة ق ٢٣/٥٠ وهي قراءة متواترة، أما قراءة (عتيداً) بالنصب فهي قراءة ابن سمود؛ انظر مختصر ابن خالويه ١٤٤.

هذا بغلي شيخ (١)»

ويقيس قراءة متواترة ويستدلّ لها بقراءة شاذة في قوله: «وكان عيسى يقرأ هذا الحرف: **لَدَعَمًا رَبَّهُ إِنِّي مَغْلُوبٌ تَانْتَصِيرًا** (٢) أراد أن يحكي، كما قال عزّ وجلّ: **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ (٣) كَأَنَّهُ قَالَ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ قَالُوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ)**. ويزعمون أنها في قراءة ابن مسعود كذا. ومثل ذلك كثير في القرآن:» (٤)

٦- نظرات في استدلاله بالقراءات:

إذا أردنا أن نعرف موقف سيبويه وأستاذه الخليل من القراءات القرآنية فلا بد لنا من الإشارة إلى أن موقف الاثنين هو موقف واحد، تأثراً وتأثيراً، وما الأحكام التي أطلقها التلميذ إلا أحكام أستاذه، وكل مواقف الخليل نبتاها سيبويه بدليل أنه في معرض حديثه عنها لانتلمس ما يشير إلى مخالفة في الرأي أو تباين في معالجة أيّ من المسائل النحوية.

أما ما نُسب إلى الخليل من تهجم على القرآن الكريم وقراءاته (٥)، لاسيما القراءات التي كان للعلماء فيها اتجاهات متعددة فهو غير صحيح، وإذا أردنا أن نكشف النقاب عن حقيقة موقفه من القراءات فإننا لانجد أمامنا إلا كتاب سيبويه، فهو المصدر الوحيد الذي نرى فيه موقف الاثنين من القراءات القرآنية.

(١) - هود ٧٢/١١، وهي قراءة ابن مسعود: انظر الكتاب ٨٣/٢، ١٠٦ والاحتجاج للحلواني ٥١.

(٢) - النمر ١٠/٥٤ وهي قراءة عيسى بن عمر، وهي في مصحفنا (إني مغلوبٌ) بفتح همزة (أني).

(٣) - الزمر ٣/٣٩.

(٤) - الكتاب ١٤٣/٣ وانظر سيبويه إمام النحاة لناصر ٨٥.

(٥) - انظر: أبو زكريا الفراء، ومنهجه في النحو واللغة لأحمد سكي الأنصاري ٣٨٣ نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

١٩٦٢. وانظر مكانة الخليل لعياينة ٤٤.

يرى سيبويه - وهو موقف الخليل - أن القراءة سنة لا تخالف - كما مر بنا - فهو يستدل بالقرآن الكريم، وقراماته، معللاً حيناً، وسجيزاً أكثر من قراءة حيناً آخر، أو ملتزماً الصمت أمام القراءات التي تخالف الشائع من لغة العرب، من دون أن يتعرض لها؛ من ذلك أنه لم يتعرض لقراءة ابن عامر لقوله تعالى: **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ هُوَ كَانِهِمْ** (١) ولم يشر إلى عدم جواز الفصل بين المضاف إليه بشيء إلا في الضرورة الشعرية (٢) ولم يتعرض لقراءة حمزة الزيادات لقوله تعالى: **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْمَرْحَامِ** (٣) في نقله عن العرب أنهم لا يعطفون الاسم الظاهر على الضمير المجرور (٤)، وكذلك لم يتعرض لقراءة نافع لقوله تعالى: **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** (٥) بالهمز في (معاش) على الرغم من أنه لا يجيز الهمز في هذا الموضع (٦). فإذا كان سيبويه، أو الخليل لا يسلم بقراءات القرآن لكان قد تعرض لهذه القراءات وظهر موقفه منها، لاسيما أنها تخالف لغة العرب.

ولم يكتف سيبويه بعدم تعرضه لما خالف لغة العرب من القراءات القرآنية، بل ذهب إلى حد الأخذ بالقراءات الشاذة - كما بينا - والقراءات التي تعتمد لغة قلة من العرب إذ صح إسنادها؛ من ذلك قراءة أهل مكة لقوله تعالى: **فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِجْرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَدَّعِينَ** (٧).

(١) - الأنعام ١٣٧/٦، وانظر حجة القراءات لأبي زرعة ٢٧٣ وفي مصحفنا (وكذلك **وَيَزِينُ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ هُوَ كَانِهِمْ**).

(٢) - انظر الكتاب ١٧٦/١.

(٣) - النساء ١/٤، وانظر حجة القراءات لأبي زرعة ١٨٨ وفي مصحفنا (والمرحام).

(٤) - انظر الكتاب ٣٨٢-٣٨١/٢.

(٥) - الأعراف ١٠٧/٧، والحجر ٢٠/١٥ وانظر مختصر ابن خالويه ٤٢ وفي مصحفنا (معاش).

(٦) - انظر الكتاب ٣٥٥/٤.

(٧) - الأنفال ٩/٨، وانظر البحر المحيط ٤٥٦/٤، مختصر ابن خالويه ٤٩، والمحتسب لابن جني ٢٧٢/١.

أي مُرْتَدِّفِين، ولم يعلق عليها قبولاً، أو ردّاً على الرغم من أنها لغة قليلة، وهذا شأن الخليل أيضاً (١).

وفي مواضع كثيرة نجد سيبويه -وهو ينقل عن الخليل- يلجأ إلى التعليل المباشر الواضح في معرض تناوله لقراءة ما؛ من ذلك موقفه من قراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: **لَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** (٢) وقوله: **يَا زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ** (٣) بتخفيف الهمزة في (جاء، وذكرياء)، وتحقيقها في (أشراطها، وأنا)؛ يقول الخليل مبرراً ميله إلى تحقيق الهمزة الأولى إذا التقت همزتان: «إِنِّي رأيتهم حين أرادوا أن يُبدلوا إحدى الهمزتين اللتين تلتقيان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة، وذلك: جَائِ، و آدم. ورأيت أبا عمرو أخذ بهنّ في قوله عزّ وجلّ: **يَا وَيْلَتَا لَإِذَا مَجُوزٌ** (٤) وحقق الأولى. وكلُّ عربيّ. وقياس من خفّف الأولى أن يقول: **يَا وَيْلَتَا الْإِذَا**» (٥) وواضح من كلام سيبويه والخليل أنّ أبا عمرو قرأ على وجهين، وهما فضلاً إحداهما من غير أن يردّها الثانية أو ينكرها.

وأولى سيبويه المعنى أهمية خاصة، ووجه تعليقاته صوريّة، وقد يردّ قراءة ويقبل أخرى اهتماماً منه بمعنى أكثر صواباً من غيره؛ من ذلك أنّه سأل الخليل عن قوله تعالى: **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ** اللّهُ **إِلَّا وَحِيّاً، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً، فَيُوحِي بِأَمْرِهِ مَا يَشَاءُ** (٦) فأجاب بأنّ (يرسل) منصوب بأن مضمرة، وعطفّت (أو) المصدر المؤنّن (إرسالاً) على (وحياً)، ولما كان (يرسل) فعلاً، و (وحياً) اسماً، أضمرت (أن) ليسوّج عطف الفعل على الاسم، ولا يجوز عطف (يرسل) على (أن)

(١) - روي عن الخليل أيضاً (مُرتدِّفِين) بكسر الراء إتباعاً لكسرة الدال، وأصلها (مُرتدِّفِين). انظر الكتاب ٤/٤٤٤.

(٢) - محمد ١٨/٤٧. وفي مصحفنا (جاء).

(٣) - مريم ٧/١٩.

(٤) - هود ٧٢/١١.

(٥) - الكتاب ٥٤٩/٣.

(٦) - الشورى ٥١/٤٢.

يكلّفه) لأنّ المعنى يصبح فاسداً حينذاك (١).

أما موقف سيبويه من القراءات التي أشار إلى وجه قراءتها، فإنه يسلك مسالك متنوعة، منها أنه يصف القراءة بالقلّة كقراءة من قرأ: **وَلَمَّا حِينٌ مِّنَاصٍ** (٢) ووصفها بأنّها قليلة (٣) وقد يشير إشارة خفية إلى ضعفها، وذلك من خلال كلام سابق لها، نحو قوله: «واعلم أنّ كفى بنا فضلاً على من غيرنا أجود، وفيه ضعف إلا أن يكون فيه (هو): لأنّ (هو) بعض الصلة، وهو نحو: مررت بأيّهم أفضل، كما قرأ بعض الناس هذه الآية: **تماماً على الذي أحسن**» (٤).

وقد يشير إلى قراءة بأنها جيدة ثم يعلل سبب اختياره هذا، ويدافع عن حكمه عليها، نحو قوله: «**وقال عزّ وجلّ: وَإِن تَخَفُوها وَتُؤْتُوها الْفُقراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ، وَيُكْفَرُ بِكُمْ مِّن سَيِّئاتِكُمْ**» (٥) والرفع ههنا وجه الكلام، وهو الجيد؛ لأنّ الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء، فجرى الفعلُ هنا كما كان يجري في غير الجزاء» (٦).

(١) - انظر الكتاب ٤٩/٣.

(٢) - سورة ص ٣/٣٨، وفي مصحفنا **وَلَمَّا حِينٌ**، أما **وَلَمَّا حِينٌ** فهي قراءة عيسى بن عمر، وروي عنه **وَلَمَّا حِينٌ** بكسر التاء، ونصب النون، وجرّ النون، و**وَلَمَّا حِينٌ مِّنَاصٍ** برفع النون وفتح (مناص) بعده، و**وَلَمَّا حِينٌ** بكسر التاء، ونصب النون. انظر مختصر ابن خالويه ١٢٩، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٨٤/٧.

(٣) - انظر الكتاب ٤٤٨/١.

(٤) - الأنعام ١٥٤/٦ وهي قراءة يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، والحسن، والأعمش. انظر الكتاب ١٠٨/٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٥٥/٤، وإتحاف فضلاء البشر للديلماتي ٢٢٠. وفي مصحفنا **على الذي أحسن**.

(٥) - البقرة ٢٧١/٢ وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم. انظر إتحاف فضلاء البشر للديلماتي ١٦٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٣٢٥/٢.

(٦) - الكتاب ٩٠/٣.

وقد ينقل رأي غيره، ويستدل به ليرد قراءة يرى أنها لحن؛ فهو يتحدث عن ضمير الفصل فيقول: «وأما أهل المدينة فيُنزلون هُوَ ههنا بمنزلة بين المعرفتين، ويجعلونها فصلاً في هذا الموضع. فزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحناً، وقال: احتبى ابنُ مروان في ذِه في اللحن» (١)، والمقصود قوله تعالى: **هولاء بناتٍ هنَّ اطهرَ لكم** (٢) بنصب (أطهرَ) (٣).

(١) - الكتاب ٣٩٦/٢ - ٣٩٧.

(٢) - هود ٧٨/١١ ولي مصحفنا (أطهرَ).

(٣) - هي قراءة محمد بن مروان السدي، ورويت كذلك عن الحسن، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر، وسعيد بن جبير. انظر

للكتاب ٣٩٦/٢، مختصر ابن خالويه ٦٠، والبحر المحيط لأبي حيان ٢٤٧/٥ وغاية النهاية لابن الجزري ٢٩١/٢.

المسائل النحوية في استدلال سيبويه بالقرآن الكريم

تداول العرب في جزيرتهم لغة عانة شائعة فيها كثير من لهجاتهم الخاصة بهم، فإذا أرادوا قول الشعر لجؤوا إلى لغة فنية، فيها من الأساليب الخاصة ما يجعلها تختلف عن اللغة الشائعة اختلافاً نوعياً.

لذلك فإننا نرى سيبويه في استدلاله بلغة القرآن يتعد عن الاستدلال لما يواكب القواعد الأصلية بشكل عام؛ ويحاول الاستدلال لما خالف الأصول؛ لأنّ ما يواكب الشائع لا حاجة للاستدلال به سواء أكان ذلك شعراً أم نثراً. وهذا لا يعني أنه لم يول القواعد الأصلية أية أهمية، بل نراه يقف عليها وقفة المتأمل الموصّل المنتبّع في مواضع غير قليلة.

وكان استدلاله لما خالف الأصول المحور الأهم لتناولته النحوية، بكل ما يتضمّنه هذا المحور من معالجات نحوية فرعية، ثم يأتي استدلاله للأصول لتظهر المقارنة بين الأصل وضدّه مما يكسب الأمرين وضوحاً وبيانا، ثم يظهر لنا بعض السمات الخاصة في استدلاله كتتبّعه للقاعدة وجزئياتها، أو استدلاله لجزء من القاعدة تاركاً الخطوط العرضية دون أن يستدل لها بالقرآن الكريم، وقد يستدل بما يوافق السماع الذي هو أبرز أصوله النحوية، وكذلك نراه يوجّه بعض الآيات الكريمة توجيهات تختلف عما ينقله عن شيخه الخليل، وقد يقصر استدلاله في بعض التناولات النحوية على القرآن الكريم دون غيره، أو بعض القراءات القرآنية محاولاً الاستدلال للجيد من لغة العرب، مظهراً مقاييس الجودة عندهم من خلال إبراز الوجوه المتعددة المحتملة في معالجاته النحوية.

١- الخروج على الأصل:

استدلال سيبويه بالقرآن الكريم في الأعم الأغلب ماخلف القواعد الأصلية، والغاية من هذا الاستدلال قد يكون لأسباب كثيرة: منها الأمر المعنوي، أو الأسلوب الفني، أو بيان الاستخدام من حيث الكثرة والقلة، أو نقل اللفظة أو اللهجة، أو الاتساع في اللفظة، أو التوقف، إضافة إلى أنه قد يفتح لما يريده من غير تصريح.

أ- الأمر المعنوي:

فقد يُتعد عن الأصل من خلال أمر معنوي يطرأ على معنى الفعل، أو غيره؛ فقد نقل سيبويه عن الخليل أنّ الفعل المضارع ينجزم إذا كان جواباً لأمر أو نهي، أو استفهام، أو تقنٍ أو عرض. (١)
 لكن جواب الطلب قد يأتي بعد ما لفظه الخير، ومعناه الأمر، نحو قوله تعالى: **هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجْبِيكُمْ مِنْ عُذَابِ الِيمْرِ، تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ** (٢)، فلما انقضت الآية الكريمة قال: **يَقْفَرُوا لَكُمْ** (٣)، فمعنى الفعل (تؤمنون) هو آمنوا (٤)

* وقد يأتي الفعل المضارع بمعنى الفعل الأمر المحذوف بدلالة (القول) قبله عليه؛ كقوله تعالى:
قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ (٥) فالمعنى المقصود: قل لهم:

(١)- انظر الكتاب ٩٣/٣، وانظر ٦٢/٣.

(٢)- الصف ١٠٠/٦١-١١.

(٣)- الصف ١٢/٦١.

(٤)- انظر الكتاب ٩٤/٣، ونظام الجملة ٥٦٧/١.

(٥)- إبراهيم ٣١/١٤.

* ومنه أنّ الفعل المضارع ينتصب بأنّ المضمره بعد الغاء السببية، إذا كان الارتباط بين الجملتين بالفاء، وكانت الثانية مسببة عن الأولى، وذلك إذا سبق بنفي أو طلب، (٢) ثم ينقل سيبويه عن الخليل أنّ المضارع لا ينتصب إذا لم يسبق بالنفي، أو الطلب وإنّ كانت الغاء سببية، عندها يعرض سيبويه على شيخه قوله تعالى: **الرُّسُلَ أَنْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُطْبِغُ الْأَرْضُ مَحْضُورًا** (٣) حيث وقع المضارع (تصبغ) بعد الفاء، وهو فعل (متسبب) عن الفعل الذي جاء قبله (أنزل) وقد سبق بنفي، وعلى الرغم من توفر شروط النصب بأنّ المضمره فيما يظهر، فإنّ الفعل لم ينتصب. وينقل سيبويه جواب الخليل بأنّ النصب لم يقع؛ لأنّ المعنى في قوله تعالى: **الرُّسُلَ أَنْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ** * ليس نفيًا، وإنما تنبيه بمعنى: «أتسمع أنّ الله أنزل من السماء ماءً فكان كذا وكذا»، (٤). فقد استدلّ على ماخالف الأصل لأمر: يتعلّق بتعبّر معنى (**الرُّسُلَ أَنْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ**) إلى: أتسمع أنّ الله.

* ومنه أنّ المستثنى حكمه النصب أو الإتياع على البدلية لآته **مُخْرَجٍ** معاً أدخلت فيه غيره (٥) لكنّ الأمر يختلف عن الأصل إذا كان ذلك يؤدي إلى فساد المعنى، من ذلك قوله تعالى: **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** (٦) فقد استدلّ على عدم جواز البدلية في الآية الكريمة لسبب يتلقّى بالمعنى: لأننا لو قلنا: لو كان فيها الله لفسدتا، لفسد المعنى، وهو ما يدفعنا لجعل (**إِلَّا**) وما بعدها صفةً بمعنى (غير) (٧).

(١) - انظر الكتاب ٩٩/٣، ونظام الجملة ٥٦٧/١.

(٢) - انظر المصدر السابق ٢٨/٣.

(٣) - الحج ٦٣/٢٢.

(٤) - الكتاب ٤٠/٣.

(٥) - انظر المصدر السابق ٣٣٠/٢.

(٦) - الأنبياء ٢٢/٢١.

(٧) - انظر الكتاب ٣٣١/٢-٣٣٢، ونظام الجملة ٢٠٧/١.

* ومنه أن أفعال الشك، واليقين تخرج عن الأصل وهو نصب مفعولين، إلى معانٍ أخرى، ذلك إذا جاء بعد هذه الأفعال (أن) المصدرية التي ينتصب بعدها المضارع، فلن أفعال الشك تكون بمعنى خِفْتُ وخشيتُ، وأفعال اليقين تكون بمعنى التمني والطمع (١)، واستدل سيبويه على ذلك بقوله تعالى: **تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا تَقْوِيرًا (٢)** وقوله: **إِنْ ظَنَّا أَنْ يَنْقُصَنَا اللَّهُ (٣)** بمعنى (تخافُ)، و (إن خافا) (٤). واستدل على (علم) التي تكتفي بمفعول واحد إذا ضُمَّت معنى (عرف) (٥) بقوله تعالى: **لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ (٦)** كتقولك: لا تعرفونهم الله يعرفهم (٧).

إن استدلال سيبويه على ماخالف الأصول كثير في كتابه (٨) وأبرزه ما يتعلق بتغيير المعنى الذي يؤدي إلى تغيير في العمل، وهذا ما يؤدي إلى وضوح، وبيان في المعنى المراد من الآية الكريمة، أو غيرها من دلائل الاستدلال.

(١) - انظر الكتاب ١٦٧/٣.

(٢) - القيامة ٢٥/٧٥.

(٣) - البقرة ٢٣٠/٢.

(٤) - انظر الكتاب ١٦٧/٣، ونظام الجملة ٤٢٠/١.

(٥) - انظر الكتاب ٢٣٧/١.

(٦) - الأنفال ٦٠/٨.

(٧) - الكتاب ٢٣٧/١، ونظام الجملة ٤٢١/١.

(٨) - انظر الكتاب ٤٠/١، ٤١، ٥٠، ٩٢، ٦٥، ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٥.

٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٠، ٤٣٥، ٤٤٠، ١٢٦/٢، ١٤٠، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٩١، ٣٠/٣، ٣٦.

٤٧، ٥٠، ٧٢، ١٠٣، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٧، ١٨٨.

ب- الأساليب الفنية:

وهي الأساليب الفنية التي لا تنطوي تحت جناحي القاعدة (١)، إثباتاً لها، أو خروجاً عليها، وتشمل كثيراً من الأساليب الخاصة في معظم المباحث النحوية، كإنزال غير العاقل منزلة العاقل في تطابق المبتدأ مع جملة الخبر، والفعل مع الفاعل، واسم الفاعل مع فاعله، أو فيما يتعلق بجملة الشرط، وجوابه، وغير ذلك من الأساليب التي اقتصت بها لغة القرآن الكريم؛ من ذلك:

* يطابق المبتدأ في العدد والجنس والنوع الضمير الذي في جملة الخبر، والذي يربط جملة الخبر بالمبتدأ، فإذا كان المبتدأ مقاً لا يعقل جاء الضمير الرابط مطابقاً له إلا إذا نُزك غير العاقل منزلة من يعقل، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم، واستدل سيبويه منه بقوله تعالى: **لَالشَّمْسُ يَبْعَثُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ، وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** (٢) فقد جاء الخبر - وهو جملة (يسبحون) - وفيه ضمير مختص بالذکور العقلاء مع أنّ المبتدأ (كلّ) مقاً لا يعقل؛ لأنّه يعود على الشمس والقمر، والليل والنهار، وقد فسر الخليل ذلك بأنّ ما لا يعقل نُزك منزلة من يعقل لأنها تقوم بطاعة اللّ (٣)، ويرى المفسرون أنه غلب العقلاء لأنّه نُزك الشمس والقمر، والنجوم، والكواكب منزلتهم، والسرّ في ذلك أنه لما وصفهم بالسباحة وهي من أوصاف العقلاء ساغ له ذلك (٤).

* والأصل كذلك أن يتطابق الفعل مع فاعله في كثير من الأمور، ويجوز الخروج عليها كأنّ يُسند الفعل إلى ضمير من يعقل، وإنّ كان عائداً إلى ما لا يعقل؛ يجوز ذلك إذا نُزك ما لا يعقل منزلة العاقل، واستدلّ سيبويه بقوله تعالى: **وَأَيُّهُمْ لِي سَاجِدِينَ** (٥)، وقوله: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ادْعُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ إِسْمًا كَانُوا يُسَمُّونَ بِهَا وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ إِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ** (٦)

(١) - انظر نظام الجملة ٩/١.

(٢) - يس ٤٠/٣٦.

(٣) - انظر الكتاب ٤٧/٢، ونظام الجملة ٢٥/١.

(٤) - انظر تفسير التنفسي ١٤٢/٣، وأعراب القرآن لدرويش، ٢٣/٢٠٢ - ٢٠٣.

(٥) - يوسف ٤/١٢.

(٦) - النحل ١٨/٢٧.

ونقل عن الخليل زعمه أنّ ذلك بمنزلة ما يعقل، ويسمع لما ذكرهم بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حين حدثت عنه كما تحدّث عن الأناسي (١)، ويرى بعض المفسرين أنه قال (ادخلوا) ولم يقل: ادخلن؛ «لأنه لما جعلها قاتلة: (أي النملة)، و النمل مقولاً لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم» (٢).

* والأصل أن يتطابق اسم الفاعل مع فاعله في التذكير والتأنيث، وماخالف المطابقة هو خروج على الأصل، ويستدل سيبويه على مخالفة الأصل بقراءة أبي عمرو بقوله تعالى: **خَاشِعاً أَبْصَارُهُمْ** (٣)، وقال: «واعلم أنّه من قال: ذهب نساؤك، قال أذهب نساؤك. ومن قال: لقمن جاءت صَوِّمِظَةً من ربّه (٤)، قال: أجاتني موعظة، تنهب الهاء هاهنا كما تنهب التاء في الفعل» (٥)، وذكروا أنّ (موعظة) في الآية الكريمة بمعنى (وعظ)، وقالوا: إنّما جاؤوا بالتاء - فيما يشبه ذلك - للتأنيث؛ لأنها ليست علامة إضمار كالواو والألف، وإنّما هي كهاء التأنيث في طلحة، وليست باسم، وقال بعض العرب: (قال فلانة) وكلما طال الكلام فهو أحسن وأجمل نحو قولك: حضر القاضي امرأة (٦).

(١) - انظر الكتاب ٤٧/٢، ونظام الجملة ٥٤/١.

(٢) - تفسير النسفي ٦٠٢/٢.

(٣) - القلم ٤٣/٦٨، وفي مصحفنا اليوم **خَاشِعَةً أَبْصَارَهُمْ** وانظر الكتاب ٤٣/٢.

(٤) - البقرة ٢٧٥/٢.

(٥) - الكتاب ٤٣/٢.

(٦) - انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٣/١، والمقتضب للبربر ١٤٦/٢، ٣٤٩/٣، ٥٩/٤، والكشاف للزمخشري ٤٠٠/١.

* والأصل أن يتطابق فعل الشرط وجوابه، ويشرح سيبويه ذلك الأصل، فيقول: «إِذَا قُلْتَ: إِنْ تَفْعَلْ، فَأَحْسِنُ الْكَلَامَ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ (أَفْعَلْ)؛ لِأَنَّهُ نَظِيرُهُ مِنَ الْفِعْلِ، وَإِذَا قَالَ: إِنْ فَعَلْتَ، فَأَحْسِنُ الْكَلَامَ أَنْ تَقُولَ (فَعَلْتُ) لِأَنَّهُ مِثْلُهُ»، (١)، ثم يستدل لما خرج عن الأصل بقوله تعالى: **مَنْ كَانَ يَتُوبِ إِلَى اللَّهِ حَيًّا** الدنيا **وَزَيَّنَّتْهَا نُوْفًا لِلْيَحْرَمِ أَعْمَالُهَا** (٢) وهو أسلوب فني فريد حيث جاء فعل الشرط ماضياً وجوابه مضارعاً مجزوماً، ويرى بعضهم أن (كان) في حكم المزيّدة، فكأنّ فعل الشرط (يريد)، فهو مضارع كالجواب، فقد توافقا من هذه الجهة. ومنها أن القائل يقول: إِنْ كُنْتُ تَعْطِينِي سَأَلْتُكَ، فيكون كقولك: إِنْ أَعْطَيْتَنِي سَأَلْتُكَ (٣).

وقد استدل سيبويه لما خرج عن الأصل بأسلوب فني بآيات من القرآن الكريم في مواضع كثيرة من الكتاب (٤).

ج- بيان الكثرة والقلّة:

لجأ سيبويه في مواضع كثيرة إلى بيان موضع القاعدة المستنبطة في لغة العرب؛ لأن الكثرة والقلّة معيار سليم يصور لنا تداول هذه اللفّة، أو تلك، أمّا بيان الكثرة والقلّة لما خالف الأصول في قواعد سيبويه فهذا أقل عدداً مقارنةً مع القواعد التي جاءت في كتابه بشكل عام. فقد استدل بالقرآن الكريم على ماخالف الأصول في حديثه عن (بُكْرَة وَغَدْوَة)، وقطع الصفة، وصلّة الموصول.

* فقد أيد سيبويه زعم يونس عن أبي عمرو أنهم - أي العرب - ينعون (بُكْرَة وَغَدْوَة) من الصرف إذا كانتا معرفتين تدلّان على زمن محدّد من يوم معيّن، وقال: وكذلك تقول العرب (٥)

(١) - الكتاب ٢١/٣ - ٩٢.

(٢) - هود ١٥/١١.

(٣) - معاني القرآن لفرّاج ٥/٢ - ٦.

(٤) - انظر الكتاب ٥١/١، ٧٤، ١٤٣-١٤٢، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٦، ٢١٢، ٢٥٧، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٤٦، ٤٣٢.

٩٢/٢، ١٤، ٤٣، ٤٧، ١١٥، ٣٣٣-٣٣٢، ٣٩١، ٥٣/٣، ٦٨، ١٠٣، ١١٠، ١٢٦، ١٥٣، ١٥٥، ٥٥٩، ٥٦٧، ٦٢١ - ٦٢٢.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢٩٣/٣.

ثم نقل لنا أنّ التخليل وأبنا الخطاب أجازا صرفهما وإن كانتا معرفتين تدلان على زمن معين، وأنّ أبنا الخطاب سمع من يوثق به من العرب - وهذه عبارة تعني القلة- يقول: أتبك بكرة، وهو يريد الإتيان في يومه أو في غد» (١)، ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: **ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً (٢)**.

* والأصل في القطع أنه لولا انقطاعه لكان صفة، أو بدلاً، أو معطوفاً، أو خبراً لما قبله (٣)، فهو يتبع ما قبله لكنّه لما قُطع خالف الأصل لمعان عدة، ويستدل سيبويه لما قُطع على معنى التعظيم والمدح، وكان أصله صفةً بالقرآن الكريم على لغة قلة من العرب، بقوله: «وسمعنا بعض العرب يقول: الحمد لله رب العالمين» (٤) فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية» (٥) والزعم بأنها عربية يدلّ على القلة عند النحاة.

* - ولا يكفي سيبويه بالاستدلال على القليل من لغة العرب، بل يستدل على النادر (٦) فالأصل في جملة الصلة إذا كانت اسمية أن يُذكر ركنها المبتدأ والخبر، وإذا حُذف المبتدأ كان ذلك قبيحاً، واستدلّ بقراءة بعض الناس لقوله تعالى: **تماماً على الذي أحسن (٧)** بالرفع. ولعلّ استدلاله بالنادر

(١)- انظر الكتاب ٢٩٤/٣، ونظام الجملة ١٤٨/١.

(٢)- مريم ١٩ / ٦٢.

(٣)- انظر نظام الجملة ٥٨٣/١.

(٤)- الفاتحة ٢/١.

(٥)- الكتاب ٦٣/٢.

(٦)- انظر المصدر السابق ١٠٧/٢، ونظام الجملة ٦٣٦/١.

(٧)- الأنعام ١٥٤/٦ وهي قراءة يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، والحسن، والأعمش وهي في مصحفنا **(على الذي أحسن)**.

انظر حاشية الكتاب ١٠٨/٢.

القبیح كان من باب الإحاطة والشمول لقواعد العربية بدلیل أنه یأتي بعد القواعد الأصلية بما فیها كثرة وحسن وثقة. ومثل ذلك كثير في الكتاب (١)

د- نقل لغة :

ما من شك أن الفرق بين اللغة واللهجة ضئيل متداخل، لكنه موجود بدلیل أنه لا تتطابق كلمة مع مرادفها في المعنى تطابقاً كاملاً؛ لأنه لا بد من فارق ما بين الكلمة ومرادفها.
فاللغة هي اللسن، وحدثها أنها أصوات يُعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم (٢)؛ واللهجة هي جرس الكلام، ويقال: فلان فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغة التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها ولهج بالأمر أولع به واعتاده (٣) فاللغة هي الأعمق والأشمل في لغة الأمة وهي التي تحتضن القواعد لأنه بوساطتها يعبر الإنسان عن أغراضه، أما اللهجة فهي أضيق من سابقتها وهي جزء من اللغة وتشمل الفوارق التي بين الناس الذين ينطقون بلغة ما؛ فقولنا قواعد اللغة العربية يعني القواعد الناطقة لكلام أغلب العرب، أما اللهجة فلا قواعد لها لأنها تمثل لغة فئة من العرب لاتصل إلى حد الأغلب.

*- ويهدف سيبويه أحياناً من خروجه عن الأصل إلى نقل لغة من اللغات التي نطقها العرب، من ذلك أن بعضهم يحذف حرف الجر بعد بعض الأفعال (٤)، ويستدل سيبويه على ذلك بقوله تعالى: **واختار موسى قومه سبعين رجلاً (٥)** ويؤكد أن حذف حرف الجر، والنصب بنزع الخافض ليس قياسياً وإنما هو سماعي (٦).

(١)- انظر الكتاب ٢٥/١، ٢٩/٢، ٤٠-٣٩، ١١٩١٠-٨٦٣، ٣٩٨٢١٠، ١١٩١٠-٨٦٣، ٣، ١٩٣/٣، ٢٩٤، ٢٨٩، ١٩٣/٣.

(٢)- اللسان (لغا)

(٣)- المصدر السابق (لهج).

(٤)- انظر الكتاب ٣٧/١.

(٥)- الأعراف ١٥٥/٢.

(٦)- انظر الكتاب ١٦٠/١. ونظام الجملة ١٣٦/١.

هـ- بيان لهجة من لهجات العرب:

بتكلم سيبويه على ما خالف الأصول النحوية، ومن خلال كلامه يستدلّ بالقرآن الكريم، ويؤوّل الآية بما يتناسب مع الأصول؛ من ذلك أنّه إذا كان الفاعل ظاهراً لزم الفعل حالة واحدة في الأفراد والثنية والجمع إلّا في واحدة من لهجات العرب وهي لفة (أكلوني البراغيث) ، وقد نفى يونس هذه اللفة عن القرآن الكريم وتأوّل قوله تعالى: **وَأَسْرُوا النَّجُوعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا** (١) على البديل من سؤال مقدر، «وكأنّه قال: انطلقوا، فقبل له: من؟ فقال: بنو فلان. فقوله عزّ وجلّ **وَأَسْرُوا النَّجُوعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا** (٢) على هذا فيما زعم يونس» (٣)

* ومنه استدلال بقوله تعالى: **مَالِحٌ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّنِّ** (٤) على لغة أهل الحجاز الذين ينصبون المستثنى في الاستثناء المنقطع على معنى: ولكنّ. وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول كما يفعل بنو تميم (٥).

والحديث عن اللهجات في الكتاب بارز بشكل واضح سواء أكان في استدلاله بالقرآن الكريم أم بغيره؛ والغاية من ذلك بيان الفوارق بين القواعد المستنبطة، واستخدام العرب لهذه القواعد، ولذلك أهمية كبيرة إذا عرفنا أنّ عملية استقراء اللغة لم تقتصر على فئة دون أخرى من لهجات العرب.

وقد أورد سيبويه آيات قرآنية أخرى في استدلاله بالقرآن الكريم لبيان لهجة عربية (٦)

(١)- الأنبياء ٣/٢١.

(٢)- الأنبياء ٣/٢١.

(٣)- الكتاب ٤١/٢.

(٤)- النساء ١٥٧/٤.

(٥)- انظر الكتاب ٣٢٢/٢، ونظام الجملة ٢٠٨/١-٢١٠.

(٦)- انظر المصدر السابق ٥٩/١، ٣٢٢/٢، ١٢٣/٣.

و- الاتساع:

* الاتساع هو الخروج عن حدود العلاقات المنطقية العادية التي هي قوام النحو (١) والتي حرص سيبويه على تجسيدها في قواعده؛ وهو -أي الاتساع- ابتعاد عن الأصول كالاتساع في ظروف الزمان، بأن يخرج الظرف عن الظرفية لفظاً، لاسمى فيضاف لما قبله في سعة الكلام نحو قوله تعالى: **بَلْ صَكُرَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**، (٢) فالليل والنهار لا يتكرران، ولكن المكرّ فيهما. (٣) وغير ذلك من المواضع (٤) ويعمل سيبويه الاتساع ويعيده إلى الاختصار والاستخفاف، وكل ذلك يدخل في باب المجاز (٥).

ز- التلميح:

* الأصل في المتضايقين ألا يفصل بينهما، وتكلم سيبويه على الفصل بينهما بـ(ما) الزائدة، ولم يذكر ذلك صراحة، ولكنه جاء بأمثلة تشير إليه، واستدل بقوله تعالى: **إِنَّهُ لِحَقِّ مِثْلِ مَا أَتَاكُمْ تُلْطِقُونَ** (٦) «فلولا أن (ما) لغو لم يرتفع مثلٌ، وإن نصبت (ما) أيضاً لغو» (٧) وتلميح سيبويه هو أسلوب خاص من أساليب النحاة في الإيجاز، والاختصار آنذاك.

(١)- انظر اللغة والإبداع لشكري عياد ١١١، الطبعة الأولى ١٩٨٨ مصر.

(٢)- سبأ ٣٤/٣٣.

(٣)- انظر الكتاب ١٧٦/١، ونظام الجملة ١٤٩/١.

(٤)- انظر المصدر السابق ٢١٠/١-٣٣٧، ٢١١.

(٥)- المصدر السابق ٢٢٢، ١٧٦/١، واللغة والإبداع لمياد ١١١.

(٦)- الذاريات ٥١/٢٣.

(٧)- الكتاب ١٤٠/٣، ونظام الجملة ٣١١/١.

* الأصل أن يتبع المعطوف المعطوف عليه سواء أكان ذلك اسماً أم فعلاً وكل ما يخالف ذلك هو خروج على الأصل كعطف الفعل المضارع المجزوم على جواب الطلب المنصوب بأن المضمرة بعد الفاء السببية، وذلك على تقدير حذف هذه الفاء، وجزم الفعل الأول، وصاحب فكرة العطف على الترهيم هو الخليل، وتبعه في ذلك سيبويه (١) واستدلّ بقوله تعالى: **لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ إِذْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مِنَ الصَّاحِحِينَ** (٢). ومنه أيضاً استدلاله بقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى سَمَوَاتٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمَلٌ صَالِحًا، قَلِيلٌ خَوْفًا عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٣) وخرج الآية نقلاً عن الخليل على التقديم والتأخير، وكأنه ابتدأ على قوله: (والصابقون) بعد مضي الخبر (٤).

٢- تتبع القاعدة والاستدلال عليها

لم يسع سيبويه إلى بيان ما خالف الأصول، أو وافقها فقط، بل نراه في مواضع كثيرة يتتبع القاعدة بكل دقائقها مستدلاً عليها بالقرآن الكريم، بآيات كثيرة متتابعة الغاية منها إظهار صحة ما يقعده من كلام العرب، بدليل من كلام الله.

* - من ذلك أنه في حديثه عن القسم، والمطابقة في ضمير الفاعل بين جملة القسم، وجملة الجواب، يذكر أنه لا تشترط المطابقة، فقد يُقسَم المتكلم ويكون ضمير الجواب غائباً أو متكلماً أو مخاطباً (٥)

(١)- انظر الكتاب ١٠٠/٣-١٠١، ونظام الجملة ٣٤٦/١-٣٤٧.

(٢)- المناقون ١٠/٦٣.

(٣)- المائدة ٦٩/٥.

(٤)- انظر الكتاب ١٥٥/٢، ونظام الجملة ٣٨٣/١.

(٥)- انظر الكتاب ١٠٦/٣، ونظام الجملة ٣٧٩/١.

ويستدل بقوله تعالى: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ (١)** وقوله: **أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْظُرُنَّهُ (٢)** ثم يتابع كلامه على الجملة الشرطية، فإذا كانت واقعة جواباً للقسم صُدِّرت باللام، ويكون الجواب بعدها جواباً للقسم، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، ويستدل بقوله تعالى: **لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ (٣)** فاللام في قوله (لَمَنْ) تدلّ على قسم مقدر، وتظهر أنّ الجواب إنما هو للقسم المقدر (٤) ثم يتكلم على جواب القسم إذا كان جملة فعلية، وينقل عن الخليل أنّ الماضي قد يكون بمعنى المضارع، والأحسن حينئذ أن يتصدّر باللام إذا كان جواباً للقسم (٥) ويستدلّ بقوله تعالى: **وَلَمَّا أَرْسَلْنَا رِجَالًا نَسُوا آيَاتِنَا فَظَلَمُوا لَنَا وَكَفَرُوا بِهَا (٦)** على أن معنى (ظَلَمُوا) هو: **لِيُظَلِّقُوا** وقد يكون الفعل الماضي في جواب القسم بمعنى اسم الفاعل (٧) نحو قوله تعالى: **وَلَمَّا تَبَيَّنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبَيَّنَ فِيهِ لَكُمْ (٨)** «أي ما هم تابعين» (٩) وقوله تعالى: **وَلَمَّا زَالَ مِنَ الْبُرْجَانِ إِذْ أَشْرَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠)** أي: ما يُمسكهما من أحد (١١)

(١) - البقرة ٨٣/٢.

(٢) - آل عمران ٨١/٣، ثم الكتاب ١٠٧/٣.

(٣) - الأعراف ١٨٧/٧.

(٤) - انظر الكتاب ١٠٨/٣، ونظام الجملة ٣٧٨/١.

(٥) - انظر الكتاب ١٠٨/٣، ونظام الجملة ٣٧٨/١.

(٦) - الروم ٥١/٣٠.

(٧) - انظر الكتاب ١٠٨/٣.

(٨) - البقرة ١٤٥/٢.

(٩) - الكتاب ١٠٩/٣.

(١٠) - فاطر ٤١/٣٥.

(١١) - انظر الكتاب ١٠٩/٣.

ويتابع قواعد القسم مستدلاً بالقرآن الكريم على اجتماع لام جواب القسم مع لام (إن) (١) فإذا اجتمعت هاتان اللامان فُصِّلَ بينهما بالحرف (ما) كقوله تعالى: **وَإِنْ كَلَّا لَمَا لَيَوْقَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ** (٢)، ثم يتكلم على الجملة الاسمية التي تقع جواباً للقسم: فقد نقل عن الخليل أن الأحسن أن تؤكد باللام أو بـ(إن)، واللام (٣) ، كقوله تعالى: **وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** (٤) وقوله: **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ** (٥)، وذكر الخليل، وسيبويه أنه إذا كان الفعل ماضياً جاز أن يُصدَّرَ باللام، فإذا كان الفعل الماضي مسبوqاً بقَد فالأحسن دخول اللام على (قد)، ويضمُّفُ حذف هذه اللام إلا إذا طال الكلام فابتعدت جملة الجواب عن جملة القسم (٦) كما في قوله تعالى: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** (٧) فقد فُصِّلَ بين القسم، وجوابه بجملة كثيرة.

هذا مثال عن تتبع سببويه لتفصيل كل قاعدة، فهو يستدلّ بآيات كريمة متتالية في الموضوع الواحد ليحيط بجوانبه. وهذا الأسلوب نراه في حديثه عن مواضع (إن) المكسورة الهمزة، و(أن) المخففة من الثقلية، و(أم) وغير ذلك من الأبحاث (٨).

(١) - انظر الكتاب ١٠٩/٣.

(٢) - هود ١١/١١.

(٣) - انظر الكتاب ١٤٧/٣، ونظام الجملة ٣٧٨/١.

(٤) - المنافقون ١/٦٣.

(٥) - البقرة ٢/١٠٢.

(٦) - انظر الكتاب ١٥١/٣، ونظام الجملة ٣٧٨/١.

(٧) - الشمس ٩/٩.

(٨) - انظر الكتاب ١٥٤/١، ١٥٩/٢، ١٦٣/٣، ١٦٤/٣، ١٦٥/٣، ١٦٦/٣، ١٦٧/٣، ١٦٨/٣، ١٦٩/٣، ١٧٠/٣، ١٧١/٣، ١٧٢/٣، ١٧٣/٣، ١٧٤/٣، ١٧٥/٣، ١٧٦/٣، ١٧٧/٣، ١٧٨/٣، ١٧٩/٣، ١٨٠/٣، ١٨١/٣، ١٨٢/٣، ١٨٣/٣، ١٨٤/٣، ١٨٥/٣، ١٨٦/٣، ١٨٧/٣، ١٨٨/٣، ١٨٩/٣، ١٩٠/٣، ١٩١/٣، ١٩٢/٣، ١٩٣/٣، ١٩٤/٣، ١٩٥/٣، ١٩٦/٣، ١٩٧/٣، ١٩٨/٣، ١٩٩/٣، ٢٠٠/٣، ٢٠١/٣، ٢٠٢/٣، ٢٠٣/٣، ٢٠٤/٣، ٢٠٥/٣، ٢٠٦/٣، ٢٠٧/٣، ٢٠٨/٣، ٢٠٩/٣، ٢١٠/٣، ٢١١/٣، ٢١٢/٣، ٢١٣/٣، ٢١٤/٣، ٢١٥/٣، ٢١٦/٣، ٢١٧/٣، ٢١٨/٣، ٢١٩/٣، ٢٢٠/٣، ٢٢١/٣، ٢٢٢/٣، ٢٢٣/٣، ٢٢٤/٣، ٢٢٥/٣، ٢٢٦/٣، ٢٢٧/٣، ٢٢٨/٣، ٢٢٩/٣، ٢٣٠/٣، ٢٣١/٣، ٢٣٢/٣، ٢٣٣/٣، ٢٣٤/٣، ٢٣٥/٣، ٢٣٦/٣، ٢٣٧/٣، ٢٣٨/٣، ٢٣٩/٣، ٢٤٠/٣، ٢٤١/٣، ٢٤٢/٣، ٢٤٣/٣، ٢٤٤/٣، ٢٤٥/٣، ٢٤٦/٣، ٢٤٧/٣، ٢٤٨/٣، ٢٤٩/٣، ٢٥٠/٣، ٢٥١/٣، ٢٥٢/٣، ٢٥٣/٣، ٢٥٤/٣، ٢٥٥/٣، ٢٥٦/٣، ٢٥٧/٣، ٢٥٨/٣، ٢٥٩/٣، ٢٦٠/٣، ٢٦١/٣، ٢٦٢/٣، ٢٦٣/٣، ٢٦٤/٣، ٢٦٥/٣، ٢٦٦/٣، ٢٦٧/٣، ٢٦٨/٣، ٢٦٩/٣، ٢٧٠/٣، ٢٧١/٣، ٢٧٢/٣، ٢٧٣/٣، ٢٧٤/٣، ٢٧٥/٣، ٢٧٦/٣، ٢٧٧/٣، ٢٧٨/٣، ٢٧٩/٣، ٢٨٠/٣، ٢٨١/٣، ٢٨٢/٣، ٢٨٣/٣، ٢٨٤/٣، ٢٨٥/٣، ٢٨٦/٣، ٢٨٧/٣، ٢٨٨/٣، ٢٨٩/٣، ٢٩٠/٣، ٢٩١/٣، ٢٩٢/٣، ٢٩٣/٣، ٢٩٤/٣، ٢٩٥/٣، ٢٩٦/٣، ٢٩٧/٣، ٢٩٨/٣، ٢٩٩/٣، ٣٠٠/٣، ٣٠١/٣، ٣٠٢/٣، ٣٠٣/٣، ٣٠٤/٣، ٣٠٥/٣، ٣٠٦/٣، ٣٠٧/٣، ٣٠٨/٣، ٣٠٩/٣، ٣١٠/٣، ٣١١/٣، ٣١٢/٣، ٣١٣/٣، ٣١٤/٣، ٣١٥/٣، ٣١٦/٣، ٣١٧/٣، ٣١٨/٣، ٣١٩/٣، ٣٢٠/٣، ٣٢١/٣، ٣٢٢/٣، ٣٢٣/٣، ٣٢٤/٣، ٣٢٥/٣، ٣٢٦/٣، ٣٢٧/٣، ٣٢٨/٣، ٣٢٩/٣، ٣٣٠/٣، ٣٣١/٣، ٣٣٢/٣، ٣٣٣/٣، ٣٣٤/٣، ٣٣٥/٣، ٣٣٦/٣، ٣٣٧/٣، ٣٣٨/٣، ٣٣٩/٣، ٣٤٠/٣، ٣٤١/٣، ٣٤٢/٣، ٣٤٣/٣، ٣٤٤/٣، ٣٤٥/٣، ٣٤٦/٣، ٣٤٧/٣، ٣٤٨/٣، ٣٤٩/٣، ٣٥٠/٣، ٣٥١/٣، ٣٥٢/٣، ٣٥٣/٣، ٣٥٤/٣، ٣٥٥/٣، ٣٥٦/٣، ٣٥٧/٣، ٣٥٨/٣، ٣٥٩/٣، ٣٦٠/٣، ٣٦١/٣، ٣٦٢/٣، ٣٦٣/٣، ٣٦٤/٣، ٣٦٥/٣، ٣٦٦/٣، ٣٦٧/٣، ٣٦٨/٣، ٣٦٩/٣، ٣٧٠/٣، ٣٧١/٣، ٣٧٢/٣، ٣٧٣/٣، ٣٧٤/٣، ٣٧٥/٣، ٣٧٦/٣، ٣٧٧/٣، ٣٧٨/٣، ٣٧٩/٣، ٣٨٠/٣، ٣٨١/٣، ٣٨٢/٣، ٣٨٣/٣، ٣٨٤/٣، ٣٨٥/٣، ٣٨٦/٣، ٣٨٧/٣، ٣٨٨/٣، ٣٨٩/٣، ٣٩٠/٣، ٣٩١/٣، ٣٩٢/٣، ٣٩٣/٣، ٣٩٤/٣، ٣٩٥/٣، ٣٩٦/٣، ٣٩٧/٣، ٣٩٨/٣، ٣٩٩/٣، ٤٠٠/٣، ٤٠١/٣، ٤٠٢/٣، ٤٠٣/٣، ٤٠٤/٣، ٤٠٥/٣، ٤٠٦/٣، ٤٠٧/٣، ٤٠٨/٣، ٤٠٩/٣، ٤١٠/٣، ٤١١/٣، ٤١٢/٣، ٤١٣/٣، ٤١٤/٣، ٤١٥/٣، ٤١٦/٣، ٤١٧/٣، ٤١٨/٣، ٤١٩/٣، ٤٢٠/٣، ٤٢١/٣، ٤٢٢/٣، ٤٢٣/٣، ٤٢٤/٣، ٤٢٥/٣، ٤٢٦/٣، ٤٢٧/٣، ٤٢٨/٣، ٤٢٩/٣، ٤٣٠/٣، ٤٣١/٣، ٤٣٢/٣، ٤٣٣/٣، ٤٣٤/٣، ٤٣٥/٣، ٤٣٦/٣، ٤٣٧/٣، ٤٣٨/٣، ٤٣٩/٣، ٤٤٠/٣، ٤٤١/٣، ٤٤٢/٣، ٤٤٣/٣، ٤٤٤/٣، ٤٤٥/٣، ٤٤٦/٣، ٤٤٧/٣، ٤٤٨/٣، ٤٤٩/٣، ٤٥٠/٣، ٤٥١/٣، ٤٥٢/٣، ٤٥٣/٣، ٤٥٤/٣، ٤٥٥/٣، ٤٥٦/٣، ٤٥٧/٣، ٤٥٨/٣، ٤٥٩/٣، ٤٦٠/٣، ٤٦١/٣، ٤٦٢/٣، ٤٦٣/٣، ٤٦٤/٣، ٤٦٥/٣، ٤٦٦/٣، ٤٦٧/٣، ٤٦٨/٣، ٤٦٩/٣، ٤٧٠/٣، ٤٧١/٣، ٤٧٢/٣، ٤٧٣/٣، ٤٧٤/٣، ٤٧٥/٣، ٤٧٦/٣، ٤٧٧/٣، ٤٧٨/٣، ٤٧٩/٣، ٤٨٠/٣، ٤٨١/٣، ٤٨٢/٣، ٤٨٣/٣، ٤٨٤/٣، ٤٨٥/٣، ٤٨٦/٣، ٤٨٧/٣، ٤٨٨/٣، ٤٨٩/٣، ٤٩٠/٣، ٤٩١/٣، ٤٩٢/٣، ٤٩٣/٣، ٤٩٤/٣، ٤٩٥/٣، ٤٩٦/٣، ٤٩٧/٣، ٤٩٨/٣، ٤٩٩/٣، ٥٠٠/٣، ٥٠١/٣، ٥٠٢/٣، ٥٠٣/٣، ٥٠٤/٣، ٥٠٥/٣، ٥٠٦/٣، ٥٠٧/٣، ٥٠٨/٣، ٥٠٩/٣، ٥١٠/٣، ٥١١/٣، ٥١٢/٣، ٥١٣/٣، ٥١٤/٣، ٥١٥/٣، ٥١٦/٣، ٥١٧/٣، ٥١٨/٣، ٥١٩/٣، ٥٢٠/٣، ٥٢١/٣، ٥٢٢/٣، ٥٢٣/٣، ٥٢٤/٣، ٥٢٥/٣، ٥٢٦/٣، ٥٢٧/٣، ٥٢٨/٣، ٥٢٩/٣، ٥٣٠/٣، ٥٣١/٣، ٥٣٢/٣، ٥٣٣/٣، ٥٣٤/٣، ٥٣٥/٣، ٥٣٦/٣، ٥٣٧/٣، ٥٣٨/٣، ٥٣٩/٣، ٥٤٠/٣، ٥٤١/٣، ٥٤٢/٣، ٥٤٣/٣، ٥٤٤/٣، ٥٤٥/٣، ٥٤٦/٣، ٥٤٧/٣، ٥٤٨/٣، ٥٤٩/٣، ٥٥٠/٣، ٥٥١/٣، ٥٥٢/٣، ٥٥٣/٣، ٥٥٤/٣، ٥٥٥/٣، ٥٥٦/٣، ٥٥٧/٣، ٥٥٨/٣، ٥٥٩/٣، ٥٦٠/٣، ٥٦١/٣، ٥٦٢/٣، ٥٦٣/٣، ٥٦٤/٣، ٥٦٥/٣، ٥٦٦/٣، ٥٦٧/٣، ٥٦٨/٣، ٥٦٩/٣، ٥٧٠/٣، ٥٧١/٣، ٥٧٢/٣، ٥٧٣/٣، ٥٧٤/٣، ٥٧٥/٣، ٥٧٦/٣، ٥٧٧/٣، ٥٧٨/٣، ٥٧٩/٣، ٥٨٠/٣، ٥٨١/٣، ٥٨٢/٣، ٥٨٣/٣، ٥٨٤/٣، ٥٨٥/٣، ٥٨٦/٣، ٥٨٧/٣، ٥٨٨/٣، ٥٨٩/٣، ٥٩٠/٣، ٥٩١/٣، ٥٩٢/٣، ٥٩٣/٣، ٥٩٤/٣، ٥٩٥/٣، ٥٩٦/٣، ٥٩٧/٣، ٥٩٨/٣، ٥٩٩/٣، ٦٠٠/٣، ٦٠١/٣، ٦٠٢/٣، ٦٠٣/٣، ٦٠٤/٣، ٦٠٥/٣، ٦٠٦/٣، ٦٠٧/٣، ٦٠٨/٣، ٦٠٩/٣، ٦١٠/٣، ٦١١/٣، ٦١٢/٣، ٦١٣/٣، ٦١٤/٣، ٦١٥/٣، ٦١٦/٣، ٦١٧/٣، ٦١٨/٣، ٦١٩/٣، ٦٢٠/٣، ٦٢١/٣، ٦٢٢/٣، ٦٢٣/٣، ٦٢٤/٣، ٦٢٥/٣، ٦٢٦/٣، ٦٢٧/٣، ٦٢٨/٣، ٦٢٩/٣، ٦٣٠/٣، ٦٣١/٣، ٦٣٢/٣، ٦٣٣/٣، ٦٣٤/٣، ٦٣٥/٣، ٦٣٦/٣، ٦٣٧/٣، ٦٣٨/٣، ٦٣٩/٣، ٦٤٠/٣، ٦٤١/٣، ٦٤٢/٣، ٦٤٣/٣، ٦٤٤/٣، ٦٤٥/٣، ٦٤٦/٣، ٦٤٧/٣، ٦٤٨/٣، ٦٤٩/٣، ٦٥٠/٣، ٦٥١/٣، ٦٥٢/٣، ٦٥٣/٣، ٦٥٤/٣، ٦٥٥/٣، ٦٥٦/٣، ٦٥٧/٣، ٦٥٨/٣، ٦٥٩/٣، ٦٦٠/٣، ٦٦١/٣، ٦٦٢/٣، ٦٦٣/٣، ٦٦٤/٣، ٦٦٥/٣، ٦٦٦/٣، ٦٦٧/٣، ٦٦٨/٣، ٦٦٩/٣، ٦٧٠/٣، ٦٧١/٣، ٦٧٢/٣، ٦٧٣/٣، ٦٧٤/٣، ٦٧٥/٣، ٦٧٦/٣، ٦٧٧/٣، ٦٧٨/٣، ٦٧٩/٣، ٦٨٠/٣، ٦٨١/٣، ٦٨٢/٣، ٦٨٣/٣، ٦٨٤/٣، ٦٨٥/٣، ٦٨٦/٣، ٦٨٧/٣، ٦٨٨/٣، ٦٨٩/٣، ٦٩٠/٣، ٦٩١/٣، ٦٩٢/٣، ٦٩٣/٣، ٦٩٤/٣، ٦٩٥/٣، ٦٩٦/٣، ٦٩٧/٣، ٦٩٨/٣، ٦٩٩/٣، ٧٠٠/٣، ٧٠١/٣، ٧٠٢/٣، ٧٠٣/٣، ٧٠٤/٣، ٧٠٥/٣، ٧٠٦/٣، ٧٠٧/٣، ٧٠٨/٣، ٧٠٩/٣، ٧١٠/٣، ٧١١/٣، ٧١٢/٣، ٧١٣/٣، ٧١٤/٣، ٧١٥/٣، ٧١٦/٣، ٧١٧/٣، ٧١٨/٣، ٧١٩/٣، ٧٢٠/٣، ٧٢١/٣، ٧٢٢/٣، ٧٢٣/٣، ٧٢٤/٣، ٧٢٥/٣، ٧٢٦/٣، ٧٢٧/٣، ٧٢٨/٣، ٧٢٩/٣، ٧٣٠/٣، ٧٣١/٣، ٧٣٢/٣، ٧٣٣/٣، ٧٣٤/٣، ٧٣٥/٣، ٧٣٦/٣، ٧٣٧/٣، ٧٣٨/٣، ٧٣٩/٣، ٧٤٠/٣، ٧٤١/٣، ٧٤٢/٣، ٧٤٣/٣، ٧٤٤/٣، ٧٤٥/٣، ٧٤٦/٣، ٧٤٧/٣، ٧٤٨/٣، ٧٤٩/٣، ٧٥٠/٣، ٧٥١/٣، ٧٥٢/٣، ٧٥٣/٣، ٧٥٤/٣، ٧٥٥/٣، ٧٥٦/٣، ٧٥٧/٣، ٧٥٨/٣، ٧٥٩/٣، ٧٦٠/٣، ٧٦١/٣، ٧٦٢/٣، ٧٦٣/٣، ٧٦٤/٣، ٧٦٥/٣، ٧٦٦/٣، ٧٦٧/٣، ٧٦٨/٣، ٧٦٩/٣، ٧٧٠/٣، ٧٧١/٣، ٧٧٢/٣، ٧٧٣/٣، ٧٧٤/٣، ٧٧٥/٣، ٧٧٦/٣، ٧٧٧/٣، ٧٧٨/٣، ٧٧٩/٣، ٧٨٠/٣، ٧٨١/٣، ٧٨٢/٣، ٧٨٣/٣، ٧٨٤/٣، ٧٨٥/٣، ٧٨٦/٣، ٧٨٧/٣، ٧٨٨/٣، ٧٨٩/٣، ٧٩٠/٣، ٧٩١/٣، ٧٩٢/٣، ٧٩٣/٣، ٧٩٤/٣، ٧٩٥/٣، ٧٩٦/٣، ٧٩٧/٣، ٧٩٨/٣، ٧٩٩/٣، ٨٠٠/٣، ٨٠١/٣، ٨٠٢/٣، ٨٠٣/٣، ٨٠٤/٣، ٨٠٥/٣، ٨٠٦/٣، ٨٠٧/٣، ٨٠٨/٣، ٨٠٩/٣، ٨١٠/٣، ٨١١/٣، ٨١٢/٣، ٨١٣/٣، ٨١٤/٣، ٨١٥/٣، ٨١٦/٣، ٨١٧/٣، ٨١٨/٣، ٨١٩/٣، ٨٢٠/٣، ٨٢١/٣، ٨٢٢/٣، ٨٢٣/٣، ٨٢٤/٣، ٨٢٥/٣، ٨٢٦/٣، ٨٢٧/٣، ٨٢٨/٣، ٨٢٩/٣، ٨٣٠/٣، ٨٣١/٣، ٨٣٢/٣، ٨٣٣/٣، ٨٣٤/٣، ٨٣٥/٣، ٨٣٦/٣، ٨٣٧/٣، ٨٣٨/٣، ٨٣٩/٣، ٨٤٠/٣، ٨٤١/٣، ٨٤٢/٣، ٨٤٣/٣، ٨٤٤/٣، ٨٤٥/٣، ٨٤٦/٣، ٨٤٧/٣، ٨٤٨/٣، ٨٤٩/٣، ٨٥٠/٣، ٨٥١/٣، ٨٥٢/٣، ٨٥٣/٣، ٨٥٤/٣، ٨٥٥/٣، ٨٥٦/٣، ٨٥٧/٣، ٨٥٨/٣، ٨٥٩/٣، ٨٦٠/٣، ٨٦١/٣، ٨٦٢/٣، ٨٦٣/٣، ٨٦٤/٣، ٨٦٥/٣، ٨٦٦/٣، ٨٦٧/٣، ٨٦٨/٣، ٨٦٩/٣، ٨٧٠/٣، ٨٧١/٣، ٨٧٢/٣، ٨٧٣/٣، ٨٧٤/٣، ٨٧٥/٣، ٨٧٦/٣، ٨٧٧/٣، ٨٧٨/٣، ٨٧٩/٣، ٨٨٠/٣، ٨٨١/٣، ٨٨٢/٣، ٨٨٣/٣، ٨٨٤/٣، ٨٨٥/٣، ٨٨٦/٣، ٨٨٧/٣، ٨٨٨/٣، ٨٨٩/٣، ٨٩٠/٣، ٨٩١/٣، ٨٩٢/٣، ٨٩٣/٣، ٨٩٤/٣، ٨٩٥/٣، ٨٩٦/٣، ٨٩٧/٣، ٨٩٨/٣، ٨٩٩/٣، ٩٠٠/٣، ٩٠١/٣، ٩٠٢/٣، ٩٠٣/٣، ٩٠٤/٣، ٩٠٥/٣، ٩٠٦/٣، ٩٠٧/٣، ٩٠٨/٣، ٩٠٩/٣، ٩١٠/٣، ٩١١/٣، ٩١٢/٣، ٩١٣/٣، ٩١٤/٣، ٩١٥/٣، ٩١٦/٣، ٩١٧/٣، ٩١٨/٣، ٩١٩/٣، ٩٢٠/٣، ٩٢١/٣، ٩٢٢/٣، ٩٢٣/٣، ٩٢٤/٣، ٩٢٥/٣، ٩٢٦/٣، ٩٢٧/٣، ٩٢٨/٣، ٩٢٩/٣، ٩٣٠/٣، ٩٣١/٣، ٩٣٢/٣، ٩٣٣/٣، ٩٣٤/٣، ٩٣٥/٣، ٩٣٦/٣، ٩٣٧/٣، ٩٣٨/٣، ٩٣٩/٣، ٩٤٠/٣، ٩٤١/٣، ٩٤٢/٣، ٩٤٣/٣، ٩٤٤/٣، ٩٤٥/٣، ٩٤٦/٣، ٩٤٧/٣، ٩٤٨/٣، ٩٤٩/٣، ٩٥٠/٣، ٩٥١/٣، ٩٥٢/٣، ٩٥٣/٣، ٩٥٤/٣، ٩٥٥/٣، ٩٥٦/٣، ٩٥٧/٣، ٩٥٨/٣، ٩٥٩/٣، ٩٦٠/٣، ٩٦١/٣، ٩٦٢/٣، ٩٦٣/٣، ٩٦٤/٣، ٩٦٥/٣، ٩٦٦/٣، ٩٦٧/٣، ٩٦٨/٣، ٩٦٩/٣، ٩٧٠/٣، ٩٧١/٣، ٩٧٢/٣، ٩٧٣/٣، ٩٧٤/٣، ٩٧٥/٣، ٩٧٦/٣، ٩٧٧/٣، ٩٧٨/٣، ٩٧٩/٣، ٩٨٠/٣، ٩٨١/٣، ٩٨٢/٣، ٩٨٣/٣، ٩٨٤/٣، ٩٨٥/٣، ٩٨٦/٣، ٩٨٧/٣، ٩٨٨/٣، ٩٨٩/٣، ٩٩٠/٣، ٩٩١/٣، ٩٩٢/٣، ٩٩٣/٣، ٩٩٤/٣، ٩٩٥/٣، ٩٩٦/٣، ٩٩٧/٣، ٩٩٨/٣، ٩٩٩/٣، ١٠٠٠/٣.

٣- الاستدلال بقراءات قرآنية:

كان القرآن الكريم مصدراً هاماً للاستدلال عند سيبويه فيما يتعلق بتركيب الجملة، وقد استخدم سيبويه الآيات التي قرئت بقراءات مختلفة استخداماً أملت الرغبة في إيجاد الأدلة على ما يصل إليه من قواعد، وأكثر ما يُلاحظ من استدلاله بقراءات قرآنية حرصه على ما قلّ استخدامه في لغة العرب، وابتعاده عمّا يوافق الشائع، والكثير من لغة العرب، وقد يشير في الآية الواحدة إلى أكثر من قراءة ليبيّن أكثر من وجه في القاعدة النحوية.

* - وذكر سيبويه أنّه يجوز حذف صدر صلة (أيّ) مطلقاً، وفي حركة (أيّ) الإعرابية بعد ذلك لغتان: فقد ذكر الخليل أنّ القياس إعراب (أيّهم) إذا حذف صدر حلتها بحسب موقعها من الكلام، وذكر هارون أنّ ناساً وهم الكوفيتون (١) يقرؤون هذه الآية بنصب (أيّهم)، قال تعالى: **ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا** (٢).

ثم استدلل للغة الثانية بقراءة من ضمّ (أيّهم) في كلّ الأحوال فجعلها مبنية على الضم كما بُنيت (خمساً عشر) على الفتح، وعلّل ذلك بأنها خالفت أخواتها حين جاز حذف صدر صلتها، ولم يُجز تفسير الخليل، ويونس (٣)

* - ويستدل سيبويه أحياناً بقراءة قرآنية للاستدلال على النادر من لغة العرب (٤) كحذف المبتدأ من جملة الصلة إذا كانت جملة اسمية كقوله تعالى: **تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ** (٥) بضم (أحسن) (٦)

(١) - انظر الكتاب ٣٩٩/٢، ونظام الجملة ٦٤٠/١، والكوفيتون هم عاصم، وحمزة، والكسائي.

(٢) - مريم ٦٩/١٩.

(٣) - انظر الكتاب ٤٠٠/٢، ونظام الجملة ٦٤١/١.

(٤) - انظر الكتاب ١٠٧/٢، ونظام الجملة ٦٣٦/١.

(٥) - الأنعام ١٥٤/٦.

(٦) - هي قراءة يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق، والحسن، والأعمش. انظر البحر المعيط لأبي حيان ٢٥٥/٤، وإتعاظ فضلاء البشر للدمياطي ٢٢٠.

حدوث الله (١) على (أن) الناصبة وعملها في الفعل المضارع (٢).

- * - ومنه استدلاله بقوله تعالى: **وَاللّٰهُ تَعَالٰى** **وَإِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَتَرْحَمْنِيْ أَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ** (٣) على جملة الشرط وجوابه، وأن الأصل فيهما على ماجرى في كلام العرب أن تكونا فعلين مضارعين مجزومين (٤).
- * - ومنه استدلاله بقوله تعالى: **مَا قَعَلُوْهُ إِلَّا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ** (٥) على أن الأصل في الاستثناء التام المنفي النصيب (٦). ومثل ذلك غير قليل في الكتاب (٧).

٥- الاستدلال للضعيف:

- استخدم سبويه كلمة (الضعيف) كمصطلح في موضعين مختلفين؛ أولهما استخدامه لها في مواضع يستدلّ لها بالقرآن الكريم على لغة ضعيفة، ومامن شك في أن الضعف هنا لا يراد به عكس القوة الذي يصل إلى حدّ اللحن، بل يراد به قلة انتشاره في لسان العرب وحرص العربي على النطق بغيره. وثانيهما استخدامه لها في مواضع الحديث عن لغة التخاطب، واستدلاله لها بأمثلة موضوعة، أو كلام منقول عن بعض العرب الذين لا يصلون إلى حد الفصاحة (٨).
- * - وفي مواضع قليلة نراه يشير إلى لغة ضعيفة قبيحة، ويفصل في ذكرها، ثم نراه يستدل لها بقراءة لآية من القرآن الكريم، ولعل استدلاله هذا هو نوع من الإحاطة بالقاعدة، وإشباعها بالشواهد؛ إضافة إلى تلميح بعض الأساليب الفنية في القرآن الكريم.

-
- (١) - البقرة ٢/٢٣٠.
 (٢) - انظر الكتاب ٣/١٦٧، ونظام الجملة ١/٣٩١.
 (٣) - هود ١١/٤٧.
 (٤) - انظر الكتاب ٣/٦٦، ونظام الجملة ١/٥٤٨.
 (٥) - النساء ٤/٦٦.
 (٦) - انظر الكتاب ٢/٣٩١، ونظام الجملة ١/٢٠٣.
 (٧) - انظر الكتاب ١/٩٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٧٥، ٢٠١، ٢٠٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٧٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٤.
 (٨) - انظر المصدر السابق ٢/١٢٤، ٣١٨، ١٠٦٤.

*- من ذلك حديثه عن المطابقة بين فعل الشرط وجواب الشرط، فهو يرى أن يكون فعل الشرط وجوابه مضارعين أو ماضيين، أو ماضياً ومضارعاً، أو مضارعاً وماضياً، والأحسن أن يطابق جواب الشرط فعل الشرط، ويضعف أن يكونا مختلفين، قال سيبويه: «فإذا قلت: (إن فعلت)، فأحسن الكلام أن يكون الجواب (أفعل)؛ لأنه نظيره من الفعل. وإذا قال: (إن فعلت) فأحسن الكلام أن تقول: (فعلت)، لأنه مثله. فكما ضعفنا (فعلت) مع (أفعل)، و(أفعل) مع (فعلت)، فبُح (لم أفعل) مع (يفعل)، لأن (لم أفعل) نفي (فعلت)، و(بُح (لأفعل) مع (فعلت) لأنها نفي (أفعل)» (١) ثم نراه في موضع آخر يستدل بقوله تعالى: **من كان يريذ الحياة الدنيا وزينتها نوفاً إليهم أعمالهم فيها** (٢) لمجيء فعل الشرط ماضياً، وجوابه مضارعاً مجزوماً (٣)

*- ومنه أيضاً حديثه عن العطف على جواب الشرط؛ فإذا كان جواب الشرط مجزوماً جُزم الفعل المعطوف، تقول: **إن تأنى أتك فأحدثك**، أو **ثم أحدثك** (٤) كقوله تعالى: **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** (٥) ويجوز النصب على تقدير (أن) مضمرة بعد الفاء والواو (٦)، ثم يستدل بقراءة بعضهم لقوله تعالى: **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرو لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير** (٧) بنصب (يفغر) و(يعذب)؛ وقد بين سيبويه أن نصب المضارع على تقدير (أن) بعد الجواب ضعيف (٨)

(١)- انظر الكتاب ٩١/٣-٩٢ و ٩٨/٣، ونظام الجملة ٥٤٨/١-٥٤٩.

(٢)- هود ١١/١٥.

(٣)- انظر الكتاب ٦٨/٣، ونظام الجملة ٥٤٩/١.

(٤)- انظر الكتاب ٨٧/٣.

(٥)- محمد ٣٨/٤٧.

(٦)- انظر الكتاب ٩٢/٣، ونظام الجملة ٥٦٠/١.

(٧)- البقرة ٢٨٤/٢ ونصب (يفغر) و (يعذب) هي قراءة ابن عباس. انظر روح المعاني للآلوسي ٦٥/٣

(٨)- انظر الكتاب ٩٢/٣، ونظام الجملة ٥٦١/١.

٦- الاستدلال لأكثر من وجه:

يبين سببونه في تناولاته النحوية الوجوه المحتملة، ويحاول أن يسوق الأدلة عليها، لذلك نراه في مواضع كثيرة يسهب في التفصيل، ويستدل بالقرآن الكريم مشيراً إلى أكثر من وجه في القراءة، إذا كانت القراءة تخدم القاعدة المستنبطة؛ ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى الرغبة في شمولية استنباط القواعد، والإحاطة الناتجة لما يريد الوصول إليه.

*- ففي المواضع التي يجوز فيها كسر همزة (إنّ) وفتحها بحسب المعنى والتقدير ذكر الخليل وسببونه أنه إذا قُدِّرَ حرف الجرِّ فُتِحَتْ همزتها، وإن لم يقدِّرْ كُسِرَتْ، تقول: لبيك إنّ الحمد والنعمة لك، وإن شئت فتحت فتحت: (أنّ) على تقدير لأنّ (١)، واستدل بالقرآن الكريم بإجازة الوجهين في (إنّ) بكسر الهمزة وفتحها، وذلك بقوله تعالى: **وَأَنَّ هَذِهِ سَعَةٌ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** (٢) ففسّر الخليل الفتح على تقدير حرف الجر (اللام) والكسر على الابتداء (٣).

*- ومن ذلك أيضاً مجيء (أنّ) بعد فعل يدلّ على القول دون حروفه (٤)، واستدل سببونه بقراءة عيسى لقوله تعالى: **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ** (٥) وقال: «أراد أن يحكي» (٦)، ومن أراد (اللام فتح الهمزة) (٧)

-
- (١)- انظر الكتاب ١٢٦/٣، ونظام الجملة ٤٠٠/١.
 (٢)- المؤمنون ٥٢/٢٣. قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون، وقرا ابن عامر وحده (وأنّ) بفتح الهمزة مع تخفيف النون. وعاصم، وحمزة، والكسائي (وإنّ) بكسر الهمزة على الاستئناف، أو عطفاً على الآية السابقة: **إِنِّي بِمَا تَعْلَمُونَ عَلَيْهِمْ** * إنحاف فضلاً، البشر للديباطي ٣١٢.
 (٣)- انظر الكتاب ١٢٦/٣-١٢٧.
 (٤)- انظر المصدر السابق ١٤٢/٣، ونظام الجملة ٤٠٠/١.
 (٥)- القمر ١٠/٥٤.
 (٦)- الكتاب ١٤٣/٣.
 (٧)- انظر نظام الجملة ٤٠٠/١.

* - واستدل سيبويه لأكثر من وجه في كسر همزة (إِن)، وفتحها بقوله تعالى: **إِنَّ لَكَ الْآ تَجْوَع تَيْحَا وَلا تَعْرَى، وَإِنَّكَ لَاتُحْمَأُ تَيْحَا وَلا تُضْحَى** (١) ومثل ذلك غير قليل (٢).

٧- الاستدلال بالقرآن الكريم وإضافة توجيهات على ما ذكره الخليل:

ليس سهلاً أن نحيط بكل ما أخذه سيبويه عن الخليل، وهو ما دفعنا إلى عدم الفصل بين الطالب، وأستاذه في حديثنا عن الاستدلال في الكتاب، لكننا رصدنا بعض المواضع التي لم يكن فيها سيبويه ناقلاً رأي شيخه فحسب، بل كان مضيفاً بعض الوجوه النحوية، ومستدللاً بها بالقرآن الكريم.

* - نقل سيبويه أن الخليل قد ذهب في تفسير تعدد الخبر منهيين: أولهما أن المبتدأ يجمع هذه الأخبار، ويتصف بها، وأن المتحدث يريد أن يخبر بأكثر من خبر، وثانيهما أن المبتدأ لا يأخذ أكثر من خبر واحد حينئذ يقتدر للخبر الآخر مبتدأ محذوف (٣) واستدل بقوله تعالى: **هَذَا بَعْلِي شَيْخٌ (٤) وَ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَرُ نَزَامَةً لِلشَّوْرِ (٥)** وأضاف سيبويه لما نقله عن الخليل وجهين آخرين وذلك بأن يكون الاسم الأول بعد المبتدأ عطف بيان من اسم الإشارة في قوله تعالى: **هَذَا بَعْلِي شَيْخٌ (٦)** أو يكون الاسم الثاني بدلاً من الخبر كقولك: «هذا زيد رجل منطلق على البدل، كما قال تعالى جدته: **بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاضِبَةٍ (٧)** فهذه أربعة أوجه في الرفع» (٨)

- (١) - طه ١١٨/٣٠-١١٩، قرأ نافع وأبو بكر (وإنك) بكسر الهمزة، وقرأ الباقون (وإنك) بفتحها. إتحاف فضلاء البشر للدسياطي ٣٠٨.
- (٢) - انظر في ذلك الكتاب ١/٥٧-٥٨، ١٤٣، ١٤٤-١٤٣، ٨٩، ٨١، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ١٣/٣ ٣٩٩، ٣٤٧، ٣٣٣/٢، ١٣٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣، ١٤٣، ١٣٤.
- (٣) - انظر الكتاب ٨٣/٢.
- (٤) - هود ٧٢/١١ وقرأة الرفع (شَيْخٌ) هي قرأة ابن مسعود. وفي القرآن الكريم (وهذا) والامتنهاد بآيات الكتاب مع إغفال نحو (الواو) و(الفاء) جائز صحيح وقع في كتب العلماء. انظر حاشية الكتاب ٨٣/٢.
- (٥) - المعارج ١٥/٧٠-١٦.
- (٦) - هود ٧٢/١١.
- (٧) - الملق ١٥/٩٦-١٦.
- (٨) - للكتاب ٨٣/٢، وانظر نظام الجملة ٢٢/١.

ومثل هذه الإضافات التي يزيد بها سيبويه على الخليل مستدلاً بالقرآن الكريم كثيرة في الكتاب (١).

٨- تأكيد السماع:

* - بين سيبويه أنّ الدعاء بالمصادر رفعاً، ونصباً، و تعريفاً، وإضافة مقصور على السماع لايجوز فيها إلا ماورد مسموعاً؛ ويستدل على ماسمع من المصادر المرفوعة نحو سلامٌ عليك، وبيعٌ لك، وبيعٌ لك، وويلٌ لك وعودة لك، وخير لك، وشرٌ لك (٢) بقوله تعالى: **طُوبَى لَهُمْ وَخَيْرٌ مَّا أُبْرِحُوا** (٣) وقوله: **لَقَدْ أَلَمْنَا عَلَى الظَّالِمِينَ** (٤) وقوله: **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ** (٥)

* - ويستدل أيضاً بقوله تعالى: **يَا جِبَالُ أَوْبِي صَغَةَ وَالطَّيْرُ (٦) بَرَفِ (وَالطَّيْرُ (٧) عَلَى مَا عَطَفَ عَلَى المُنَادَى إِذَا كَانَ المَعْطُوف مَعْرِفًا بِأَل، وَنَقَلَ عَنِ الخَلِيل أَنَّهُ يَرَى رَفْعَهُ لِأَنَّهُ سَمِعَ عَنِ العَرَبِ قَوْلَهُمْ: يَا زَيْدٌ وَالتَّضَرُّ (٨) فَسِيبُوهِ يَسْتَدِلُّ بِقِرَاءَةِ الأَعْرَجِ عَلَى مَا يُوَافِقُ مَا سَمِعَ عَنِ العَرَبِ: لِأَنَّ لُغَةَ العَرَبِ هِيَ الأَصْلُ الَّذِي تَسْتَعِدُّ مِنْهُ القَوَاعِدُ، وَالسَّمَاعُ هُوَ أْبْرَزُهَا.**

(١) - انظر الكتاب ٢/٤٧٢، ٣/٣٠٠، ٤/٦٤-٦٣، ٥/١٠٠، ٦/١٢٧، ٧/١٦٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/٣٣٠.

(٣) - الرعد ١٣/٢٩.

(٤) - هود ١١/١٨.

(٥) - المطففون ٨٣/١.

(٦) - سبأ ٣٤/١٠.

(٧) - (وَالطَّيْرُ) بِالرَّفْعِ قِرَاءَةُ الأَعْرَجِ. الكتاب ٢/١٨٧.

(٨) - انظر الكتاب ٢/١٨٦-١٨٧. ونظام الجملة ١/٥٢١، وانظر في الموضوع نفسه الكتاب ٣٩/٢٤٥.

٩- استدلاله بالقرآن الكريم دون غيره:

حمل القرآن الكريم اللغة المثالية التي تداولها العرب، وهذا ما جعل سبويه يأخذها أصلاً لقواعد اللغة العربية، حتى إنه في بعض المواضع لا يستدلّ بغير القرآن.

*- فقد نقل سبويه عن الخليل قوله: «اللهم نداء، والميم هاهنا بدل من (يا)، فبهي هاهنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخر الكلمة بمنزلة (يا) في أولها»، (١) ثم استدلالاً بقوله تعالى: **اللَّهُمَّ تَاطَرُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** (٢).

*- وبالمقابل فقد لاحظنا أنّ سبويه بشكل عام ينعت كلّ لغة لا يستدلّ لها بالقرآن الكريم بأنها قبيحة، أو نادرة، أو خبيثة، أو ضعيفة (٣).

١٠- الاستدلال للجيد وبيان مقاييس الجودة:

*- يحاول سبويه في مواضع متعددة، أن يستدلّ للغة الجيدة، ويشير إلى مواطن الجودة تلك من خلال آيات القرآن الكريم التي يستدلّ بها، ثم يفصل الآية الكريمة، ويكشف ما فيها من أحكام تناسب ما يقصده من قواعد؛ والغرض من استدلاله هذا هو أن يحيط بقواعد اللغة في تناولاته النحوية المتنوعة.

(١) - الكتاب ١٩٦/٢، وانظر في مثل ذلك ١٣٢/٣.

(٢) - الزمر ٤٦/٣٩.

(٣) - انظر الكتاب ٣٨٩/١، ١١٤/٢، ١١٨، ١٢٤، ٣١٧، ٣١٨، ٣٥٧، ١٥١/٣، ١٠٦/٤.

من ذلك حديثه عن (أن) المخففة، وسجيء اسمها ضمير الشأن المحذوف، وخبرها جملة اسمية (١)، واستدلاله بقوله تعالى: وَأَخْرَجَ مِمَّا هُمْ فِي الْحَمِيَّةِ لِلَّهِ رَمِةَ الْعَالَمِينَ (٢) فهو يريد معنى السهام، ولا تخففاً (أن) إلا وضمير الشأن محذوف، وبين سيبويه أن الأحسن إذا كان خبرها جملة اسمية أن يُذكر ضمير الشأن وألاً تخففاً (٣). وقال: «ولو أنهم إذا حذفوه جعلوها حرفاً ابتداءً، وما بعدها جملة اسمية دون تقدير لاسمها المحذوف لكان وجهاً قوياً» (٤)

*- ومنه أيضاً حديثه عن العطف على الضمير المرفوع وقوله بعدم جواز العطف على الضمير المرفوع المتصل أو المقدر إلا إذا فصل بين المتعاطفين بفاصل (٥) ويحسن الفصل بالضمير المؤكد (٦)، واستدل بقوله تعالى: اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ (٧) ففصل بالضمير المؤكد، وقوله: لَوْ هَاءَ اللَّفِّ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حُرُومَنَا (٨) ففصل بحرف النفي (لا). والإشارة إلى الجيد والحسن مما سمع من العرب كثيراً جداً في كتابه (٩).

(١) - انظر الكتاب ١٦٣/٣، ونظام الجملة ٣٨٩/١.

(٢) - يونس ١٠/١٠.

(٣) - انظر الكتاب ١٦٣/١٣٧/٢، ونظام الجملة ٣٩٠/١.

(٤) - الكتاب (بولاق) ٤٨١/١ نقلاً عن نظام الجملة ٣٩٠/١.

(٥) - انظر الكتاب ٣٧٨/٢-٣٧٩.

(٦) - انظر المصدر السابق ٢٤٧/١، ونظام الجملة ٣٤٩/١.

(٧) - البقرة ٣٥/٢، والأعراف ١٩/٧.

(٨) - الأنعام ١٤٨/٦.

(٩) - انظر في ذلك الكتاب ٥٦/١، ٢٤٧، ٣٧٩، ٣٧٨/٢، ١٠٨/٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٦٣، وانظر فهرس كتاب سيبويه لعضيمة

١١- الاستدلال لجزء من القاعدة

* - لم يتحدث سيبويه عن معنى الحصر في (إنما وأنا)، ولم ينقل لنا شيئاً عن الخليل، إنما تحدث عن الفرق بينهما وعن مواضعهما، ولم يستدل بالقرآن الكريم إلا بقوله تعالى: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ (١)** وقال: «اعلم أن كل موضع تقع فيه (أنّ) تقع فيه (إنما)، وما ابتدئ بعدها صلة لها كما أنّ الذي ابتدئ بعد (الذي) صلة له. ولا تكون هي عاملة فيما بعدها كما لا يكون (الذي) عاملاً فيما بعده» (٢)

١٢- استدلاله بالقرآن في قواعد استنتاجية.

* - نرى في مواضع قليلة من الكتاب أنّ سيبويه يلجأ أحياناً إلى إيجاد قاعدة مبنية على كلام يردّ بعد موضع الشاهد المستدلّ به؛ ففي حديثه عن إعراب اسم الاستفهام (ماذا) يرى أن الأحسن أن يأخذ الاسمّ المجابّ به إعراب الاسمّ المستفهم عنه، يقول: كيف أصبحت؟ فتجيب بقولك: صالحاً، قال سيبويه: «والنصب في هذا الوجه لأنه الجواب على كلام المخاطب، وهو أقرب إلى أن تأخذ به» (٣) واستدل بقوله تعالى: **صَاحِدًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا: بَحِيرًا (٤)** فإعراب اسم الاستفهام (ماذا) مفعول به، ولذلك جاء الجواب منصوباً على أنه مفعول به (٥)

(١)- الكيف ١٨/١١٠.

(٢)- الكتاب ٣/١٢٩، ونظام الجملة ١/٤٠٣.

(٣)- الكتاب ٢/٤١٨-٤١٩.

(٤)- النحل ١٦/٣٠.

(٥)- انظر الكتاب ٢/٤١٧، ونظام الجملة ١/٥٠٣ وقرأ زيد بن عليّ خيراً بالرفع؛ أي المنزل خير، فتطابق هذه القراءة تأويل من جعل (ذا) موصولة، ولأنّ تطابق من جعل (ماذا) منصوبة لاختلافهما في الإعراب. انظر البحر المحيط لأبي حيان ٥/٤٨٧-٤٨٨.

وأشار إلى مجيء (ذا) بمنزلة (الذي)، واستدل على ذلك بقوله تعالى: **مَاذَا أَدْرَكَ وَيُكْرَمُ قَالُوا**
أَسَاطِيرَ الْأُولِينَ (١) برفع (أساطير ٢٧).

يظهر لنا مما تقدم أنّ سيبويه كان يحرص في كتابه على الاستدلال بالقرآن الكريم لما خالف الأصول بشكل عام؛ لأنّ الأصل الشائع لا يحتاج إلى دليل. وخروجه على الأصل في الاستدلال لا يعني أنه لم يُعرِ الأصول الأهمية التي تستحقها، فقد رأينا في مواطن كثيرة يتحدث عن القواعد الأصلية البسيطة، ويستدل لها بآيات من القرآن الكريم، وهذا يدلّ على أنّ سيبويه أوّل القواعد المستنبطة كلّ الأهمية سواء أكانت هذه القواعد مما يطابق الأصول أم تما يخرج عليها، وإن كان في الثانية أكثر وضوحاً، وأغزر مادة.

وأخذ الخروج على الأصل في استدلاله بالقرآن الكريم اتجاهات متعددة، منها ما يتعلق بأسر يخصّ المعنى، أو بأسلوب فنيّ. ومنها ما يرصد موقعه من حيث الكثرة أو القلة، وتداول ذلك على لسان العرب، ومقارنته من حيث الأسلوب بما ورد في القرآن الكريم، ومنها ما يحاول من خلاله أن ينقل لنا لغةً، استخدمها بعض العرب، أو لهجةً من اللهجات، أو اتساعاً في استخدام بعض الأساليب. ومنها ما كان يشير إليه إشارة غير صريحة، ومنها ما يحاول أن يخرجها بما يناسب لغة العرب، وهذا الأمر هو الذي دفعه مع شيخه إلى إبراز فكرة التوهم في النحو العربي قبل غيرها من أئمة النحو.

وكان سيبويه ينتج القاعدة بجزئياتها محاولاً الاستدلال لها قدر المستطاع بآيات من القرآن الكريم ما توفر له ذلك مقارناً بين مادته المستدلّ بها، وما سُمع عن العرب مُتتبعاً خطوات شيخه الخليل حيناً، ومضيفاً إليه بعض التوجيهات في المسائل النحوية حيناً آخر.

(١) - النحل ٢٤/١٦.

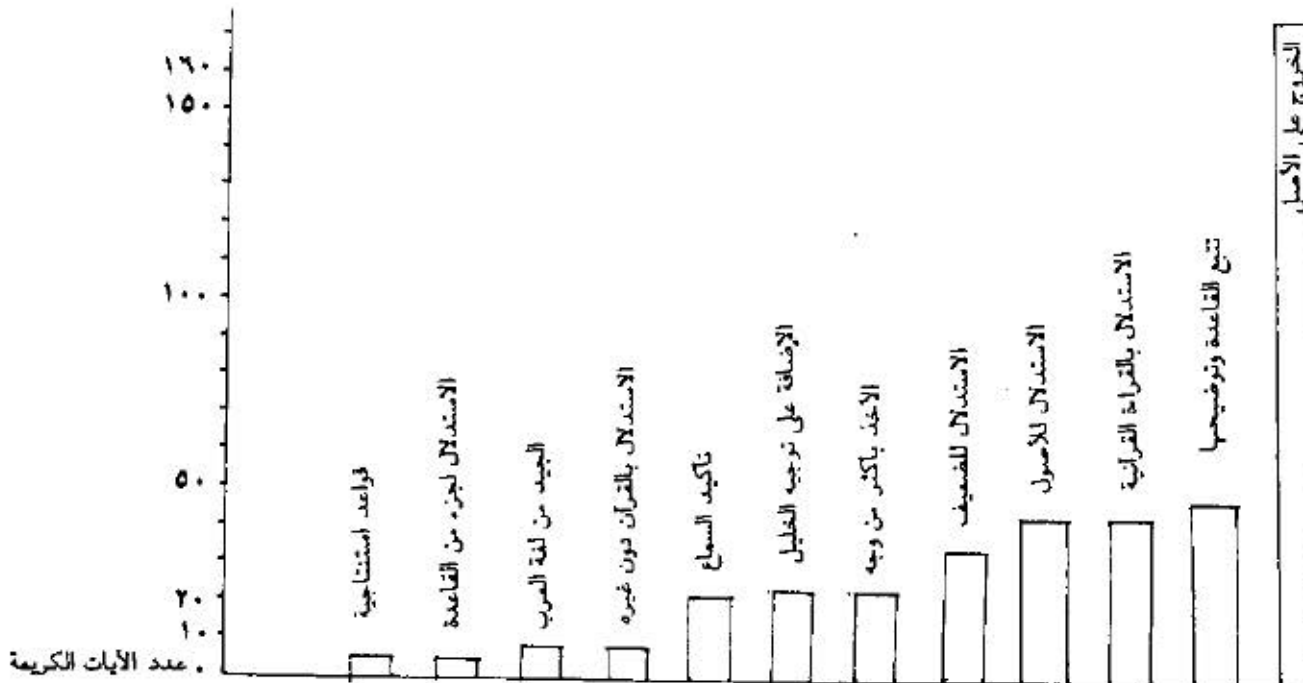
(٢) - رفع (أساطير) هي قراءة الجمهور، وقريئ شاذاً (أساطير) بالنصب بجعل (ذا) موصولة. انظر بحر المحيط لأبي حيان

وقد حظي القرآن الكريم عند سيبويه بأهمية خاصة، حتى إنه في بعض المواضع لم يكن يستدل بغير القرآن الكريم، وقراءاته، واصفاً اللغة التي لا يدعمها قول من القرآن الكريم بأنها ضعيفة قبيحة.

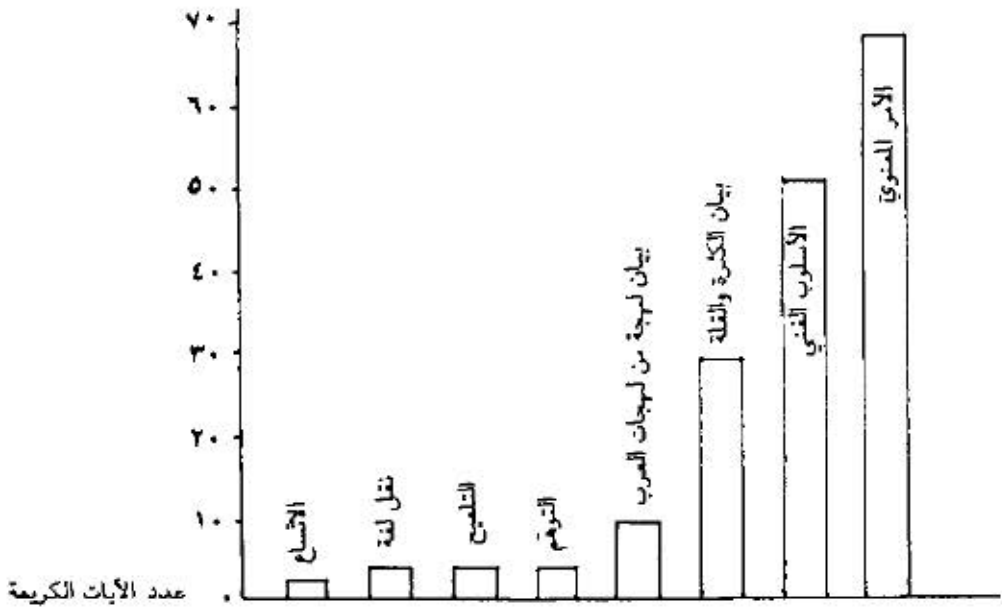
وصحيح أنه يستدلّ للجيد من لغة العرب، مبرزاً مقاييس الجودة في لغتهم، لكنه كان يستدل أحياناً بقراءة قرآنية للغة ضعيفة ليُثبِتَ أطراف البحث، ويحيط بكل جوانبه، الأمر الذي يدفعه إلى ذكر أكثر من وجه للقاعدة الواحدة.

بيانان توضيحيان بالآيات القرآنية التي استخدمها سبويه في تناولاته النحوية؛ وقد راعينا في ترتيبها الكثرة العددية فبدأنا بالأكثر، فالأقل وكنا قد عرضنا هذه الموضوعات خلال البحث بحسب تقارب العناوين، وما ترمي إليه؛ ولا بد من الإشارة إلى أن بعض الآيات الكريمة التي وردت في البيانيين قد استدلّ بها أكثر من مرة، وفي أكثر من قاعدة، أو أنه استدلّ في القاعدة الواحدة بأكثر من آية واحدة، أو أنه استدلّ للقاعدة الواحدة بآيات متتالية مرتبط بعضها ببعض في موضوع واحد، بالإضافة إلى أن بعض الآيات تتكرر بقراءات مختلفة تناسب القاعدة النحوية.

١- الاستدلال بالقرآن الكريم



الاستدلال بالقرآن الكريم على ماخرج على الاصل



أما المواضع التي لم يستدل لها سببوه بالقرآن الكريم فهي قليلة إذا قصدنا بها الأبواب النحوية الكبيرة، أما في القواعد الفرعية، فالمواضع التي لم يستدل فيها بالقرآن الكريم كثيرة.

* - من ذلك أنه لم يستدل بالقرآن على حذف الفعل الذي ينصب المصادر المثناة كـ (لتبيك)، و (سعديك)، و(حنانيك) (١)، وهو في الوقت نفسه يستدل بالقرآن على حذف الفعل كحديثه عن الاشتغال (٢).

* - ومن ذلك أنه لم يستدل بالقرآن الكريم في باب الندبة (٣) في حين أنه استدل بالقرآن الكريم في بحث النداء بشكل عام (٤).

ونراه في مواضع أخرى لا يستدل بالقرآن الكريم في أبحاث كاملة كالنسبة (٥)، وتثنية المنقوص، والمعدود (٦)، والتصغير (٧)، والمركب: وهو «باب الشيشين اللذين ضمّ أحدهما إلى الآخر فجعلنا بمنزلة اسم واحد» (٨)، و«باب (أفعل) إذا كان اسماً» «وما أشبه الأفعال من الأسماء التي في أوائلها الزوائد» (٩) وحديثه عن بناء الأفعال (١٠).

(١) - انظر الكتاب ١/٣٤٨٣-٧.

(٢) - انظر المصدر السابق: ١/٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٥، ١٠٠، ١٢٢، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢/٢٢٠-٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٦، ١٦٥/٤.

(٤) - انظر المصدر السابق (بحث النداء) ٢/١٨٣-٢٣٣.

(٥) - انظر المصدر السابق ٣/٣٣٥-٣٨٨.

(٦) - انظر المصدر السابق ٣/٣٨٩-٤١٤.

(٧) - انظر المصدر السابق ٣/٤١٥-٤٩٤.

(٨) - انظر المصدر السابق ٣/٢٩٦-٣٣٤.

(٩) - انظر المصدر السابق ٣/١٩٤-٢٢٢.

(١٠) - انظر المصدر السابق ٤/٩٦، ٥.

ولم يستدل سيبويه بالقرآن الكريم في تناولاته النحوية الواضحة البسيطة كأنواع الخبر، والخبر الظرفي، والرتبية، والضمير الرابط (١) ومن الطبيعي أنه لم يستدل بالقرآن الكريم في التناولات النحوية التي يشير فيها إلى لغة فصيحة، أو لغة استكرهها النحاة (٢).

ولعل القواعد النحوية البسيطة لم تكن تحتاج إلى استدلال، أو أن القرآن الكريم لم يحو ما يُستدل به على بعض القواعد، أو أنّ طبيعة بعض القواعد الصرفية، واللفظية، والأوزان تحتاج إلى كلام العرب ونطقهم لتكون دليلاً يُستدل به سيبويه على ما يريد.

وخلاصة القول أنّ آراء الخليل، و سيبويه التي اطلعنا عليها من خلال الكتاب تظهر لنا أنّ منهج سيبويه في الاستدلال بالقرآن الكريم، وقراماته هو نفسه منهج الخليل بن أحمد، ولو كنا نملك مؤلفاً نحويّاً للخليل لاستطعنا أن نبين الفرق بينهما إن يكن ثمة فرق، ووقفنا على المنابع الأصلية التي وجهت سيبويه، ومن جاء بعده من النحاة (٣)

(١) - انظر نظام الجملة ١/١٩-٢٦.

(٢) - انظر الكتاب ١/٣٠٧، ٣٣٤.

(٣) - انظر الاحتجاج للعلواني ٤٧.

* الحديث الشريف *

لم نعرض فيما وصل إلينا من كتب النحاة الذين سبقوا سيبويه على دليل يشير إلى اهتمامهم بالحديث الشريف، واستدلناهم به، كما أننا لم نكشف من خلال ما ذكره سيبويه في كتابه إلا على التدرج اليسير الذي يبين لنا موقفه من الحديث النبوي الشريف والأسباب التي دفعت إلى هذا الموقف.

الاستدلال بالحديث الشريف وأهميته:

من خلال دراسة كتاب سيبويه نرى ظاهرة هامة، أشار إليها كثير من النحاة، وهي أن صاحب الكتاب سيبويه، وأستاذه الخليل لم يعبرا الحديث الشريف أيّ اهتمام يذكر، ولم يتعرضا له في تأصيلهم لقواعد النحو العربي، وأنهما ثبتا فكرة عدم الاستدلال به (١) وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن السبب الكامن وراء ذلك.

لقد أشارت نصوص النحويين بشكل واضح إلى أن النحويين المتقدمين لم يستدلوا بالحديث النبوي الشريف، وهذا ما نراه عند البصريين، والكوفيين على حد سواء، وما جاء في خزنة الأدب يوضح الأمر كلّ الوضوح: «وقال أبو حيان في شرح التسهيل: قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أنّ الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرّين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء، وعيس بن عمر، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي، الفراء، وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك» (٢) وعلى وجه التحديد فإن ما ورد في كتاب سيبويه لم نجد فيه أي كلام مرفوع إلى النبي (ص)، سواء أ كان الكلام لسيبويه

(١) - انظر المدارس النحوية لشرقي حنيف ٤٧.

(٢) - خزنة الأدب للبهاددي ٥/١، وانظر فهرس كتاب سيبويه لمعظمة ٧٩٦.

أم لمن نقل عنهم من النحاة الذين سبقوه؛ وهذا الأمر له دلالة لاسيما أن كثيراً مما نقله سيبويه شعراً أو نثراً لم ينسبه إلى قائل معين بل يكتفي بقوله: وقال، أو كقوله، أو ما يشبه ذلك من عبارات.

إن الأحاديث التي ذكرها قليلة جداً، إضافة إلى عدم الإشارة إلى أنها من كلام رسول الله، وقد ساقها سيبويه إما للاستدلال بها، أو لتوجيه ظواهر إعرابية فيها. ومما ساقه للاستدلال به ما جاء في باب ما ينتصب على الحال بعد خبر المبتدأ، ذلك في قوله: «وقد يكون (هذا) وصواحيبه بمنزلة (هو)، ويُعرّف به، تقول: هذا عبد الله فأعرفه؛ إلا أن (هذا) ليس علامة للمضمر، ولكنك أردت أن تعرف شيئاً بحضرتك. وقد تقول: هو عبد الله، وأنا عبد الله فآخرأ أو شوعداً. أي اعرفني بما كنت تعرف، وبما كان بلفك عني، ثم يفسر الحال التي كان يعلمه عليها أو تبلغه فيقول: أنا عبد الله كريماً جواداً، وهو عبد الله شجاعاً بطلاً. وتقول: (إني عبد الله) مصغراً نفسه لربه، ثم تفسر حال العبيد فتقول: (أكلأ كما تاكل العبيد)» (١)، وورد في طبعة أخرى (إني عبد الله أكلأ كما يأكل العبيد، وشارباً كما يشرب العبيد) (٢). فقد استدل بالحديث الشريف على جواز مجيء الحال بعد خبر المبتدأ بفض النظر عما اعترى الحديث من تغيير في لفظه دون معناه.

ومما ذكره أيضاً في باب التنازع، ورجح فيه عمل الفعل الثاني لقربه من المعمول قوله: «وإنما كان الذي يليه أولى لقرب جواره، وأنه لا ينتقض معنى، وإن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد، كما كان: خشتت بصدرة وصدري زيد وجه الكلام، حيث كان الجر في الأول، وكانت الباء أقرب إلى الاسم من الفعل وانتقض معنى، سووا بينهما في الجر كما يستويان في النصب.

(١) - الكتاب ٢/٨٠.

(٢) - المصدر السابق (بولاق) ١/٢٥٧، وما ورد في كتب السنن والآثار جاء بلفظ آخر، ويبدو أن ما ذكره سيبويه هو رواية الأدباء، وأصحاب العربية فيه، فقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ٢/٣٠، بالفاظ قريبة مما نحن بصدد، وفيه: «إنما لنا عبد أكل وأشرب» والمعروف في كتب السنن: «أكل كما يأكل العبيد، وأجلس كما يجلس العبيد»، انظر فهرس شواهد سيبويه لأحمد راتب النفاخ ٥٧.

ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب، قوله عزّ وجلّ: **وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ (١)** فلم يُعْمَلِ الآخرَ فيما عمل فيه الأولُ استثناءً عنه، ومثل ذلك (وتخلع وتترك من يعجرك) (٢) وهذا النص يظهر لنا منهج سيبويه في الاستدلال فهو يورد الظاهرة النحوية، ويستدل لها بكلام العرب، وأقوالهم، ثم يستدل بالقرآن الكريم، ثم يقول: (ومثل ذلك) فيورد الحديث الشريف: فهو إذا من باب الاستثناء لا غير.

وفي معرض حديثه عن اسم التفضيل نقل لنا سيبويه حديثاً آخر وهو قوله (ص): «**ما من أيام أحبّ إلى الله عزّ وجلّ فيها الصوم منه في عشر ذي الحجّة**» (٣) بعد أن أخذ من كلام العرب المثال الذي ذكره كل النحاة تقريباً، وهو: ما رأيت أحداً أحسن في عينيه الكحل منه في عينه. ثم تحدث بإسهاب كبير عن مسألة الكحل، وفصل، وعمل، ثم قال: (ومثل ذلك)، مشيراً إلى حديث الرسول (ص) وواضعا إياه في مرتبة متأخرة من مراتب الاستدلال. (٤) إضافة إلى التباين في اللفظ بينه وبين ما ذكر في كتب الصحاح.

والطريقة الثانية التي ذكر فيها الأحاديث كانت توجيهياً للظواهر الإعرابية فيها كما أسلفت. من ذلك حديثه عن المفعول المطلق المنصوب بفعل محذوف، فبعد أن فصل في نصب (سلاماً) و(حمداً)، و (شكراً)، و (سبحان الله)، و أمثالها واستدل بكلام العرب، وأشعارهم، وآي القرآن الكريم

(١) - الأحزاب ٣٣/٣٥.

(٢) - الكتاب ١/٧٤، وقوله (وتخلع وتترك من يعجرك) هو قطعة من دعاء القنوت المختار عند الحنفية. انظر فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٥٨.

(٣) - لم يرد في كتب السنن حديث بهذا اللفظ. والذي ورد حديثان يقرب لفظهما منه: أولهما عن أبي هريرة عن النبي (ص): (ما من أيام أحبّ إلى الله أن يتعبدها له فيها من عشر ذي الحجّة، يمدد صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر) وثانيهما عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام للعمل الصالح فيهنّ أحبّ إلى الله من هذه الأيام العشر، فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء). انظر فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٥٨.

(٤) - انظر الكتاب ٢/٣١-٣٢.

قال: «وَأَمَّا سُبُوحًا قُدُوسًا رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» فليس بمنزلة (سبحان الله)، لأن السُّبُوحَ والقُدُوسَ اسم، ولكنه على قوله: أذكر سُبُوحًا قُدُوسًا. وذلك أنه خطر على باله أو ذكره ذاك فقال: سُبُوحًا، أي ذَكَرْتَ سُبُوحًا» (١)، ثم ذكر سببويه رواية أخرى حين قال: «ومن العرب من يرفع فيقول: سُبُوح، قُدُوس رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، كما قال: أَهْلُ ذَاكَ، وَصَادِقُ وَاللَّهِ، وَكُلُّ هَذَا عَلَى مَا سَمِعْنَا الْعَرَبَ تَتَكَلَّمُ بِهِ رَفْعًا وَنَصْبًا» (٢)

فرواية الرفع (سُبُوح، قُدُوس) نسبها إلى العرب في كلامهم، وأظن أن سببويه لم يسمع هذا الدعاء من أفواه العرب، ولكنه نوع من القياس الذي قاسه على كلامهم فأجاز فيه وجه الرفع (٣)

ومما وجه أيضاً قول الرسول (ص) كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه، وينصرانه (٤) ففي حديثه عن ضمير الفصل أورد كثيراً من كلام العرب وآيات القرآن الكريم (٥) ثم ذكر قوله (ص) ووجه قائلاً: «وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبُوهُ هُمَا الذَّانِ يَهُودَانِهِ، وَنَصْرَانِهِ)؛ ففیه ثلاثة أوجه: فالرفع وجهان (٦)، والنصب وجه واحد. فأحد وجهي الرفع أن يكون المولود مضمراً في يكون، والأبوان مبتدآن، وما بعدهما مبني عليهما، كأن

(١) - الكتاب ٣٢٧/١.

(٢) - هو من أدعية الركوع، كان الرسول (ص) يقوله في ركوعه وسجوده. وروايتهم جميعاً (سُبُوح قُدُوس) بالرفع. انظر فهرس شواهد سببويه للنفاخ ٥٧، والكتاب ٣٢٧/١.

(٣) - انظر الاحتجاج للحلواني ١٩٤.

(٤) - أخرجه من حديث أبي هريرة بالفاظ متقاربة تختلف عن لفظ سببويه البخاري، ومسلم، وأبو داود والترمذي، ومالك، وأحمد. انظر تفصيل ذلك في فهرس شواهد سببويه للنفاخ ٥٧-٥٨.

(٥) - انظر للكتاب ٣٨٩/٢-٣٩٢.

(٦) - ذكر السراقي وجهاً ثالثاً، وهو أن يكون (يكون) ضميراً للشأن، وما بعده مبتدأ وخبر يُفسر له. الكتاب ٣٩٣/٢ (الحاشية).

قال: حتى يكون المولود أبواه اللذان يهودانه وينصرانه. ومن ذلك قول الشاعر، رجل من بني عَبَس (١)

إِذَا مَا الْمَرُءُ كَانَ أَبُوهُ عَبْسُ فَحَسِبَكَ مَا قَرِيدَ إِلَى الْكَلَامِ (٢)

وقول آخر:

مَتَى مَا يُفِدُّ كَسْبًا يَكُنْ كُلُّ كَسِيهِ لَهُ مَقَطَعٌ مِنْ صَدْرِ يَوْمٍ وَمَأْكَلٌ (٣)

والوجه الآخر، أن تُعْمِلَ (يكون) في الأيوين، ويكون (هما) مبتدأ، وما بعده خبراً له. والنصب على أن تجعل (هما) فصلاً، (٤)

وفي حديثه عن الحكاية، وإبقاء المحكي على حاله قال: «فلن أردت حكاية هذه الحروف تركتها على حالها كما قال: (إن الله ينهاكم عن قِيلَ وَقَالَ) (٥) ومنهم من يقول: (عن قِيلَ وَقَالَ، لما جعله اسماً)» (٦) فهو يورد الحديث من غير إشارة إلى قائله (ص) وهذا شأنه في حديثه عن أصل نِعْمَ ويس، فقد ذكر أنهما على (فَعِلَ)، ثم استدل بعد أمثلة كثيرة بقول رسول الله: (فِيهَا وَنِعَمَتْ) (٧). يتبين لنا أن كل الأحاديث الشريفة التي ذكرها سيبويه، ليست موافقة في الرواية لما روي في كتب السنن في المعنى ذاته، كما أن صاحب الكتاب لم يستشهد بها على أنها أحاديث شريفة، بل استخدم عبارات توهم بأنها كلام صادر عن العرب، والمكان الذي وضع فيه الحديث كان في مؤخرة

(١) - لسان العرب (نصر) ٢١٢/٥.

(٢) - تُسَبِّحُ الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ إِلَى عَبَسَ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ. وَإِلَى بِعَنَى (من) فِي هَذَا الْبَيْتِ. انظر الكتاب ٣٩٤/٢ (حاشية).

(٣) - الْبَيْتُ مِنَ الْخَمْسِينَ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْ قَائِلَهَا. الْكِتَابُ ٣٩٤/٢ حَاشِيَةٌ.

(٤) - الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٣٩٤/٢.

(٥) - سَقَطَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ فَهَارِسِ كِتَابِ سَيْبَوَيْهِ لِعَضْبِيَّةٍ، وَفَهْرَسِ شَوَاهِدِ سَيْبَوَيْهِ لِلنَّفَاحِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ بِصِبْغَةٍ مُشَابِهَةٍ. انظر الكتاب ٢٦٨/٣. ولسان العرب (قول) ٥٧٣/١١.

(٦) - الْكِتَابُ ٢٦٨/٣.

(٧) - الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ١١٦/٤، ٣٢/٥.

العرض النحوي المسهب الذي اشتمل على كلام العرب ولغاتهم، وشعرهم، وكثير من آيات القرآن الكريم، إضافة إلى أن بعض الأحاديث كان للاستدلال وبعضها الآخر كان توجيهاً للحديث (١)

الحديث النبوي الشريف وتوجيه الظواهر الإعرابية

تعرضنا في الفقرة السابقة للأحاديث الشريفة، وبيننا الطريقة التي أفاد فيها سيبويه من الأحاديث. فقد ذكر ثلاثة أحاديث، واستدلّ بها لإثبات قاعدة، ناهيك بالمكانة التي أولاها للحديث الشريف حيث قدم عليه كلام العرب، والآيات القرآنية إضافة إلى التفسير في لفظه.

أما الأحاديث الباقية فقد وجهها وأجاز فيها أكثر من وجه، نحو قوله (ص): (ستوحاً قفتوساً ربّ الملائكة والروح) فقد نصبها بفعل (أذكر) مجيئاً فيها الرفع لأنّ سمع العرب تتكلم به (٢). وقوله: «سمعنا العرب تتكلم به رفعا ونصباً»، يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّه لم يسمع هذا الدعاء من أفواه العرب، لكنّه قاسه على كلامهم فأجاز فيه وجهاً آخر (٣) ومثل ذلك بقية الأحاديث التي وجهها (٤)

ظاهرة أخرى تتعلق بأسلوب توجيهه الذي اعتمده نحو: (ويقول: إني عبد الله... أكلاً كما يأكل العبد ...)، أو (ومثل ذلك: ونخلع ونترك من يفجرك) أو (ومن ذلك : ما من أيام أحبّ إلى الله...) أو (وأما قولهم: كل مولود...) فهي تُشعرنا أنه لم يول ما بعدها أيّ قيمة فهو يعطف هذه العبارات على نظير لها قبلها، وهذه طريقتة في استخدام الحديث (٥) وهذا يدل على أن سيبويه ومن

(١) بقي الاستدلال بالحديث كما رسمه المتقدمون حتى جاء ابن مالك ت ٦٧٢هـ الذي أكثر من الاستدلال به، وقد واجه

نقداً شديداً كنفذ أبي حيان له في شرح التسهيل. انظر الاقتراح للسيوطي ١٧.

(٢) انظر الكتاب ١/٣٢٩-٣٢٧.

(٣) انظر الاحتجاج للحلواني ١٩٤.

(٤) انظر الكتاب ٢/٣٩٣-٣٩٤، ٣/٢٦٨، ٤/١١٩.

(٥) انظر المصدر السابق ١/٣٢٧، ٢/٣١-٣٢، ٣/٣٩٤-٣٩٣، ٤/٢٦٨، ٤/١١٩.

سبقه كانوا قليلي العناية بالحديث الشريف، ولم يحاولوا أن يستقروا لغة الحديث إذا ما قورن مع استقراءهم لكلام العرب شعراً ونثراً.

عدم الدقة في نقل الأحاديث الشريفة

ليس صعباً أن ندرك الفرق بين الأحاديث التي ذكرها سيبويه، والأحاديث التي وردت في كتب الصحاح، فهو واضح بين؛ فقد ذكر سيبويه قوله (ص): (إني عبد الله أكلاً كما يأكل العبد، وشارباً كما يشرب العبد X ١)، وهذه الصيغة لا وجود لها في كتب السنن والآثار إنما ورد المعنى بصيغة أخرى هي: (إني عبد الله أكلُ كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد X ٢)، وزيد على ذلك في موضع آخر قوله (ص): (فلنأنا أنا عبد X ٣)، وزيد عليه في مكان ثالث قوله (ص): فوالذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً كاساً) (٤)

وذكر أيضاً قوله (ص): سبوحاً قدوساً ربُّ الملائكة والروح ينصب (سبوحاً قدوساً X ٥) في حين لم ترد رواية النصب هذه في أيّ من كتب الصحاح، بل ذكر وجه الرفع (سبوحٌ قدوسٌ) وهو الوجه الذي وجّه به الحديث ناسباً إياه إلى العرب، لا إلى الرسول الكريم؛ ذلك في قوله: «ومن العرب من يرفع

(١) - الكتاب ٢/٨٠.

(٢) - أخرجه ابن سعد في طبقاته ١/٣٨١، (بيروت) عن عائشة.

(٣) - المصدر السابق ١/٣٧١.

(٤) - انظر لفيض القدير لمحمد المناوي ١/٥٥، (طبعة مصطفى محمد) مصر، ومسير النبلاء للنهجي ٢/١٣٧، ونعته بأن حديث حسن غريب، وانظر فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٥٧.

(٥) - الكتاب ١/٣٢٢.

فيقول: سُبُوخٌ قَدْتَسَمْتُ..وكلّ هذا على ما سمعنا العرب تتكلم به»، وهو الوجه الذي ذكرت كلُّ كتب الصحاح (١). وذكر أيضاً قوله (ص): (ما من أيام أحبّ إلى الله فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة (٢)، وهذا الحديث لم يرد بهذا اللفظ في شيء، من كتب السنن، والذي ورد حديثان (٣) يختلف لفظاهما عتاً أورده سيبويه.

وذكر أيضاً قوله (ص): كلُّ مولود يُؤلّد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه، وينصرانه (٤)، وهذا النص على الرغم من أنّه أقرب الأحاديث التي ذكرها سيبويه إلى ما ذكر في كتب السنن، فإنه لا يخلو من اختلاف في لفظه (٥).

(١)- هو من أدعية الركوع، أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود) ٥١/٢ (طبعة دار الخلافة)، وأبو داود في (كتاب الصلاة) من سننه ٣٢٥/١ من (عون المعبود)، والنسائي (كتاب التطبيق - باب الذكر في الركوع) ١٦١-١٦٠/١ (طبعة مصر ١٣١٢ هـ) وأحمد في المسند ٩٤،٢٣/٦، ١٤٩،١٤٨،١١٥، ١٧٦، ١٩٣، ٢٤٤،٢٠٠، ٢٦٦، كلهم عن عائشة. وفي رواية مسلم، وأبي داود، وبعض روايات أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده. وروايتهم جميعاً (سُبُوخٌ قَدْتَسَمْتُ) بالرفع إلا أن صاحب (عون المعبود) نقل عن القاضي عياض أنّه قيل فيه (سبرحاً قدوساً) على تقدير: استبح سبرحاً، أو أذكر، أو أعظم، أو أعبد. انظر فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٥٧.

(٢)- الكتاب ٣١/٢-٣٢.

(٣)- ورد ذكر الحديثين في كلامنا على (الاستدلال بالحنث الشريف وأهميته) وانظر في ذلك الجامع الصحيح للترمذي ٥٨/٢-٥٩، وفيض التقدير للمناوي ٤٧٤/٥-٤٧٥، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ١٠٠/٤-١٠١ مصر ١٣٢٥ هـ.

(٤)- الكتاب ٣٩٣/٢.

(٥)- أخرجه من حديث أبي هريرة بالفاظ متقاربة تختلف عن لفظ سيبويه؛ البخاري في الصحيح (كتاب الجنائز ٩٥/٢-١٠٠، وكتاب التفسير - سورة الروم ١١٤/٦، وكتاب القدر ١٢٣/٨، طبعة بولاق)، ومسلم في صحيحه (كتاب القدر ٥٢/٨-٥٤، طبعة دار الخلافة)، وأبو داود في سننه (كتاب السنة باب القدر ٣٦٦/٤ من عون المعبود)، والترمذي في جامعه (كتاب القدر ١٩٧/٣)، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز ٢٤١ تج: محمد فواد عبد الباقي)، وأحمد في المسند ٢٣٣/٢، ٢٧٥، ٢٩٣، ٤١٠، ٤٨١، وانظر فيض التقدير للمناوي ٣٣/٥، وانظر فهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٥٧-٥٨.

من خلال الأحاديث الشريفة التي ذكرت، يظهر لنا اختلاف اللفظ، وبقاء المعنى. ولعل تجويز الرواية بالمعنى هو الذي جعل سيبويه، والخليل وغيرهما من الأئمة يتركون الاستدلال بالحديث الشريف، ولا يولونه العناية اللازمة (١). وإذا تعرضوا لبعض منه فإنهم يقولون: (قالت العرب)، أو (قالوا)، أو (مثل قولهم)، وغير ذلك من العبارات التي توحي بأن المستدل به كلام صادر عن العرب الذين يُستدل بكلامهم (٢).

إقلال سيبويه من الاستدلال بلغة الحديث الشريف:

بعد اطلاعنا على الأحاديث الشريفة التي ذكرها سيبويه، وعلى الرغم من تباين اللفظ وتطابق المعنى بينها، وبين ماورد في كتب الصحاح، لايسعنا أن ننكر معرفته بأصل الكلام المنقول، فهو يدرك أنه لرسول الله (ص) بدليل تقارب الألفاظ الشديد في الأحاديث كلها، أما إغفاله لصاحب الكلام المنقول فهو نهج انتهجه في أماكن كثيرة من كتابه يصعب حصرها، لكن بعضاً منها يدل على ما نقول. من ذلك حديثه عن إعمال (لا) في النكرة، وما دار بينه وبين أستاذه الخليل: «وتقول: قضية ولا أبا حسن» تجعله نكرة. قلت فكيف يكون هذا، وإنما أراد علياً رضي الله عنه، فقال: لأنه لايجوز لك أن تعمل لا في معرفة، وإنما تعملها في النكرة» (٣) فهو لم يصرح باسم من قال: (قضية ولا أبا حسن) معتمداً في ذلك شهرة العبارة ومعرفة الناس لقائلها، وكذلك شأنه في كثير مما قاله شعراً ونشراً.

أما الاختلاف في رواية الحديث، فلا يمكننا أن نعتبره تحويراً، لعدم وجود دافع يدفع إمام النحاة إلى هذا الأمر، ولا يبعدو الأمر أن يكون رواية نقلت إليه، أو أخذها عن شيخ من شيوخ الحديث (٤)

(١) - الفكرة لابن الضائع في شرح الجمل، نقلاً عن فهرس كتاب سيبويه لمضية ٧٦٢.

(٢) - المصدر السابق ٧٦٢.

(٣) - الكتاب ٢/٢٩٧.

(٤) - انظر الاحتجاج للعائلي ١٤٩، ١٩٥.

وذهب بعض النحاة المحدثين وعلل قلة الاستدلال بالحديث بأن النحاة لم يكونوا يجدون ما يكفيهم من حديث رسول الله (ص ١٧)؛ ونحن لا يمكننا أن نذهب مذهبه لأن سببوه درس على كثير من أئمة الحديث، فقد أخذ علمه عن حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت ١٦٧هـ) الذي روى له مسلم، والأربعة (٢). وأخذ عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥هـ) وكان ثقة مأسوناً في رواية الحديث، وكان أبوه أوس بن ثابت من رجال الحديث (٣)، ومن أقرانه الذين درس معهم علي بن نصر الجهمي الذي برع في الحديث (ت ١٨٧هـ ٤)، وكان مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) قد وضع كتابه: (الموطأ) قبل وفاة سببوه، وما من شك في أنه أطلع على الموطأ، لاسيما أنه -أعني سببوه- من الذين تابعوا العلماء، ونهلوا من ثقافة العصر آنذاك ما لا يخفى على أحد. يضاف إلى ذلك ما جمعه أبو عبيد (٥)، والأصمعي (٦)، والنضر بن شميل (٧) من كتب غريب الحديث آنذاك، ويضاف كذلك علم شيخه الخليل بن أحمد، وما ضمه كتاب (العين) من أحاديث، بعد أن عرفنا الصلة الكبيرة بين سببوه وأستاذه، وحتمية التأثير والتأثير بين الاثنين.

(١) - انظر في أصول النحو للأفغاني ٤٩.

(٢) - انظر إنباه الرواة للقفطي ٣٢٩/١، ومقدمة الكتاب ٨١-٩، سببوه إمام النحاة لناصف ٩٠.

(٣) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٤٢، وإنباه الرواة للقفطي ٣٠٠/٢، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٥٤، ومقدمة الكتاب ١٢/١.

(٤) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٦٧، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٥٨، ومقدمة الكتاب ١٤/١.

(٥) - شاعر بن المشي ١١٠-٢٠٩ هـ من أئمة العلم بالأدب واللغة، وكان من حفاظ الحديث. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان

١٠٥/٢، ومعجم الأدباء للحموي ١٦٤/٧-١٧٠، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٩٥، ويزان الاعتدال للمنهي ١٨٩/٣.

(٦) - عبد الملك بن قُريب ١٢٢-٢١٦ هـ رواية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. انظر وفيات الأعيان لابن

خلكان ٢٨٨/١، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤١٠/١٠، ونزهة الألباء للأنباري ١٥٠.

(٧) - النضر بن شميل ١٢٢-٢٠٣ هـ أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث، وفقه اللغة، له: (غريب الحديث)،

وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦١/٢، وطبقات النحويين للزبيدي ٥٣-٦٠، والمزهر للسيوطي ٢٣٢/٢.

وخلصة القول أن سبويه لم يُعبر الحديث الشريف اهتماماً في استدلاله، وما أورده من ذلك لم يتعد الاستئناس على الرغم من معرفته بالحديث واحاطته به، وهذا يعود إلى طبيعة الحديث الشريف وروايته، ورواته ؛ فالأحاديث أغلبها مرويةً بمعناه، وتداوله غير العرب فبدلوا ألفاظاً بالفاظٍ، ولهذا فإننا نرى صوراً شتى للحديث الواحد. وقد وضّح السيوطي ذلك في قوله: «إنّ غالب الأحاديث مروية بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقتسوا وأخروا، وأبدلوا ألفاظاً بالفاظٍ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة» (١)

(١) - الاقتراح للسيوطي ١٦.

* كلام العرب *

تحمل عبارة "كلام العرب" معنى واسعاً يشمل كثيراً من عناصر الاستدلال التي أخذ بها الخليل وسيبويه، ولا بد لنا قبل الدخول في هذه العناصر من أن نبين أبعادها؛ فهي تشمل ثلاثة أقسام: الشعر، والأمثال، ولغة التخاطب.

- الشعر -

استحوذ الشعر على اهتمام النحاة على مرّ العصور، وعدّوه دليلاً على صحة القواعد العربية، حتى إنهم استدلوا به على صحة الظواهر النحوية واللفوية التي جاءت في القرآن الكريم، فلا غرابة إذا زادت شواهد الشعر في كتب النحاة على شواهد القرآن الكريم. وسيبويه لا يخرج عن هذه القاعدة شأنه شأن شيوخه الذين أخذ عنهم.

والملاحظ أنّ سيبويه لم يضمن كتابه مقدمة يبين فيها منهجه الذي اعتمده في تأليف (قرآن النحو) كما أطلقوا عليه، وهذا الأمر اتصف به مؤلفو تلك الحقبة من الزمن في شتى المعارف والفنون، فكتابة المقدمات طريقة جاءت بعد عصر سيبويه؛ وهو ما يدفعنا إلى محاولة معرفة المصادر التي نهل منها سيبويه، ولاشك أنّ مصادره كانت شفوية في الغالب، أي أنها جاءت من طريق السماع، وهي :

١- مشافهة سيبويه للأعراب ونقله عنهم:

عاش سيبويه في عصر أدرك فيه العلماء الخطر الذي أحاط بلغة القرآن الكريم، لكنّ مدينة البصرة التي عاش فيها كانت حصناً منيعاً للغة، هي وبعض الحواضر الأخرى كالكوكة مثلاً، وقد ساعده وجوده في البصرة على أن يلتقي الأعراب في سوق الميرتد يسمع منهم الأبيات، بل القصائد ليستدل بها في استنباط قواعد اللغة العربية، أو ترسيخ أصل من أصولها.

وقد صرح سيبويه في كتابه كثيراً بأنه سمع من الأعراب مشافهة دون وسيط وهذا التأكيد على السماع يدلّ على رغبته في إشعارنا بدقة مايقول، وسلامته؛ فهو ينقل ما سمعه من الأعراب، أو مقن يوثق بعربيته، أو من بعض العرب الموثوق به؛ وهو يعتبر عن ذلك بعبارات متنوعة صريحة؛ سواء أذكر اسم الشاعر الذي روى عنه الأعراب أم لم يذكر.

من ذلك استخدامه لعبارة (سمعناه ممن يوثق بعربيته) في قوله:

إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ: شَامِتٌ وَأَخْرُ مَثْنٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ» (١)

وقد يستخدم عبارة (سمعناه من بعض العرب الموثوق به) نحو قوله:

«وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه:

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَهْنَا أَدُو نَسَبِ أُمِّ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ» (٢)

لم تُردْ حِرٌّ، ولكنها قالت: أمرنا حنان، أو ما يصيبنا حنان» (٣)

(١) - الكتاب ٣٦٠/١، (بولاق) وانظر ٤٢٥/٧.

(٢) - البيت للعنذر بن درهم الكلبي. والحنان: الرحمة. سألته عن علّة مجيئه، أله قرابة بها أم له معرفة بحبيها؟ قالت ذلك حين فاجأها فانكرته، أو تظاهرت بإنكاره. والشاهد فيه: رفع (حنان) يتقدير مبتدأ، أي أمرنا حنان، وهو نائب عن المصدر الواقع بدلاً من الفعل .

(٣) - الكتاب ٣٢٠/١ وانظر كذلك ٤٢٣/١، ٤٢٥/٢٢.

وقد يقول: (سمعناه ممن يرويه من العرب) كقوله:

«وقال المرار الأسدي:

سَلَّ الْهَمُومَ بِكَلِّ مَعْطِي رَأْسِهِ نَاجٍ مُخَالِطٍ صَهْبَةٍ مَتَّيْسٍ (١)
مُغْتَالٍ أَحْبَلِهِ مَيِّبِينَ عَنَّقَهُ فِي مَنْكِبِ زَيْنِ الْمُطَيِّ عَوْنَدَسٍ (٢)

سمعناه ممن يرويه من العرب ينشده هكذا» (٣)

وقد يعبر عن سماعه بقوله: «سمعنا من ينشد هذا البيت من العرب، وهو لكعب القنوي:

وما أنا للشيء الذي ليس نافعِي ويفضَّبَ منه صاحبي بقَوُولِ (٤)
والرفع أيضا جائز حسن» (٥) في (ويفضب).

ويستخدم أحيانا عبارة (سمعت رجلاً من العرب) في نحو قوله:

«وسمعت رجلاً من العرب يُنشد هذا البيت كما أخبرك به:

(١) - معطي رأسه: ذلول. منقاد: يعني البعير. ناج: سريع، والنجاء: السرعة. والعصبية: البياض الضارب إلى الحمرة، والمتعيس والأعيس: الأبيض تخالطه شقرة. يقول سَلَّ هَكَذَا لَكَ بَغْرَاقٌ مِنْ تَهْرِي، ونأيه عنك، بكل بعير ترتحله للسفر هنا نعته. وشاهده إضافة معطى إلى الرأس مع نية التنوين والنصب، والدليل عليه إضافة (كل) إليه لأن (كل) هنا لاتضاف إلا إلى نكرة. الكتاب ٤٢٦/١.

(٢) - اغتال الشيء: ذهب به، والمراد استولى العبال التي ينشد بها رحله لعظم جوفه. والمبين: البين الطول. زَيْنِ الْمُطَيِّ زَيْنَا: دفنها. والمطي: جمع مطية، وهي ما يُعْطَى ظَهْرَهُ. والعردس: الشئيد. والشاهد فيه: (مغْتَالٍ أَحْبَلِهِ) حيث وقع صفة للنكرة.

(٣) - الكتاب ٤٢٦/١، وانظر ١٥١/٢-١٥٢.

(٤) - تقديره: وما أنا بقوول للشيء غير النافع، ولأن يفضب منه صاحبي، أي لستُ بقوول لما يؤدي إلى غضبه، لأنه لايقول الغضب، وإنما يقول ما يؤدي إلى الغضب، ويجوز: ويفضب، عطفًا على صلة الذي، وهو أظهر وأحسن.

(٥) - الكتاب ٤٦/٣.

وكنت أرى زيدا كما قيل سيّدا إذا إنه عبد القفا واللهازم» (١)

أو يشير إلى أعرابي وينعته بالفصاحة كقوله:

« وأما حيّهلّ التي للأمر فمن شيئين، والدليل على أنهما جملا اسما واحدا قول الشاعر (٢):

وهيّج الحيّ من دارٍ فضلّ لهم يومٌ كثيرٌ تناديه وهيّلة» (٣)

وقد يشير إلى من سمع منهم بأنهم من فصحاء العرب، كقوله:

«وسعنا فصحاء العرب يقولون في بيت امرئ القيس:

فلت يمين الله أبرخ قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي» (٤)

(١) - عبد القفا: أي عبد قفاه. كما يقال: لثيم القفا، وكريم الوجه. واللهازم: جمع لهزيمة وهي عظم ناتئ في أول الحنك تحت الأذن. وذلك لأن القفا موضع الصفع، واللهزيمة موضع اللكر. والشاهد فيه جواز فتح (آن) وكسرها بعد (إذا) فالفتح على تأويل المصدر المبتدأ، والإخبار عنه بلذا، والتقدير: فإذا العبودية، أو الخبر المحنوف، أي فإذا العبودية شأنه. والكسر على نية وقرع المبتدأ والخبر بعد (إذا). الكتاب ١٤٤/٣.

(٢) - هو رجل من بني أبي بكر بن كلاب، أو من بجيلة. انظر المقتضب ٢٠٦/٣، وشرح المفصل ٤٦/٤، وخزانة الأدب ٤٢/٣.

(٣) - هيّجهم: فرجهم. ودار: واد قريب من هجر. وصف جيشا شمع به وخيف منه، فانشغل عن المحلّ من أجله، ويودر بالانتقال قبل لحاقه. والشاهد فيه: (هيّجهم) وإعرابه: لأنه جعله اسما للصوت وإن كان مركبا من شيئين، فهو بمنزلة معديكرب في وقوعه اسما للشخص. الكتاب ٣٠٠/٣.

(٤) - ذكر أنه تعرض للرقباء الذين أسروه بالانصراف حين طرق حبيوته. أبرخ، أي: لأبرخ. والأوصال أعضاء الجسم والشاهد في: (يعين الله) إذ رفع على الابتداء مع إضمار الخبر، أي لازمني. والنصب في كلامهم أكثر على إضمار فعل. الكتاب ٥٠٣/٣-٥٠٤. ديوان امرئ القيس ٣٢، والمقتضب ٣٢٦/٢، والخصائص ٣٨٤/٢، شرح المفصل ١١٠/٧.

وقد يعتبر بصيغة أكثر شمولية وفيها إشارة مبطنة إلى فصاحة من يشير إليه، نحو قوله:

« سَمِعْنَا أَهْلَ هَذِهِ اللَّفَّةِ يَقُولُونَ، قَالَ الْحَطِيبَةُ

وَإِذْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِتٍ مِنْ الدَّهْرِ رُدُّوْا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوْا » (١)

وإمعاناً في الدقة التي يتوخاها سيبويه، فإنه يبين أنه سمع بعض الشواهد عن بعض الثقات يروونها عن العرب، أو سمعها من يرويها عن العرب، وهو بهذا العمل يفرق بين نوعين من الشواهد، نوع سمعه من الأعراب مباشرة وضحناه سابقاً، ونوع سمعه من بعض الثقات يروونه عن العرب، والأمثلة كثيرة، منها قوله:

« وقال المرار الأسدي:

أنا ابن التارك البكري بشرٍ عليه الطيرُ ترقبُهُ وقوعاً (٢)

سمعناه من يروي عن العرب» (٣) وقد يبين أنه سمعه من أهل الثقة الذين يروونه عن العرب، أو ما يشابه ذلك من عبارات مطمئنة؛ من ذلك قوله: «ونظير: أحقاً أنك ذاهب من أشعار العرب قول العبدى: (٤)

أحفاً أن جبرتنا استقلوا فبيتنا ونيتهم فربق (٥)

(١) يمدح آل قريع، وهم حي من تميم. المولى هنا: ابن العم. جلّ حادث، أي: حادث جليل. أي إذا احتاج المولى إليهم عادوا عليه بفضل حلوسهم، ولم يخذلوه. والشاهد فيه: كسر الكاف من (أحلامكم) تشبيهاً لها بهاء (أحلامهم) لأنها أختها في الإضمار، ومناسبة لها في الهمس. وهي لفة ضعيفة؛ لأن أصل الهاء الضم، والكسر عارض عليها بخلاف الكاف، فعمل الكاف عليها بعيد ضعيف؛ لأنها أبين منها وأشد. الكتاب ١٩٧/٤.

(٢) - بشر: هو بشر بن عمرو بن سرمد، قتله رجل من بني أسد. ترقبه الطير: أي تنتظر موته بفارغ الصبر لتنفض عليه، لأنها لاتقع على القليل وبه رمق. والوقوع: جمع واقع ضد الطائر. والشاهد فيه: إضافة (التارك) إلى (البكري) تشبيهاً بالحسن للوجه، لأنه مثله في الاقتران باللام. وللعلماء كلام في منهب سيبويه هذا.

(٣) - الكتاب ١٨٢/١، وانظر في مثل ذلك ٢٨١/١-٢٨٢، ٣٣٦، ١٩٤، ١٨٤/٢، ٥٧-٥٨.

(٤) - هو المفضل النكري. والعبدى نسبة إلى عبد القيس. والنكري نسبة إلى نكرة. مع الهوامع للسيوطي ٧١/٢، لسان العرب (فرق).

(٥) - استقلوا: ذهبوا وارتحلوا. والنية: الوجه الذي ينويه المسافر. والفریق: المفرقة. والشاهد فيه: نصب (حقاً) على الظرف، وفتح (إن) لأنها وما بعدها في تأويل مبتدأ خبره الظرف، والتقدير: أي حق استقلال جبرتنا، ولا يجوز كسر (إن) لأن الظرف لا يتقدم على (إن) المكسورة لانقطاعها ما قبلها.

..... وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَلْحَقَّ أَنْ دَارَ الرِّبَابِ تَبَاعَدْتُ أَوْ انْتَبَتْ حَبْلٌ أَنْ قَلْبَكَ طَانُوا (١)

وقال النابغة الجعدي:

أَلَا أْبْلِغُ بَنِي خَلْفٍ رَسُولًا أَحَقًّا أَنْ أُخْطَلِكُمْ هَجَانِي (٢)

فكل هذه البيوت سمعتها من أهل الثقة هكذا» (٣)

وقد يكون مصدر سيبويه هو الشاعر نفسه كقوله: «دوان شنت حملته على الابتداء كما قال :

فَتَى النَّاسِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ مَكَانُهُ وَضِرْغَامَةٌ إِنْ هَمَّ بِالْحَرْبِ أَوْقَعَا (٤)

وقال آخر :

إِذَا لَقِيَ الْأَعْدَاءَ كَانَ خَلَاتِهِمْ وَكَلْبٌ عَلَى الْأَدْنِيِّينَ وَالْجَارِ نَابِجٌ (٥)

(١) - انتبت انتبتا: انقطع، والجبل هنا حبل الوصل والاجتماع، وكنتى بطيران القلب، عن ذهاب العقل لشدة حزنه على فراقهم أو عثر عن شدة خفقانه جزعا للفراق فجعله كالطيران. والشاهد فيه: نصب (حقا) على الظرف وفتح (أن) بعمده كما سبق.

(٢) - بنو خلف رעה الأخطل، من بني تغلب، وكان بين النابغة وبين الأخطل مهاجرة ولرسول: الرسالة، وهو متى جاء على (فعل) من الأسماء كالوضوء والطهور، وهي الرسالة أيضا. والشاهد فيه: نصب (حقا) وفتح (أن) كما تقدم.

(٣) - الكتاب ١٣٦/٣.

(٤) - الضرغامة: اسم من أسماء الأسد شبه به الممنوح في إقدامه وجراته. والشاهد فيه: ضرغامة، حيث خملت على الابتداء، والتقدير: وهو ضرغامة. انظر اللسان (ضرغم).

(٥) - البيت من الخمسين التي لم يعرف لها قاتل، والخلاة الرطبة من الحشيش، وهي واحدة الخلا. يصفه بضعفه عن مقاومة أعداءه، فهو سهل الماكل إذا لقوه، ولكنه إذا لقي أهله وعشيرته تنقر، وصار كالكلب النابج.

كذلك سمعناهما من الشاعرين اللذين قالهما» (١)

لم يخلُ كتاب سيبويه من أنواع أخرى من الشواهد التي استدل بها، كأن ينسب السماع إلى مجهولين كقوله: (هكذا شُع من العرب تنشده (٢) أو (هذا كله شُع من العرب (٣)، أو (وكذلك سمع هذا البيت من أفواه العرب (٤)، أو (وأنشدنا لبعض العرب الموثوق بهم (٥) ، وغير ذلك كثير.

هذا منهج الكتاب في مشافهة الأعراب، فهو يستخدم عبارات يشير فيها إلى سماعه عن الأعراب مباشرة من دون وسيط، وأصفاً من يسمع عنه بالثقة والفصاحة، ويلجأ في بعض الأحيان إلى الإشارة إلى أنه سمع بعض الشواهد عن بعض الثقات يروونها عن العرب، وفي بعض المرات يفتل اسم من نقل عنه، ويعتبر عن ذلك بصيغة المبني للمجهول. وأساليب سيبويه هذه نراها عند كثير من النحاة، لكن الذي يعيز أسلوبه هو أنه يُلغ -كما رأينا- على نعت الأعرابي بالفصاحة، والثقة بطريقة أمينة دقيقة.

(١) - الكتاب ٦٨/٢.

(٢) - المصدر نفسه ١٣٩/١.

(٣) - المصدر نفسه ١٤٧/١.

(٤) - المصدر نفسه ٧٤/٢.

(٥) - المصدر نفسه ٩/٢.

من المصادر الهامة التي اعتمدها سيبويه أخذه عن شيوخه، وهو كثير جداً، ويتسم بالدقة والأمانة، ويدل على الأهمية البالغة التي أولاها لهذا الأمر، فهو ينقل عن شيخ حيناً، ويشير إلى روايات متعددة في الشاهد الواحد حيناً آخر، إذا ثبتت صحة هذه الروايات، ويتحرى الدقة لقطع الشكّ عن أي بيت برويه؛ فهو يعلّق على قول الشاعر:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرِّيحَ القَوَا، فَيَنْطِقْ وهل تُخَبِّرُنكَ اليَوْمَ بيداءِ سَمَلِقْ (١)

بقوله: <<وزعم يونس أنه سمع هذا البيت بـ (الم). وإنما كتبتُ ذا لئلا يقول إنسان: فلعلّ الشاعر قال: ألا،>> (٢) ويلجأ في مواضع كثيرة حرصاً منه على صحة التمثيل والإنشاد إلى إيراد أمثلة متتالية دون أن يذكر اسم الشيخ؛ كحديثه عن أسماء الأفعال التي تأتي على وزن (فَعَالٍ): فهو يقول: <<أنا ما جاء اسماً للفعل وصار بمنزلة فقول الشاعر:

مَنَاعِيهَا مِنْ إِبِلٍ مَنَاعِيهَا ألا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَرْبَاعِهَا (٣)

وقال أيضاً: (٤)

تَرَاكِبِهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِبِهَا ألا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِبِهَا (٥)

(١)- البيت لجبيل في ديوانه ١٤٤، والأغاني ١٤٥/٨، وشرح المفصل لابن عميش ٦٣/٧ وخزانة الأدب ٦٠١/٣. وجمع البوامع للسيوطي ١٣١، ١١١/٢. والقراء: الفهر. وقد تخيله ناطقاً لِيُعْتَبَرَ بدروسه وتفشّره، ثم نفى ذلك، وحقق أنه لا يجيب سائله لعدم القاطنين به. والبيداء: القفر. والسملق: الأرض المستوية، أو الجرداء لا شجر فيها. والشاهد فيه رفع (ينطق) على الاستئناف والقطع، أي فهو ينطق. ولو أمكنه النصب على الجواب لكان أحسن. الكتاب ٣٧/٣ (الحاشية).

(٢)- الكتاب ٣٧/٣-٣٨.

(٣)- الأرباع: جمع ربيع، وهو ولد الناقة الذي تلده في الربيع. الكتاب ٢٧٠/٣. خزانة الأدب ٣٥٤/٢ والإنصاف ٣٠٨.

(٤)- البيت للطيفيل بن يزيد الحارثي، انظر المقتضب للمبرد ٣٦٩/٣، ٢٥٢/٤، والكامل للمبرد ٢٦٩ ولسان العرب (ترك).

(٥)- الشاهد فيه، وفي البيت السابق: وقوع (مناعها) و (تراكيبها) اسمي فعل أمر. انظر الكتاب ٢٧١/٣ (الحاشية).

وقال أبو النجم (١):

حَدَارٍ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَدَارٍ (٢)

وقال رؤبة:

نَظَارٌ كَمِيٍّ أَرْكَبَهَا نَظَارٍ (٣)

ويقال نَزَالٌ، أي انزَلُ. وقال زهير (٤):

وَلَيَنْعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيْتَ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ (٥)

هذه طريقته في رواية الشعر عن شيوخه، وهي طريقة تتسم بالدقة، وغزارة الشواهد المستدل بها للوصول إلى تعييد اللغة العربية.

أما شيوخه الذين سمع منهم فهم كثير، أفاد منهم في العلوم النحوية، والصرفية، واللغة، والقراءات، وغيرها (٦)، لكن الذي نحن بصددده، هو ما رواه عن شيوخه من الشعر، وهؤلاء هم: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب، والأخفش الأكبر، وعيسى بن عمر، والأصمعي (٧) روى عنهم سيبويه الشعر على تفاوت بينهم.

(١) - انظر المقتضب للمبرد ٣٧٠/٣، مجالس ثعلب ٦٥١ أمالي ابن الشجري ١١٠/٢. الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري

٣٥٩، شعور الذهب لابن هشام ٩٠ ولسان العرب (حذر).

(٢) - أي أخذوا من رماحنا عند اللقاء.

(٣) - لم يرد الشطر في ديوانه رؤبة. انظر المقتضب للمبرد ٣٧٠/٣، وأمالي ابن الشجري ١١٠/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٥٤٠. يريد: انتظر حتى أركبها، معدول من قوله انظر، أي: انتظر. يقال: نظرته أنظره بمعنى انتظره.

(٤) - ديوان زهير بن أبي سلمى ٨٩ (دار الكتب ١٣٦٣هـ)، المقتضب للمبرد ٣٧٠/٣، أمالي ابن الشجري ١١١/٢، الإنصاف ٥٣٥، شرح المفصل لابن يعيش ٤/٢٦٠، ٥٢، خزنة الأدب للبهفندي ٦١/٣.

(٥) - يمدح هرم بن سنان المري. أي أنت مقدم شجاع إذا لبست الدرع فكنت حشرها، واشتدت الحرب فنادى الأقران: نزال نزال، ولج الناس في الذعر، أي تناهبوا في الفرز، وهو من اللجاج في الشيء. والتمادي فيه. الكتاب ٢٧١/٣.

(٦) - لنا حديث مفصل عن شيوخه عامة في حديثنا عن السماع عند سيبويه.

(٧) - ذكرهم السيوطي في بغية الوعاة ٢٦٦ عدا الأصمعي. وقد آثرنا ترتيبهم بحسب كثرة أخذ سيبويه عنهم.

أ- الخليل:

وهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري المتوفى ١٦٠هـ (١) وهو الذي ابتكر العروض، وخرج به إلى الناس علماً كاملاً، ضبط به الشعر، وحفظه من الاختلال (٢) تخرج عليه جملة من شيوخ العربية حفظوا علمه، ونقلوه من بعده إلى الناس، وسيبويه هو أبرز هؤلاء (٣). كانت صلة سيبويه بالخليل أساسها الحب الخالص والاحترام المتبادلان، ووصل حد احترام سيبويه له أنه إذا روى عنه بيتاً، وأراد أن يُبدئ رأياً بعد رأي شيخه، قال: (وقال غيره)، ولم يذكر اسمه إمعاناً في الاحترام والإجلال لشيخه (٤).

وأكثر ما رواه سيبويه في الكتاب كان عن الخليل بن أحمد. وفي كل مرة يقول فيها: وسألته، أو قال، من غير أن يفصح عن اسم القائل، وإنما يقصد الخليل (٥) ومما رواه عن الخليل، ونصّ فيه على سماعه قوله: «وحدثنا الخليل أنه سمع من العرب من يوثق بعربيته ينشد هذا البيت، وهو قول الشنّاق (٦)

وكلُّ خليلٍ غيرِ هاضمٍ نفسه لوصولِ خليلٍ صارمٍ أو معارزٍ (٧)

فجعله صفة لكلّ (٨) ومما رواه كذلك عن الخليل قوله: «ويقول يونس للمرأة نسى بقاضٍ مررت

(١) - نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فيم. انظر بنية الوعاء للسيوطي ٢٤٤.

(٢) - انظر سيبويه إمام النحاة لناصف ٩١.

(٣) - انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٣٨-٤٠، نزهة الألباء للإنباري ٥٤-٥٩، بنية الوعاء للسيوطي ٢٤٣-٢٤٥.

(٤) - سيبويه إمام النحاة لناصف ٩٢.

(٥) - المصدر نفسه ٩٢.

(٦) - ديوان الشنّاق بن ضرار ٤٣ (السعادة ١٣٢٧)، اللسان (مرز).

(٧) - الهضم: الظلم. والصارم: القاطع. وهو في البيت خبر (كل)، والمعارز: المنقبض. يقول: كلّ خليلٍ لا يهضم نفسه لخليله فهو قاطع لروسله، أو منقبض عنه، والشاهد فيه: مجيء (غير) صفة لـ (كلّ) لأنها مضافة إلى تكرة، ولو جاء صفة لـ (خليل) المجرورة لكان حسناً. انظر حاشية الكتاب ١١٠/٢.

(٨) - المصدر نفسه ١١٠/٢-١١١.

بقاضي قبل، ومررت بأعيني منك. فقال الخليل: لو قالوا هذا لكانوا خلقاء أن يلزموها الجرّ والرفع، كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجروه على الأصل، قال الشاعر الهذلي: (١)

أبيتُ على معاري واضحاتٍ بهنّ ملوّب كدم العباطِ (٢)

وقال الفرزدق: (٣)

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلىَ هجوتهُ ولكنَّ عبدَ الله مَوْلىَ مواليًا (٤)

فلما اضطروا إلى ذلك في موضع لا بدّ لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل: (٥)

ومما رواه عن الخليل ولم يصرح فيه باسمه قوله: «وسألته عن قوله: من دونٍ ومن فوقٍ، ومن تحتٍ، ومن قبلٍ، ومن بعدٍ، ومن ذبئٍ، ومن خلفٍ. فقال أجروا هذا مجرى الأسماء المتكئة، لأنها تُضاف

(١) - هو المتنخل انظر ديوان الهذليين ٢٠٢/٢ (دار الكتب ١٣٦٩هـ)، الخصائص لابن جني ١/٣٣٤/٦١ المنصف لابن جني ٢/٦٧، ٧٥، ٧٦، ٧٧/٦٧: نخ: إبراهيم مصطفى ١٣٧٩هـ، ولسان العرب (عرا- لوب- عبط).

(٢) - المعاري: جمع معري، وهو الفراش. يعني فرش الحور اللاني ذكره في بيت قبل هذا. كانه بن عروته أعروه، إذا أتته، أو من العري لأن المرء قد ينعمى فيه. أو المعاري أجزاء الجسم التي تنعري. والواضحات: البيض. والملوّب: الذي أجري عليه الملاب، وهو ضرب من العليب، فارسي. شبيهه في حمرته بدم العباط، جمع عبيط وعبيطة، وهي الناقة تُنحر لغير علة. والشاهد فيه: إجراؤه (معاري) في حال الجرّ مجرى السالم. والوجه (معاري) بحذف الياء.

(٣) - البيت ليس في ديوانه. انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١٧ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٦ نخ: شاكر (١٣٧٠هـ)، والمقتضب للمتبرّد ١٤٣/١، شرح المفتعل لابن يعيش ٦٤/١، وخزانة الأدب للبغدادي ١١٤/١ وجميع النواحي للسيوطي ٣٦١/١، ولسان العرب (ولي).

(٤) - بقوله لعبد الله بن أبي إسحاق النحوي، وكان يلحن الفرزدق في قوله:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا صحتاً أو مجلف

وقوله: مستقبلين شمال الشام تضربنا على زواحف تزجي مغبها ربر

فهجاء بذلك. وكان عبد الله مولى لآل الحضرمي والحضرمي كانوا حلفاء لبني عبد شمس بالولاء. يقول: لو كان ذليلاً لهجرته، ولكنه أذل من الذليل. والشاهد فيه: إجراؤه (موالي) على الأصل للضرورة.

(٥) - الكتاب ٣١٢/٣-٣١٣.

وُستعمل غيرَ ظرف. ومن العرب من يقول: من فوقٍ ومن تحتٍ، يشبّهه بقبلٍ وبعده. وقال أبو النجم (١)

أَقْبُ مِنْ تَحْتِ عَرِيضٍ مِنْ عَلٍ (٢)

وقال آخر:

لا يَحْمِلُ الْفَارِسَ إِلَّا الْمَلْبُونُ الْمَحْضُ مِنْ أَمَامِهِ وَمِنْ دُونِ (٣)

وكذلك من أمامٍ ومن قدامٍ، ومن وراءٍ، ومن قُبَلٍ، ومن دُبُرٍ. وزعم الخليل أنه نكرات كقول أبي النجم:

يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمَلٍ (٤)

وزعم أنه نكرات إذا لم يُضَنَّ إلى معرفة، كما يكون أَيْمُنٌ وَأَشْمَلٌ نكرة.

وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه. (٥) والأمثلة كثيرة جداً. (٦)

ب- يونس بن حبيب:

وهو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصري المتوفى ١٨٧هـ. كانت له بالبصرة حلقة يقصدها

طلاب العربية، ومنهم سيبويه، ويأتي في المرتبة الثانية بعد الخليل فيمن روى سيبويه عنهم (٧) الشعر،

واللغة، ومما رواه عن يونس صراحة قوله: «وحدثنا يونس أن العرب تنشد

(١)- من أرجوزته المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٧٢/٨-٤٧٩ سنة ١٩٢٨ وهي في ١٩٩ اشطراً.

(٢)- وصف الفرس بأنه مطويّ الكشح منتفخ ما بين الجنبين. والأقب: الضامر. والشاهد فيه: بناء (تحت) على الضمّ، وجعلها غاية كقبيل وبعده.

(٣)- الملبون: الذي ينسفي اللبن، ويؤثر به لكرمه وعتقه. والمحض: الغالصر. والشاهد في قصر (دون) وبنائها على الضمّ في النية. لأن الفافية لم كانت مطلقاً الحركات لم تكن (دون) إلا مضمومة بمنزلة قبل وبعده.

(٤)- خزانة الأدب للبيهقي ١٠٤/١ وهو في صفة الراعي وإبله، يعرض لها يميناً وشمالاً، سرجاً لها.

(٥)- الكتاب ٢٨٩/٣-٢٩٠.

(٦)- انظر في ذلك الكتاب ٢٦٥/٢-٢٦٦/٣، ٣٧-١٠٣-١٠٤، ٣١٥-٤١٥/٤، ٢١٤، ١١٥.

(٧)- انظر سيبويه إمام النحاة لناصر ٩٤.

هذا البيت وهو لعُبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ:

ولكنه بُنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا» (١)

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلِكَةً هَلَكَ وَاحِدٍ

وقال أيضاً: «أنشدنا يونس لجريز:

أَنْ تَقْرَبَا قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ (٢)

إِيَّاكَ أَنْتَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ

أنشدناه منصورياً، وزعم أن العرب كذا تنشده» (٣)

ونراه في بعض المواضع يروي من طريق يونس سماعه عن العرب بيتاً لشاعر، كقوله: «زعم يونس

أنه سمع العرب يقولون في بيت الأسود بن يعفر:

تَهْدُدُكُمْ إِيَّايَ وَسَطَّ الْمَجَالِسِ» (٤)

أَحَقًّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ

(١) - الأغانى لأبي الفرج ٩٣/٩، ١٢٨/١٢ وهو من أبيات يرثي بها قيس بن عاصم المنقري. يقول: مات بموته خلق كثير، وتقرض بتقرض بنيته، وعزمه بنبان رفيع. والشاهد فيه رفع (هَلِكَةً) بدلاً من قيس. فعلى ذلك يكون (هلك) منصورياً على خبر كان. ويجوز رفعه على أنه مبتدأ، و(هلك) خبره. الكتاب ١٥٥/١-١٥٦.

(٢) - القصيدة في الديوان ١٢٧ (الصاوي ١٣٥٣هـ) وليس من بينها هذا البيت. ويعني بعبد المسيح الأخطل. يخاطب الغزدي لقبه مع الأخطل. والشاهد فيه: عطف (عبد المسيح) على (إياك). الكتاب ٢٧٨/١، والخصائص ٤٣٤/٢.

(٣) - الكتاب ٢٧٨/١-٢٧٩.

(٤) - يقول لقومه. والأسود بن يعفر أحد من توعدوه قومه بالهجوم. والشاهد فيه: نصب (حقاً) على الطرف، والتقدير: أي حق تهتدكم إياي؟ وجاز وقوعه ظرفاً، وهو مصدر في الأصل لما بين الفعل والزمان من المشابهة، وكأته على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه، كما تقول: أتيتك خفوق النجم، أي وقت خفوقه، فكان تقديمه: أي وقت حق توهدتموني. انظر الكتاب ١٣٥/٣، وخزانة الأدب ١٩٣/١.

ونراه أحياناً يعرض على شيخه الخليل بن أحمد بيتاً أنشده إياه يونس، كقوله: «وسألناه (يعني

الخليل) عن بيت أنشدناه يونس» (١)

قد عَجِبْتُ مِنِّي وَمِنْ يَعْجِيَا
لَمَّا رَأَتْني خَلْفًا مَقْلُوبًا (٢)

نقال: هذا بمنزلة قوله:

ولكنَّ عبد الله مولى موالياً» (٣)

وغير ذلك كثير (٤)

مما سبق نرى أن سيبويه اعتمد كثيراً رواية يونس بن حبيب، وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد الخليل بن أحمد فيما روى عنه سيبويه شعراً ونثراً (٥)، أما فيما رواه عنه شعراً فقط، وصرح باسمه بشكل واضح فقد بلغ سبع عشرة مرة، وهو يسبق بذلك الخليل الذي صرح سيبويه باسمه في رواية الشعر تسع مرات (٦)

(١) - البيت للفرزدق وليس في ديوانه. انظر المقتضب ١/١٤٢، والخصائص ١/٦١، ٣/٥٤، وجمع الهوامع ١/٣٩٧، واللسان (هـ، لا، قلا).

(٢) - الخلق: البالي، والمقلوب: الذي ينقل على الفراش حزناً، أي يتململ. والشاهد فيه إجراء (يعجلى) على الأحملى، ضرورة وهو تصغير (يعلى) اسم رجل.

(٣) - الكتاب ٣/٣١٤-٣١٥.

(٤) - انظر في ذلك الكتاب ١/١٢٠، ١٥٦، ٢٧٨، ٣١٩، ٣٦٦، ٦٧-٦٨، ٧٢، ١٥٣، ٣٧٣، ٧٠، ٧١، ١٣٥، ١٧٦، ٢٦٠، ٥٣٣.

(٥) - جملة ما روى عنه سيبويه في الكتاب مائتا مرة. انظر سيبويه إمام النحاة لناصر ٩٤.

(٦) - كان سيبويه يلتجئ إلى الخليل بشكل كبير، كان يقول: (سألناه، وقال لنا، وغير ذلك) وهذه التلميحات لم تدخل في إحصائنا في هذا المكان؛ وما نعنيه هو ما نحن سيبويه على سماعه من الخليل أو يونس.

ج- الاحتفش الأكبر:

وهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد المتوفى ١٧٧هـ، مرلى قيس بن ثعلبة وأحد الأخافشة الثلاثة المشهورين (١) من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب، وأخذ عنهم، وهو أول من أعقب كل بيت بتفسيره، وكانوا قبله إذا فرغوا من القصيدة فثروها. أخذ عنه كثيرون، ومنهم سيبويه (٢)

أخذ سيبويه عن أبي الخطاب اللفظة، وروى عنه النصوص والمفردات سبعا وأربعين مرة، أما الشعر فقد روى عنه شعاني مرات صرح خلالها بكنيته أبي الخطاب؛ من ذلك قوله: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم ينشد هذا البيت نصبا:

أَتُوْعِدُنِي بِقَوْمِكَ يَا بَنَ حَجَلٍ أَشَابَاتٍ يُخَالُونَ الْعِبَادَ (٣)
بِمَا جَمَعْتَ مِنْ حَصْنٍ وَعَمْرٍو وَمَا حَصَّنَ وَعَمْرٍو وَالْجِبَادَ (٤)»

وقوله في باب (ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة):

«وحدثني أبو الخطاب أنه سمع من يوثق بعربيته من العرب يُنشد هذا البيت:

كَأَنَّا يَوْمَ قَرَىٰ إِنَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا
قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ فِتْيَٰ أَيْضَ حَسَانَا (٥)

- (١) - الأكبر: وهو أبو الخطاب المذكور، والأوسط: وهو سعيد بن سعدة، والأصغر: وهو علي بن سليمان. انظر بغية الرعاة للسيوطي ٤٣٦، وسيبويه إمام النحاة لناصر ٩٤.
(٢) - انظر بغية الرعاة ٢٩٦، وإنباء الرواة للقطبي ١٥٧/٢.
(٣) - الأشابات: الأخلاط من الناس هاهنا؛ جمع أشابة، والعباد: جمع عبد. قال ابن الشجري: يقولون: نحن عبادة الله، لا يكادون يضيفونه إلى الناس. ولكنه جعل العباد هنا بمعنى المبيد. الكتاب ٣٠٤/١.
(٤) - حَصَّنَ: بطن من بني الفين، وعمرو: قبيلة. والجبَاد: جمع الجواد من الخيل. أي ليسا من الجباد، وركوبها في شيء. أي ليسوا فرسانا معروفين. والشاهد به نصب (الجبَاد) حملا على معنى الفعل، أي: وملاستهما الجباد. الكتاب ٣٠٤/١.
(٥) - البيتان الذي الإصبع المدواني أو أبي بجيلة. قُرَى: موضع. والحَسَانُ: هو الحسن للمبالغة نحو: كُنَّار في كبير وكُرَّام في كريم. أراد أن قومه أوقفوا بيني وعشيم، فكأنهم قتلوا أنفسهم. والشاهد: هو إجراء (حَسَان) على (كُلِّ) نمنا له لأنه نكرة مثله. كما أن الترجه في نقتل إيانا (نقتلنا) ولكنه وضع الضمير المنفصل في موضع المتصل، وكان حقه أن يقول: نقتل أنفسنا، فاستعمل الضمير المنفصل موضع النفس لأنهما مترادفان.

فجعله وصفاً لكلّ» (١) وغير ذلك من الأمثلة (٢).

ط - عيسى بن عمرو:

هو أبو سليمان عيسى بن عمر، مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنُسب إليهم، أحد كبار الأئمة في العربية، والنحو، والقراءة. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبي إسحاق، وروى عن الحسن البصري، والعجاج بن روبة، وغيره، توفي ١٤٩هـ (٣). روى سيبويه عن عيسى اللفظة والشعر اثنتين وعشرين مرة؛ منها أربع مرّات روى عنه الشعر، من ذلك قوله:

«وزعم عيسى أنّه سمع ذا الرمة يُنشد هذا البيت نصباً:

لقد حَمَلَتْ قَيْسُ بنَ عَيْلَانَ حَرْبَهَا على مُسْتَقِيلٍ لِلنَّوَانِمِ وَالْحَرْبِ (٤)

أخاها إذا كانت عِضاضاً سما لها على كلِّ حالٍ من ذلولٍ ومن صَغْمٍ (٥)»

بنصب (أخاها) على التعظيم والمدح (٦)

ومنه أيضاً قوله: «وزعم عيسى أنّهم يُنشدون هذا البيت:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا أو عبدَ ربِّ أخا عَوْنٍ بنِ مِخْرَاقٍ» (٧)

(١) - الكتاب ١١١/٢.

(٢) - انظر في ذلك الكتاب ٧٨/١-٧٩-٢٠١، ٢٢٩/٣، ٢١٩، ٢٣١.

(٣) - أخبار النعمانيين البصريين للسيباني ٣١-٣٣، نزهة الألباء للأنباري ٢٥-٣١، والفهرست لابن النديم ٦٢، بغية الوعاة للسيوطي ٣٧٠.

(٤) - المستقل: الناهض بما خَلَّ. والنوائب: ما ينوب الإنسان، أي ينزل به من المهمات والحوادث.

(٥) - أخاها: أي أخا الحرب. عِضاضاً: أي عاضة يعني الحرب. سما لها: أي للحرب، ارتفع لها ركباً لتلويها ولصعوبها، لا يتسببه شيء.

(٦) - الكتاب ٦٥/٢.

(٧) - اختلفت في نسبة البيت، وقيل: إنه مصنوع. والاستفهام هنا للاستحسان، وباعث: موقظ، أو مرسل، ودينار، وعبد ربّ: رجلان. وأراد عبد ربه، ولكنه ترك الإضافة، وهو يريد بها. وأخا عون: عطف بيان أو نعت، ويجوز نصبه على النداء، والشاهد فيه: نصب (عبد ربّ) حملاً على موضع (دينار).

في حديثه عن جواز نصب المعطوف حملاً على معنى المعطوف عليه (١) وغير ذلك من الأمثلة (٢)

ويلاحظ في الآبيات التي رواها سيبويه عن عيسى - وهي قليلة كما أشرنا - أنه يستخدم عبارة لا توحى صراحة بالسماع المباشر عنه فهو يقول (وزعم عيسى أن بعض العرب ينشد هذا البيت)، و (زعم عيسى أنهم ينشدون)، و (ويقوي ذلك أن يونس وعيسى جميعاً زعماً)، و (وزعم عيسى أنه سمع)، وهي عبارات لم نألفها في روايته عن غير عيسى من شيوخه فقد عودنا أن يقول: (حدثنا بذلك يونس، وحدثنا الخليل، وحدثنا بذلك أبو الخطاب)، وهي عبارات تنصّ صراحة على السماع مباشرة. ولما كانت كلّ روايات الشعر عن عيسى تشمل كلمة (زعم): إضافة إلى أن المؤرخين اختلفوا في سنة ولادة سيبويه ورجح أكثرهم أن وفاته كانت سنة ١٤٨هـ (٣)، ولم يختلفوا في وفاة عيسى بن عمر سنة ١٤٩هـ، ولضيق الشقة بين وفاة عيسى وولادة سيبويه، فإننا نشكّ في سماع سيبويه من عيسى مباشرة، وما ذكره هو نوع من إفعال أسماء الأعلام في نقل روايتهم، وهو نتج الفناء في مواضع كثيرة من كتابه.

هـ - الأصمعي:

وهو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمعي الباهلي (١٢٢-٢١٦هـ) راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر، مولده ووفاته في البصرة، وكان كثير التطواف (٤)

(١) - الكتاب ١/١٧١.

(٢) - انظر الكتاب ١/١٦٩، ٣٦٤.

(٣) - انظر طبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٦٦-٧٤، تاريخ بغداد للبغدادي ١٢/١٩٥-١٩٩، نزعة الألباء للأنباري ٧١، معجم الأدباء للحصري ٦/٨١٨٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٨٥ (مصر ١٣١٠هـ)، البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٧٩ (مصر ١٣٥١-١٣٥٨هـ)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٠٠، بغية الرعاة للسيوطي ٣٦٧.

(٤) - انظر تاريخ بغداد للبغدادي ١٠/٤١٠، نزعة الألباء للأنباري ١٥٠، إنباء الرواة على أنباء النحاة للقفطي ٢/١٩٧-٢٠٥.

روى سيبويه عن الأصمعي مرتين فقط، وكلتا المرتين كانتا في رواية الشعر، وقد نصّ سيبويه فيهما على سماعه عنه صراحة، لا بالصيغة التي استخدمها في روايته عن عيسى بن عمر؛ كانت الأولى في باب الجزاء حين قال: «ومثل ذلك قوله» (١)

هَذَا سُرَاقَةٌ لِلْقُرْآنِ يَدْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرَّثَا إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبًا (٢)

أي المرء ذئب إن يلق الرثا. قال الأصمعي: هو قديم أنشدنيه أبو عمرو» (٣) والمرة الثانية كانت في باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما؛ في قوله: «ومثل ذلك أيضاً قوله، أنشدنيهما الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد:

إِنْ يَبْتَخَلُّوا أَوْ يَجْنُبُوا أَوْ يَغْدِرُوا لَا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرَجَلِي نَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا» (٤)

وفي غير ذلك لم يرو سيبويه الشعر عن أحد.

٣- استدلاله بالشعر والشعراء:

اتضح لنا أنّ السماع كان على الأغلب الطريق الوحيدة التي سلكها سيبويه في أخذ معظم شواهد الشعرية، سواء أكان سماعه من طريق شيوخه الذين سمعوا بدورهم من العرب، أو أخذوها من دواوين الشعر العربي آنذاك، أم من طريق السماع المباشر من رواة الشعر، والأعراب. ولا يمكننا أن نفعل احتمال أن يكون سيبويه قد حمل دواوين الشعر رواية عن علماء العصر في تلك الحقبة لأن

(١) - الشاهد من الخصمين، انظر مع الهوامع للسيوطي ٣٢/٢.

(٢) - سراقه: رجل من القراء، نسب إليه الرثاء، وقبول الرثا، وحرصه عليها حرص الفئب على فريسته. والشاهد فيه أنّ (ذئب) ليست جواباً، بل هي خبر للمرء، والجواب مقدر. والمترد يجعله جواباً على إرادة الفاء، أي فهو ذئب.

(٣) - الكتاب ٦٧/٣-٦٨.

(٤) - لا يحفلوا: لا يبالوا، والترجيل: تنشيط الشعر، وتليينه بالدهن، وغدوهم سرجلين دليل على أنهم لم يحفلوا بتقبيح. والشاهد فيه جزم (يغدوا) على البذل من قوله: (لا يحفلوا) الكتاب ٨٦/٣-٨٧.

طالباً متابعاً لحلقات العلماء، في عصر كثرت فيه رواية الشعر عن طريق السماع لا بد له من التأثر، والأخذ، لاسيما أنه يعرض على شيوخه ما يحمله من الشعر، ولا يمكن لعالم طالب أن يعرض شيئاً ما لم يكن حريصاً على الجمع والتصنيف. والعالم في ذلك العصر لا يتركن إلى الصحف، لأن الاطمئنان إلى الصحف وحدها كان مصدر شك في الدقة واتهام في الرواية. وهذا ما دفع سيبويه، وغيره من طلاب العلم إلى الحرص على الرواية، والأخذ عن مجالس العلم، ثم عرض ما يأخذونه على شيوخهم حرصاً منهم على الدقة والضبط والإتقان.

وكانت الشواهد الشعرية التي استدلت بها سيبويه معروفة لدى شيوخه، وسائر علماء ذلك العصر في حاضرنا النحو؛ فقد كانت متداولة بين طلاب العلم، وشيوخهم بدليل أن سيبويه كان يعرضها كما أشرنا. على شيوخه الذين يثق بهم، وبخاصة الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب لذلك فنحن نرجح أن الشواهد التي استدلت بها سيبويه، ولم يشر إلى مصدرها الذي سمعها منه، كانت من الشواهد المعروفة، والمتداولة في مجالسهم آنذاك، بدليل أن عدداً كبيراً منها يخلو من النص صراحة على سماعه من العرب، أو من أحد العلماء، وأنه كان يعرض هذه الشواهد من خلال عرض آراء العلماء أو كلام شيخ من شيوخه بأسلوب يدل على أن شيخه كان على دراية تامة بهذه الشواهد التي يستدل بها، وبرواياتها، وبكل ما يحيط بها من أمور نحوية. من ذلك قوله: «ومثل ذلك فيما زعم الخليل:

إِذَا تَعَلَّى الْحَمَامُ الْوَرَقَ هَيْجَنِي وَلَوْ تَغَرَّبْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ (١)

قال الخليل رحمه الله: لما قال هيجني، عُرف أنه قد كان ثم نذكر لتذكرة الحمام، وتَهَيَّبِجِه. فالقى ذلك الذي قد عُرف منه على أم عمَّارٍ، كآته قال: هَيْجَنِي فَذَكَّرَنِي أُمَّ عَمَّارٍ (٢)

(١) - البيت للناطقة. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد الفرسي ٥٢-٥٦ (بولاق ١٣٠٨) والورق: جمع أوراق وورقاه. الورقة سواد وبياض كدخان الرث. تَغَرَّبْتُ: سرت في دار غربة. والشاهد فيه نصب (أم عمَّار) بفعل دل عليه ما قبله، لأن هيجني تدل على (فذكرني).

(٢) - الكتاب ٢٨٦/١.

وقوله كذلك: «وأنا قول الأخطل:

وَقَدْ آيَّبْتُ مِنَ الضَّائَةِ بِمَنْزِلٍ فَأَيَّبْتُ لَا حَرْجٍ وَلَا مَحْرُومٍ (١)

فزعم الخليل رحمه الله أن هذا ليس على إضمار (أنا). ولو جاز هذا على إضمار (أنا) لجاز: كان عبداً لله لا مسلماً ولا صالحاً على إضمار (هو). ولكنه فيما زعم الخليل رحمه الله: فأبيئت بمنزلة الذي يُقال له: لا حرج ولا محروم» (٢) ومثل ذلك ليس بقليل (٣)

ولم يكن اهتمام النحاة بالشعر آنذاك نابعاً من ظروف ذلك العصر فقط بل كان اهتماماً متوارثاً تناقلوه عن سبقتهم، فقد كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه. حيث لا يرقى إليه شك ولا خطل، وهو سجل تاريخهم، ومآثرهم، وأنسابهم. فلذلك أنة ضرب من الضروب تعتمد في استبقاء مآثرها، وكانت العرب في جاهليتها نحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان هو ديوانها (٤)

وإن ما يهتئنا من ديوان العرب هو استخدامه في الاستدلال النحوي، غير أن هذا الأمر لم يُخلق خلقاً بل كان نتيجة لتطور تدريجي منذ عصر مبكر، فقد كان المفسترون يعتمدون الشعر الجاهلي في

(١) - لا حرج: لا اتحرّج من لذة. لا محروم: لا أحرم ما أنشئني. والشهد فيه رفع (حرج) و(محروم) وهو في مذهب الخليل على العمل على الحكاية، أي كالذي يقال له: لا حرج ولا محروم. ويجوز رفعه على إضمار خبر، أي: أبيئت لا حرج ولا محروم في المكان الذي أبيئت فيه. وكان وجه الكلام نصبهما على الخبر أو الحال.

(٢) - الكتاب ٨٤/٢.

(٣) - انظر في ذلك المصدر السابق ٧٠٠٠٠٠٠٠/٢ - ٧٣٠٠٠٠٠٠ - ٢٠٢٠٠٠٠٠ - ٢٠٣ - ٢٩٩٠ - ٢٩٩٢.

(٤) - انظر العيون للجاحظ ٧١/١ (هارون ط٢)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية لناصر الدين الأسد

١٠٩-١٨٧ (مصر ١٩٦٢م).

تفسير ألفاظ القرآن الكريم، يروى أن عمر بن الخطاب (رض) سأل عن معنى قوله تعالى: (أو ياخذهم على تخوفهم) (١) فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا، التخوفُ التنقُّصُ. فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا نَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبَعَةِ السَّقْنُ (٢)

وهناك أمثلة كثيرة عن الصحابة والتابعين تظهر لنا اهتمامهم بالشعر في تفسير ألفاظ القرآن الكريم (٣) كابن عباس، وعكرمة (٤)، وسفيان الثوري (٥)، والشدِّي (٦)

وإزدادت أهمية الشعر على مرّ الأيام، وتعدى مرحلة تفسير ألفاظ القرآن الكريم، وصار مادة هامة للاستدال في الدراسات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، حتى إنه غداً مصدراً من مصادر دراسة الحياة العربية في كلّ أبعادها.

وفي مرحلة لاحقة دخل القرآن الكريم، وثّر العرب مجال الاستدلال إلى جانب الشعر، ومع مرور الزمن جاء الحديث النبوي الشريف لتكتمل مادة اللغويين في تفعيد علوم العربية، ورسم صورتها.

- (١) - النحل ٤٧/١٦.
- (٢) - التامك: صفة للسنام المرتفع، والقرد: ما كثر قراده، والقراد: دويبة متطفلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدواب والطيور. والسقن: كل ما يُنحت به الشيء كالغاسم والقدم. انظر مصادر الشعر الجاهلي للأسد ١٥٢ ففيه أمثلة أخرى، وانظر شواهد الشعر لجمعة ٢٩٩.
- (٣) - انظر إيضاح الوقف والابتداء للأنباري ٦٣/١-٦٥: نج: محبي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية بدشق ١٩٧١م.
- (٤) - هو عكرمة بن عبد الله اليربيري المدني (٢٥-١٠٥هـ) أبو عبد الله، مولى ابن عباس، من أهل الناس بالتفسير وفيات الأعيان لابن خلكان ٣١٩/١، تهذيب التهذيب للعسقلاني ٢٦٣/٧-٢٧٣.
- (٥) - هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٢-١٦١هـ) أمير المؤمنين في الحديث، وسيد أهل زمانه في علوم الدين، والتفري، مات في البصرة. الفهرست لابن النديم ٢٢٥/١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢١٠/١.
- (٦) - هو إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٨هـ) تابعي، من الأعلام في التفسير، والمغازي، والسِّيَر. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣٠٨/١.

كانت مجالس العلماء، وحلقاتهم هي المجال الأكثر خصوبة لتلقي هذه العلوم، فالطلاب يأخذون عن شيخهم ما يرويه لهم عن الأعراب، أو عن أساتذته الذي حملوا رواية هذا التراث لاسيما الشعراء. ويرجع الفضل الكبير إلى سيبويه في أنه أفاد ممن أخذ عنهم، وجمع هذا الكم من الشواهد من تلك المجالس، ووضعها في دفتي كتابه الذي كتب لها البقاء، حتى إن أبا عليّ الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وصف الكتاب «بأنّ التنزيل جاء على الذي استعمله سيبويه» (١) وقد وصل عدد الشواهد التي استدلت بها سيبويه في كتابه إلى ألف وخمسين شاهداً تنتمي إلى عصور مختلفة، فقد استدلت بشواهد لشعراء جاهليين، ومخضرمين، وإسلاميين، وأمويين، وعباسيين معاصرين لسيبويه. وهؤلاء الشعراء من عدنانيين وقحطانيين ينتمون إلى قبائل كثيرة فضل بعضها على بعض (٢).

آ- استدلاله بالشعر الجاهلي:

بلغ عدد الشعراء الذين استدلت سيبويه بشعرهم في (الكتاب) مائتين وستة وثلاثين شاعراً من مختلف العصور حتى عصر سيبويه. وقد اهتم في شواهد شعراء العصر الأموي أكثر من اهتمامه بشعراء العصر الجاهلي؛ وهو بهذا يخالف كثيراً من النحاة واللفويين الذين أولوا الشعر الجاهلي مكانة تفوق غيره من الشعر.

(١) - العجّة في علل القراءات السبع لأبي عليّ الفارسي ٣٢٢/١ (مراد ملا) نقلاً عن (أبو عليّ الفارسي) لعبد الفتاح شلبي

٢٥٠ القاهرة ١٩٥٤.

(٢) - سنائي على ذكر استدلاله بالشعراء تبعاً لقبائلهم في حديثنا عن الاستدلال باللهاجات.

وأخذ الأعشى (١) النصيب الأوفر بين شعراء الجاهلية! فقد ذكر له سبعة وثلاثين شاهداً تناول فيها بعض القضايا النحوية، في الوقت الذي ذكر لبعض الشعراء الجاهليين بيتاً، أو بيتين، أو أكثر من ذلك كما هو الحال عند طفيل بن كعب الفنوي (٢)، وعدي بن زيد العبادي (٣)، والمهلبل بن ربيعة (٤) فقد ذكر لكل منهم خمسة أبيات (٥) وإذا أردنا أن نلقي نظرة أوضح على استدلاله بالشعر الجاهلي فإننا نقول:

نال الأعشى القسط الأوفر - كما أسلفنا - بين الشعراء الجاهليين الذين استدلّ سيبويه بشعرهم، فقد ذكر سيبويه له سبعة وثلاثين شاهداً (٦)، بما فيها المكرر، واحداً وعشرين منها كانت شواهد على ظواهر نحوية، وكرر ستة شواهد منها في أماكن متفرقة من كتابه. من ذلك قوله:

(١) - هو سيمون بن قيس بن جندل (ت ٥٧هـ) من بني قيس، أبو بصير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية كان يغني بشعره فسقي (صناعة العرب). انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٩، الأغاني للأصبهاني ١٠٨/٩، خزنة الأدب ١/٨٤-٨٦.

(٢) - طفيل بن عوف بن كعب (ت ١٣ قهـ) من بني غنم من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، وهو أوصف العرب للمخيل حتى سقي (طفيل الخيل) وسقي (المحتر) لتحسينه شعره. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٧٣، وخزنة الأدب للبغدادي ٣/٦٤٣.

(٣) - عدي بن زيد بن حتاد العبادي التميمي (ت ٣٥ قهـ) شاعر جاهلي من الدهاة، أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، وصار ترجماناً بين كسرى وبين العرب، قتله النعمان بن المنذر بعد أن وشى به أعداؤه. الشعر والشعراء ٦٣، الأغاني ٢/٩٧، خزنة الأدب للبغدادي ١/١٨٤-١٨٦.

(٤) - عدي بن ربيعة بن مرة (ت ١٠٠ قهـ) أبو ليلى، شاعر ولقب بالمهلبل لانه أول من هزل الشعر أي رقعته، وهو خال امرئ القيس الشاعر. أخبار بطولانه في وقائع ثاره لأخيه كثيرة. انظر الشعر والشعراء ٩٩، خزنة الأدب ١/٣٠٠-٣١٤.

(٥) - قد يظهر تفاوت بسيط في عدد شواهد كل شاعر، وذلك تبعاً لنسبة الشواهد، واختلاف هذه النسبة بين مصدر وآخر.

(٦) - انظر في ذلك الكتاب ١/٢٨-٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠.

«ومن ذلك إنشاد بعض العرب قول الأعشى:

الواهبُ المائةِ الهجانِ وعبيدها
عُودًا تَرْجِي بينها أطفالها» (١)

في جواز عطف (عبيدها) على (المائة) (٢).

وأورد منها تسعة شواهد على أن فيها ضرائر شعرية، وكرّر واحداً منها: من ذلك قوله في (باب

ما يحتمل الشعر): «وقال الأعشى:

وما قصدت من أهلها لسواتكأ (٣)

..... فعلوا ذلك لأن معنى (سواء) معنى (غير)» (٤)

ثم يأتي النابضة الذبياني (٥) في المرتبة الثانية من الشعراء الجاهليين الذين استدلّ بشعرهم،

(١) - يقول: يهب المائة الهجان من الإبل ومعها عبيدها، أي راميتها. والهجان: البيض، يستوي فيه الواحد والجمع، صفة للإبل

الكريمة. والعود: جمع عائد، وهو جمع نادر مثل حول وحائل، وهي العديبات النجاج لأن ولدها يموذ بها لصفرة. ترجي:

تسوق سوقاً رفيعاً. والشاهد في عطف (عبيدها) على (المائة) وفي موضع الشاهد أكثر من رأي. انظر الكتاب ١/١٨٣.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/١٨٣.

(٣) - عجز بيت، وصدره في ديوان الأعشى ٦٥.

تجانفُ عن جَوِّ اليمامةِ ناقتي

تجانف: تنصرف. والشاهد فيه: وضع (سواء) موضع (غير) وجرّها باللام، لأنها لا تستعمل في الكلام إلا ظرفاً.

(٤) - الكتاب ١/٣٢.

(٥) - هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت نحو ١٨ قه) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان الشعراء يمرضون عليه

شعرهم في سوق مكاف. شتّب بالمتجرّدة زوجة النعمان، ثم فرّ ووجد على الفسائيين بالشام. انظر الأغاني ١/٣١، وخزانة

الأدب للبغدادي ١/٢٨٧، ٢٨٧، ٢٩٦.

حيث ذكر له أربعة وعشرين شاهداً (١) وهي في تعليل بعض الظواهر النحوية والضرورة الشعرية. من ذلك استدلاله على حذف الياء في الوقف بقول النابغة:

إذا حاولتَ في أسدٍ فُجوراً فأني لستُ منكَ ولستَ مِنَّ (٢)

يريد: مني (٣)

ويأتي امرؤ القيس (٤) في المرتبة الثالثة بين لشعراء الجاهلية الذين استدلَّ سيبويه بشعرهم، إذ ذكر له اثنين وعشرين شاهداً (٥) في تناولات نحوية متعددة؛ من ذلك استدلاله على جواز نعت النكرة بمضاف إلى معرفة بقول امرئ القيس:

بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ لاحةً طرادُ الهوادي كلِّ شأٍ مَعْرَبٍ (٦)

(١) - انظر الكتاب ١/١٦٨، ١٩٦، ٢٢٢، ٢٨٦، ٣٥٥، ٣٦٨، ٧٠-٧١، ٨٩، ٨٦، ٧١، ٢٠٧، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٧٨، ٢٧٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣٠.

١٨٦/٤، ٥١١، ٣٨٢، ٢٧٤، ٣٧/٣، ٣٤٥، ٣٣٠.

(٢) - ديوان النابغة ٧٩. يقول هذا لميمنة بن حصن الفزاري؛ وكان بنو عبس قد قتلوا نضلة الأسد، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عيينة عرن بنو عبس، وأن يخرج بني أسد من حلف ذبيان، فأبى عليه ذلك وتوعد بهم، والشاهد فيه: حذف الياء من (مني).

(٣) - الكتاب ٤/١٨٦.

(٤) - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (١٣٠-١٨٠هـ) تقريباً. في اسمه خلاف؛ وكان أبوه ملك أسد، وخطبان، وخاله المهلهل، تنقل في أحياء العرب لاهياً، ثم هبَّ للثأر لأبيه، ومات في انقرة بعد أن ظهرت في جسمه قروح. انظر الشعر والشعراء ٣١، الأغاني ٧٧/٩، خزانة الأدب ١/١٦٠، ١٦٠/٣، ٦٠٩-٦١٢.

(٥) - انظر الكتاب ١/٨٦٧٩، ٤٢٤، ١٦٣، ٢٥٤، ٢٥٢، ٣٢٥، ٤٧، ٢٣٣، ٤٠٤، ٦٢٦، ٥٠٤، ٣٩٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٢٨.

(٦) - ديوان امرئ القيس ٤٦. والشاعر ينعت فرسه بأنه منجرد قصير الشعر، وبذلك توصف الخيل العتاق. وقيد الأوابد، أي هو لها بمنزلة الفيد، لأنه يسبقها فيمنعها من الفوت. والأوابد: الوحش. لاحه تضمره وغيره. والطراد: مطاردة الصيد، وأتباعه. والهوادي: المتقدمات السابقات، والشاؤ: الطلق. والمعرَّب: البعيد. والشاهد فيه نعت (منجرد) النكرة بقيد الأوابد، وإن كان النعت مضافاً إلى ما فيه الألف واللام. لآته في معنى الفعل: أي يقيد الأوابد. الكتاب ١/٤٢٤.

ثم يأتي لبيد بن ربيعة (١)، وله سبعة عشر شاهداً (٢)؛ من ذلك استدلاله على قطع همزة الوصل في قوله:

أَوْ مُذْهَبٌ جَدَّدَ عَلَى الْوَاحِدِ أُنَاطِقُ الْمَرْبُورِ وَالْمَخْتَوْمِ (٣)

ويأتي زهير بن أبي سلمى (٤) في المرتبة الخامسة من شعراء الجاهلية فقد ذكر له سببوه ستة عشر شاهداً: (٥) من ذلك ما أورده في عمل الصفة المشبهة باسم الفاعل وهو قوله:

أَهْوَى لَهَا أَسْمَعُ الْخَدَّيْنِ مَطْرُقِ رِيشَ الْقَوَادِمِ لَمْ تَنْصَبْ لَهُ الشَّبْلُ (٦)

(١) - لبيد بن ربيعة بن مالك الغامري (ت ٤١١هـ) أبو عفيف، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أصحاب المعلقات. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (ص) وتعدت من الصحابة. لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً لذلك وضعناه ضمن شعراء الجاهلية. الشعر والشعراء: ٢٣١-٢٤٣، خزنة الأدب ١/٣٣٧-٤٣٩/١٧١-١٧٦.

(٢) - انظر الكتاب ١/١٩٠-٣٧٢، ٢/٤٠٧، ٣/٢٥٨، ٤/٣٣٣، ٥/٤١٧، ٦/٧٥، ٧/١١٠، ٨/٣٥٨، ٩/٤٠١٢، ١٠/١٨٨، ١١/٢٢٣.

(٣) - المذهب: ما كتب بالذهب. والجند: جمع جندة وهي الطريقة؛ أراد به أسفار الكتاب، والناطق: البين الظاهر. والمختوم: الخفي الدارس. والبيت في صفة الأطلال. والشاهد فيه: قطع ألف الوصل من (الناطق). الكتاب ٤/١٥١.

(٤) - زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني (ت ١٣٣هـ) حكيم الشعراء في الجاهلية، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. من أصحاب المعلقات. انظر الشعر والشعراء: ٤٤، والأغاني ١٠/٢٨٨-٣٢٤، خزنة الأدب ١/٣٧٥.

(٥) - انظر الكتاب ١/١٤٥، ٢/٣٧١، ٣/١٩٥، ٤/٢٧١، ٥/١٧٧، ٦/٨٥، ٧/١٧٧، ٨/٢٧١، ٩/١٨٥، ١٠/٤٠١، ١١/١٨٥، ١٢/٤٦٨.

(٦) - ديوان زهير ١٧٢، أهوى: انفض، لها: للقطاة. الأسنغ: الأسود، والمطروق من الإطراق، وهو تراكب الريش. والقوادم: جمع قادمة، وهي ريش مقدم الجناح. والشبك: ما يصاد به. منى أن ذلك الصقر وحشي لم يئسد، ولم يذلل، وذلك أشد له وأسرع لطيرانه. والشاهد فيه نصب (ريش) ببطرق وهي الصفة المشبهة باسم الفاعل. الكتاب ١/١٩٥.

ثم أمية بن أبي الصلت (١) واستدلّ بتسعة شواهد من شعره (٢)، من ذلك قوله

رَبِّ مَا نَكَرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْسْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ (٣)

وطرفة بن العبد (٤) وله تسعة شواهد (٥) أيضاً تناول فيها بعض الظواهر الإعرابية من ذلك قوله:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفَنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا حَنَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٦)

ثم علقمة بن عبدة (٧) واستدلّ بثمانية شواهد من شعره (٨) نحو قوله:

بِهَا جِيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيَبِيضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيْبُ (٩)

(١) - أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (ت ٥٥ هـ) شاعر جاهلي حكيم، كان شمر نبذ عبادة الأوثان وشرب

الخمر، لم يدخل الإسلام. الشعر والشعراء، ١٧٦، طبقات نحول الشعراء، ٦٦، الأغاني، ١٢٠/٤، خزنة الأدب، ١١٩/١.

(٢) - انظر الكتاب، ١/٣٢٦، ٣٢٥/٢، ١٠٩/٣، ٣١٥، ١٦١، ٧٣/٣، ٣١٥، ١٠٩/٤، ٣٣٠، ٩٥/٤.

(٣) - العِقال: جبل تشعبت به قوائم الإبل. يريد: إن بعد المسر يسرا. والشاهد فيه: دخول (رب) على (ما) دليل على قابليتها

للتنكير لأن (رب) لا تدخل إلا على نكرة. الكتاب، ١/١٠٩.

(٤) - طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (نحو ٨٦-٩٠ ق.هـ) من شعراء الطبقة الجاهلية الأولى، أرسله الملك

عمرو بن هند بكتاب إلى عامله على البحرين، وعُمان، ليقتله فقتله شاباً. انظر الشعر والشعراء، ٤٩، خزنة الأدب

٤١٤-٤١٧.

(٥) - انظر الكتاب، ١/١١٣، ٣٤٨، ٢/٢٥٥، ٤٠/٤٩٤، ٧٨، ٩٩، ٣٩٦، ٤٠/٤٤٠، ٢١٥.

(٦) - ديوان طرفة، ٤٨، وأبو منذر: كنية عمرو بن هند. يخاطبه حين أمر بقتله، وذكر قتله لمن قُتل من قومه، تحريضاً لهم

على المطالبة بثأره. والشاهد فيه: نصب (حنانيك) على المصدر النائب عن الفعل. وقد نثى (حنانيك) لإرادة التنكير لأن

التثنية أول مراتب التنكير. الكتاب، ١/٣٤٨.

(٧) - علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس التميمي (ت نحو ٢٠ ق.هـ) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصراً لاسرى

القيس، وله مع ساجلات. انظر الشعر والشعراء، ٥٨، طبقات فحول الشعراء، ١١٥-١١٧، خزنة الأدب، ١/٥٦٥-٥٦٦.

(٨) - انظر في ذلك الكتاب، ١/٣٠٩، ١٩/٣٣، ١٧٨، ٤١/٤٧١، ٢٦٧.

(٩) - ديوان علقمة الفحل، ١٣٢، والحسري: جمع حسبر، وهي المريضة يتركها أصحابها فتموت. وبيضت عظامها لما أكلت

السباع والطيور ما عليها من لحم، فبدت وصارت بيضاً. صليب: لباس لم يندبغ. بصف أرضاً فلاة قطعها إلى المدرج.

والشاهد فيه أن (جلدها) مفرد أريد به الجمع، أي جلودها. الكتاب، ١/٢٠٩.

ثم يأتي طفيل الغنوي، والمهلhel بن ربيعة، وعدي بن زيد العبادي، ولكلٍ منهم خمسة أبيات؛ وما أورده لطفيل بن كعب الغنوي قوله:

إِذْ هِيَ أَحْوَىٰ مِنَ الرَّبْعِيِّ حَاجِبَةٌ وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِدِ الْحَارِيَّ مَكْحُولٌ (١)

وما استدللّ به للمهلhel بن ربيعة قوله:

يَا حَارَ لَا تَجْهَلْ عَلَيَّ أَشْيَاخِنَا إِنَّا ذُوو السَّوْرَاتِ وَالْأَحْلَامِ (٢)
في ترخيم الأسماء لكثرة الاستعمال.

وما استدللّ به لعدي بن زيد العبادي

أَكَاثِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كَلَانَا عَلَيَّ مَا سَاءَ صَاحِبُهُ حَرِيصٌ (٣)

وفي بعض المواضع قد يستدل بيت واحد نحو استدلاله ببيت لجذيمة الأبرش: (٤)

(١) - ديوان طفيل ٢٩، أحوى: بمعنى طيباً، والرّبْعِيّ: ما نتج في الربيع. والعين: أي وعينه، فالن بدل من الضمير، والحاريّ:

المنسوب إلى الحيرة، على غير قياس. والشاهد فيه: تذكير (مكحول) وهو خبر عن (العين) المؤنثة. ضرورة. وسوخ ذلك أنّ

العين بمعنى الطرف، وهو مذكّر وانظر الكتاب ٤٦٢ وانظر في ذلك المصدر نفسه ١/٢٩٩، ١٨٨.

(٢) - الجهيل: الحمق، والشورة: الحدة، والخفة عند الضمب، أي فينا إباء وحدة عند الضمب، وفينا الحلم والرزانة عند

الرضا. والشاهد فيه ترخيم (حارث) لكثرة استعماله. انظر الكتاب ٢٥١/٢-٢٥٢، وانظر كذلك المصدر السابق ١٩٢/٢،

٢٧٤/٣، ٢١٥.

(٣) - أكاشره: أضحكه، ويقال كشر من نابه، إذا كشف عنه. والشاهد فيه حذف الضمير من (أنّ) المخففة، وابتداء ما بعدها

على نية إثبات الضمير. الكتاب ٧٤/٣ وانظره: ١٤٠/١، ١٥٦، ١٩٨، ٣١٢/٢، ١١٣/٣، ١٢١، ٣٥٩/٤.

(٤) - جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم التنوخية القضايمي (ت نحو ٣٩٦ ق. هـ) ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق. قتلته

الزّيّاء نارا لأبيها بعد أن خدعته. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٧٩/٣، وخرزانه الأدب ٥٦٩/٤.

رَبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنَّ ثَوْبِي شَمَالَاتٍ (١)

وغيره من الشعراء، مغفلاً كثيراً من الشواهد، بدليل استخدامه لعبارة (وهذا كثير في لغة العرب)، أو (ومثل ذلك كثير). ولو ذكر كل ما يعرفه لوصل إلينا سفر كبير يصعب تقدير حجمه.

ب- استدلاله بشعر المخضرمين

أما المخضرمون فقد استدلل بشعر كثير منهم، فقد ذكر للنايفة الجمدي (٢) ثلاثة وعشرين شاهداً (٣) نحو قوله:

كأنَّ الغبارَ الذي غادرتُ ضحياً ذواخينَ من تنضُبِ (٤)

(١) - العلم: الجبل. والشمالات: جمع شمال بالفتح، وهي الريح التي تهب من هذه الناحية. يفخر بأنه يحفظ أصحابه في رأس جبل إذا خافوا من العدو فيكون طلبعة لهم. والشاهد فيه: تركيد (ترفعن) للضرورة. والتوكيد هنا بالنون الخفيفة. الكتاب ٥١٨/٣.

(٢) - النايفة الجمدي هو قيس بن عبد الله بن عُدس الجمدي العامري (ت ٥٠ هـ)، وفي أسنه خلاف صحابي من المعتزتين، هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، أدرك (صديقين) مع عليّ (رض)، وجاوز المائة. انظر طبقات فعول الشعراء ١٠٣، والأهاني ١٢٩/٤-١٣٩ والإصابة للعسقلاني ٣/٥٣٧.

(٣) - انظر الكتاب ٦٣/١، ٦٤، ١٢١، ١٦١، ٢١٤، ٢١٥، ٣٥٥، ١٠/٢، ٤٢، ٤٧، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٧/٣، ١٤١، ٢٥٣، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٩١، ٣٠١، ٤٨٥، ٥١٢، ٥١٣، ٥٦٣، ٢٤٨/٤.

(٤) - التَّنْضُبُ: شجر كثير الدخان، وأحدث تنضبة، والحرياء تألفها، فيقال: حرياء تنضبة. يعف غباراً أثارته حوائر فرسه، فجعله كدخان التنضب في سطوعه وتكاثفه. والشاهد فيه: تصغير (ضحى) على ضحى، وكان القياس ضحياً لأنها مؤنثة، إلا أنهم صفروها بدون هاء لنلاً لتلبس بصغير ضحوة الكتاب ٤٨٥/٣.

وأثبت لحيان بن ثابت (١) اثني عشر شاهداً (٢) منها قوله:

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ (٣)

ولعمرو بن معد يكرب (٤) ثمانية شواهد (٥) منها قوله:

تَرَاهُ كَالثَّقَامِ يُعَلِّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْقَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي (٦)

وللحميتة (٧) ستة شواهد (٨) منها قوله:

(١) - حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري (ت ٥٤ هـ) أبو الوليد: صحابي، شاعر النبي (ص)، وأحد المخضرمين، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. الشعر والشعراء ١٠٤ طبقات فحول الشعراء ٥٢ الأغاني ١٣٤/٤، الإصابة للعسقلاني ٣٢٦/١، خزنة الأدب ١١١/١.

(٢) - انظر الكتاب ٤٩/١، ٣١٤، ٥١/٢، ٧٣-٧٤، ٣٠٦، ١٩/٣، ١١٤، ٦٥، ١٨١، ٤٦٨، ٥٥٤، ٥٧٨، ٤٤٤/٤.

(٣) - الشاهد فيه حذف الفاء من الجواب للضرورة، وتقديره: فالله يشكرها، الكتاب ٦٥/٣.

(٤) - عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي (ت ٢١ هـ) شاعر فارس، مشهور، أسلم ثم ارتد، ثم رجع إلى الإسلام، شهد اليرموك ثم القادسية. الشعر والشعراء ١٣٨ الإصابة للعسقلاني ت ٥٩٧٢، خزنة الأدب ٤٢٥-٤٢٦.

(٥) - انظر الكتاب: ٣٧/١، ٢٧٦، ٤٠١، ٣٢٣/٢، ٣٣٤، ٣٥٣، ٥٠/٣، ٥٢٠.

(٦) - الثَّقَام: نبت، يُعَلِّ بالمسك: يطيب به؛ وأصل العلل الشرب. يصف شعره أنّ الشيب قد شمله. والشاهد فيه: حذف النون في (فَلَّيْنِي) فقيل: نون النسوة، وهو مذهب سيبويه، لأنّ نون الوقاية أتت بها لعمرون الفعل. وقيل: المحذوف نون الوقاية لأنّ نون النسوة ضمير. الكتاب ٥٢٠/٣.

(٧) - هو جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت ٤٥ هـ) أبو ثليكة، شاعر مخضرم كان هجاءً لم يسلم من لسانه أحد، ومثجئة عمر (رض) لهجته الزبرقان بن بدر ثم أخرجه. الشعر والشعراء ١١٠، الأغاني ١٥٧/٢، خزنة الأدب ٤٠٩/١.

(٨) - انظر الكتاب ٢١٥/١، ٤٣/٣، ٨٦، ٣٨١، ٣٠٦، ٥٦٥، ١٩٧/٤.

- وشرُّ المنايا مَيَّتَ بين أهله
 وكعب بن زهير (٢) خمسة شواهد (٣) منها قوله:
 كَهْلِكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرَةً (١)
 وإذا ما تشاءُ قَبِعْتُ منها
 وَقَرَّبَ الشَّمْسِ نَاشِطًا مَدْعُورًا (٤)
 وقد يذكر لبعض الشعراء شاهداً واحداً كاستدلاله بقول الزبير بن بدر: (٥)
 مستحقي حَلَقِ المَادِيَّ يَحْفِرُهُ
 بالمَشْرِفِيِّ وَغَابَ فَوْقَهُ حَصِيدًا (٦)

ومثله أيضاً من الذين ذكر لهم سيبويه بيتاً شعرياً واحداً ضابئ بن الحارث البرجمي (٧):

- (١) - الشاهد فيه حذف المضاف، والأصل: منية مَيَّت. انظر الكتاب ٢١٥/١.
 (٢) - كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني (ت نحو ٢٩ هـ) عفا عنه النبي (ص) بعد أن أهدر دمه، وهو من أعرف الناس في الشعر. طبقات فحول الشعراء ٢٠، الشعر والشعراء، ٦١، خزنة الأدب ١٢١١/٤.
 (٣) - انظر الكتاب ١٧٣/١، ٨٩، ٩٢/٣.
 (٤) - يصف نشاط الناقة بنشاط الثور، والشاهد فيه: رفع ما يعد (إذا) على ما يجب فيها، وهو أجود من العزم. الكتاب ٦٢/٣.
 (٥) - الزبير بن بدر التميمي السعدي (ت نحو ٤٥ هـ)، صحابي من رؤساء قومه، ولآه الرسول (ص) صدقات قومه، وتوفي في أيام معاوية. كان شاعراً فصيحاً، فيه جفاء الأعراب. الإصابة في تمييز الصحابة ٥٤٣/١، وخزنة الأدب ٥٣١/١.
 (٦) - استحقوا الحلق: جملوه في حقائبهم، والمادي: الدروع الصافية، والغاب: الريح، والحصيد: الصلب الشديد المحكم، والشاهد فيه: (استحقي) حيث حذف النون لإضافته إلى ما بعده. الكتاب ١٦٧/١.
 (٧) - هو ضابئ بن الحارث بن أرقاة التميمي البرجمي (ت ٣٠ هـ) شاعر خبيث اللسان، سجنه عثمان (رض) لقتله صبياً بدابته، وأعيد إلى السجن لهجائه الناس، ثم لمحاولته أن يقتل عثمان (رض). انظر طبقات فحول الشعراء، ٤٠، الشعر والشعراء، ٢٢٦، خزنة الأدب ٨٠/٤، وانظر في شعره الكتاب ٧٥/١.

وأبو سحجن الشغفي (١) والنجاشي (٢) وغيرهم كثير (٣)

ج- استدلاله بالشعر الأموي:

حظي الشعر الأموي بمكانة كبيرة عند سيبويه، واهتمامه بشعر هذه الفترة فاق اهتمامه بالفترات التي سبقت، والتي نلت، ولم يكن شعراء هذه الفترة على سوية واحدة؛ فقد استبدل بستة وخمسين بيتاً (٤) من شعر الفرزدق (٥) وهو أكثر شعراء العرب الذين ذكر لهم شعراً في كتابه؛ من ذلك قوله:

- (١) - هو عمرو بن حبيب بن عمرو (ت ٣٠ هـ) أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام، طُلب أن يُطلق سراجه ليقاتل في القادسية، ثم يعود إلى سجنه، ففعل. انظر الإصابة في تمييز الصحابة. ت ١٠١٧، خزنة الأدب ٥٥٣/٣-٥٥٦.
- (٢) - هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان (ت نحو ٤٠ هـ) شاعر هجاء كان من أشراف العرب، وهابه أنه كان فاسقاً، يشرب الخمر في رمضان، انظر الشعر والشعراء، ١١٥، خزنة الأدب للبيضاوي ١٠٥/٢-١٠٧.
- (٣) - منهم الأغلب العجلي ت ٢١ هـ الكتاب ٥٠٦/٣، عُقبية الأسمدي ت ٥٠ هـ، ٦٧/١، صفية بنت عبد المطلب ت ٢٠ هـ، ١٨٢/٣ وعبد الله بن الحارث التميمي ت ١١ هـ، ٣٤٢/١، خُفاف بن ثدبة ت ٢٠ هـ، ٢٧/١، والخنساء ت ٢٤ هـ، ٣٣٧/١، أنس بن مدرك ت ٣٥ هـ، ٢٢٧/١.
- (٤) - انظر الكتاب ٤٩٠/١، ٤٩٠، ٦٠، ٧٦، ٧٧، ١٦٧، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٩، ٣٤٦، ١٠٠/٢، ١٦، ١٦، ٤٠، ٤٤، ٧٢، ٩٨، ١٠٦، ١٣٦، ١٥١، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢٣٤، ٢٥٧، ٣٢٧، ٣٤٠، ٤١٦، ١٨/٣، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٦٢، ٦٩، ٧٠، ٨٥، ١٢٨، ١٦١، ٢٤٣، ٣٠٣، ٣١٣، ٣١٥، ٣٦٥، ٣٩٦، ٤٧٠، ٥٠٦، ٥٥٤، ٦٢٣، ٦٣٣، ٣٩٦/٤، ٦٣، ١١٨.
- (٥) - هو هتام بن غالب بن صعصعة التميمي (ت ١١٠ هـ) شاعر من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، قبل في شعره: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. انظر طبقات فحول الشعراء، ٧٥، البيان والتبيين: انظر فهرسته (الفرزدق) تح: هارون العيونان للجاحظ ٢٢٦/٦، الشعر والشعراء، ٤٤٢، خزنة الأدب ١٠٥/١-١٠٨.

كم في بني سعد بن بكر سيد ضخم الدسيعة ماجد نفاع (١)

في الفصل بالجار والمجور بين (كم) وبين مجرورها (سيد) (٢) وقوله:

ألم تر أنا بني دارم زدارة منا أبو معبد (٣)

في نصب (بني دارم) على الاختصاص (٤)

ويأتي في المرتبة الثانية جرير (٥) فقد ذكر له خمسة وأربعين بيتاً (٦) منها قوله:

ما بال جهلك بعد الحلم والدين وقد عمالك مَشيبٌ حين لا حين (٧)

(١) - الدسيعة: العطية، والماجد: الكريم. والشاهد فيه خفض (سيد) بكم مع الفصل بينهما بالجار والمجور وجواز ذلك للضرورة.

(٢) - الكتاب ١٦٨/٢.

(٣) - زارة هذنا، والد معبد بن زارة، وكنيته أبو معبد، والشاهد فيه: نصب (بني دارم) على الاختصاص والفخر. الكتاب ٢٣٤/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ٢٣٤/٢.

(٥) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبى اليربوعي (٢٨-١١٠هـ) تميم، أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وكان هجاء سراً، ومن أغزل الناس شعراً. انظر طبقات فحول الشعراء ٩٦، الشعر والشعراء ١٧٩، الأغاني ١/٨ وما بعدها، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠٢/١ خزنة الأدب ٣٦/١.

(٦) - انظر الكتاب ٥٣، ٥٢/١، ٦٤، ٨٧، ٩٤، ١٠٢، ١٣٠، ١٤٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٠، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٧٨، ٣٣٣، ٣٣٦.

٣٣٩، ٣٤٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٩٧/٢، ١٤٥، ٢٧١، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٥، ٤٢/٣، ٦٢، ١٨٣، ٢٤٥، ٢٧٢، ٢٩٦، ٣١٤، ٣٥٠.

٣٩٨، ٤٨٤، ٥٣٣، ٢٠٥/٤، ٢٠٦، ٢٢٩.

(٧) - الجهل: نقيض الحلم، والعقل، والخبرة. حين لا حين: أي حين حدوثه ووجوبه، والشاهد فيه إضافة (حين) إلى (حين) مع اعتبار (لا) زائدة لفظاً ومعنى. الكتاب ٣٠٥/٢.

وقوله:

خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ وَابْرُزَ بِبُرْزَةٍ حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدَرُ (١)

ويأتي في المرتبة الثالثة من شعراء العصر الأموي روية بن العجاج (٢) فقد ذكر له سيبويه أربعة وثلاثين شاهداً، كرّر ثلاثة من هذه الشواهد (٣) ومما أثبت له قوله:

مَا بِالْأَعْيُنِ كَالشَّعِيبِ الْعَيْنِ (٤)

وقوله:

مَنْ يَكُ إِذَا بَتَّ فِهَذَا بَتِّي مَقِيظٌ مُصَيِّفٌ مَشْتِي (٥)

(١) - المنار: جمع منارة، وهي أعلام الطريق. وبرزة: اسم امرأة. يريد: ننج عن سبيل الشرف والفخر، ودعه لمن هو أجدر به منك، وابرز بأتك (برزة) هذه حيث اضطرك القدر من لوم وضمة. والشاهد فيه: إظهار الفعل (خلّ) وكان يستطيع إضماره. الكتاب ٢٥٤/١.

(٢) - هو روية بن عبد الله العجاج بن روية التميمي السعدي (ت ١١٤٥هـ). أبو الجحّاف، راجع من الفصحاء المشهورين. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أقام في البصرة، وأخذ منه أعيان اللغة وقد وضعناه مع شعراء العصر الأموي لأن جلّ شعره قاله في ذلك العصر، ولأنه أقام في سننائه الأخيرة في البادية بعد أن أسن. انظر: الشعر والشعراء ٢٣٠، وفيات الأعيان ١٨٧/١، خزنة الأدب ٤٣/١.

(٣) - انظر الكتاب ٢٩/١، ١١٣، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٨٩، ٣٥٨، ٣٦٤، ٣٨٢، ٧٥/٢، ٨٤، ١٤٥، ١٥٣، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٢، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٤٧، ٣٧٥، ٥٣/٣، ١١٦، ١٦٠، ١٦٤، ٢٧١، ٣٠٦، ٣٩٦، ٤٨٦، ٥٧٨، ٧٥/٤، ٨٢، ٩٧، ١٧٠، ٢٠٧، ٢١٠، ٣٦٦.

(٤) - الشعيب: المزايدة الصغيرة؛ أو القرية، والعين: الخلق البالية. شبه عينه لسيلان دعمها بالقرية الخلق في سيلان سائها من بين خرزها، ليلها وقدسها. والشاهد فيه بناء (العَيْن) على فيتل. وهو شاذ في المعتل إذ لم يسمع إلا في هذه الكلمة، وكان قياسها (مَيْت) كما قيل سبّد، وهَيْت، ولَيْت. الكتاب ٣٦٦/٤.

(٥) - البيت: كساء غليظ سريع أخضر، وقيل من ودر وصوف، مقبّظ: أي يكفيني لقيظي. يريد أنّه لا شيء له إلا كساؤه يستعمله في كلّ زمان. والشاهد فيه رفع (مقبّظ)، وما بعده على الخبر. والنصب على الحال أحسن وأكثر. ويجوز رفعه على البدل أيضاً. الكتاب ٨٤/٢.

ثم العجاج (١) وكان سيبويه قد استدل بثمانية وعشرين (٢) بيتاً من شعره كرز منها ثلاثة أبيات. من ذلك قوله:

جاري لا تستكري عديري (٣)

وقوله في إدخال ترخيم على ترخيم:

فقد رأى الراؤون غيرَ البطلِ أنك يا معاو يابنَ الأفضلِ (٤)

ثم يأتي ذو الرمة (٥)، ويذكر له ستة وعشرين شاهداً (٦)، من ذلك قوله:

فيا لك من دارٍ تحمّلَ أهلها أيادي سباً بعدي وطال احتيالها (٧)

- (١) - عبد الله بن روية بن لبيد السعدي التميمي (ت نحو ٩٠ هـ) راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها ثم أسلم، وهو أول من رفع الرجز، وهو والد روية الراجز المشهور. انظر: الشعر والشعراء، ٢٣٠.
- (٢) - انظر الكتاب ٢٦١/١، ٥٣، ٦٩، ٩٤، ١١٠، ١٨٥، ١٩٦، ٣٣٨، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٩، ٤٣٧، ٤٣٢، ٢٠٤/٢، ٢٣١، ٢٤١، ٢٥٠، ٣٠٤، ٣٤٧، ٣٨٣، ٣٨٤، ١٧٤/٣، ٢٨٥، ٤٥٢، ٤٦٦، ٤٨٨، ٥٩٦، ٥١/٤، ٢٠٧، ٣١١، ٣٢٢، ٣٧٧.
- (٣) - يخاطب امرأته، يريد: يا جارية. وعدير الرجل: عمله الذي يعذر عليه إذا فعله. والشاهد فيه: حذف حرف النداء ضرورة من (جاري) وهو اسم نكرة قبل النداء لا يتمرّف إلا بحرف النداء، وإنما يطرد حذفه في المعارف. انظر الكتاب ٢٣١/٢.
- (٤) - أي: لقد رأى الراؤون رأياً صحيحاً لا باطلاً، والشاهد فيه: إدخال ترخيم على ترخيم في يا (يا معاو)، رخّم أولاً فصار (يا معاوي)، وثانياً فصار (يا معاو) وهي ضرورة قبيلة. انظر الكتاب ٢٥٠/١.
- (٥) - هو غيلان بن عقبة بن نهبس بن سعمود العدوي (٧٧-١١٧ هـ) من مضر، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، كان مقيماً باليادية، ويتردد إلى البصرة كثيراً. انظر طبقات فحول الشعراء ١٢٥، الشعر والشعراء ٢٠٦، الموضح للمرزباني ١٧٠-١٨٥ خزنة الأدب ٥١/١-٥٣.
- (٦) - انظر الكتاب: ١١/١، ٥٢، ٦٥، ٨٢، ١١٠، ١٧٩، ٢٨٠، ٤٢٦، ١١/٢، ٦٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٣، ١٦٦، ١٩٣، ١٩٩، ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٢، ٤٨/٣، ٦٠، ٦٨، ٣٠٤، ٣٨٢، ٤٩٨، ٥٥١، ٥٧١، ٥٩/٤.
- (٧) - تحمّل أهلها: ارتحلوا والمراد ارتحلوا متفرقين في كلّ وجه. طال احتيالها: طال مرور الأحوال والسنين عليها فتغيرت. والشاهد فيه: (أيادي سباً) حيث أضاف أيادي إلى سباً ونوتها، كما يقال في معد يكرب. وكان حقّ الباء أن تكون مفتوحة، لكنهم سكنوها استخفافاً كما سكنت ياء معد يكرب. انظر الكتاب ٣٠٤/٣.

ثم الراعي التميمي (١)، ويثبت له ثمانية عشر بيتاً (٢)، منها قوله:

فَلَوْ أَنَّ حَقَّ الْيَوْمَ مِنْكُمْ إِقَامَةٌ وَإِنْ كَانَ سَرَحٌ قَدْ مَضَى فَتَسْرَعًا (٣)

وقوله كذلك:

بِحَيِّ نُمَيْرِي عَلَيْهِ مَهَابَةٌ جَمِيعٌ إِذَا كَانَ اللَّتَامُ جَنَادِعًا (٤)

في حمل لفظه (حي) على المفرد وإتباعه بصفةٍ على أنه مفرد (٥)، ثم الأخطل (٦) ويذكر له ستة عشر بيتاً (٧) ويكرر واحداً منها، من ذلك قوله:

لَا قَنَّةَ عَنِ خَلْقِي وَتَأْتِي مَثَلَةٌ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا (٨)

(١) - هو عبيد بن خصين بن معاوية بن جندل التميمي (ت ٩٠ هـ) أبو جندل، شاعر من النحول لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. انظر طبقات فحول الشعراء ١١٧، الشعر والشعراء ١٥٦، الأغاني ١٦٨/٢٠، خزنة الأدب ٥٠٤/١.

(٢) - انظر في ذلك الكتاب ١/١٦١، ٢٣٢، ٣٠٥، ٣٨٣، ١٨٠/٢، ٢٩٥، ٣٨٠، ٧٣/٣، ٢٥٢، ٢٦٠، ٢٨٧، ٦١٩، ٦٤٣، ٨٤/٤، ٨٩، ٢١١.

(٣) - حَقٌّ: حَقَّقَ أَي لَبِثَ إِقَامَتَكُمْ حَقَّقْتُ لَنَا، وَإِنْ كَانَ سَرَحُكُمْ، أَي مَالِكُمْ الرَّاعِي، قَدْ مَضَى وَأَسْرَعَ بِكُمْ، وَالرُّو (لَوْ) هُنَا لِلتَّنْضِيهِ فَلَا جَوَابَ لَهَا. وَالشَّاهِدُ فِيهِ: حَذْفُ الضَّمِيرِ مِنْ (أَنْ) ضَرُورَةً، وَلِذَلِكَ وَلِيَهَا الْفِعْلُ لَفْظًا لِأَنَّ حَرْفَ التَّنْكِيدِ لَا يَلْبِغُ إِلَّا الْأَسْمَ ظَاهِرًا، أَوْ مُضْمَرًا انظر الكتاب ٧٣/٣.

(٤) - المَهَابَةُ: الْهَيْبَةُ، وَالْجَمِيعُ: الْمَجْتَمِعُونَ. وَالْجَنَادِعُ: الْمَتَفَرِّقُونَ لَا يَجْتَمِعُ رَأْيُهُمْ. وَالشَّاهِدُ فِيهِ: إِفْرَادُ صِفَةِ (حَيِّ) حَمَلًا عَلَى اللَّفْظِ، وَلَوْ جَمَعَ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى فَقِيلَ: مَجْتَمِعِينَ، لَجَازَ. انظر الكتاب ٢٥٢/٣.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢٥٢/٣.

(٦) - هو غياث بن غوث بن الصلت من بني تغلب، أبو مالك (١٩-٩٠ هـ) شاعر، في شعره إبداع، تنهاج مع جرير والفرزدق، وتناقل الرواة شعره، تنقل بين دمشق والبادية. انظر الشعر والشعراء ١٨٩، الأغاني ٢٨٠/٨، خزنة الأدب ٢٢١-٢١٩/١.

(٧) - انظر الكتاب: ١/١٧٧، ١٨٩، ٣١٧، ٢١/٢، ٦٢، ٨٤، ٢٣٨، ٣٩٩، ٤٢/٣، ٩٦، ٩٩، ١٧٤، ٢٤٨، ٥٠/٤، ١١٦، ٢٠٨.

(٨) - الشَّاهِدُ فِيهِ: نَصْبُ (وَتَأْتِي) بِإِضْمَارِ (أَنْ)، وَالْمَعْنَى: لَا يَكُنْ مِنْكَ أَنْ تَنْهَى وَتَأْتِي. الْكِتَابُ ٤٢/٣.

وأبو النجم العجلي (١) ويذكر له ستة عشر بيتاً أيضاً (٢) منها قوله:

تَكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامِ الْفِلا (٣)

وعمر بن أبي ربيعة (٤)، ويذكر له ستة عشر بيتاً (٥)، منها قوله:

صَدَدَاتٍ فَأَطَوَّلْتُ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومًا (٦)

ثم الأحموس الأنصاري (٧)، وذكر له ثمانية أبيات (٨)، منها قوله:

وَأَنَّ بَنِي حَرْبٍ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ مَنَاطَ الثَّرِيحَا قَدْ تَعَلَّتْ نَجُومَهَا (٩)

(١) - هو الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم (ت ١٣٠ هـ) من بني بكر بن وائل: من الرجاز الكبار ومن أحسن الناس إنشادا للشعر. الشعر والشعراء ٢٣٢، الأغانى ١٠/١٥٠، خزانة الأدب ٤٩/١، ٤٠٩.

(٢) - انظر الكتاب: ٨٥/١، ٢٢١، ٢١٤/٢، ٢٤٨، ٣٥٣/٣، ١١٦، ١٢٨، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٥٢، ٦٠٧، ١١٤/٤، ١٨٠، ٢١٤، ٢١٦.

(٣) - يذكر أنه شرب عند صديقه زياد، فأنصرف من عنده ثملاً لا يملك نفسه كما لا يملكها الخرف، وهو الذي نسد لكبره. وقبله:

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْخَرْفِ تَخْطُ رِجْلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلَفٍ

ويعني بلام الف: أنه نارة يشي معوجاً فتخط رجلاه خطأً تشبهاً باللام، ومرة مستقيماً فتخط رجلاه خطأً تشبهاً بالالف. والشاهد فيه: إلغاء حركة الألف على ميم (لام) التي كانت ساكنة. الكتاب ٢٦٦/٣.

(٤) - هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب (٢٣-٩٣ هـ) من طبقة جرير، والفردق، وهو أشعر قرشي في عصره، مات فرقاً بعد أن نفاه عمر بن عبد العزيز إلى جزيره (دهلك) لتشبيبه بنساء الحج. انظر الشعر والشعراء ٢١٦، الأغانى ٩١/١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٥٣/١، ٣٧٨، خزانة الأدب ٢٤٠/١.

(٥) - انظر الكتاب ٣١/١، ٧٨، ١٢٤، ١٦٥، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٣، ٣١١، ٣٥٨/٢، ٣٧٩، ١١٥/٣، ١٣٦، ١٧٥، ٥٦٦.

(٦) - الشاهد فيه تقديم الاسم (وصال) على رافعه (يدوم) للضرورة.

(٧) - هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري (ت ١٠٥): شاعر هجاء من سكان المدينة، أخباره مع الوليد بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك كثيرة. انظر الشعر والشعراء ٢٠٤، والأغانى ٤٠/٤-٥٨، وخزانة الأدب ٢٣٢/١.

(٨) - انظر في ذلك الكتاب ٣٢٣/١، ٣٨٠، ٤١٣، ٢٠١/٢، ٢٠٢، ١٢٥/٣، ١٢٦.

(٩) - مناط الثريحا: متعلقها، من نطت الشيء أنوطه، إذا علقته، وأراد به (بني حرب) آل أبي سفيان بن حرب. يقول: هم في ارتفاع منزلتهم، وعلو مرتبتهم كالثريحا إذا صارت على قمة الرأس. والشاهد فيه نصب (مناط الثريحا) على الظرف. الكتاب ٤١٣/١.

ثم كَثِيرَ عِزَّةٍ (١)، وذكر له سبعة أبيات (٢)، منها قوله:

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكنني منها إذن لا أقيلها (٣)

ويتابع سيبويه استدلاله بالشعر الأموي على تفاوت بين الشعراء، إلى أن يصل إلى الاستدلال ببيتين من الشعر لبعض الشعراء كما هو الحال مع عمران بن حطان (٤)، والحارثة بن بدر الغداني (٥)، وغيرهم من شعراء ذلك العصر، أو يستدل ببيت واحد كما هو الحال مع عبيد الله بن الحر الجعفي (٦)، وميسون بنت بحدل (٧)، وسويد بن كراع (٨)، وغيرهم.

(١) - هو كَثِيرُ بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (ت ١٠٥ هـ) أبو صخر شاعر متيم من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر. طبقات فحول الشعراء ١٢١، الشعر والشعراء ١٩٨، الأغاني ٢٥٨، الإصابة في تمييز الصحابة ت ٧٤٨١ خزانة الأدب ٣٨١/٢-٣٨٣.

(٢) - انظر في ذلك الكتاب ٤٣٣/١، ١٢٣/٢، ١٥/٣، ١٣١، ١٤٥، ١٧٤، ٤٦٧.

(٣) - كان عبد العزيز بن مروان قد جعل له أن يتمنى عليه، وقد مدحه، فتمنى أن يجعله عاملاً مكان عامل كان كاتباً له، وكان كثير أمياً، فاستجبه له عبد العزيز وأبعده فقال هذا. والضمير في (بمثلها) للأنبية، والإقالة في البيع فسخه. والشاهد فيه إلغاء (إذن) لوقوعها بين القسم وجوابه وعدم تصدرها. الكتاب ١٥/٣.

(٤) - هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الرائي (ت ٨٤ هـ) شاعر، وخطيب من أهل البصرة، روى عن بعض الصحابة، وروى أصحاب الحديث عنه. انظر المؤلف والمختلف للأدي ٩١ الإصابة في تمييز الصحابة ت ٦٨٧٧، خزانة الأدب ٤٣٦/٢-٤٤١، والكتاب ٣٧٥/٢، ٤٨٨/٣.

(٥) - هو حارثة بن بدر بن حصين التميمي (ت ٦٤ هـ) من أهل البصرة له أخبار في الفتح، أشر على قتال الخوارج في العراق فهزموه. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣٧١/١ والكتاب ٣٤٠/٢.

(٦) - هو عبيد الله بن الحر بن عمرو الجعفي (ت ٦٨ هـ) من بني سعد العنبرية: شاعر من أصحاب عثمان (رض) شهيد (صفين)، عصى مصعب بن الزبير، وأغرق نفسه خوفاً من أن يوسر. انظر طبقات فحول الشعراء ٥٩، خزانة الأدب للبغدادي ٢٩٩-٢٩٩/١، وانظر الكتاب ٨٦/٣.

(٧) - هي ميسون بنت بحدل بن أنيف (ت نحو ٨٠ هـ) من بني حارثة بن جناب الكلبي، أم يزيد بن معاوية شاعرة بدوية، سمعها زوجها معاوية وهي تقول: وليس عبادة... فطلقها وأعادها إلى باديتها. انظر كتاب الحيوان للمجاهد ١٧٧/١، الاشتقاق لابن دريد ٣١٦، خزانة الأدب ٥٩٣/٣، وانظر الكتاب ٤٥/٣.

(٨) - هو سويد بن كراع الكلبي (ت نحو ١٠٥ هـ) من بني الحارث بن عوف. شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل. انظر طبقات فحول الشعراء ١٤٣-١٤٩، الشعر والشعراء ٢٤١، الأغاني

أما شعراء العصر العباسي فلم يكن نصيبهم والفرأ، سواء أكان ذلك في عدد الشعراء أم عدد الأبيات التي استدلّ بها لكل شاعر، فقد احتج لابن ميادة (١) بسبعة أبيات (٢) منها قوله:

ألا ليت شعري هل إلى أمّ مَقْمَرٍ سبيل فأما الصَّبْرَ عنها فلا صَبْرًا (٣)

وأبي نخيلة السعدي (٤)، فقد ذكر له ثلاثة أبيات (٥)، منها قوله:

كَنْهَوْرَ كان مِن أَعْقَابِ السَّمِي (٦)

(١) - هو الرثاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الفطفاني المضرّي (ت ١٤٩هـ) أبو شرحبيل، شاعر رقيق هجاء بعضهم يرى أنه أشعر الفطفانيين في الجاهلية، والإسلام، وأنه كان لقرمه خيراً من النابغة. انظر الشعر والشعراء ٢٩٨، والأغاني ٨٥/٢، ١١٦، وخرّانة الأدب ٧٧/١.

(٢) - انظر الكتاب ٥٦/١، ٣٨٦، ٣١١، ٤٣١، ٢٠٠/٢، ٢٣١/٣.

(٣) - الشاهد فيه: نصب (الصبر) على المفعول له، والتقدير: سبها ذكرت شيئاً للصبر ومن أجله، فلا صبر لي. الكتاب ٣٨٦/١.

(٤) - أبو نخيلة بن حزن بن زائدة بن لقيط السعدي التميمي (ت نحو ١٤٥هـ) شاعر راجز، كان عاقاً لأبيه مدح بني أمية ثم بني العباس. انظر الحيوان للجاحظ ١٠٠/٢، والشعر والشعراء (شاكر) ٥٨٣، الأغاني ١٣٩/١٨-١٥٢، خزانة الأدب ٧٩/١-٨٠.

(٥) - انظر في ذلك الكتاب: ٣٠٥/٣، ٦٠٦، ٢٠٣/٤.

(٦) - الكَنْهَوْرُ: القطع المظلم من متراكب السحاب، مفردة: كَنْهَوْرَةٌ. والأعقاب: جمع عقب لأخر الشيء، منى أنه سحاب ثقل بالماء فأتى لذلك آخر السحاب لثقله. وأراد بالسماء هنا السحاب. الشاهد فيه: جمع سماء على (شبي) بوزن نُقول، اجتمعت واوان في آخره، فقلبت ثانيتهما ياء، ثم قُلبت أولاهما ياء لالتفانها ساكنة بالياء المنقلبة، فقلبت لذلك ياء. وكسّر الحرف الصحيح لثبوت الياء بعد الكسرة، ونظيرها من السالم: عناق وعنوق، وهو جمع غريب. الكتاب ٦٠٦/٣.

وأبي حية النعميري (١) الذي ذكر له ثلاثة أبيات (٢) أيضاً منها قوله:

كما خَطَّ الكتابُ بكفٍّ يوماً بهوديَّ يقارب أو يزيلاً (٣)

كما استدل سيبويه ببيت واحدٍ لكثير من الشعراء في ذلك العصر؛ فقد استدل بقول أبي عطاء السُّندي: (٤)

مفدّمة قرأ كأن رقاتها رقاب بنات الماء أفزعها الرعد (٥)

والفضل بن عبد الرحمن القرشي (٦) بقوله:

(١) - هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نعيم بن عامر، أبو حية (ت نحو ١٨٣هـ) شاعر مجيد، نصيح راجز من أهل البصرة. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره فيهما. انظر الشعر والشعراء ٢٩٩ والأغاني (الساسي) ٩١/١٥. خزنة الأدب ١٥٤/٣، ٢٨٣/٤-٢٨٥.

(٢) - انظر في ذلك الكتاب ١٧٩/١، ٤١٢، ١٥٦/٣.

(٣) - شبه رسوم الدار بالكتاب في دقتها أو في الاستدلال بها، وخص اليهود لأنهم أهل كتاب. وجعله يقارب بين كتابته ويفرق، تمثيلاً لتلك الآثار، يتقارب بعضها ويتباعد بعضها الآخر، والشاهد فيه الفصل بالطرف (يوماً) بين المضاف والمضاف إليه. الكتاب ١٧٩/١.

(٤) - هو أفلح بن يسار السُّندي (ت بعد ١٨٠هـ) أبو عطاء، شاعر فحل من موال بني أسد، نشأ بالكوفة. ونشئ للأمويين، كانت في لسانه لثغة وعجسة، لم يكن يحسن إنشاد شعره، بل يطلب من غيره أن ينشده. انظر نوات الوفيات لابن شاعر الكنتبي ٧٣/١. خزنة الأدب ١٧٠/٤ وفيه أن اسمه (مرزوق).

(٥) - يصف أباريق الخمر. فُدِبتْ رُوسها، أي سُدَّتْ بالقز، وهو الحرير، وشبه رقاب الأباريق برقاب بنات الماء، وهي الفرائيق؛ والفرونق طائر سائي أبيض طويل الساق. إذا فزعته بصوت الرعد نصبت أهناتها. والشاهد فيه: تعريف المضاف إليه في (بنات الماء) بال، وهذا دليل تنكيرها. انظر الكتاب ٩٨/٢.

(٦) - هو الفضل بن عبد الرحمن بن العباس (ت نحو ١٧٣هـ) شيخ بني هاشم في وقته وشاعرهم، وهو أوّل من لبس السواد على زيد بن علي بن الحسين. انظر نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى ٨٩ مصر ١٩٥٣م. مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ٢٥٤ مصر ١٩٤٩، معجم الشعراء للمرزباني ٣١٠ مصر ١٣٥٤هـ.

إلى الشَّرِّ دَعَا. ولشَّرِّ جَالِبُ (١)

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ

ومروان بن سعيد النحوي (٢) بقوله:

والزَادِ حَتَّى نَعْلِهِ أَلْقَاهَا (٢)

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَمَا يَخْفَفُ رِحْلَهُ

وإبراهيم بن هريرة (٤) بقوله:

رجالي أم هم دَرَجَ السِّيُولِ (٥)

أَنْصَبَ لِلْمَنْيَةِ تَغْنِيهِمْ

وهكذا نرى من خلال استدلال سيبويه بشعر الشعراء العرب أنه قد عُنِيَ بالشعر الأموي، وما يليه من العصر العباسي عناية تفوق استدلاله بالشعر الجاهلي، على الرغم من التداخل البين بين عصر وآخر، فكثير من الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام ولم يُسلموا، كان معظم شعرهم قبل الإسلام، وهذا ما دفعنا إلى وضعهم ضمن شعراء العصر الجاهلي كمايتة بن أبي الصلت، أو اعتنقوا الإسلام وقلَّ

(١)- المِرَاءُ: المجادلة، والمخالفة في الكلام والملاحة فيه. والشاهد فيه نصب (المِرَاءَ) بعد (إِيَّاكَ) مع حذف حرف العطف

ضرورة. لكن قال المازني: «لما كثر (إِيَّاكَ) مرتين كان أحدهما عوضاً من الواو». الكتاب ٢٧٩/١.

(٢)- هو مروان بن سعيد بن هبادة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة (ت نحو ١٩٠هـ) شاعر من أهل البصرة من أصحاب

الخليل بن أحمد، وكان حاذقاً بالنحو. انظر معجم الشعراء للمزباني ٣٩٨، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٩٠.

(٣)- الشاهد فيه: (حَتَّى نَعْلِهِ) بالجر على أَنْ (حَتَّى) حرف غاية وجر و(نَعْلِهِ) مجرور بحَتَّى. الكتاب ٩٧/١. أوضح المسالك

٤٥/٣-٤٦.

(٤)- هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هريرة الكناني القرشي (ت ١٧٦هـ) شاعر من أهل المدينة مدح الأمويين ثم

العباسيين. قال الأصمعي: ختم الشعر بابن هريرة. انظر الأغانى ١٠١/٤، ٤٦/٥ (الساسني) تاريخ بغداد للخطيب

للبيهقي ١٢٧/٦ أنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٨٤/٢، خزنة الأدب ٨٤/٢.

(٥)- النُّصَبُ: المنسوب. تغنيهم: تفشاهم: أي: أهدم نصب للذوت يدور عليهم ولا يتخطاهم؟ دَرَجَ السِّيُولِ: الموضع الذي

ينحدر فيه السيل إلى آخره، حتى يستقر، والمعنى كأنهم كانوا في ممر السيل فاجترنهم. والشاهد فيه: نصب (دَرَجَ

السِّيُولِ) على الظرفية تشبيهاً له بالمكان. الكتاب ٤١٥/١.

وهناك طائفة من الشعراء أدركت العصر الأموي بسنوات عديدة لكننا أبقيناها في تصنيفنا مع الشعراء المخضرمين؛ لأنّ جلّ شعرها كان في الجاهلية والإسلام العصر الراشدي منه. كالنايفة الجمدي وحستان بن ثابت، والحطيئة، وعقبة الأسدي.

وفئة أخرى من الشعراء الذين عاشوا في العصر الأموي، وأدركوا العصر العباسي إلا أنّ أغلب شعرهم كان قبل ١٣٢هـ فقد أبقيناها في عداد الشعراء الأمويين كروبة بن العجاج، وصنفنا من شعراء العصر العباسي كلّ من عاش في ذلك العصر وظهر في شعره مدح لبني العباس وإن كان متقدماً كأبي نخيلة المتوفى سنة ١٤٥هـ.

هـ- استدلاله بشعراء مطمون عليهم:

على الرغم من المكانة الكبيرة التي نقرّدها بها كتاب سيبويه، والأهمية الرفيعة التي منحها النحاة الذين جاؤوا بعده للكتاب، فإنه لم يخلّ من ثغرات نداولها بعضهم، هذه الثغرات لم توجه إلى بُنية الكتاب، ونتائجه التي وصل إليها في تأسيس قواعد اللغة العربية، بل توجهت إلى المادة التي استدلت بها سيبويه في كتاب وهي الشعر؛ فقد تحدثوا عن استدلاله بشعر شعراء وجهت إليهم سهام الطعن من قبل بعض العلماء، وتحدثوا عن استدلاله ببعض الأبيات المصنوعة، أو مجسولة القائل، وغير ذلك. وهذه الملاحظات، وإن كانت لا تنال من الكتاب وصاحبه شيئاً، فإن من الواجب عرضها وتوضيحها، وبيان مراميها.

فقد استدلّ سيّويه بلغة شعراء ضعضهم بعض اللغويين، والعلماء، كآبي دؤاد الأيادي (١) الذي حامت حول شعره شكوك جعلت أبا حاتم السجستاني (٢) يقول: «ولما قدم الأصمعي من بغداد دخلت إليه، فسألته عمّن بها من رواة الكوفة. قال: رواة غير منقّحين، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دؤاد الأيادي قالها خلف الأحمر (٣)» (٤) وقد استدلّ سيّويه ببيت له، (٥) وهو قوله:

أَكَلَّ امْرِيَّ تَحْسِينِ امْرَأٍ وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا (٦)

- واستدلّ لعديّ بن زيد العبادي ت ٣٥هـ بخمسة أبيات (٧) وهو من أهل الحيرة، ويحسن الفارسية إلى جانب العربية، وكان ترجعاً بين كسرى وبين العرب، وأول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، وبلغ تأثيره بالفرس حداً جعله يتقن العابهم ويحرص عليها كلغته بالصوالجة على الخيل، وهي من

(١) - هو جارية بن الحجاج الأيادي، شاعر جاهلي لا تعرف سنة ولادته ولا وفاته. انظر اللاقي في شرح أمالي الفاي لأبي عبيد البكري مصر ١٩٣٦ م .

(٢) - هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (ت ٢٤٨ هـ) من كبار العلماء باللغة والشعر. من أهل البصرة انظر الفهرست ٥٨١، وإنباء الرواة للقفطي ٥٨٢، بغية الرواة للسيوطي ٢٥٦.

(٣) - هو خلف بن حبان، أبو محرز المعروف بالأحمر (ت ١٨٠ هـ) راوية عالم بالأدب، شاعر من أهل البصرة كان أبواه سوليين، كان يضع الشعر . وينسبه إلى العرب، وقال كثيرون فيه: إنه وضع على شعراء عبد القيس شعراً كثيراً، وهلى غيرهم عيماً به، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة، وأهل الكوفة. انظر الشعر والشعراء ٣٠٨، مراتب النحويين واللغويين لأبي الطيب اللغوي ٤٦، بغية الرواة للسيوطي ٢٤٢.

(٤) - الموشح للمرزباني ٢٥١-٢٥٢ المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ وانظر في ذلك مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد ٤٥٢، وما بعدها دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

(٥) - انظر الكتاب ٦٩٦.

(٦) - الشاهد فيه: (ونار) فقد عطف (نار) على (امرئ) لعل تقديره مضاف. ويجوز أن يكون مجروراً بإضافة مفعول أول محذوف لفاعل محذوف والتقدير: وتحسين كل نار. والأول أولى. انظر الكتاب ٦٩٦، والشاهد النحوي ووجه الاستشهاد ليحيى مصري ١١١، الطبعة الأولى دمشق ١٩٨٤م.

(٧) - انظر الكتاب ١٤٠/١، ١٩٨، ٣١٢/٢، ١١٣، ٧٤/٣.

العاب العجم، ولما مات كسرى ووُلِّي ابنه هرمز رفع منزلة عدِّي فكانَ رسوله إلى ملك الروم في القسطنطينية (١)

هذه الأمور مجتمعة جعلت عدياً موضع شك في سلامة لفته، فقد قال ابن قتيبة (٢) إنه كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فتثقل لسانه، وعلماء العربية لا يرون شعره حجّة، وقال فيه المفضل: «كانت الوفود تفد على الملوك بالحيرة، فكان عدي بن زيد يسمع لغاتهم فيدخلها في شعره» (٣)

- واستدل للنعمان بن المنذر اللخمي (٤) ببيت واحد يقول فيه:

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قبلاً (٥)

وهو! أي النعمان من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ملَّكها إرثاً عن أبيه، وكانت تابعة للفرس فأقره عليها كسرى. وهذه الصلة الكبيرة بالفرس جعلته، وغيره من ملوك الحيرة موضع شك لانحراف لغتهم عن لغة العرب (٦)

(١)- انظر الشعر والشعراء ٦٣، الأغاني للأصفهاني ٩٧/٢، خزنة الأدب ١٨٤/١-١٨٦.

(٢)- انظر الشعر والشعراء ٦٣.

(٣)- الموضع للمرزباني ١٠٣.

(٤)- هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي (ت ١٥ هـ) وهو غير النعمان بن المنذر النساني، فالأول منهما كان أبرش أحمر الشعر، وكان الشاهد الوحيد الذي ذكره سيبويه للنعمان رداً على من عاب عليه برصه. انظر الأغاني ١٣٢/٢٠ (طبعة الساسي)، خزنة الأدب ١٨٥/١.

(٥)- يخاطب بذلك الربيع بن زياد العبسي، وكان ليبيد قد اتهمه في رجز قاله للنعمان بأنه أبرص، وذلك ليكف النعمان من مناداة الربيع، فترك النعمان منادته، وأمره بالعودة إلى قومه. والشاهد فيه: نصب (حقاً)، و(كذباً) بإضمار فعل يقتضيه الشرط، فغيره (كان). الكتاب ٢٦٠/١.

(٦)- انظر الموضع ١٠٣.

- واستدلّ لاثنية بن أبي الصلتّ الثقفي بتسعة شواهد (١) على الرغم من تحوالة الدائم وقدمه دمشق قبل الإسلام، وهذا ما جعل علماء العربية لا يستدلون بشعره، إضافة إلى ورود الفاظ في شعره لا تعرفها العرب (٢).

- واستدلّ ببيتين للشاعر سحيم عبد بني الحسحاس (٣) منها قوله:

إِذَا شُقَّ بُرْدٌ شُقٌّ بِالْبُرْدِ مِثْلُهُ دَوَالِيكَ حَتَّى لَيْسَ لِلْبُرْدِ لَابِسٌ (٤)

وهو الذي لا يستقيم لسانه بمخارج حروف لغة العرب، وتخالط عربيته لكنه حبشية فيجعل الحاء هاء، والشين سيناً، وتاء الضمير كافاً (٥)

- وأثبت ثلاثة أبيات (٦) لزياد الأعجم (٧) منها قوله:

(١) - انظر الكتاب ٣٢٥/١، ٣٢٦، ١٠٩/٢، ٣١٥، ٧٣/٣، ١٦١، ٣١٥، ٣٣٠، ٩٥/٤.

(٢) - انظر طبقات فحول الشعراء ٩٦، الشعر والشعراء ١٧٦، الأغاني ١٢٠/٤، خزنة الأدب ١١٩/١.

(٣) - سحيم عبد بني الحسحاس (ت نحو ٤٠ هـ) شاعر رقيق الشعر، كان عبداً نوبياً أمجبي الأصل واللسان، اشترىه بنو الحسحاس فنشأ بينهم، قتله قومه لتشبيبه بنسائهم. انظر الشعر والشعراء ١٥٢، الإصابة في تمييز الصحابة للمصفلاني ٣٦٥٩ت، خزنة الأدب ١-٢٧٢-٢٧٤.

(٤) - البرد: الثوب، كان العرب يزعمون أنّ المتحابين إذا شُقَّ كلٌّ واحد منهما ثوب صاحبه دانت مردنهما، ولم تفسد. وفي البيت إقواء: لأنه من أبيات مكسورة الروي. والشاهد فيه: (دواليك) تعبت على المصدر الموضوع موضع الحال، وثنى لأنّ المدحولة من اثنين. والكاف للخطاب، لا يتمرف ما قبلها بها، فلذا بصح وقومه حالاً. وفي ذلك كلام كثير. انظر الكتاب ٣٥٠/١، أوضح المسالك لابن هشام ١٨٨/٢.

(٥) - انظر سحيم عبد بني الحسحاس شاعر الفزل والصبوة لمحمد خير الحلواني ٤٣ حلب ١٩٧٣.

(٦) - انظر الكتاب ٣٠١/١، ٤٨٣، ١٨٠/٤.

(٧) - زياد بن سليمان الأعجم (ت نحو ١٠٠ هـ) سولى بني عبد القيس، كانت في لسانه عجة فُلَّتَب بالأعجم. ولد، ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره، ومات فيها. طبقات فحول الشعراء ٥٥١، ٥٥٧، الشعر والشعراء ١٦٥، الأغاني ٩٨/٤-١٠٥، خزنة الأدب ١٩٣/٤.

تكلّفني سويقَ الكرمِ جرّم وما جرّم، وما ذاك السويق (١)

وقد طعن عليه، وهو الذي ولد ونشأ في أصفهان، ثم انتقل إلى خراسان إلى أن مات فيها، عدا جولات قام بها إلى أرض العرب، طالت، أو قصرت، إضافة إلى ثقل لسانه؛ فقد كان يجعل السين شيئاً، والطاء تاء. وهذه الأمور مجتمعة دفعت بعض علماء اللغة يشككون في سلامة لفته (٢)

- وكان ذو الرمة وهو من شعراء العصر الأموي البارزين الذين استدل سببوه بشعرهم (٣) موضع شك أيضاً، فعلى الرغم من أنّ سببوه قد استدل له بستة وعشرين شاهداً نرى الأصمعي يقول فيه: «إن ذا الرمة أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين»، وهذا ما دفعه لرفض الأخذ ببيت له على صحة تأنيث (زوج) بالناء (٤)

- وطعن الأصمعي على الطرطاح بن حكيم، (٥) وهو عنده ممن لا يجوز الاستدلال بشعرهم لأنه هو

(١) - السويق: طعام من الحنطة والشعير، وسويق الكرم هنا الخمر. والشاهد فيه إظهار (ما) قبل (ذاك) تقوية لرفع المعطوف،

كما تقول في ما أنت وزيد: ما أنت وما زيد. وكان يستطيع أن يقول: وما جرّم. وذاك السويق. انظر الكتاب ٣٠١/١.

(٢) - انظر طبقات نحرول الشعراء ٥٥٧، ٥٥١، الشعر والشعراء ١٦٥، الأغانى ٩٨/١٤-١٠٥، خزنة الأدب ١٩٣/٤، وسحيم للحلواني ٢٢٥.

(٣) - انظر الكتاب: ١١/١، ٥٢، ٦٥، ٨٢، ١١٠، ١٧٩، ٢٨٠، ٤٢٦، ١١/٢، ٦٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٣، ١٦٦، ١٩٣، ١٩٩، ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٢، ٤٨/٣، ٦٠، ٦٨، ٣٠٤، ٣٨٢، ٤٩٨، ٥٥١، ٥٧١، ٥٩/٤.

(٤) - مجالس العلماء للزجاجي ١٩٥، تح: هارون. الكويت ١٩٦٢، طبقات النحويين واللفظيين للزبيدي ١٩٠، المرشح للمرزباني ٣٠٣.

(٥) - هو الطرطاح بن حكيم بن الحكم (ت نحو ١٢٥ هـ) الطائي. شاعر متعصب للفقهانيين، ولد في الشام. وانتقل إلى الكوفة. انظر البيان والتبيين ٢٧/١، والشعر والشعراء ٢٢٨، والأغانى ١٠/١٤٨، وخزنة الأدب ٤١٨/٣، وانظر في شعره الكتاب ٢٠١/٢، ٤٣٠/٣، ٢٤٧/٤.

والكميت بن زيد (١)، كانا يقولان ما سمعاه، ولا يفهمانه (٢) ويصف الكميت بأنه جُرثفاني من أهل المرصل، ليس بحجة.

- ومثل ذلك ما وُجِّه من طعن على أبي عطاء السندي الذي يشبه سحيما في لكنته، ولم يكن يقوى على إنشاد شعره لما في لسانه من عجمة ولثغة (٣).

- وجاء في كتاب سيبويه بيتان لم يُشَرَّ إلى صاحبيهما، لكنه ثبت أنهما موضوعان. الأول منهما:

حَذِرْ أَمْوَرًا لَا تُخَافُ وَآمِنْ مَا لَيْسَ مَنَجِيَّةً مِنَ الْأَقْدَارِ (٤)

وهو موضوع؛ لِمَا يروى عن أبان بن عبد الحميد اللاحقي (٥) أنه قال: سألني سيبويه عن شاهد في تعدي (فَعِل) فعملت له هذا البيت (٦).

(١) - هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي (٦٠-١٢٦ هـ) شاعر الهاشبيين، من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالما بأدب العرب، ولغاتها، وأخبارها، وأنسابها. الشعر والشعراء ٥٦٢-٥٦٦ الأثافي ١٥/١٠٨، خزنة الأدب ٦٩/١، ٧١-٨٦، ٨٧.

(٢) - انظر الموشح للمرزباني ٣٢٥، ٣٠٢. والمزهر للسيوطي ٣٤٠/٢.

(٣) - انظر في شعره الكتاب ٩٨/٢، وانظر فوات الوفيات للكتبي ٧٣/١، وخزنة الأدب ٤/١٧٠، وسعيم للحلواني ٢٢٥.

(٤) - يصف إنسانا بالجهل وقلة المعرفة، وأنه يحذر ما لا ينبغي أن يحذر، ويأمن ما لا يصح أن يؤمن، وأعمال (فَعِل) منذهب لسبويه، لأنه عنده مأخوذ من (فاهل). انظر الكتاب ١١٣/١.

(٥) - هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي (ت ٢٠٠ هـ) شاعر من أهل البصرة، نُسب إلى جده، اتصل بالبرائكة، ونظم (كليلة ودمنة) شعرا. انظر الفهرست لابن النديم ١٦٠/١، خزنة الأدب للبغدادي ٤٥٦/٣.

(٦) - انظر خزنة الأدب ٤٥٦/٣.

والثاني:

ومنهل ليس له حوازي **ولضفادي جمّه نقانق** (١)

وهو موضوع بدليل ما ذكره الشنتمري (٢) من أنه مصنوع لخلف الأحمر (٣)

- تداول القدماء قصة استدلال سيبويه بشعر بشار بن برد (٤)، بل بيت واحد من شعره، وتناقلوا الخبر، وتبع هذا التناقل كثير من الوهم والاضطراب.

وأظن أن أبا العلاء المعري (٥) كان أول من أثار هذا الموضوع، ويثبت أن سيبويه كان يخاف من هجاء بشار له، وأنه كان يتداول بعض شعره، وذلك بقوله: «وخكي عنه- أي عن سيبويه- أنه عاب عليه قوله:

على القزلي مني السلام فطال ما
لهوت بها في ظلّ مخضرة زهر

(١)- المنهل: المورد، الحوازي: الجماعات، وأحدثها حريقة، فجمعها جمع فاعلة كأن وأحدثها حازقة، والجمع قد يبنى على غير واحد. يقول: هو منهل فخر لا تدره الجماعات والضفادع، بالإبدال. والجم: جمع جم، وهي معظم الماء ومجمعه. والنقانق، أصوات الضفادع، وأحدثها ثقمة. والشاهد فيه: إبدال الياء من العين في الضفادع للضرورة: لأن الوزن يقتضي إسكان الياء. انظر الكتاب ٢٧٣/٢ وانظر البيت في شرح المفصل ١٠/٢٨٢٤ واللسان (حزق).

(٢)- هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي (٤١٠-٤٧٦ هـ) مات في إشبيلية. شهرته واسعة في النحو والأدب. انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧/٣٠٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢٥٣.

(٣)- انظر حاشية كتاب سيبويه ٢٧٣/٢.

(٤)- هو بشار بن بريد العقيلي بالولاء (٩٥-١٦٧ هـ) أشعر المولدين على الإطلاق أصله من طخارستان نشأ في البصرة، وقدم بغداد، وأدرك المولتين الأموية والعباسية. انظر الشعر والشعراء ٢٩١ تاريخ بغداد ٧/١١٢، وفيات الأعيان ١/٨٨، خزنة الأدب ١/٥٤٩.

(٥)- هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (٣٦٣-٤٤٩ هـ) شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان، أقام في بغداد ما يزيد على السنة. انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١/١٨١، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٣، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لراغب الطباخ ٤/٧٧، ١٨٠، ٣٧٨ حلب ١٣٤٢ هـ.

فقال سيبويه: لم تستعمل العرب الفزكي، فقال بشار: هذا مثل قولهم: البشكى والجَمزى، ونحو ذلك. وجاء بشار في شعره بالثينان، جمع نونٍ من السمك. فيقال إنه أنكره عليه» (١)

وأورد أبو الفرج الأصفهاني ما يشير إلى خوف سيبويه من بشار بقوله: «وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه، ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به استكشافاً لشره» (٢)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني أيضاً أن الأخفش سعيد بن مسعدة (٣) استدلل بشعر بشار. قال: «فكان الأخفش بعد ذلك - أي بعد هجاء بشار له - يحتج بشعره في كتبه ليبتلغه، فكفّ عن ذكره بعد هذا» (٤)

هذا مجمل الخبر كما ورد في كتب القدماء، ومن خلال ذلك نستخلص الوهم والاضطراب في قضية استدلال سيبويه بشعر بشار بن برد.

- صحيح أن صاحب الأغاني ذكر أن سيبويه طعن على بشار، وخطأه! لكنه لم يذكر أن سيبويه استدلل ببيت لبشار، ولا تعدى إشارة الأصفهاني إلى القصة أن سيبويه «إذا سئل عن شيء فأجاب

(١) - رسالة الففران للمعري ٤٣١، تج: عائشة عبد الرحمن ط٤، دار المعارف بمصر.

(٢) - الأغاني ٢١٠/٣.

(٣) - الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء (ت ٢١٥ هـ) نحوي، عالم باللغة والأدب من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ عن سيبويه. زاد في العروض بحراً. انظر معجم الأدباء ٢٢٤/١١، طبعة دار المأمون، إنباه الرواة للقفاطي ٣٦٧، وفيات الأميان لابن خلكان ٢٠٨/١، بنية الرواة للسيوطي ٢٨٥.

(٤) - الأغاني ٢١٠/٣، وانظر الموضح للمرزباني ٣٨٥.

عنه، ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به» (١)؛ أي أنّ الأمر لم يتجاوز الحوار في المجالس، وما يتخلله من أسئلة وأجوبة بين الأستاذ وطلّبه. ولا نلمس في كلام الأصفهاني أيّ إشارة إلى كتاب سيبويه، واستدلاله بشعر بشار. ولو كان الأصفهاني مقتنعاً بأنّ سيبويه استدلّ بشعر بشار لذكر ذلك صراحة كما فعل في حديثه عن الأخفش حيث قال: «فكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه» (٢).

- الأمر نفسه نجده في الموشح للمرزباني فقد ذكر خشية سيبويه من هجاء بشار لكنّه لم يذكر أنّه استدلّ بشعره في (الكتاب) (٣).

- أمّا ما جاء في رسالة الغفران للمعري - وهو أول مصدر يشير إلى قصة استدلال سيبويه بشعر بشار- فيدحضه كلام المعري ذاته عندما جوّز « أن يكون استشهاد به على نحو ما يذكره المتذكرون في المجالس، ومجامع القوم» (٤).

- وأمّا ما أورده المعري من أنّ سيبويه قد عاب على بشار قوله في جمع (نون) على (نينان)؛ وكان ذلك بداية الخلاف بينهما؛ فلأنني أشكّ في صحة هذا الخبر بدليل أنّ سيبويه يجمع (نُون) على (نينان) في (الكتاب) (٥).

(١)- الأغاني ٢١٠/٣.

(٢)- المصدر نفسه ٢١٠/٣.

(٣)- انظر الموشح للمرزباني ٣٨٥.

(٤)- رسالة الغفران للمعري ٤٢٣ (الطبعة الثانية)

(٥)- انظر الكتاب ٥٩٣/٣.

- فكرة أخيرة تحسم هذا الأمر، فقد أورد سيبويه البيت التالي:

وما كلُّ ذي لمرٍّ بموتيك نُصِّحَه وما كلُّ مُوتٍ نُصِّحَه بِلَيْبِهِ (١)

من دون أن ينسبه إلى أحد، وقد أشار المعري إلى أن أصحاب بشار يروونه له (٢)، وفي المقابل فقد وُجِدَ البيت منسوباً إلى أبي الأسود الدؤلي في الحيوان للجاحظ (٣)، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٤)، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي (٥)، والعمدة لابن رشيق (٦)، والمؤتلف والمختلف للأصمدي (٧)، وشرح شواهد المغني للسيوطي (٨)، وخزانة الأدب للبغدادي (٩)، وديوان أبي الأسود الدؤلي (١٠).

(١)- الكتاب ٤/٤٤١.

(٢)- انظر رسالة الففران ٤٣١ (الطبعة الرابعة)

(٣)- الحيوان للجاحظ ٦٠١/٥ تج: عبد السلام هارون ط٢.

(٤)- الأغاني للأصفهاني ٣٠٥/١٢.

(٥)- شرح أبيات سيبويه للسيرافي ٣٧٣/٧ تج: محمد علي الرئح هاشم القاهرة ١٩٧٤.

(٦)- العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونفده لابن رشيق ٤/٢ تج: محيي الدين عبد الحميد-بيروت.

(٧)- المؤتلف والمختلف للأصمدي ٢٢٤ تج: عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦١.

(٨)- شرح شواهد المغني للسيوطي ٥٤٢ تصحيح الشنقيطي-بيروت. ويبدو أن السيوطي خلط بين رواية استدلال الأخفش بشعر بشار في كتبه، واستدلال سيبويه بشعر بشار حين يُسأل، فقال: «أول الشعراء المحدثين بشار بن برد، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقريباً إليه، لأن هجاء لترك الاحتجاج بشعره... ذكره المرزباني وغيره»، انظر الاقتراح للسيوطي ٧٠ وهذا وهم واضح من السيوطي.

(٩)- خزانة الأدب للبغدادي ١٣٧/١ بولاق ١٢٩٩ (نسخة مصورة-بيروت)

(١٠)- ديوان أبي الأسود الدؤلي ٩٩ تج: محمد حسن آل ياسين-بغداد ١٣٨٤. وانظر في الموضوع ذاته سيبويه إمام النحاة لعلي ناصف ٢٣، فقه ردة لقصة استدلال سيبويه بشعر بشار وإبطال لها، وانظر لذلك شواهد الشعر في كتاب سيبويه لخالد جمعة ٢٩٦، وما بعدها. الكويت ١٩٨٠.

من خلال ما تقدم رأينا موقف سيبويه، وعرفنا منهجه في الاستدلال بالشعر، والشعراء؛ لكن السؤال الذي يستوقفنا هو: لماذا يستدل سيبويه بأبيات لشعراء رفض الاحتجاج بشعرهم كأبي حنيفة النعميري (ت ١٨٣ هـ)، ومروان بن سعيد النحوي (ت ١٩٠ هـ)، وآخرون مطعون عليهم وهم أكثر- كما رأينا؟

والحقيقة أنه لا بُدَّ من التفريق بين نوعين من الاستدلال: الأول منهما: الاستدلال لعلم النحو، والثاني: الاستدلال لعلم اللغة. فعلم النحو يُعنى بتركيب الكلام، وعلاقة عناصر الجملة مع بعضها، وهو علم قليل الاستجابة للتطور والتغيير. أما علم اللغة فهو يُعنى باللفظة الواحدة، وتطور مدلولها عند العرب، وهو علم سريع الاستجابة لما يعتري اللغة من تطور وتغيير في مدلولها المعنوي، مع محافظتها على سلامة تركيبها ونظمها، وبقاء أصولها ثابتة لا يخالها التغيير؛ لذلك نرى أن سيبويه لم يجد حرجاً في الاستدلال بشعر من ضعفتهم اللغويون، لأن ما يبحث عنه ليس عرضة للتغيير بشكل سريع، فالأعرابي مثلاً، وهو صاحب السليقة العربية إذا زار الحواضر، أو تخوم بلاد فارس فإنه قد يستخدم لفظة غير عربية أحياناً، لكنّه لا يفتّر قواعد تركيب الجملة التي فُطر عليها.

وأمر آخر على جانب من الأهمية، وهو أن معظم ما ذكره سيبويه كان نقلاً لما كان العلماء يتداولونه في مجالسهم، ويرددونه دائماً على مسامع طلابهم، أو نقلاً لما كان يتناشده الرواة الثقات، أو عن الأعراب بالفصحاء الذين يُستدلّ بإنشادهم؛ وهذه طريقة أستاذه الخليل بن أحمد الذي أخذ بدوره عن أساتذته معظم ما أورده سيبويه.

أما ما أورده الأصمعي حول ذي الرمة، ورفضه الاستدلال ببيت له؛ لأنه أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين (١) فهذا مردود عليه؛ لأن الأصمعي استدلّ بشعر ذي الرمة غير مرة في أمور لغوية، فكيف يلام سيبويه إذا استدلّ بشعره لأغراض نحوية؟ (٢).

٤- القبائل التي أخذت عن شعرائها

لا نجد لدى سيبويه منهجاً واضحاً ثابتاً في استدلاله بأبيات لشعراء من قبائل معينة، أو بيئة عربية محددة؛ فهو يستدل بأبيات لشعراء ينتمون إلى قبائل مختلفة في معرض حديثه عن ظاهرة نحوية واحدة، من ذلك قوله: «واعلم أنه من قال: ذَهَبَ نَسَاوُكٌ، قال: أذاهب نساوك. ومن قال: (فَمَنْ جَاءَكَ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) (٣) قال: أجائي موعظة، تذهب الهاء ههنا كما تذهب التاء في الفعل. وكان أبو عمرو يقرأ: (خاشعاً أبصارهم) (٤) قال الشاعر، وهو أبو ذؤيب الهذلي:

بَعِيدُ الْفَرَاةِ فَمَا إِنَّ يَرَا م لُ مُضْطَمراً طَرَّاهَ طَلِيحاً (٥)

-
- (١) انظر مجالس العلماء للزجاجي ١٩٥، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٩٠، الموشح للمرزباني ٣٠٣.
 (٢) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٦/١٢٥ (طبقة الرذاعي) القاهرة. شرح المفاتيح العربية للشريشي ١٨٣ تح:
 عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٥٢، الاحتجاج لمحمد خير الحلواني ٩٨.
 (٣) البقرة ٢٧٥/٦.
 (٤) الفلم ٤٣/٦٨، والمعارج ٤٤/٧٠ وفي مصحفنا اليوم (خاشعاً أبصارهم).
 (٥) يُعِيدُ الْفَرَاةَ: أي يبعد في غزو الأعداء. وَالْفَرَاةُ: الغزوة. وَالْمُضْطَمَرُ: الضامر، والطرة: الكشح والجنب، والطلح: من أصابه عناء الغزو. والشاهد فيه: حذف الهاء من (مضطمة): لأن فاعله (طرتاه) مؤنث مجازي. الكتاب ٤٤/٧.

وقال الفرزدق:

وكنّا وورثناه على عهد نَبِيعٍ طويلًا سَوَارِيهِ شَدِيدًا دَعَائِمَةٌ (١)

وقال الفرزدق أيضاً:

قَوْنِي يَحْكُ قَفَاً مَقْرِفٍ لثِيمٍ مَاتِرَةٌ قَعْدَدٌ (٢)

وقال آخر، وهو أبو زبيد الطائي:

مستحجِنٌ بهما الرياحُ فما يَجُ م تائبها في الظلامِ كلُّ هَجُودٍ (٣)

وقال آخر من بني أسد:

فلاقي ابنَ أُنْتَى يبتغي مثلَ ما ابتغى من القومِ مَسْقِيَّ السَّمَامِ حدائِدًا (٤)

وقال آخر، الكميّ بن معروف:

ومازلتُ محمولاً عليّ ضغينةً ومضطَّلَعِ الأضغانِ مَدُّ أنا يافع (٥)

(١) - يفخر بعرّ قومه، ومجدهم لأنهما قديمان قدم (نَبِيع) وهو من ملوك اليمن القدماء. والسواري: جمع سارية، والدعائم: صناديق البيت الذي يقوم عليه. جعل المجد كالبناء المحكم. والشاهد فيه: حذف الهاء من (طويلة)، و(شديدة) على نحو ما تقدم. الكتاب ٤٤/٢.

(٢) - الفرنبى: دوية تشبه الخنساء. جعل عطيةً أبا جرير كالفرنسي. والمقرف: اللثيم الأب. والمائر: الأفعال التي تؤثر، والأخبار، الواحدة مائرة. والقعدد: الغريب النسب من الجدة الأكبر، فهو قصير النسب. والشاهد فيه حذف الهاء من (لثيم) على نحو ما تقدم. الكتاب ٤٤/٢.

(٣) - ينعت فلاة واسعة يسمع للرياح بها حنين، وهي في ذلك موحشة يخافها الساري. يجتابها: يقطعها. والهجود: الساهر. والشاهد فيه: حذف الهاء من (مستحجئة) على نحو ما تقدم. الكتاب ٤٥/٢.

(٤) - يصف لصاً لثي لصاً مثله. ابن أنثى: أسلوب تمظيم وتضخيم، كما يقال: ابن رجل. والسمام: جمع السم وعنى بالحدائد نصال السهام. والشاهد فيه: حذف الهاء من (مسقية) على نحو ما سبق. الكتاب ٤٥/٢.

(٥) - يقول: إنه جبيل على حزة النفس، وإنه لا يزال يقوى على حمل الأضغان بين أضلاله. والياق: الذي ناهز الحلم. والشاهد فيه حذف الهاء من (محمولة): لأن الضغينة مؤنث مجازي.

وهذا في الشعر أكثر من أن أحصيه لك» (١)

ولعل السبب الذي جعل سيبويه يستدل بشعر لشعراء اختلفت قبائلهم، وتباينت هو أنّ لغة الشعر لغة مثالية، وهي اللغة العربية الفصحى التي يتعد فيها الشاعر عن الظواهر الخاصة التي تتميز بها لهجة قبيلته على سائر لهجات القبائل العربية الأخرى. لذلك فإن الشعراء على اختلاف قبائلهم يحاولون أن يتقنوا هذه اللغة المثالية، التي تتوحد فيها لغة القبائل جميعاً، وهي القاسم المشترك بينهما.

ولاشكّ في أنّ القبائل لم تكن عند سيبويه، أو شيخه الخليل في مرتبة واحدة. فقد أولى من العدنانيين شعراء تميم اهتماماً خاصاً واستدل بشعر أربعة وأربعين شاعراً منهم؛ وهم: (٢) أبو الأخرز الحِمْيَري، والأزرق العنبري، والأسود بن يعفر، والأشهب بن ربيعة، وأوس بن حجر، وبشير بن النُّكث، وجريز، والحارث بن شريك النهشلي، وحارثة بن بدر الغُداني، وحكيم بن مُعَيَّة الربيعي، وحמיד الأرقط، وخطام المجاشعي، وروبة بن المعجاج، والزبيرقان بن بدر، وزهير السَّكَب، (٣) وسُحيم بن وثيل الرِّياحي، وأبو سِنْدرة الهُجَمي، (٤) والسُّلَيْك بن السُّلَيْكَة السُّعْدِي، وسُوادة بن عَدِيّ بن زيد، وسويد بن

(١) - الكتاب ٤٣/٢-٤٥، وانظر في مثل ذلك الكتاب ٤٥-٤٦، وفيه يستدل بشعر الأعشى القيسي، وعامر بن جوين الطائي، وطغيلة الفنوي؛ و٤٢٤/١-٤٢٧ وفيه يستدل بشعر امرئ القيس الكندي، وجريز التميمي، والمرار الأسدي وذو الرثة التميمي كذلك، وأبي محجن الثقفي.

(٢) - فضلنا الترتيب الألفبائي لسهولة الاستفادة منه، وقد أفدنا في نسبة بعض الشعراء إلى قبائلهم وكذلك في نسبة بعض الأبيات التي لم تنسب في طبعة (هارون) من الكتاب، أفدنا من جهود خالد جمعة في شواهد الشعر في كتاب سيبويه.

(٣) - هو زهير بن عمرو المازني. ووراء تسميته قصة. انظر الكتاب ٢٤٦/٤.

(٤) - انظر الكتاب ٣١٥/١.

الطويلة، والشّمردل بن شريك اليربوعي وضائب بن الحارث البرجمي وطريف بن تميم العنبري، وعبدّة بن الطبيب، وعتر بن دجاجة، والعجاج، وعدي بن زيد العبادي، وعلقمة بن عبدة، والعماني الراجز، وعمرو بن الأهمم المنقري، وغيلان بن حريث الرّبعي، والفرزدق، والقلاخ بن حزن، والكَلْحَبَةُ اليربوعي، ولقيط بن زرارة، واللّعين المنقري، ومالك بن الرّيب المازني، ومتمم بن نويرة، والمخبّل السّعدي، والمرار بن سُقَيْد الحنظلي، ومسكين الدارمي، والمعلوط بن بدّل القرّيمي، والمغيرة بن حبناء، وأبو نُخَيْلَة السّعدي.

ويأتي شعراء هوازن في المرتبة الثانية فقد استدلّ بشعر سبعة وعشرين شاعراً منهم، وهم: إمام بن أكرم التّميري، وأمينة بن أبي الصّلت الثّقفي، وتميم بن أبيّ بن مُقْبَل، وتوبة بن الحمير الخفاجي، والحارث بن كلدة الثّقفي، وخميد بن ثور الهلالي، وأبو حية النّميري، وخدّاش بن زهير العامري، وذريد بن الصّفة العامري، والراعي النّميري، وشريح بن الأحوص، وعبد العزيز الكلابي، وعبد الله بن همام السّلولي، والعجّير السّلولي، والفارعة بنت معاوية بن قُشَيْر، والقَتَال الكلابي، والقُحَيْف العقيلي، وقيس بن الملوّح العامري، وليبيد بن ربيعة العامري، وليلى الأخيلية، وأبو محجن الثّقفي، ومزاحم العقيلي، ومعوذ الحكماء (١)، والنايفة الجعدي، ويزيد بن الحكم الثّقفي، ويزيد بن عمرو الصّحّ الكلابي، ويزيد بن الطشيرة القشيري.

ويأتي شعراء بكر وتغلب (٢) في المرتبة الثالثة فقد استدلّ بشعر أربعة وعشرين شاعراً منهم، وهم: الأخطل، والأعشى، والأغلب العجلي، وباعث بن صريم البشكري، وجابر بن حنّي التغلبي، والحارث بن عبّاد، والحطّم القيسي، وخزّنق بنت هفّان، والخزّز بن لوزان السّدوسي، وذرتنا بنت عبّنة،

(١) - هو معاوية بن مالك بن جعفر.

(٢) - هما ولدا وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة.

وسعد بن مالك القيسي، وطرفة بن العبد، وعمران بن حِطَّان، وعمرو بن الأَيْبَم، وعمرو بن قميثة، وعمرو بن كلثوم، وأبو عوف (١)، والقطامي، وكعب بن جُعَيْل، والمرار بن سلامة العَجَلِي، والمليد بن خَزَنَلَة، والمهلبي، وأبو النجم العَجَلِي، ونهار بن توسعة اليشكري.

ويأتي في المرتبة الرابعة شعراء بني أسد فقد استدلَّ سيبويه بشعر اثنين وعشرين شاعراً منهم، وهم: بشر بن أبي خازم الأسدي، والحذلي، وحنظلة بن فاتك، والربيع الأسدي، ومسحيم عبد بني الحسحاس، وسماعة النعماني، وضرار بن الأزور، وعبد الرحمن بن جُهَيْم، وعبد الله بن الزبير الأسدي، وعبيد بن الأبرص، وأبو عطاء السَّنْدِي، وعُقَيْبة الأسدي، وعمرو بن شَأْس، وقرآن الأسدي، والكميت بن زيد، والكميت بن معروف، والمرار الأسدي، ومعروف الدُّبَيْرِي، وثُغَلْس بن لقيط الأسدي، وثُلَيْخ بن علاق القَعْبِي، ومنظور بن مرثد الأسدي، ونقادة الأسدي.

ثم يأتي شعراء غطفان في المرتبة الخامسة، واستدلَّ سيبويه بشعر خمسة عشر شاعراً منهم؛ وهم: الحارث بن ظالم المري، والحصين بن الحُمام المري، والحطيفة، والربيع بن ضُبُع الفزاري، وسالم بن دارة، وشَدَاد بن معاوية العبسي، والشُعَاخ بن ضرار الذبياني، وعبد بني عُبْس، وعروة بن الورد، وعنثرة بن شداد، وقَعْنَب بن أمِّ صاحب، وقيس بن زهير بن جذيمة، وابن ميادة، والنايفة الذبياني، ويزيد بن سنان بن أبي حارثة المري.

(١) - هو أحد بني مبنول بن نعيم.

ثم يأتي شعراء قريش وعددهم أربعة عشر شاعراً، وهم: إبراهيم بن هرمة، وزيد بن عمرو بن ثعلبة، وصفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن الحكم، وعبد الله بن عبد الأهل القرشي، وعبد الله بن الحارث السهمي، وعبد الله بن قيس الرقيقات، وعمر بن أبي ربيعة، والفضل بن عبد الرحمن القرشي، ومقاس العائدي، هشام المرثي، وهند بنت عتبة.

ثم يأتي شعراء هذيل، وقد استدل سيبويه بشعر ثمانية منهم؛ وهم: أسامة بن الحارث، وأمية بن أبي عاتق، وأبو ذؤيب، وساعدة بن جؤنة، وعبد مناف بن زئع، وأبو كبير (١)، ومالك بن خويلد الغناعي، والمنخل الشكري.

ثم يأتي شعراء الرباب (٢) وقد ذكر منهم سيبويه ستة شعراء؛ وهم: ذو الرمة، وسويد بن كراع العكلي، وعوف بن عطية بن الخريخ التيمي، ومالك بن خنيط العكلي، والنمر بن تولب، هشام بن عتبة (٣).

ثم يأتي شعراء مثليم، وقد استدل سيبويه بشعر خمسة منهم؛ وهم: أنس بن العباس، وخفاف بن ثدبة، والخنساء، وزباد بن واصل، والعباس بن مرداس.

ومثل ذلك شعراء كنانة، وذكر منهم خمسة؛ وهم: أبو الأسود الدؤلي، وأبو الطفيل عامر بن وائلة الصحابي، وقيس بن ذريح، ونصيب بن رباح، وهنّي بن أحمر.

(١) - هو عامر بن الحليس الهذلي.

(٢) - هو الرباب بن طابخة بن إلياس بن مضر، ومنه نفع ثيم، وهدي، وهوف، وثور، وأشيب.

(٣) - هو أخو ذي الرمة.

ثم يأتي شعراء عبد القيس، وقد ذكر منهم أربعة شعراء؛ وهم: الأعمور الشثبي، وزياد الأعجم، والصلتان العبدي، والمفضل النكري.

ثم يأتي شعراء باهلة وقد استدلّ بشعر شاعرين منهم وهما: شقيق بن جزء، وعمرو بن أحمر، ومثل ذلك شعراء حُبَيْعَة وهما: المتلمّس، والمسيّب بن عكس، ومثل ذلك شعراء هُنَيْيَ: وهما طُفَيْل الفنوي، وكعب بن سعد الفنوي. ومثل ذلك شعراء مُزَيْنَة؛ وهما زهير بن أبي سلمى، وكعب بن زهير. ثم يأتي شعراء إِيَاد، وضَبّة، وعدوان، وقد استدلّ بشعر شاعر واحد لكلّ منها، هم على التوالي: أبو دؤاد الإيادي، وعبد الله بن عَنَمَة الضبّي، وذو الإصبع العدواني.

أما القحطانيون، فقد ذكر لشعراء الأزد (١) شعراً لسبعة عشر شاعراً؛ وهم: الأصوص الأنصاري، وأحبيحة بن الجلاح، وجذيمة الأبرش، وحستان بن ثابت الأنصاري، وخوات بن جُبَيْر الأنصاري، وعبد الرحمن بن حستان، وعمرو بن الإطنابة، وأبو الفطريف السهّادي، وفاخنة بنت عدي، وأبو قيس بن الأسلت الأنصاري، وقيس بن الخطيم، وكثير عزة، وكعب بن مالك الأنصاري، وميس الثمالي، ومالك بن أبي كعب، ومروان بن سعيد النهوي، والنعمان بن المنذر.

ويأتي في المرتبة الثانية شعراء مَذْحِج فقد استدلّ بشعر اثني عشر شاعراً منهم؛ وهم: طُفَيْل بن يزيد الحارثي، وعبيد الله بن الحرّ الجعفي، وعبد يفيث بن وقاص الحارثي، وعمرو الجنبلي، وعمرو بن قنّعاس المرادي، وعمرو بن معد يكرب، وفروة بن سُنَيْك المرادي، والقناني، وبت مرة بن عاهان الحارثي (٢) والنجاشي، ويزيد بن شَحْرَم، ويزيد بن عبد المدان.

(١) - شعراء الأزد هم: الأوس، والخزرج، وغسان وخزاعة.

(٢) - الكتاب ٥١٦/٣.

ويأتي في المرتبة الثالثة شعراء قضاة، وقد استدلّ سيبويه بشعر تسعة منهم؛ وهم: الأعرور بن براء الكلبي، وجريير الضنّي، وجميل بن معمر العذري، وزيادة بن زيد العذري، وعمرو بن عمار الشهدى، ومنذر بن درهم الكلبي، ونيسون بنت بخدل الكلبيّة، وهُدبة بن حشرم العذري، ووعلّة الجزينيّ.

ويأتي في المرتبة الرابعة شعراء طيّب، واستدلّ بشعر سبعة شعراء منهم؛ وهم: البرج بن شسر، وحاتم الطائي، وأبو زييد الطائي، وزيد الخيل، والطرشاح بن حكيم، وعامر بن جوثين، وعمرو بن عمار الطائي.

ثم يأتي شعراء أنمار، وقد استدلّ بشعر شاعرين منهم؛ وهما: أنس بن مدركة الخثعمي، وجريير ابن عبد الله البجليّ. ومثل ذلك شعراء كندة، وهما: امرؤ القيس، والمقتع الكندي.

ثم يأتي شعراء عاملة، وهمدان، وقد استدلّ لكلّ منهما بشعر شاعر واحد وهما علي التوالي: عدّي بن الرقاع العاملي، ومالك بن حريم الهمداني.

يتضح لنا ممّا تقدم أنّ سيبويه قد استدلّ بشعر أغلب القبائل العربية التي يشتملها ما أطلق عليه النحاة (عصر الاحتجاج)، وأنه استبعد بعض القبائل كبهراء، وجذام، وأشعر، وخولان، وجثير، ومهرة، والسبب في ذلك يعود إلى ظروف القبيلة نفسها حيث لم تنجب شاعراً معروفاً ذائع الصيت.

ولا يبد لنا بعد أن وقفنا على شعراء سيبويه في كتابه من الوقوف عند نص هام أخذه كثير من النقاد دليلاً وأطلقوا من خلاله أحكاماً تتعلق بالقبائل التي استدلّ النحاة بشعرها لنوازن بين الأحكام السائدة، والواقع المأخوذ من عملنا الإحصائي. فقد أورد السيوطي في الاقتراح نقلاً عن أبي نصر الفارابي (١) قوله: «كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها سموعاً وإبارة عمّا في النفس».

والذين عنهم نُقلت اللفظة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب وهم قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكّل في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيتين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراريّ ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم. فإنه لم يؤخذ لا من لغم ولا من جذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقيبط، ولا من قضاة، ولا من غستان، ولا من إياد، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصاريّ، يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا من الثمر، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر، لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد القيس، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أزد عَمَانٍ لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم. ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنّ الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم» (٢)

(١) - محمد بن محمد طرغزان ت ٣٣٩هـ أكبر فلاسفة المسلمين عاش بين بغداد والشام ومصر مستقلاً، توفي في دمشق. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٧٦٢.

(٢) - الاقتراح للسيوطي ٥٧.٥٦ (القاهرة ١٩٧٦م).

والدافع وراء هذه القيود هو الخوف من ابتعاد لغة العرب عن أصولها وضوابطها المعروفة التي جسدها القرآن الكريم، لأنه إذا ابتعدت لغة العرب عن تلك الخصائص فإنها مع الأيام ستفقد لغة ثانية تضمّ كثيراً من كلام غير العرب وتناهى حتماً عن لغة القرآن الكريم وهذا ما لا يُراد.

وما من شك في أنّ كلام السيوطي المنقول عن الفارابي صحيح في أوله؛ فقد بيّن أنّ الذين نُقلت عنهم اللغة العربية هم: قيس (١)، وتميم، وأسد، وكذلك رأينا أهمية هذه القبائل عند سيبويه.

أما الذي كان موضع خلاف بين الفارابي من جهة، وما أورده سيبويه من جهة أخرى، فهو كثيراً فقد أورد سيبويه شعراً لتسعة شعراء من قضاة، والفارابي بيّن أنّ قضاة لا يستدلّ بكلامها في الغريب، والإعراب، والتصريف؛ لأنها تجاوز أهل الشام، وأورد سيبويه شعراً لشعراء من ثقيف، والفارابي قال: «ولا من ثقيف، وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم». ويرى الفارابي أنه لم يُحتجّ بشعر بكر وتغلب في الوقت الذي استدل سيبويه بأربعة وعشرين شاعراً من بكر، وتغلب، ويرى الفارابي أنهم لم يستدلوا بشعر من إباد، وسيبويه استدلّ بشعر أبي دؤاد الأيادي.

إنّ الذي ذكرناه من أدلة تكشف لنا أنّ موقف السيوطي الذي نقله عن الفارابي وأخذ به الكثيرون، لا يتفق مع موقف سيبويه أبداً.

(١) - هو قيس بن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة.

وأظنّ أنّ ما أرادَه الفارابي له تفسير آخر وهو أنّ النحاة واللغويين استدلّوا بكلام العرب شعراً ونشراً، وهذا الاستدلال ينطبق على قيس وتميم وأسَد، أمّا القبائل التي ذُكر أنّ النحاة واللغويين لم يأخذوا عنها فإنّه - أي الفارابي - يعني أنهم لم يأخذوا عنها النثر لا الشعر، والدليل على ذلك أنّ كتاب سيبويه يكاد يخلو من نصوص نثرية لتلك القبائل التي ذُكر أنّ العلماء لم يأخذوا عنها.

أمّا قضية الكثرة والقلة في استدلال سيبويه فأمرها واضح، لأنه من الطبيعي أن يكثر الاستدلال بشعر قبيلة كثر الشعراء فيها، ويقلّ في قبيلة قلّ الشعراء فيها، وينعدم في قبائل انعدم فيها شاعر مشهور.

عامل هام آخر له علاقة بالكثرة والقلة، وهو توتّر هذه القبائل في الجزيرة العربية وتنقلها من مكان إلى آخر؛ لأنّه كلّما كانت القبيلة قريبة من البصرة كانت أكثر صلة بالرواة والنحاة واللغويين وهذا الأمر ينطبق على قبائل تميم، وأسَد، وقيس التي عاشت شمال الجزيرة العربية. أمّا قريش فإنّ بعدها عن البصرة، والكوفة لم يقلل من أهميتها لما لها من مكانة؛ لأنّ محمداً (ص) منها ونزل القرآن بلغتها كما يرجّحون، فلا غرابة إذا حظي شعراؤها بالرعاية والاهتمام.

أمّا القبائل القحطانية فقد استدل سيبويه بشعرها على الرغم من بعدها عن البصرة والكوفة وهذا يعود إلى أنّ شعراء مشهورين منها كثرت صلتهم بالرواة، والعلماء آنذاك ممّا كان له أبعد الأثر في تداول أشعارهم، وأبرز هذه القبائل التي أعينها، الأوس والخزرج وطيّئ وكندة.

ولا أتصور أنّ سيبويه، وشيخه الخليل كانا يحيطان بشعر هذه القبائل جميعه، وبلغة العرب شعرها ونشراها، لكن الأرجح أنّ الأعراب نقلوا هذه المادة، وهي جزء من ديوان العرب نقلوها إلى علماء النحر واللغة منذ البدايات الأولى، منذ أيام الحضرمي حتى عهد سيبويه وتمّ هذا النقل بخروج

اللغويين والنحاة إلى البداية، أو بالتفانيهم بالأعراب في البصرة، والكوفة. وتناقضها النحاة من شيوخهم، وهم يدوّنهم نقلوها إلى طلابهم وهكذا دواليك.

لم يكن سيبويه يأخذ الشعر إلا إذا وثق بروايته، وأهمية الرواية تكمن في أنه لم يلق الشعراء الذين استدلّ بشعرهم، بل أخذ شعرهم رواية عن شيوخه إضافة إلى أنه كان يتنقل الشواهد بدليل قوله في مواضع كثيرة: (ومثل ذلك كثير)، معترفاً بطريقة ما أنّ يملك أكثر مما يثبت في الكتاب.

وكانت ثقته بشيوخه كبيرة، وما كانوا ينقلون إلا عن الأعراب الفصحاء، فإذا كانت سليقة الأعرابي سليمة وفصاحته لم تشبها شائبة فهو قادر على نقل اللغة السليمة والشعر الفصيح سواء أكان الشاعر من الحيرة كعدي بن زيد أو من اليمن كعبد يغوث، أم من مضر كالفرزدق. فإذا ارتضى الراوي الفصيح شعراً أو نثراً، فلنّ ذلك مدعاة لاطمئنان النحوي حتى يغدو إنشادهم هو الحجّة، لا نظم الشاعر نفسه، فإذا كان الشاعر، والراوي فصيحين فهذا لا مثال بعده (١)

ويلخص هذا الموقف ابن جني في الخصائص وهو موقف يتسم بالموضوعية والدقة، وأقرب إلى الواقع إذا ما قيس بكلام الفارابي؛ يقول ابن جني في باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر: «دعلة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة، وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل. ولو علم أنّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للفتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر. وكذلك أيضاً لو نشأ في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة

(١) - انظر الاحتجاج للحلواني ١٠٥، وشواهد الشعر في كتاب سيبويه لجمعة ٢٧١ وما بعدها.

وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة، وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يزيد عنها. وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا، لآنا لا نكاد نرى بدويتا فصيحاً. وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه، لم نكده نعدنم ما يُفسد ذلك، ويقدح فيه، وتغض منه» (١)

٥- شواهد وعزوها:

*- لم يكن سيبويه، وشيخه الخليل، والنحاة الأوائل يهتمون اهتماماً كافياً بنسبة الأبيات التي يستدلون بها، بل انصب اهتمامهم بقبول الراوي الفصيح لها، لأن قبوله لها دليل على فصاحتها ودقتها، لذلك نراه في الكتاب ينشد بيتين ثم يقول بعد إنشادهما: (كذلك سمعناهما من الشعارين اللذين قالاهما) (٢) فهو يذكر ما سمعه من الرواة لأنهم الأصل، ثم يذكر أنه سمعها من الشعارين وهو بلا شك يعرف اسميهما، ولكنه لم يذكرهما، لعدم اهتمامه بذلك.

ونراه في أسلوب آخر من أساليبه يتعمد إغفال اسم الشاعر؛ فهو يقول: «والدليل على آتئها جعلا اسماً واحداً قول الشاعر:

وهيَّجَ الحَيِّ مِنْ دَارِ فَظَلَّ لَهُمْ
يَوْمَ كَثِيرِ تَنَادِيهِ وَحَيْهَلَةَ (٣)

(١)- الخصائص لابن جني ٥٢.

(٢)- الكتاب ٦٨٢-٦٩٠.

(٣)- هيَّجهم: فرَّجهم. ودار: واد من حجر. وصف جيشاً سمع به وخيف منه، فانتقل عن المحل من أجله، وبودر بالانتقال قبل لحاقه. والشاهد فيه: (حَيْهَلَةُ) وإعرابه، لأنه جملة اسماً للصوت وإن كان مركباً من شبتين، فهو بمنزلة معد يكرب في وقوعه اسماً للشخص.

والترواي مرفوعة. وأنشدناه هكذا أعرابي^١ من أنصح الناس، وزعم أنه شعر^٢ أبيه، (١) فإذا كان سيبويه راغباً في ذكر اسم الشاعر فسيفادار بسؤال الأعرابي عن اسم أبيه حرصاً منه على نسبته، لكنه لا يهتم باسم الشاعر، لذلك لم يسأل الابن عن اسم أبيه.

وعلى الرغم من عناية سيبويه بروية بن العجاج نراه لا يصرح باسمه، بل يقول: قال الراجز ويسوق شاهداً معروفاً لروية (٢). ومثل ذلك عدم ذكره لاسم امرئ القيس، على الرغم من شهرة الشاهد بشكل يستحيل معه أن يخفى على سيبويه؛ كقوله: «سمعنا من العرب من يقول:

وهل ينعمن من كان في العُصْر الخالي» (٣)

هذه الأمثلة السابقة تدل على أن سيبويه كان على علم بأصحاب الأبيات التي يستدل بها، ولكنه يفضل ذكرهم تقليداً لشيوخه، وترسيخاً لمنهجه.

ولم يترك لنا سيبويه كتاباً بخطه، ولا نسخة مكتوبة في عصره، وهذا ما يترك ظلالاً تحجب عنا روية الشواهد التي ذكرها سيبويه لتمييز بين ما نسبه في كتابه، وما أغفل نسبته، لذلك فإننا لا نستطيع الجزم في هذا الموضوع بل يمكننا أن نتلمس بعض ملامح هذا الأمر من خلال عبارات سيبويه نفسه.

(١) - الكتاب ٣/٣٠٠.

(٢) - انظر الكتاب ١/٢٨٥ (بولاق).

(٣) - عجز بيت لامرئ القيس، وصدره: **ألا عيم صباحاً أيها العطل البالي**. النعشر: الدهر. الخالي: الماضي. والشاهد فيه بناء المضارع من (نعم) على يتعم بالكسر وورود فعل يتعمل نادر، وفتح العين في المضارع جائز. انظر الكتاب ٤/٣٩٤.

فكثيراً ما نرى صاحب الكتاب يستخدم عبارة صريحة فيها الدليل القاطع على أنه نسب هذه الأبيات بنفسه، كأن يقول: (قال جرير)، و(قال الفرزدق)، و(قال طرفة بن العبد)، و(قال رؤبة). وهذه الأبيات لا نشك في أن سيبويه عزاها بنفسه.

ونرى في مواضع أخرى عبارة: (قال الشاعر وهو أبو ذؤيب)، أو (وقال الآخر، توبة بن الحُمَيْر)، أو (ومثل ذلك قول الشاعر وهو عبد بني الحسحاس)، وهي عبارات تدلّ على أن نسبة البيت إلى شاعر معين جاءت في مرحلة لاحقة، أضافها قراء الكتاب ورواته. لذلك فإننا نرى خلافاً في نسبة الشواهد بين نسخة، وأخرى (١) وقد تكون نسخة أفضل من غيرها تبعاً لصاحبها؛ وقد جاء في الكتاب ما يشير إلى ذلك، حيث حكى «أنّ أبا العباس كان لا يكاد يقرئ أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على أبي إسحاق، لصحة نسخته، ولذكر أسماء الشعراء فيها» (٢)

* ونوع آخر من الشواهد نراه في كتاب سيبويه، وهو الشواهد التي اختلفت في نسبتها، وهذا الاختلاف موجود، وقد دلّ عليه دلالة قاطعة النص السابق الذي يبيّن أنّ أبا إسحاق كان ينسب الشعر إلى قائله في نسخته الخاصة، وهي التي وُصِفَت بالصحة، فإذا كانت نسخته موصوفة بالصحة فهذا يعني أن هناك نسخاً غير صحيحة، أو أقلّ صحة. وهذه النعوت هي التي تخلق التباين بين النسخ، وهذا التباين هو الذي يخلق بدوره الاختلاف في نسبة الأبيات.

(١) - ذكر البغدادي أنّ سيبويه لم ينسب شيئاً من الشواهد في كتابه، وإنّ ما نسب فيه إنما هي نسبة حادثة بعده، وإنّ أبا عمر الجرمي هو الذي اعتمى بنسبتها، بدليل قوله: «نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً، فأنا ألف فعرفت أسماء قائلها فألبستها، وأنا خمسون فلم أعرف أسماء قائلها» ومثل عدم نسبة سيبويه للأبيات في كتابه بقوله: «وإنما امتنع سيبويه عن تسمية الشعراء لآته كره أن يذكر الشاعر، وبعض الشعر يروى لشاعرين، وبعضه منحول لا يُعرف قائله لأنه قدم العهد به. وفي كتابه شيء مما يروى لشاعرين، فاهتمت على شيوخه، ونسب الإنشاد إليهم». وقد فتد خالد جمعه في كتابه: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ما زعمه البغدادي معتمداً على أدلة عدته. انظر في ذلك: الكتاب ٩/١، خزنة الأدب للبغدادي ١٧٨/١، شواهد الشعر لجمعه ١٨٣ وما بعدها.

(٢) - الكتاب ٩/١.

ومن أسباب الاختلاف في النسبة استعارة الشعراء بعضهم من بعض؛ من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

صَدَدَتِ الْكَأْسَ عَنَا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (١)

وقد نُسب هذا البيت لعمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش، وذكر أبو العلاء المعري ذلك في رسالة الغفران، ورجح نسبته إلى عمرو بن عدي، وعلق على هذا الاختلاف في النسبة قائلاً: «فلعلَّ عمرو بن كلثوم حشَّ بهما كلامه، واستزادهما في أبياته». (٢) وفي الكتاب أكثر من مثال على هذا النحو (٣).

وقد يكون اختلاف الرواة في نسبة القصائد سبباً من الأسباب التي أدت إلى الخلاف في نسبة الشاهد، لاستيحاء الشعر الجاهلي (٤) من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

بدا ليَ أَنِّي لستُ مُدْرِكٌ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جانيّاً (٥)

فقد نُسب هذا البيت إلى صيرمة بن أبي أنس الأنصاري في أكثر من مصدر، حتى إنه في كتاب سيبويه

(١) - الكتاب ١/٢٢٢.

(٢) - رسالة الغفران للمعري ٢٧٨، وانظر في ذلك الأغاني ٣١٤/١٥، وخزانة الأدب للبندادي ٥١٨/١.

(٣) - انظر في الكتاب بيت ذي الرمة: (أَدَاراً بِحَزْوِيٍّ...) فقد ورد سنسويًا لزهير بن جناب في الأغاني ٣١٠/١٨ (دار الثقافة ببيروت)، وخزانة الأدب ٣١١/١، وكذلك الكتاب ٣٢٤/٢-٣٢٥ قوله: (عَشِيَّةٌ لَا تُغْنِي...) فقد نُسب إلى ضمير بن الأزور، والحسين بن العماد المرزي. انظر شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١٢٨/٢، والمفضليات ٦٤، وخزانة الأدب ٧٠٥/٢ (برواية منصورية الروي).

(٤) - انظر تفصيل ذلك في كتاب ناصر الدين الأسد (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) ٣٢١-٣٣٥.

(٥) - الشاهد فيه (ولا سابقٍ) بالكسر وهو معطوف على معنى مدرك، لأن المعنى: لست بمدركٍ ولا سابقٍ. الكتاب ٣٠٦/١.

نفسه تُسب إلى الاثنين معاً، وفي أماكن مختلفة منه (١)

وقد يكون سبب اختلاف النسبة هو أنّ الشاعرين اللذين تُسب إليهما الشاهد من قبيلة واحدة كان يُنسب إلى المتنخل الهذلي، وإلى أبي ذؤيب الهذلي (٢).

وقد ينسب إلى خمسة شعراء من قبيلة واحدة، كما هو الحال في قوله الشاعر:

وَبَوْمًا تَوَافِينَا بِوَجْهِ مَقْسَمٍ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ (٣)

فقد تُسب إلى باعث بن صريم اليشكري، وعلباء بن أرقم اليشكري، وزيد بن أرقم اليشكري، وكعب بن أرقم اليشكري، وراشد بن شهاب اليشكري، وكلهم من يشكر (٤).

وقد يكون سبب الخلاف في نسبة بيت من الشعر عائداً إلى أن يكون الأب وابنه شاعرين، من

(١) - انظر الكتاب ١/١٦٥، ٣٠٦، ١٥٥/٢، ٢٩/٣، ٥١، ١٠٠، ١٦٠/٤، وانظر شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٥٤ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٨٢، وخزانة الأدب ٣/٦٦٦، وديوان زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلام للشتتري ١٦٣ تح: فخر الدين قباوة حلب ١٩٧٠.

(٢) - انظر الكتاب ٢/٨٩، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٣٨٥، والحيوان للجاحظ ٥/٢٨٥، والبيان والتبيين للجاحظ ١/١٧، ولسان العرب (برز).

(٣) - يذكر امرأته ويتعنتها بانها حسنة الوجه. ثوانينا: ثاني وتزورنا، والمُقْسَم: الجميل كله، كان كل موضع منه حاز قسماً من الجمال. تعطو إليه: تتناول إليه لتناول منه. والوارق: المررق؛ والسلم: شجر له زهرة صفراء طيبة الريح، تاكلها الطيما.

والشاهد فيه رفع (ظبيَّة) على الخبر لكان المخففة، واسمها ضمير الشأن المحذوف. الكتاب ٢/١٣٤-١٣٥.

(٤) - انظر الإنصاف للأنباري ٢٠٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٨٣، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١١١، ومع الهوامع ٢/١٨، وخزانة الأدب للبغدادي ٤/٣٦٤، ٤٨٩، ولسان (تسم).

ذلك قول سواده بن عدي:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءُ نَقَصَ الموتُ ذا الغني والفقير (١)

فقد نُسب البيت إلى الشاعر سواد بن عدي، وإلى أبيه عدي بن زيد في عدة مصادر (٢)، أشار بعضها إلى الخلاف في النسبة، ولا يقتصر هذا السبب على مثال واحد في كتاب سيبويه، بل وردت أمثلة كثيرة، من ذلك ما نسب إلى زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وإلى ابنه سعيد بن زيد (٣)، وإلى فضالة بن شريك وابنه عبد الله (٤)، وإلى حستان بن ثابت، وابنه عبد الرحمن (٥)، وإلى العجاج وابنه روية (٦) وهناك أسباب أخرى كأن يكون البيت من الكلام السائر الذي تتداوله الألسن، أو بسبب العجلة، والخطأ، أو غيرها من الأسباب التي لا نجد هنا فائدة من ذكرها (٧).

- (١) - الشاهد فيه إعادة الاسم الظاهر بدلاً من الضمير في (لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء). وفيه تباع لوقوعه في جملة واحدة. الكتاب ١/٦٢.
- (٢) - انظر شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٨٧، وشرح شواهد المغني للسيرافي ٨٧٦، وخزانة الأدب للبغدادي ١/١٨٣.
- (٣) - انظر الكتاب ٢/١٥٥، ٣/٥٥٥، والبيان والتبيين للجاحظ ١/٢٣٥، وخزانة الأدب للبغدادي ٣/٩٧-١٠١.
- (٤) - انظر الكتاب ٢/٢٩٦-٢٩٧ (حاشية)، والأغاني للأصفهاني ١/١٥-١٦، ١١/٧٢، ٧٧، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢/٣، وخزانة الأدب للبغدادي ٢/١٠٠.
- (٥) - المقتضب للمبرد ٢/٧٢، ومغني اللبيب لابن هشام ٥٨، وخزانة الأدب للبغدادي ٣/٦٤٤، ديوان حستان بن ثابت ١/٥١٦ تبع وليد عرفات ١٩٧٤م.
- (٦) - انظر الكتاب ٢/٣٠٣-٣٠٤ (حاشية)، وفهرس شواهد سيبويه للنفاخ ٧٨ وانظر الكتاب ٢/٣٧٤-٣٧٥ (حاشية)، وخزانة الأدب ٢/٤٤٢، ثم الكتاب ٢/٣٨٤ (حاشية)، ٣/٢٤٥ (حاشية) وانظر أمثلة أخرى وردت في شواهد الشعر في كتاب سيبويه لخالد جمعة ٢٠٢-٢٠٣.
- (٧) - انظر في ذلك المصدر السابق ٢٠٤-٢١٣.

ومما سبق نصل إلى بعض الملامح في شواهد سيبويه الشعرية، بعد استقراء لما أورده (١) فقد بلغ عدد الشواهد المنسوبة في كتابه نسبة لا خلاف فيها خمسمائة وسبعة وستين شاهداً. وبلغ عدد الشواهد التي نسبها سيبويه، لكن العلماء بعده خالفوه في نسبتها مائة واثنين وسبعين شاهداً، وبلغ عدد الشواهد التي لم ينسبها سيبويه في كتابه لكنها وجدت منسوبة في كتاب (٢) أخرى على غير اختلاف في نسبتها مائة وأربعة وثلاثين شاهداً، وبلغ عدد الشواهد التي لم ينسبها سيبويه في كتابه ووجدت منسوبة في مصادر أخرى على اختلاف في نسبتها خمسة وسبعين شاهداً. وهناك مائة وثمانية شواهد مازالت مجهولة القائل.

ولابد من الإشارة إلى أن ما نُسب في متن (الكتاب) من الشواهد الشعرية لا يمكن الفصل فيه بين ما نسب سيبويه نفسه، وبين ما نسب العلماء الذين جاؤوا بعده وقرؤوا في (الكتاب) وأضافوا أسماء بعض الشعراء، وهذا ما خلق تداخلاً في نسبة هذه الطائفة من الشواهد، لا حيلة لنا في فصلها.

٦- استدلاله بأبيات مصنوعة:

على الرغم من الاهتمام الكبير الذي لقيه الكتاب من كل نحوي جاء بعده، فإنه لم يخل من إشارات إلى أن بعض الأبيات التي استدلت بها سيبويه كانت موضوعة؛ فقد ذكر ذلك السيوطي فقال:

(١) - إن الأرقام التي سنذكرها قد لا تكون دقيقة، وهذا يعود إلى نسخ الكتاب وطبعاته، والمخطوطات المعتمدة في كل طبعة، وما تحويه من خلاف مرده إلى إضافات للقراء والطلبة.

(٢) - أهم الكتب التي اهتمت بنسبة الشواهد بشكل عام، الأغاني، شرح أبيات سيبويه لابن السيراني، تحصيل هين النعمب للأعلم الشنمري، لسان العرب لابن منظور، المقاصد النحوية للعيني، شرح شواهد المغني للسيوطي، خزنة الأدب للبغدادي وغيرها من الكتب انظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه لخالد جمعة ٢١٥.

«وقد وضع المؤلِّدون أشعاراً، ودسّوها على الأئمة، فاحتجوا بها ظلماً أنّها للعرب، وذكر أنّ في كتاب سيبويه منها. خمسين بيتاً» (١)

وقد بلغ عدد الشواهد التي نُصِّحَ على أنها موضوعة ستة أبيات (٢)، منها ما أشير إلى وضعه في متن الكتاب، ومنها ذكر أمره في الحاشية؛ وعلى ذلك فإن هذه الأبيات تقسم أربعة أقسام:

أ- ما نُسب وضعه إلى الشعراء سواء أذكر اسمه، أم اسمُ قبيلته، وهو قوله:

أَسْقَدَ بَنَ مَالٍ أَلَمْ تَعْلَمُوا وَدُو الرُّأْيِ مَهْمَا يَقُولُ يَصْدَقُ (٣)

وجاء قبل هذا البيت: «وقال، وهو مصنوع على طرفة، وهو لبعض العباديين» (٤)

ب- ما نُسب وضعه إلى النحويين بشكل عام، من دون تحديد اسم نحويّ، وهو قوله:

إِذَا مَا الْخَيْرُ نَادِيَهُ بِلَحْمٍ فَذَلِكَ أَمَانَةُ اللَّهِ التَّوَهُدُ (٥)

فقد قدّم على البيتِ قوله: «وقال الآخر، ويقال وضعه النحويون» (٦)

(١)- الاقتراح ٦٠ (القاهرة ١٩٢٦م).

(٢)- ورد في مصادر أخرى أنّ خمسة أبيات أخرى مصنوعة، لكنني ضربت عنها صفحاً، واكتفيت بما ورد في الكتاب وحواشيه من تحقيق هارون. انظر تلك الأبيات في شواهد الشعر في كتاب سيبويه لخالد جمعة ٢٢٦-٢٣٧.

(٣)- سمعنا بن مالك حياً من بكر بن وأئل، وهم رهط طرفة، والشاهد فيه ترخيم (مالك). الكتاب ٢/٢٥٥.

(٤)- المصدر السابق ٢/٢٥٥.

(٥)- نأديه: تخلطه. ونصب (أمانة الله) بإسقاط حرف الجرّ. ومعناه أحلف بأمانة الله. والشاهد فيه: نصب (أمانة الله) على نزع الخافض وهو حرف القسم. انظر الكتاب ٣/٩١، ٤٩٨.

(٦)- المصدر السابق ٣/٩١.

ج- ما أشير إلى أنه مصنوع من غير تحديد، وهو قوله:

هُمُ الْقَاتِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَ إِذَا مَا خَشَوْا مِنْ مُحَدَثِ الْأَمْرِ مُعْظَمًا (١)

فقد ذكر قبله <<وقد جاء في الشعر، وزعموا أنه مصنوع>> (٢).

د- ما أشير إلى أنه مصنوع في الحاشية لا المتن، وهي ثلاثة أبيات:

* الأول:

حَذِرْ أَمْوَرًا لَا تُخَافُ وَأَمِينٌ مَا لَيْسَ مِنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ (٣)

فقد أورد سيبويه هذا الشاهد من دون عزو، لكنه ذكر في حاشيته أنه <<يروى عن اللاحقي (٤)>>

أنه قال: سألت سيبويه عن شاهد في تعدي (فَعِلَ) فعملت له هذا البيت <<(٥)>>

ومما يُضَعِّفُ الطعن على هذا الشاهد أن سيبويه أورد شاهداً آخر على إعمال (فَعِلَ) (٦).

* والثاني:

هَلْ أَنتَ بَاعِثٌ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدٌ رَبِّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْوَالٍ (٧)

(١)- محدث الأمر: حادثه، والمُعْظَمُ: الأمر بعظم دفعه. والشاهد فيه الجمع بين النون والضمير في (الأمرونه) الكتاب ١٨٨/١.

(٢)- المصدر السابق ١٨٨/١.

(٣)- يصف إنساناً بالجهل وقلة المعرفة، وأنه يحذر ما لا ينبغي أن يحذر، ويأمن ما لا يصرح أن يصرح. وإعمال (فَعِلَ) منذهب لسببويه؛ لأنه عنده محوّل من (فاعل) المتعدي فيعمل عمله قياساً على فعول، وفعل. انظر الكتاب ١١٣/١.

(٤)- هو أبان بن عبد الحميد اللاحقي الرقاشي. كان أبو جده من سوالي بني رقاش، وهم من بكر بن وائل. انظر خزنة الأدب ٤٥٦/٣-٤٥٨.

(٥)- الكتاب ١١٣/١، والمزهر للسيوطي ١٨٠/١.

(٦)- انظر الكتاب ١١٢/١.

(٧)- الاستفهام هنا للمحت، وباعث: موقظ، أو مرسل. ودينار، وعبد رب: رجلان. وأراد عند ربه ولكنه ترك الإضافة، وهو يريد بها. والشاهد فيه: نصب (عبد رب) محلاً على موضع (دينار). انظر الكتاب ١٧١/١.

وذكر أنه مصنوع بعد أن نُسب إلى أكثر من شاعر (١)

* والثالث:

ومنهلٍ ليس له حوادِقُ ولضفادي جمّه نقانقُ (٢)

وذكر أنه مصنوع لخلف الأحمر (٣)

ولا يُستبعد أن تكون الإشارات التي وردت في متن الكتاب، والتي تدلّ على صنع بعض الأبيات مكتوبةً من قبل بعض قراء الكتاب آنذاك أو من زيادات بعض الأئمة، لكنها وعلى الرغم من قيل في هذا الأمر قليلة جداً إذا ما قورنت بما تضمنه الكتاب من شواهد، وهي نسبة لا تنال من قيمة الكتاب شيئاً.

ومن الأمور الملاحظة أنّ العبارات التي تدلّ على صنعة الأبيات لا يُركّز إليها بشكل كامل لما فيها من ضعف يدلّ على أنّ سببوه لا يمكن أن يستدلّ بأبيات مصنوعة، لا سيما أنه يأخذ شواهد عن شيوخه، وعن الرواة الذين لا يرقى إليهم شك في الأمانة والفصاحة.

(١) - انظر الكتاب ١/١٧١، وانظر المقاصد النحوية للعيني ٣/٦٥٣، خزانة الأدب للبغدادي ٣/٤٧٧.

(٢) - المنهل: المورد. والحوادق: الجماعات، وأحدثها حريقة، فجمعها جمع فاعلة كأنّ أحدثها حازقة، والجمع قد يُبنى على غير واحد. والضفادي: الضفادع، بالإبدال. والجمّ: جمع جنة، وهي معظم الماء ومجتمعته. والنقانق: أصوات الضفادع، وأحدثها نقنفة. والشاهد فيه إبدال الياء من العين في الضفادع للضرورة. لأن الوزن يقتضي إسكان الياء. الكتاب ٢/٢٧٣.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢/٢٧٣، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/٢٤، ٢٨. ولسان العرب (حزق).

ما من شك في أنّ القيود التي تحكم الشعر هي التي أوجدت ما يُعرف بـ (الضرورة) فالشعر محكوم بالوزن، والقافية وهذا ما يقيد الشاعر بقيود لا يرى الناثر ملزماً بها.

وزعم بعض العلماء (١) أنه لا مبرر للضرورة أبداً، لأنه بالإمكان تغيير التركيب واللجوء إلى تركيب آخر يوافق لغة العرب وقواعدهم. وردّ على ذلك كثيرون وبيّنوا «أنّ العرب قد تلزم الضرورة في الشعر في حال السعة، أنسا بها، واعتياداً لها، وإعداداً لها لذلك عند وقت الحاجة إليها، ألا ترى إلى قوله:

قد أصبحت أمّ الخِيارِ قَدَّاعي عليّ ذنباً، كلُّه لم أصنع

فرفع للضرورة، ولو نصب لما كسر الوزن، وله نظائر، فكذلك قال: (فَيَدْنُ مَنِّي) وهو قادر على أن يقول: (فَيَدْنُ مَنِّي) لما ذكرت. (٢)

أنا سيبويه فإن لم يُفرد باباً خاصاً للضرورة، لكنّه تحدّث عنها في مواضع مختلفة من الكتاب إضافة إلى بعض عناوين الأبواب التي تحوم حول (الضرورة) نفسها، فقد أفرّد باباً تحت عنوان:

(١) - انظر خزانة الأدب للبغدادي ١٤/١، والضرائر لمحمود شكري الألويسي ٦ المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ.

(٢) - الخصائص لابن جني ٣٠٣/٣، ويقصد نصب (كله) والبيت لأبي النجم، الكتاب ٨٥/١ أما (يدن) فالمقصود قول

الشاعر:

من كان لا يزعم أنّي شاعرٌ فَيَدْنُ مَنِّي تَنْهَهُ المَواجِرُ

انظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه لخالد جمعة ٤٣٦.

(هذا باب ما يحتمل الشعر)، وآخر تحت عنوان (هذا باب ما رُخِّمَت الشعراءُ في غير النداء اضطراراً)، وثالثاً تحت عنوان (هذا باب ما يجوز في الشعر من (إيّا) ولا يجوز في الكلام (١٧))

الضرورة عند سيبويه شيء خاص بالشعر، لأن كلَّ الأمثلة التي أوردها، وتحدثت فيها عن الضرورة، كانت شعراً، واستبعد في حديثه عن الشواهد تلك كلَّ الروايات التي تبعدها عن مجال الضرورة في حال ذِكْرِها، من ذلك أنه أنشد قول عامر بن جوين الطائي:

فلا مَزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا ولا أرضَ أَبْقَلَ إِبْقَالِهَا (٢)

وقد روي هذا البيت برواية أخرى تُسَعِفُ الشاعر في الخروج من الضرورة إلى ما يجوز في الكلام، وهذه الرواية هي:

فلا مَزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا ولا أرضَ أَبْقَلتِ إِبْقَالِهَا

ينقل حركة الهمزة إلى التاء التي قبلها وإسقاط الهمزة، عندها لا مجال للضرورة (٣)

فهو يرى أنّ (ما يجوز في الشعر)، و(ما يجوز في الاضطرار) عبارتان توديان معنى واحداً، مستبعداً بذلك الضرورة من النشر.

(١) - انظر الكتاب ٢٦١/٢، ٢٦٩/٢، ٣٦٢.

(٢) - يصف أرضاً مخصصة لكثرة الغيث، والمزنة: واحدة المزن، وهو السحاب يحمل الماء. والودق: المطر. وأبقلت: أخرجت البقل. وهو من النبات ما ليس بشجر. والشاهد فيه حذف التاء من (أبقلت) لضرورة الشعر، ويسوّفه أنّ الأرض بمعنى المكان. الكتاب ٤٦٢.

(٣) - انظر ما يجوز للشاعر في الضرورة للفرّاز الفيرواني ١٢٣ نج: المنجي الكعبي. تونس ١٩٧١، وانظر خزانة الأدب للبهفاددي ٢١١/١. انظر الكتاب ٤٦٢ (حاشية).

والظاهرة الواحدة عند سيبويه إذا كانت في الشعر فهي ضرورة كما بينا، وإذا كانت في النثر فهي قبح؛ يقول سيبويه: «وَأَمَّا مَا يَقْبَحُ أَنْ يَشْرَكَ الْمَظْهَرُ فَهُوَ الْمُضْمَرُ فِي الْفِعْلِ الْمَرْفُوعِ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: فَعَلْتُ وَعَبَدْتُ اللَّهَ، وَأَفْعَلْتُ وَعَبَدْتُ اللَّهَ..... وقد يجوز في الشعر، قال الشاعر:

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزَهْرٌ تَهَادَى كِنِجَاجِ الْمَلَا تَعَسَّفَنَ وَمَلَا» (١)

ومن ذلك الفصل بين المضاف والمضاف إليه، فإذا كان في النثر فهو قبح، وإذا كان في الشعر فهو ضرورة، وفي ذلك يقول سيبويه: «وهذا يجوز في الشعر؛ لأنَّ الشاعر إذا اضطرَّ فصلَّ بين المضاف والمضاف إليه. قال الشاعر، وهو ذو الرمة:

كَانَ أَصْوَاتٌ مِّنْ إِيفَالِهِنَّ بَنَى أَوَاخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ» (٢)

ويرى سيبويه أنَّ الشاعر في ابتعاده عن الشائع من لغة العرب، وبقائه في مجال الضرورة الشعرية، لا يصحُّ كلامه ما لم يُفَسَّحَ على كلام العرب المنشور. أي أنه لا بُدَّ من توجيه الضرورة توجيهها قياسياً؛ وفي ذلك يقول سيبويه: «أعلم أنَّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف،

(١) - زهر: جمع زهراء، أي بيضاء مشرقة. تهادي: تنهادي، تمشي المشي الرويد الساكن. والنجاج: بقر الوحش، شبه النساء بها في سعة عيونها، وسكون مشيتها. تعسفن: سرن بغير هداية، ولا توطئ صواب. وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيها لصعوبة ذلك. والملا: الغلاة الواسعة. والشاهد فيه عطف (زَهْرٌ) على الضمير المستتر ضرورة، والوجه أن يقال: أقبلت هي وزهرٌ، بتأكيد الضمير المستتر، ليقوى، ثم يعطف عليه. الكتاب ٣٧٩/٢.

(٢) - يقال: أوغل في الأرض، إذا أبعدها فيها، بمعنى الإبل، والأواخر: جمع أخرة الرجل، وهي العمود في آخره يستند إليه الراكب. والميس: شجر يتخذ منه الرحال. والفرايح: صنار الدجاج، والشاهد فيه الفصل بالجار والمجرور بين المضاف والمضاف إليه، وهو (أصوات أواخر) فصل بينهما (من إيفالهن بنى) الكتاب ١٢٩/١ وانظر ١٥٤/٢، ٣٥٧ ففيه مسائل يجعلها في النثر قبحة، وفي الشعر جائزة.

يُشَبَّهونَهُ بما ينصرف من الأسماء لانتها أسماء كما انتها أسماء، وحذف ما لا يُحذف يشبهونه بما قد حُذِف، واستعمل محذوفاً» (١) ثم يقول: «وليس شيء يُضطرُّون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً» (٢). فالضرورة عند سيبويه ليست مخالفةً مطلقة لما عهد من كلام العرب؛ بل لا بد من وجود حدود لا يمكن تجاوزها، لأن تجاوزها يُدخل الشعر في مجال الخطأ. وهذه الحدود هي أن يكون للكلام وجه من وجوه العربية مطابق لما ذكره الشاعر، ويتضح هذا في أمثلة كثيرة منها: «قد قال الشعراء: (ليتني) إذا اضطرَّوا، كأنهم شبهوه بالاسم حيث قالوا: الضاربي، والمضفرُ منصوبٌ. قال الشاعر زيد الخيل:

كَمُنِيَةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتَنِي أَصَادِفُهُ وَأَفْقَدُ جُلَّ مَالِي» (٣)

ومن ذلك قوله: «وقد جاء في الشعر: قَطِي وقُدِي. فأتا الكلام فلا بد فيه من النون، وقد اضطرَّ الشاعر فقال قُدِي، شبهه بحَسَنِي؛ لأن المعنى واحد. قال الشاعر:

قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمَلْحَدِ» (٤)

(١) - الكتاب ٢٦٠/١.

(٢) - المصدر السابق ٣٢٠/١.

(٣) - المُنِيَّة: واحدة المني، ما يتمناه المرء. وجابر: رجل من غطفان سُمِّي أن يلقى زيدا ليفتله كما تمنى قبله مَزِيد أن يلقى زيدا، فتشابهت مناهما. والشاهد فيه حذف نون الوقاية مع ضمير المنصوب في (ليتني)، وكان الوجه ليتني، كما تقول: ضربني. فشبه (ليت) في الحذف ضرورة بل إن)، و(لعل)، إذا قلت: إني ولعلي. الكتاب ٣٧٠/٢.

(٤) - الْخُبَيْبَان، بهيئة التصغير، هما عبد الله بن الزبير - وكنيته أبو حُبَيْب - ومصعب أخوه، غلبه عليه لشهرته. وقُدني: أي حسبي وكفاني؛ والمعنى: حسبي من نصرة هذين الرجلين، أي لا انصرهما بعد. وقُدِي الثانية تركيد، والإمام تعريض بعبد الله بن الزبير لأنه كان شجاعاً بغيلاً. الملحد، يعني الذي استحلَّ حرمة البيت وانتهكها. والشاهد فيه حذف النون من (قُدِي) تشبيهاً بحسبي، وإثباتها هو المستعمل لأنها في بنائها ومضارعة الحروف بمنزلة (من)، و(عن)، فنلزمها نون الوقاية لتلا بغير آخرها عن السكون. الكتاب ٣٧١/٢.

ولعل أوضح مثال يبين ما ذهبنا إليه من أنّ الضرورة عند سبويه لا بدّ أن يكون لها وجه تقاس عليه قوله: «إلاّ أنّ الشعراء إذا اضطروا أضمرُوا في الكاف، فيجرونها على القياس. قال العجاج:

وَأَمَّ أَوْعَالَ كَمَا أَوْ أَقْرَبَا (١)

وقال العجاج:

فَلَا تَرَى بَعْلًا وَلَا حَلَالًا كَمَّ وَلَا كَهْنًا إِلَّا حَاظِلًا (٢)

شبهوه بقوله (لّة) و(لهنّ)» (٣) ومثل ذلك يتكرّر في الكتاب (٤)

من خلال الأمثلة السابقة التي مرّت يظهر لنا أنّ الضرورة الشعرية عنده ترجع إلى المشابهة بين الضرورة وغيرها ممّا يجوز في الكلام المنشور، أو هي استخدام للأصل المهجور، وهذا ما جعله يصنفها

(١) - يذكر حمار وحش يسرع إلى ورود الماء ويقطع البلاد. وقيل:

نَحَى الدَّنَابَاتِ شَمَالًا كَتَبَا

وأم أوعال: هضبة، والدنابات: اسم موضع بعينه، و(شمالاً) أزد ناحية الشمال، و(كتبا) أي قريباً. يصف حمار وحش رأى سياداً ففرّ منه. والشاهد فيه دخول الكاف على الضمير ضرورة، تشبيهاً لها بلفظ (مثل) لأنها في معناها. الكتاب ٣٨٤/٢.

(٢) - يصف حماراً وأثنه. والبعل: الزوج. والحليلة: الزوجة. والعازل والعاضل سواء، وهو المانع من التزويج: لأنّ الحمار يمنع أثنه من حمار آخر يريدهنّ. يعني أنّ تلك الأثمنّ جذبرات بأنّ يمنعهنّ هذا الحمار. والشاهد فيه قوله (كه)، و(كهنّ)، ودخول الكاف على الضمير ضرورة. الكتاب ٣٨٤/٢.

(٣) - المصدر السابق ٣٨٤/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ٧/٣، ٦١.

بأنها من باب ردّ الأشياء إلى أصولها (١) وأنّ الكلام عنده يكون ثلاثة أقسام:

- فصيح يجوز في الشعر والنثر.
- غير فصيح يُؤول بأصل من أصول كلام العرب، ويقاس عليه.
- لحن لا يصح في شعر أو نثر، لأنّه لا مثيل له في كلام العرب.

(١) - انظر في ذلك كلام علي (بخ) ٤٥٣/٣. وعلى (الإضافة) ٥٠٥/٣. وعلى (جزم الفعل المضارع) ٣١٦/٣. وعلى (التصغير) ٣١٤/٣. وعلى (الاسم المنقوس) ٣١٣/٣. وعلى (الإدغام) ٥٣٥/٣. وانظر شواهد الشعر في كتاب سيبويه لعالم الجمعة ٤٧٩.

- المسائل النحوية في استدلال سيبويه بالشعر -

إذا كان استدلال سيبويه قد أخذ أبعاداً نحوية من خلال استدلاله بالقرآن الكريم، فإنّ هذه الأبعاد تظهر بشكل جليّ من خلال استدلاله بالشعر؛ لأنّ الشعر هو المرآة الحقيقية للغة العرب، وهو الأقدم، والأقدر على تصوير لغة العرب قبل قرون عديدة من ظهور الإسلام، وهذه القدرة التي يتمتع بها الشعر جعلت سيبويه وكثيراً من النحاة غيره يولونه المكانة الأولى من حيث الوفرة في الاستدلال به لذلك نرى في الكتاب أنّ الاستدلال بالشعر فاق الاستدلال بالقرآن ثلاث مرات تقريباً.

أما طبيعة المادة النحوية بين الاستدلال بالشعر من جهة وبالقرآن الكريم من جهة أخرى فهي لا تختلف اختلافاً كبيراً؛ لأنّ سيبويه في معظم تناولاته النحوية كان يعاقب بين الشعر والقرآن الكريم، وقليلاً ما نراه يستدل بالقرآن من دون الشعر، أو يستدل بالشعر من دون القرآن، وذلك في مواضع سنشير إليها في حينها.

وعلى غرار استدلاله بالقرآن الكريم فقد كان استدلاله بالشعر لما خالف الأصول بارزاً بوضوح من خلال تناولاته النحوية من غير إهمال لهذه الأصول؛ فهو في الأولى يتكلم على ما خالف الأصول لأمر معنوي، أو لأسلوب فني، أو لأمر لفظي، أو بالحذف، أو بمخالفة السماع، وغيرها من التناولات النحوية، وفي الثانية يتكلم على الأصول كعمل المصدر، وبالفعل اسم الفاعل، والاشتغال. إضافة إلى قضايا نحوية مختلفة كاستدلاله على الجيد من كلام العرب، وعلى القليل، وعلى الضعيف، وغير ذلك من الملامح البارزة في كتابه.

١- الخروج على الأصل:

استدلّ سيبويه بالشعر على ما خالف الأصول النحوية بأكثر من نصف الشواهد التي وردت في الكتاب ولعل ذلك دليل على أنّ الشعر أتى في المقام الأول من حيث استدلال النحاة به، ويظهر استدلاله لما خالف الأصول في مواضع كثيرة؛ فقد يكون ذلك لأمر معنوي، أو لأسلوب فني، أو لأمر لفظي، أو بالحذف، أو بمخالفة السماع، أو شذوذاً، أو للضرورة الشعرية، أو للاستخفاف، أو لبيان الأحسن من لغة العرب، أو لبيان القليل والنادر والفريب، أو لبيان القبيح، أو لعدم اللبس، أو لنيابة اللفظ، أو لتنزع الخافض، أو لصرف الممنوع من الصرف، أو للإلغاء، أو للتوقم، أو للمشابهة، أو للفصل، أو لقطع، أو للجواز، أو للاتساع أو للنية، أو في اختلاف اللفظين، وقد يكون الخروج على الأصل فيما يتعلق ببنية الكلمة الصرفية.

١- الأمر معنوي:

قد يأتي الخروج على الأصل من خلال المعنى المقصود من غير أن يلتفت إلى اللفظ؛ من ذلك ما نقله سيبويه من قول الشاعر:

هل تعرف الدارَ يُعَقِّبها المورُ والدجّن يوماً والتجاج المهورُ

تكلّ ريجٍ فيه ذيلٌ مسفورٌ (١)

(١) - يُعَقِّبها: يطمس آثارها. والمور، بالضمّ: الغبار بالريح. والدجّن، بالفتح: إلباس النجم السماء. والتجاج: الفبار. والمهور: المنسكب؛ تهمره الريح. مسفور: مكنوس. والمسفرة، المكتسة، وكان الوجه أن يقول ذيل مسافر. لأنه يسفر التراب، ولكنه بناء على مفعول لأنه بمعنى مسفور به. والشاهد فيه: تذكير الضمير في (فيه) لأنّ (الدار) جاءت بمعنى (المنزل). والمنزل مذكّر. الكتاب ١٨٠/٢.

فقد قال: (لكل ربح فيه)، والضمير في (فيه) يعود على (الدار)، وهو ضمير مذكر يعود على اسم مؤنث، وهذا خروج على الأصل في وجوب المطابقة بين الضمير وما يعود عليه، وقد استدل سيبويه على جواز الخروج على الأصل إذا كان ما يعود عليه الضمير يتضمن معنى آخر موافقاً لهذا الضمير، وقال سيبويه: «فقال (فيه) لأن الدار مكان، فحمله على ذلك.» (١)

ويذكر سيبويه أيضاً في باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء أنه يضاف إليها أسماء الدهر ويستدل لهذا الأصل بآيات كريمة وأمثلة (٢) ثم نراه يستدل لما خرج على هذا الأصل بقول الأعمش (٣)

بَابِ تَقْدَمُونَ الْخَيْلَ شَعْتًا كَأَنَّ عَلَى سِنَابِكِهَا مَدَامًا (٤)

ويُجيز هذه المخالفة بإضافة (آية) إلى الجملة الفعلية - وهو مما يخرج على الأصل - لأن (آية) تضمنت معنى الوقت، فكأنه قال: بعلامة وقت تقدمون الخيل (٥) وهذا استدلال من سيبويه على ما خالف

(١) - الكتاب ١٨٠/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ١١٧/٣.

(٣) - لم يُنسب إلى الأعمش إلا في الكتاب. انظر الكتاب ١١٨/٣.

(٤) - أي أبلغهم عتي كذا بعلامة إقدامهم الخيل للقاء شعنا متغيرة من السفر والجهد. وشبه ما يسيل من عرقها ممزجاً بالدماء على سنابكها بالمدام، وهي الخمر. والسنابك: جمع سنبك، وهو مقدم الحافر. والشاهد فيه: إضافة (آية) إلى الفعل (تقدمون)، وكان إضافة على تأويل معناها بمعنى الوقت، فكأنه قال: بعلامة وقت تقدمون الخيل. انظر الكتاب ١١٨/٣.

(٥) - المصدر السابق (حاشية) ١١٨/٣.

* فالأصل أن تحافظ الكلمة على حروفها، من غير حذف إلا إذا كان الحذف في مواضع محددة كالنداء مثلاً، ويستدل سيبويه على مخالفة هذا الأصل بقول أبي النجم:

فِي لَجَّةٍ أَمْسِكُ فَلَانًا عَنْ فُلٍ (١)

فقد وقع الحذف في (فُلٍ) للضرورة، والأصل أن يقول (عن فلان) (٢)

* ومنه حذف الياء من آخر الاسم العلم المعرف بال ضرورة الشعرية، ويستدل بقول لبيد (٣)

وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْمٍ شَاهِدٌ رَهْطٌ مَرْجُومٌ وَرَهْطُ ابْنِ الْمَكَلِّ (٤)

فالأصل أن يقول (المكلى) لكنه قال: المكل ضرورة (٥)

(١)- اللجّة: اختلاط الأصوات في الحرب. أمسك فلاناً عن فل، أي خذ هذا بدم هذا، والشاهد فيه استعمال (فل) موضع (فلان) في غير النداء ضرورة؛ وفي ذلك تقديران: أحدهما أن يكون قد أراد: عن فلان، فعذف النون للتخفيف في غير نداء، ثم حذف الألف لأنها زائدة. والآخر أن يكون نقله محذوفاً من قولهم: يافل، للضرورة. انظر الكتاب ٢٤٨/٢-٢٤٩، وخراتة الأدب ٤٠١/١، وجمع الهوامع ١٧٧/١.

(٢)- انظر الكتاب ٢٤٨/٢.

(٣)- ديوان لبيد ١٩٩، الخصائص ٢٩٣/٢، مع الهوامع ٢٠٦/٢، لسان العرب (رجم).

(٤)- القبيل: القبيلة، ولُكَيْمٌ: ظلم، وشاهد بمعنى: حاضر، ومرجوم: نعت لرجل. وابن المكلى: هو جد الجارود بن بشير بن عمرو بن المكلى. والشاهد فيه: حذف ألف (المكلى) في الوقف للضرورة تشبيهاً بما يحذف من الياءات في الأسماء المنقوصة نحو غازٍ وقاضٍ، وهذا من أقبح الضرورات: لأن الألف لا تستثقل كما تستثقل الياء والنواو. الكتاب ١٨٨/٤-١٨٩.

(٥)- انظر المصدر السابق ١٨٨/٤.

* ومنه ما نقله من قول عامر بن جوثين الطائي:

فلا مَرْنَةٌ ودَقَّتْ ودَقَّهَا ولا أرضَ أبْقَلٍ إِبْقَالِهَا (١)

فقد حذف التاء من (أبقل) لضرورة الشعر والأصل قوله: (أبقلت إبقالها).

* ومنه أن الأصل في اسم (لا) النافية للجنس أن يكون مبنياً على ما يُنصب به ولا ينون، ويستدل سيبويه على ما خالف الأصل، بقول أنس بن العباس:

لا نَسَبَ اليومَ ولا خَلَّةَ اتَّسعَ الخرقَ على الراقع (٢)

وقد ذكر أن تنوين (خَلَّة) جاء على الاضطرار (٣). ومثل ذلك كثير (٤).

(١) - المَرْنَةُ واحدة المزن وهو السحاب يحمل الماء، والودق: المطر. وأبقلت: أخرجت البقل، وهو من النبات ما ليس بشجر والشاهد فيه: حذف التاء من (أبقلت) لضرورة الشعر، ويسوّف أن الأرض بمعنى المكان. الكتاب ٤٦٢/٢ والخزانة ٢١١/١، ٣٣٠/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٤/٥، ومع السهواج ١٧١/٢.

(٢) - الخَلَّة (بالضم): الصداقة؛ يقول: لا نسب ولا قرابة اليوم بيننا وقد تفاقم الأمر، فهو كالخرق الواسع في الثوب لا يقبل رقع الراقع. والشاهد فيه: نصب المعطوف وتنوينه على إلغاء (لا) الثانية، وزيادتها تأكيداً للنفي، وتقديره: لا نسب وخلة اليوم. انظر الكتاب ٢٨٥/٢، ٣٠٩.

(٣) - المصدر السابق ٣٠٩/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ١٧٨/١، ١٧٩، ٢٠٨، ٣٠٢، ١٦٢/٢، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨.

٢٧٨، ٣٠٩، ٣٦٢، ٣٧٩، ٣٨٤، ٨/٣، ٩، ٣٩، ٤٠، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ١١٥، ١٤١، ١٥٩، ١٦٠.

١٦١، ١٧٤، ١٧٥، ٢٨٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٥٤، ٥٥٥، ٦٣٣، ١٧٠/٤، ١٨٨.

وهي الأساليب التي لا تنطوي تحت جناحي القاعدة (١) لأمر فني، وهي مواضع كثيرة في الكتاب حاول سيبويه من خلال استدلاله بها أن يكشف لنا أن الأساليب الفنية الخاصة في شعر العرب قد تكون هدفاً لترك الأصول بما يعود على لفتنا بخصائص جمالية تتفرد بها من ذلك:

* نقل سيبويه عن خليل أن العرب يوجبون المطابقة بين المبتدأ والضمير الذي يعود عليه في جملة الخبر، وهذا التطابق يكون في العدد والجنس والنوع (٢) فإذا كان المبتدأ متا لا يعقل جاء الضمير الرابط مطابقاً له، إلا إذا نُزِلَ ما لا يعقل منزلة العاقلين؛ ويستدل سيبويه على ذلك بقول النابغة الجعدي:

شربتُ بها والديكُ يدعو صباحةً إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا (٣)

ثم يعلل جواز مخالفة هذا الأصل بقوله: «فجاز هذا حيث صارت هذه الأشياء عندهم تُؤمَرُ وتُطبعُ، وتفهم الكلام، وتعبُد، بمنزلة الأدميين.» (٤)

(١) - انظر نظام الجملة ٩١.

(٢) - انظر الكتاب ٣٦٢ وما بعدها.

(٣) - وصف خمراً باكرها بالشرب عند صباح الديك. وبنو نعش، أراد به بنات نعش، وهي من منازل القمر الثمانية والعشرين سُميت بحملة النعش في تربيعتها. نصرتوا: دنوا من الأفق للغروب. والشاهد فيه تذكير (بنات نعش) لإخباره عنها بالدينور والتصرب كما يخبر عن العقلاء. الكتاب ٤٧٢.

(٤) - المصدر السابق ٤٨٧

* ومنه ما بيّنه سيبويه نقلاً عن شيخه من أنّ كثرة مخالفة الأصل صار أصلاً، حتى غدت العودة إلى الأصل مخالفةً، وخروجاً على الشائع من كلام العرب؛ وقال سيبويه: «وسألت خليل رحمه الله عن: ما أحسن وجوههما! فقال: لأنّ الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين: نحن فعلنا ذلك»، (١) فذكر كلمة (وجوه) وهو يريد التثنية بدليل إضافة الكلمة إلى ضمير التثنية (وجوههما)، ولو أراد مراعاة الأصول والمطابقة لقال: ما أحسن وجيههما! لكن المخالفة صارت أصلاً، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: (وهل اتاكم نبأ الخطم إذ تسوّوا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا نخفُ خطمان يتقى بعضنا على بعض) (٢) ليبيّن أنّ ضمير الجماعة (نا) في قوله تعالى (بعضنا) دلّ على المثني (خصمان)، وقد شاعت مخالفة الأصل هذه على لسان العرب، حتى غدت المطابقة غير مألوفة، وفي ذلك يقول سيبويه: «زعم يونس أنّ رؤية كان يقول: ما أحسن رأسيهما. قال الراجز، وهو خطام:

ظَهَرَا هَمَا مَثَلُ ظَهْوَرِ التَّرْسَيْنِ» (٣)

مشيراً إلى قول الشاعر (ظهرهما) بالتثنية على الأصل في التطابق بين (ظهران) والضمير (هما) من حيث الدلالة على المثني.

* ومن ذلك أنّ الأصل في الاستثناء أن يكون المستثنى جزءاً من المستثنى منه، ومخالفاً له في الحكم، والاستثناء المنقطع هو خروج على هذا الأصل، وهو أحد الأساليب الفنية في شعر العرب، ويستدلّ

(١) - الكتاب ٤٨/٢.

(٢) - ص ٣٨ / ٢١-٢٢.

(٣) - يصف ثلاثين بعيدتين لا نبت فيهما، وشبههما بالترسين في الاستواء والائتلاص. والترس بالضم: ما يتقى به الضرب من السلاح. والشاهد فيه تشبيه (ظهرهما) على الأصل، والأكثر في كلامهم الخروج على الأصل إلى الجمع، كراهية لاجتماع تثنيين في اسم واحد؛ لأن المضاف والمضاف إليه ككلمة واحدة. ولذا قال فيما بعد: (مثل ظهور الترميتين)

الكتاب ٤٨/٢ (حاشية)

سيبويه على ما خالف الأصل بقول النابغة:

ولا عيبَ فيهمَ غيرَ أنَ سيوفهم

بهنَ فلولُ من قراعِ الكتائبِ (١)

وفي الكتاب أمثلة كثيرة على الخروج على الأصل لأسباب فنية (٢)

د- بُنْيَةُ الْكَلِمَةِ:

لم يقتصر حديث سيبويه، واستدلاله على ما خالف الأصول على تركيب الجملة، وعلاقة عناصرها بعضها ببعض، بل تعدى ذلك إلى بنية الكلمة، كإشباع الحركة في الكلمة أورد الوزن إلى أصله، أو إبدال حرف بحرف، أو حذف حرف، أو أكثر من الحروف الأصلية.

إشباع الحركة:

لكل كلمة وزنها الذي جاءت عليه، وهو أصل لها، وقد يُخالف الأصل بتغيير وزن الكلمة كأن يقولوا في مساجد مساجيد، ومناير منايير، وقد عبّر سيبويه عن إشباع الحركة بقوله: «وربما متوا مثل مساجد ومناير فيقولون مساجيد ومنايير» (٣)

(١) - بمدح آل جفنة ملوك الشام من غسان. الفلول: جمع فلّ، وهو الثلم. والقراع، والمقارعة: المضاربة. والكتائب: جمع كتيبة، وهو القطعة العظيمة من الجيش، وقيل: من المنة إلى الألف. والشاهد فيه نصب (غير) على الاستثناء المنقطع. الكتاب ٣٢٦/٢.

(٢) - انظر الكتاب ٣١/١، ٣٢، ٥٠، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٦، ٤٧/٢، ٤٨، ٥١، ٥٥، ٥٦، ١٠٨، ١٠٩، ١٦٦، ١٧٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٥٣، ٤٩٧/٣.

(٣) - الكتاب ٢٨/١.

ثم يستدل على ذلك بقول الفرزدق:

تَنَفِّي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفِّي الدَّنَابِيرِ تَنَقَادُ الصَّبَارِيفِ (١)

فقد ذكر (الصياريف) جمعاً لصيرف، والأصل أن يقول (الصيارف) لكنه أشبع كسرة الراء وصيرها ياءً خلافاً للأصل، ولعلَّ ضرورة الوزن هي التي أحوجت الشاعر لإشباع الحركة.

رد اللفظ إلى أصله:

ويرى سيبويه أن الضرورة قد تسوق الشاعر إلى إعادة الكلمة إلى أصلها فينكث الإدغام؛ وقد عبّر عن ذلك بقوله: «وقد يبلغون بالمعتلِّ الأصلَ (٢) فيقولون رادِّ في رادِّ، وضمنوا في ضمَّوا» (٣) واستدلَّ بقول قَتَنَّب بن أمِّ صاحب:

مَهَلًا أَعَادِلَ قَدْ جَرَّكَتِ مِنْ خُلُقِي أَنِّي أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا (٤)

حيث أعاد الفعل (ضنَّ) إلى أصله (ضنن)، والصواب إدغام الحرفين المتماثلين؛ لكنَّ الضرورة هي التي ساقته إلى فكِّ التضعيف (٥).

(١) - تنفي: تبعث وتطرد، يداها: أراد يدي الناقفة. الهاجرة: تصف النهار عند اشتداد الحرِّ. التَّفْي مصدر نفى ينفي، إذا عرضها للنقد ونحى زبرئها. تَنَقَاد: مصدر نقد الدراهم ينقدها نقداً، إذا ميَّز رديئها من جيدها. والصياريف: مفردها صيرف وهو الخبير بالنقد وبيادلته. والشاهد فيه قوله (الصياريف) فإنها جمع صيرف، والأصل لو قال صيارف من غير إشباع. انظر الكتاب ٢٩/١.

(٢) - أراد بالمعتل هنا ما يشمل المعتل والمضعف. انظر الكتاب (حاشية) ٢٩/١.

(٣) - المصدر السابق ٢٩/١.

(٤) - أراد أنه جواد لا يصرفه العذل عن الجود، وإن كان من مجرد عليهم بخلاء، فليس يكفَّ شيء من سجيته. والشاهد فيه فكّ تضعيف (ضمنوا) ضرورة، والأصل أن يدهم فيقول: (وإن ضمَّوا). انظر الكتاب ٢٩/١.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢٩/١.

إبدال حرف بحرف:

وذكر سيبويه أنّ الخروج على الأصل قد يقع بإبدال حرف بأحد الحروف الأصلية في بنية الكلمة، واستدلّ بقول أبي كاهل البشكري: (١)

لها أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَّرَةُ مِنْ التَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا (٢)

وصرّح بأنّ الشاعر «لما اضطرّ إلى الياء أبدلها مكان الباء» (٣) فقال (التعالي) مكان (الثعالب)، و(أرانيها) مكان (أرانبها)، ومثل ذلك كثير في الكتاب (٤)

حذف حرف أو أكثر من الحروف الأصلية:

وقد يرد الخروج على الأصل بحذف حرف من حروف الكلمة، أو أكثر من حرف، وهو ما يرد في ترخيم المنادى.

ومما نقله سيبويه من حذف حرف واحد قول عنتره العبسي:

يَدْعُونَ عَنْتَرًا، وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ يَمِيرُ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ (٥)

(١) - لسان العرب (رنب) و (تمر).

(٢) - الأشارير جمع إشرايرة وهي قطعة اللحم المجفّف. تنثره: تجفّفه. وثبيته. التعالي: الثعالب. والأراني: الأرناب. والوحز: الشيء القليل. والشاهد فيه إبدال الياء من الباء في (التعالب و الأرناب) لضروّة الوزن. الكتاب ٢٧٣/٢.

(٣) - المصدر السابق ٢٧٣/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ٢٦٦/٢، ٢٧٣، ٣٠٦/٣، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨٥، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٨/٤، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٥.

(٥) - الأشطان: الحبال، جمع شطن. اللبان: المصدر. الأدهم: الأسود؛ وهو فرسه. والشاهد فيه ترخيم (عنتره) وبتأوه على الضم، تشبيهاً له باسم مفرد منادى لم يحذف منه شيء، وقد حذف حرف النداء قبل عنتره، لأن المنادى العلم يحسن معه الحذف لآته معرفة بنفسه ليس يحتاج إلى تعريف حرف النداء له. الكتاب ٢٤٦/٢.

فقد حذف حرفاً من الاسم ترخيماً. (١)

* ومما نقله من حذف حرفين قول الفرزدق: (٢)

بِأَمْرٍو إِنْ مَطِيَّتِي مَحْبُوسَةٌ تَرْجُو الْحَبَاءَ وَرَبُّهَا لَمْ يَتَّأَسِ (٣)

والأصل (ياسروان) لكته رخم الاسم فأوقع ترخيماً على ترخيم. (٤)

هـ- الحذف:

والخروج على الأصل بالحذف كثير شائع في لغة العرب نثراً وشعراً، بل هو سمة من سمات هذه

اللغة حيث تكتسب جمالاً واضحاً، وهذا ما دفع البلاغيين إلى العناية بهذه الناحية عناية كبيرة.

* فالأصل أن ينصب الفعل المتعدي مفعولاً، ومجيء الاسم منصوباً على المفعولية بفعل محذوف هو

خروج على هذا الأصل، وسبب الحذف يعود إلى كثرة التداول على لسان العرب (٥) وقد استدل

سيبويه على ذلك بمواضع كثيرة منها قول ذي الرثثة: (٦)

دِيَارَ مَيْتَةٍ إِذْ مَيِّ مَسَاعِفَةٌ وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ (٧)

(١)- انظر الكتاب ٢/٢٤٩.

(٢)- ديوان الفرزدق ٤٨٢.

(٣)- الحباء: العطاء، وقد أسند الرجاء إلى ناقته، وهو يعني نفسه مجازاً، والشاهد فيه ترخيم (مروان) وحذف الألف والنون

لزيادتهما، انظر الكتاب ٢/٢٥٧.

(٤)- انظر المصدر السابق ٢/٢٥٩.

(٥)- انظر المصدر السابق ١/٢٨٠.

(٦)- ديوان ذي الرثثة ٣ وخزانة الأدب ١/٣٧٨، والكامل للمبرز ٤٥٢.

(٧)- مساعفة: سواتية، ورخم (ميتة) فقال: (ميت) في غير النداء ضرورة، والشاهد فيه نصب (ديار) بفعل مقدر تقديره: أذكر

ديار ميتة وأمنيتها، ولا يذكر هذا الفعل لكثرتي في كلامهم، الكتاب ١/٢٨٠.

فكأته قال: أذكرُ ديارَ مَيْةٍ، ولكنه لا يذكر (أذكر) لكثرة ذلك في كلامهم (١).

* والأصل أن تدخل (إن) على الجملة الاسمية فتنصب الأول، وترفع الثاني، وحذف أحدهما هو خروج على الأصل؛ وإن كان يزيد جمالاً، واستدل سيبويه على ذلك بقول الأعشى: (٢)

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مَرْتَحَلًّا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا (٣)

والأصل: إن لنا محلاً، وإن لنا مرتحلاً (٤)

* وقد يكون الحذف على تشبيهه بكلمة أخرى، فيأتي الخروج على الأصل بتشبيهه (قدي) بحسبي، من ذلك ما نقله لنا سيبويه من قول الشاعر: (٥)

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيِّينِ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمَلْحِدِ (٦)

(١) - انظر الكتاب ٢٨٠/١.

(٢) - ديوان الأعشى ١٥٥، الخصائص ٢٧٣/٢، مع النوائج ١٣٦/١.

(٣) - أي إن لنا محلاً في الدنيا، أي حلواً. والشُّفْر: المسافرين، أي من رحلوا من الدنيا. والمهل: الإبطاء. والمراد عدم الرجوع. يقول: في رحيل هؤلاء إبطاء وعدم عودة، أي فيمن نغى مثل لمن بقي بعدهم، أي سيفنون كما فني هؤلاء. والشاهد فيه حذف خبر (إن) لقريظة علم السامع. الكتاب ١٤١/٢.

(٤) - انظر الكتاب ١٤١/٢.

(٥) - ينسب البيت لأبي نخيلة وغيره، الإنصاف ١٣١، خزنة الأدب ٤٤٩/٢.

(٦) - قدني، أي حسبي وكفائي. الخَبِيُّيان: بهيئة التصغير، هما عبد الله بن الزبير، ومصعب أخوه والمعنى: حسبي من نصرة هذين الرجلين، أي لا أنصرهما بعد. والإمام تعريض بعبد الله بن الزبير لأنه كان شعبياً بغيلاً. والشاهد فيه حذف النون من (قدي) تشبيهاً بحسبي، وإثباتها هو المستعمل لأنها في بنائها ومضارعة الحروف بمنزلة (من) و(هن) فتلزمها نون الوفاية لنلا يفتر آخرها عن السكون. الكتاب ٣٧١/٢-٣٧٢.

فقد اضطرّ فشبّه (قدي) بحسبي، وأصل الكلام أنه لا بد من دخول النون فتصبح (قدي) (١) والحذف في الكتاب خروجاً على الأصل كثير (٢)

و- بيان القليل والنادر:

لجأ أوائل النحاة الذين قننوا لغة العرب إلى أخذها مما يناسب الشائع من لغتهم، وهذا ما دفع سيبويه إلى الإشارة كثيراً في كتابه إلى القليل، والنادر من لغتهم، وليس صعباً أن نستنتج أن القليل والنادر مخالف لأصول العربية بعد أن عرفنا أن هذه الأصول قد وضعت بما يناسب الكثير، بعيداً عن القلة، والضعف، والندرة، والقبح، وغيرها من المصطلحات التي أكثر سيبويه من ذكرها.

*- من ذلك أن الأصل في خبر (ما) التي تعمل عمل ليس ألا يتقدم خبرها على اسمها، وما جاء على ذلك هو خلاف الأصل، واستدل سيبويه على هذا بقول الفرزدق: (٣)

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم
إذ هم قريشٌ وإذ ما مثلهم بشرٌ (٤)

(١) - انظر الكتاب ٣٧١/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق: ٢٩٦/١، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥.

(٣) - ديوان الفرزدق ٢٢٣، وخرزانة الأدب ١٣٠/٢.

(٤) - أي أعاد لغريش ما كانوا فيه من الخير حين كان جدّه مروان والياً عليهم. والشاهد فيه تقديم خبر (ما) منصوباً، والفرزدق نسبي يرفعه مؤخرًا، فكيف إذا تقدم. وفي البيت أقوال كثيرة، وتخرجات متعددة. انظر الكتاب ٦٠/١، أوضح

المسالك (حاشية) ١٩٩/١-٢٠٠.

فقد تقدم خبر (ما) وهو (مثلهم) على اسمها، وأشار سيبويه إلى ندرة ذلك بقوله: «وهذا لا يكاد يُعرف» (١)

* ومنه أن الألف لا تُمال إذا شُبقت بحرف الغاف؛ لأن الغاف من موانع الإمالة، ولم يعقب الألف راءً مكسورة، وغير ذلك مخالف للأصل، ويستدل سيبويه بقول هذبة بن خشرم (٢)

عسى الله يغني عن بلاد ابن قادرٍ
بمَنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّيَابِ سَكُوبِ (٣)

ويشير إلى قلة مَنْ يميل في (قادر) بقوله: «وقال قوم تُرضى عربيتهم» و«سمعنا من نثق به من العرب» (٤) وهذه العبارات لها مدلولها من خلال معرفتنا لمصطلحات سيبويه التي يستخدمها في الكتاب.

* ومنه أن جمع السلامة لا يكون إلا في الأعلام، والصفات المشتقة، ولا يكون في الأسماء الجامدة، وأسماء الجنس. وينقل لنا سيبويه قول زياد بن أصل السلمي: (٥)

فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصَوَاتُنَا
بَكَيْنَ وَفَدَيْتُنَا بِالْأَبِينَا (٦)

(١)- الكتاب ١/٦٠.

(٢)- شرح المفصل لابن يعيش ١١٧/٢، ١٢٢/٩.

(٣)- المنهمر: السائل. والجون: الأسود. والرياب: ما تدلى من السحاب دون سحاب فوقه. والسكوب، من السكب وهو الصب. والشاهد فيه إمالة الألف في (قادر) على الرغم من أنها مسبوقة بمانع وهو (الغاف) ولم يأت بعد الألف راء مكسورة لتفقد المانع مفعوله. انظر الكتاب ١٥٩/٣، ١٣٩/٤ وانظر بحث الإمالة في أوضح المسالك ٣٠١/٣.

(٤)- الكتاب ١٣٨/٤-١٣٩.

(٥)- المقنضب ١٧٤/٢، الخصائص ٣٤٦/١، شرح المفصل ٣٧/٣.

(٦)- يفتخر الشاعر بأبائه قومه، وأسمايتهم من بني عامر، وأنهم قد ابلوا في حروبهم، والشاهد فيه: جمع (أب) جمع سلامة على (أبين)، وهو جمع غريب، لأن جمع السلامة يكون في الأعلام والصفات المشتقة. الكتاب ٤٠٦/٣.

حيث جمع (أب) على (أبين) وهو جمع غريب نادر (١) ومثل ذلك كثير في الكتاب (٢)

ز- بيان القبيح:

حاول سيبويه في الكتاب أن يكشف لنا درجات القوة، أو الضعف في كلام العرب، فتكلم على الجيد، والحسن والقليل، والنادر، والشاذ، والقبيح؛ وهذه المستويات التي وضعها الفايء منها وضع معايير دقيقة تكمل صورة النحو التي يرسمها.

ومخالفة الأصل بالقبيح من الكلام أمثلته متعددة في الشعر كثيرة في النشر، وسيبويه كعادته يتكلم على ما خالف الأصول من شعر العرب أكثر من كلامه على ما وافق الأصول.

من ذلك أن الاسم الظاهر لا يعطف على الضمير المتصل بالفعل إلا إذا أكد بالضمير المنفصل، وما لم يؤكد يكون مخالفاً للأصل؛ وسيبويه يستدل على ما خالف الأصل بقول الراعي (٣):

فَلَمَّا لَحِقْنَا وَالْجِيَادُ عَشِيَّةً دَعَوْا بِالْكَلسِ وَاعْتَزَيْنَا لِعَامِرِ (٤)

فقد عطف (الجياد) على الضمير المتصل بالفعل (نا) من غير أن يؤكد بضمير منفصل، والأصل أن

(١)- أنظر الكتاب (حاشية) ٤٠٦/٣.

(٢)- أنظر المصدر السابق ٦٠/١، ٣٣٣، ٩/٢، ١٠، ١٥، ٢١، ٤٠، ٤٢، ١١٠، ١١١، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٦٥، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١

يقول: لحقنا نحن والجياد. وعدم الفصل قبيح (١)

* ومنه أيضاً أن الاسم الظاهر لا يعطف على الضمير المتصل المجرور بحرف الجر إلا إذا أعيد حرف الجر، وغير ذلك هو مخالفة للأصول، ويستدل سيبويه على ما خالف الأصل بقول الشاعر (٢)

أَبْكَ أَيَّةَ بِيٍّ أَوْ مُصَدَّرٍ مِنْ خُمْرِ الْجِلَّةِ جَانِبِ حَشْوَرٍ (٣)

فقد عطف (مُصَدَّرٍ) على الضمير المجرور في (بي)، ولم يكرر حرف الجر، وهو قبيح (٤)

* ومنه أيضاً أن العرب تستفتح وقرع ترخيم على اسم مرخّم، ويستدل سيبويه على ما قبح بقول العجاج (٥):

فَقَدَ رَأَى الرَّاوُونَ غَيْرَ الْبَطْلِ أَنْكَ يَا مُعَاوِ يَابْنَ الْأَفْضَلِ (٦)

حيث رخّم (معاو) من أصل مرخّم (معاوي) وأصلها معاوية، ووقوع ترخيمين قبيح عند العرب (٧)

(١) - انظر الكتاب ٣٨٠/٢.

(٢) - البيت لا يعرف فانه انظر اللسان (أوب).

(٣) - أبك: ويملك. وآية: من التاييه. وأصل التاييه دعاء الإبل، ويقال آيتت بفلان تاييها، إذا دهرته وناديته كأنك قلت له: يا أيها الرجل. والمُصَدَّر: الشدبد الصدر. الجِلَّة: العظام من الرجال مفردها جليل. والجاب: الغليظ. والحشور المنفخ الجنين. شبه نفسه به بالصلابة والشدّة. يقال لمن تنصحه ولا يقبل، ثم يقع فيما حذرت منه. والشاهد فيه: عطف

(مصدّر) على الضمير المجرور في (بي) دون إعادة الجار، وهو من أفتح الضرورات. انظر الكتاب (حاشية) ٣٨٢/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ٣٧٩/٢ - ٣٨٠.

(٥) - ديوان العجاج ٤٨، والخصائص ٣١٦/٣، مع البهائم ١٨٤/١.

(٦) - البطل: جمع باطل. أي لقد رأى الراوون رأيا صحيحا لا باطلاً. والشاهد فيه: إدخال ترخيم على ترخيم في (يا معاو)، رخّم أولاً فصار (يا معاوي)، وثانياً فصار (يا معاو) وهي ضرورة قبيحة. الكتاب ٢٥٠/٢.

(٧) - انظر المصدر السابق ٢٤٩/٢ - ٢٥٠.

لكن سببويه في هذا المجال يحاول الاستدلال على ما خَرَجَ على الأصل في مواضع متمددة (١)

ح- القطع:

الأصل في الصفة أن تتبع الموصوف في التعريف والتنكير، والإفراد، والتثنية، والجمع، وحركات الإعراب، وترتّب هذه المتابعة هو خروج على الأصل، والقطع هو إحدى حالات مخالفة الأصول، فقد تكلم سببويه على حالاته وأسبابه في تخريجاته.

* من ذلك ما ذكره في باب ما ينتصب على التعظيم والمدح، واستدل بقول الأخطل: (٢)

نفسى فداؤُ أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يومَ باسلٍ ذَكَرُ
الخائضُ الغَمَرُ والميمونُ طائِرَةٌ خليفة الله يُستسقى به المَطَرُ (٣)

فقد قطع (الخائضُ) عمّا قبلها، وهي في الأصل صفة مجرورة لأمير المؤمنين، وجاء قطعها بالرفع خروجاً على الأصل (٤)

(١)- انظر الكتاب ١/٦٢، ٦٣، ١٧٩، ١٨٠، ٣٠٨، ٢٥٠/٢، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٢١١/٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤.

(٢)- ديران الخطل ١٠١.

(٣)- الناجذ: الضرس، أو أقصى الأضراس. وإبداء النواجذ كناية عن شدة البرم ووسائله، كأنه يكلم فتيده نواجذه. والباصل: الكرية المنظر. والدُّكْر: الشديد. الفُشْر: الماء الكثير. ويقول: هو ميمون الطائر، للكثير الخير الذي يثبتن به. وكانوا يستسقون المطر بمن يأنسون فيه اليمن والخير. والشاهد فيه (الخائض) وما بعده. حيث قطعها من قوله (أمير المؤمنين) لرفعه، ولو نصبه على القطع لكان حسناً أيضاً، ولو جرّه على النعت لجاز كذلك. انظر الكتاب ٢/٦٢.

(٤)- انظر المصدر السابق ٢/٦٢.

* ومنه أيضاً قول ابن خياط المكلبي:

وكلُّ قومٍ أطاعوا أمرَ مُرشِدِهِمْ
إِلَّا نَمِيرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا
وَالظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْعِنُوا أَحَدًا
وَالْقَاتِلُونَ: يَمَنُ دَارُ نُخْلِيهَا (١)

فقد قطع (القائلون) بالرفع عن (الظاعنين)، والتقدير: هم القائلون، والأصل أن يكون معطوفاً على (الظاعنين)، وهي بدورها صفة لـ (نميراً)؛ وفي هذا القطع خروج على الأصل (٢) ومثل ذلك كثير في الكتاب (٣).

ط- الاستخفاف:

قد يكون الخروج على الأصل للاستخفاف؛ وهذا في الأمور التي يفرضها الوزن الشعري، وقد تكون العودة إلى الأصول غير ممكنة في ظلّ الميزان الصرفي، وهو بذلك يكون نوعاً من أنواع الضرورة الشعرية التي أشرنا إليها فيما سبق، وقد يكون لطلب الخفة في النطق ما يفسر الاستخفاف في الخروج على الأصل.

* من ذلك حذف التنوين في قول الفرزدق: (٤)

(١) - نمير: قبيل من بني عامر. وغاويها! أي مغربها. أي يخافون عدوهم لغائبهم وذلكهم فيحملهم ذلك على الظعن والهجرة. ولما يُظْعِنُوا أحداً، أي لا يخافهم عدوهم فيظعن عن داره خوفاً. لمن دار نُخْلِيهَا، أي إذا حلّوا عن دار لم يعرفوا من يحملها بغدتهم. والشاهد فيه نصب (الظاعنين) بإضمار فعل، ورفع (القائلون) على إضمار مبتدأ، لما قصد من معنى النجم فيها. ولو أراد الوصف لأجراه على ما قبله نعمنا له. الكتاب ٦٤/٢-٦٥.

(٢) - انظر الكتاب ٦٤/٢.

(٣) - انظر المصدر السابق ٦٢/٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

(٤) - ديوان الفرزدق ٧٣٧.

فَأرسلها العِرائةَ ولم يَدُدْها ولم يُشْفِقْ على نَعْسِ الدَّخَالِ (١)

فقد نصب (العراك) وهو مصدر في موضع الحال، والحال لا تكون معرفة، وجاز هذا لأنه مصدر، والفعل يعمل في المصدر معرفة ونكرة، فكانه أظهر فعله ونصبه به ووضع ذلك الفعل موضع الحال فقال: أرسلها تعترك الاعتراك، ولو كان من أسماء الفاعل لم يجز تعريفه، نحو أرسلها المعتركة (٢) ثم يشير إلى (النِّية) في الخروج على الأصل حين يقول: «وهو قولك: مرتت بهم الجفاء الغفير، والناس فيها الجفاء الغفير فهذا ينتصب كانتصاب (العراك).

وزعم الخليل رحمه الله أنهم أدخلوا الألف واللام في هذا الحرف، وتكلموا به على نية ما لا

تدخله الألف واللام» (٣)

* ومنه أيضاً ما استدلل به من قول الفرزدق: (٤)

وما زَرَّتْ سلمي أن تكونَ حبيبةً إليَّ، ولا دينٍ بها أنا طالبةً (٥)

فقد جرّ (دين) عطفاً على موضع المصدر المجرور، وذلك على نية قوله: وما زرت سلمي لأن تكون حبيبة. وقد أشار سيبويه إلى النية قبل أسطر من استدلاله بقول الفرزدق (٦)

(١) - العراك: الازدحام . لم ينددها: لم يعبسها عن الماء. النفص: من نفص الرجل، إذا لم يتم شربه. الدخال: أن يدخل الرجل بغيره الذي شرب مرةً مع الإبل التي لم تشرب من قبل ليشرّب معها. والشاهد فيه نصب العراك على الحال وهو معرفة، وذلك على نية ما لا تدخله الألف واللام . الكتاب ٣٧٢/١، الإنصاف ٨٢٢/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ٨٢٢/٢ - ٨٢٣.

(٣) - الكتاب ٣٧٥/١.

(٤) - ديوان الفرزدق ٩٣، مع الهوامع ٨١/٢.

(٥) - يقول: لم أزرها لمجة فيها، ولا لدين أطلبها به، وإنما زرتها لغير ذلك. والشاهد فيه تقدير اللام في (أن تكون)، ولذلك جرّ (دين) عطفاً على موضع المصدر المجرور. الكتاب ٢٩٣/٣، الإنصاف ٣٩٥/١.

(٦) - انظر الكتاب ٢٨/٣، ٢٩.

* ومن الواضح أن سيبويه يذكر الشاهد الواحد في أكثر من موضع، ويعتبر عنه بأكثر من طريقة تبعاً

لما ينوي الاستدلال له؛ من ذلك قول زهير:

بدا لي أني لست مُدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

فقد استدل به على النية، (١) وعلى التوهم (٢) وعلى تأكيد الأصل (٣)، على الرغم من التشابه إلى حد ما بين هذه الحالات لأنها تدخل كلها فيما خرج على الأصل.

ك- الاتساع:

عقد سيبويه في كتابه باباً سماه «باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى، لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار» (٤)، وهو خروج على الأصل على الرغم من أن هذا الخروج بما فيه من إيجاز واختصار وحذف يكسب الأسلوب جمالاً بالغاً.

* من ذلك ما استدل به سيبويه من قول النابغة الجعدي:

كأن عذيرهم بجنوب سلى نعماً قاق في بلدٍ قفار (٥)

(١)- انظر الكتاب ٢٩٣.

(٢)- انظر المصدر السابق ٣٠٦/١، ٥١/٣، ١٠٠، ١٦٠/٤.

(٣)- انظر المصدر السابق ١٦٥/١، ١٥٥/٢.

(٤)- المصدر السابق ٢١١/١.

(٥)- العذير: الصوت، أو الحال. سلى: ماء لبني ضبة. قاق: صوت. يذكر قوماً قد انهزموا، وأخذ منهم السلاح فعملوا يصيحون صياح النعام. والشاهد فيه حذف المضاف من (نعماً) على سعة الكلام والإيجاز أي: هزير نعام. انظر الكتاب

فالخبر في هذه الجملة ليس عين المبتدأ، ولهذا كان الكلام على تقدير مضاف يتم به كون الخبر هو المبتدأ، وأصل الكلام: كَانَ عَذِيرُهُمْ عَذِيرٌ نَعَامٌ (١)

* ومنه كذلك استدلاله بقول أنس بن مدركة الخثعمي: (٢)

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لَشَيْءٍ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يَسْوَدُ (٣)

فقد جرّ (ذي صباح) بالإضافة، على الاتساع، والأصل أن تُنصب على الظرفية لسلامة المعنى الذي يريده الشاعر (٤)

ل- الأمر اللفظي:

وهو الخروج على الأصل لأمر لا علاقة له بالمعنى، وإنما يكون لأمر لفظية يفرضها واقع الشعر كالوزن والقافية والنطق.

* من ذلك ما ذكره سيبويه من زعم عيسى أن بعض العرب يُنشد بيت أبي الأسود الدؤلي:

(١)- انظر الإنصاف ١/٦٣-٦٤.

(٢)- غزاة الأدب ١/٤٧٦.

(٣)- أي عزمت على أن أكبم صباحاً، وأوخر الفارة على العدو إلى أن يعلو النهار، ثقة بني بغوتي وطفري بهم. فإن الذي يسوده قومه لا يسودونه إلا لأمر عظيم، وخصلة عالية يلمسونها فيه، وهو جدير بالسيادة لذلك. وكان العرب يختارون الصباح للفارة، التماساً لفغلة العدو، فخالفهم الشاعر لاعتزازه بشجاعته. والشاهد فيه جرّ (ذي صباح) بالإضافة، اتساعاً ومجازاً، والأصل فيه الظرفية. انظر الكتاب ١/٢٢٧.

(٤)- انظر في مثل ذلك المصدر السابق ١/٥٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٤، ٢١٥، ٣٣٧.

فَأَقْبَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا (١)

فالأصل أن يقول (ذاكرِ الله) لكثته خالف هذا الأصل، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ونصب ما بعده؛ ولعل ذلك جاء بداعٍ لفظي فرضه التقاء الساكنين.

* ومنه أيضاً ما أورده من الخروج على الأصل بعد الصوت؛ واستدل على ذلك بقول امرئ القيس:

قِفَا نَبِكٍ مِّنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِي
بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَّكِلِ (٢)

وذكر أن مخالفة الأصل تكون بإبدال النون بالمدّة، كما يفعل أهل الحجاز الذين يقولون:

يَا أُتْبَتَا عَلَّكَ أَوْسَاكِنِ (٣)

والأصل (أوساكا)

* ومنه أن يخرجوا على الأصل فيعاملوا القوافي معاملة الكلام الذي لا ترثم فيه؛ كما سمع بعض العرب

ينشدون بيت جرير:

أَقْبِي اللَّوْمَ عَادِلٍ وَالْعِتَابَ (٤)

(١) - يروى أن أبا الأسود أغرته امرأة بجمالها، وزعمت أنها حسنة التدبير، فتزوجها، فإلغها على غير ما طلقه بها فبهاها. مستعتب: أي راجع بالعتاب عن قبيح ما يفعل، يعني أسرته. والشاهد فيه: حذف التنوين من (ذاكر) لالتقاء الساكنين. ونصب ما بعده، وإن كان الوجه الإضافة. قال الشننمري: «وفي حذف تنوينه لالتقاء الساكنين وجهان: أحدهما أن يشبهه بحذف النون الخفيفة إذا لقبها ساكن كقولك اضرب الرجل، تريد اضربين. والوجه الثاني: أن يشبهه بما حذف تنوينه من الأسماء الأعلام إذا وصف بابن مضاف إلى علم، كقولك رأيت زيد بن عمرو. وأحسن ما يكون حذف التنوين للضرورة في مثل هذا قولك: هذا زيد الطويل؛ لأنّ النعت والمنعوت كالشيء الواحد، فيشبه بالمضاف والمضاف إليه.» الكتاب (حاشية) ١٦٩/١.

(٢) - الشاهد فيه: وصل اللام في حال الكسر بالياء للترنم، ومدت الصوت (منزلي) الكتاب ٢٠٥/٤.

(٣) - الشاهد فيه: إبدال النون بالمدّة في (وساكن) والأصل (ساكا) الكتاب ٣٧٥/٢، ٢٠٧/٤.

(٤) - الشاهد فيه حذف الألف من (العتاب) حيث لم يرد المنشد أن يترثم فوقف في الشعر على هذا المنصوب غير المنون بالسكون كما ينف عليه في الكلام. الكتاب ٢٠٨/٤.

ويظهر لنا أنّ الخروج على الأصل في الشعر جاء لأمر لفظية؛ لأنّ الشعر وُضع للفناء والترنم، فألحقوا بكلّ حركة ما يناسبها في الحروف؛ ولما لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نونا، أو جعلوا القوافي كما لو كانت كلاماً بعيداً عن الشعر. (١)

م- مخالفة السماع:

الأصل في قواعد اللغة أن تكون مطابقة للسماع؛ لأنها أخذت منه، وكلّ مخالفة لما سُمع من الشائع في لغة العرب هي مخالفة للأصل.

* من ذلك ما استدلّ به سيبويه من مخالفة الأصل فقد نقل لنا قول الراجز: (٢)

أهدموا بيتك لا أبا لك وحسبوا أنّك لا أبا لك

وأنا أمشي الدّألي حوالكا (٣)

وبيّن أنّ بعضهم استخدم (حوالك) مفردة، والمسموع عن العرب قولهم (حوالك) بالثنائية (٤)

* ومن ذلك أنّ المسموع عن العرب قولهم (لا أباك) وهو الأصل، ونقل لنا سيبويه مخالفة لهذا السماع من خلال قول بسكين الدرامي:

وقد مات شمّاخ ومات مزّرد وأيّ كريم لا أباك يمتّع (٥)

(١) - انظر الكتاب ٢٠٦/٤-٢٠٨، وانظر في مثل ذلك المصدر السابق ١٩٠/١، ١٩١، ٢٠٦/٤.

(٢) - انظر الحيوان ١٢٨/٦، لسان العرب (حول. دأل) مع الهوامع ١٤٥/١.

(٣) - الدّال: شبيهة فيها شاذل، يقال: مرّ يدال بعنله. والشاهد فيه (حوالك) حيث جاء مفرداً، والمسموع فيه الثنائية. الكتاب

٣٥١/١.

(٤) - انظر المصدر السابق ٣٥١/١.

(٥) - مزّرد: آخر الشمّاخ، والشاهد فيه حذف اللام في (لا أباك) شذوذاً. الكتاب ٢٧٩/٢.

فقد حذف اللام في (لا أباك) على غير المسموع (١)

ومخالفة الأصول بمخالفة المسموع من لغة العرب مردّه إلى بعض اللهجات التي لم يُكتب لها الذبوع والانتشار، أو كثرة التداول، والاستعمال وما يتركه من تأثير في بعض الألفاظ.

ن- نزع الخافض:

ومن الخروج على الأصل أن يحذف حرف القسم؛ لأنّ الأصل أن يذكر حرف القسم قبل المقسم به، وينقل سيبويه عن الخليل الأصل بقوله: «وقال الخليل: إنّما تجيء بهذه الحروف؛ لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به كما تضيف مررتُ به بالباء، إلّا أنّ الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب، والحلف تأكيد» (٢) ثم يسوق لنا شواهد على ما خرج على هذا الأصل بحذف حرف القسم، ونصب المقسم به على نزع الخافض؛ من ذلك قول ذي الرّثة (٣)

أَلَا رَبِّ مَنْ قَلْبِي لَهُ اللَّهُ نَاصِحٌ وَمَنْ قَلْبُهُ لِي فِي الظُّبَاءِ السَّوَانِحِ (٤)

فقد انتصب لفظ الجلالة (الله) على نزع حرف الجر قبله والأصل أن يقول (بالله) (٥)

* ومنه قول الفرزدق: (٦)

(١)- انظر الكتاب ٢/٢٧٩، وانظر كذلك ٢/٣٣٦، ٣/٣٧٥، ٣/١٢١، ٢/٢٧٦، ٥/٦٨، ٥/٨٨.

(٢)- المصدر السابق ٣/٤٩٨.

(٣)- ملحقات ديوان ذي الرّثة ٦٦٤، وشرح المفعّل ١٠٣/٩.

(٤)- السانح من الظبء: ما أخذ عن يعين الراسي فلم يمكنه رميه حتى ينحرف له؛ فيشام به. ومن العرب من يتيقن به لأخذه في الميأس. والمعنى: ألا ربّ من قلبي له بالله ناصح، أي أحلف بالله. والشاهد فيه: حذف حرف القسم، وهوالباء قيل لفظ الجلالة. الكتاب ٢/١٠٩، ٣/٤٩٨.

(٥)- انظر الكتاب ٣/٤٩٨.

(٦)- ديوان الفرزدق ٥١٦، وخزانة الأدب ٣/٦٧٢.

مَنَّا الَّذِي اخْتَبِرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازِعُ (١)

فقد نصب (الرجال) على نزع حرف الجر، والأصل: اختبر من الرجال. (٢) واستدلال سيبويه على ما خرج على الأصل هو تأكيد على اهتمامه بهذا الجانب، أي جانب مخالفة الأصول، وذلك في أكثر من موضع من كتابه (٣)

س- الجوار:

كما أشرنا في الفقرة السابقة فإن الصفة تتبع الموصوف، وهذا أصل ثابت، وقد يُخرج على الأصل؛ لأن الصفة جاورت المضاف إليه فلحقته بحركتها على خلاف الأصل، ويستدل سيبويه على ذلك بقول العجاج:

كَأَنَّ نَسِجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْتَلِ (٤)

فقد جاء لفظ (المرتّل) مجروراً لمجاورته لـ (العنكبوت) والأصل فيه أنه صفة لـ (نسيج) وهو مطابق لها في الإفراد والتذكير، لكنّه جاء مجروراً لمجاورته لـ (العنكبوت) على الرغم من أنه مذكر

(١) - يصف أباه بالجود عند شدة الزمان، وهبوب الزعازع، وهي الرياح الشديدة، وأحدثها زعم، وذلك زمن الشتاء ووقت الجذب. والشاهد فيه نصب (الرجال) على نزع الخافض؛ والأصل: اختبر من الرجال. الكتاب ٣٩٦.

(٢) - انظر المصدر السابق ٣٩٦.

(٣) - انظر المصدر السابق: ٣٧٦، ٣٨، ٤٩٨/٣.

(٤) - المرتّل: المنسوج. والشاهد فيه قوله (المرتّل) فقد جاء مجروراً وهو صفة لنسيج العنكبوت المنسوج لأنه اسم كان، وإذا كان النعت لا يبتدأ له من مطابقة المنعوت في حركاته الإعراب فمن المؤكد أنّ الكسرة التي في (المرتّل) ليست الحركة الأصلية، بل هي خروج على الأصل، وقد جاءت الكسرة لمجاورتها اسماً حركته الكسرة، وهو العنكبوت. انظر الكتاب ٤٣٧/١، الإنصاف ٦٠٦/٢.

ع- عدم اللبس:

قد يُوقَع اتِّبَاعُ الأَصْلِ فِي اللِّبْسِ أحياناً، والخروج على الأصل يكون ابتعاداً عن هذا اللبس، ويستدل سيبويه على ذلك بقول النابغة الجعدي (٢)

كَأَنَّ الْغَبَارَ الَّذِي غَادَرَتْ ضَحِيًّا ذَوَاخِنُ مِنْ تَنْضُبٍ (٣)

الذي ذكر فيه (ضَحِيٌّ) تصغيراً لـ (ضَحَى) على غير الأصل؛ لأن الأصل أَنْ يُصْفَّرَهَا على (ضَحِيَّة)، وتصغير (ضَحْوَةٌ) يأتي على (ضَحِيَّة) كذلك، وكفي لا يُوقَعُ فِي اللِّبْسِ بَيْنَ تَصْفِيرِ (ضَحَى) وَ(ضَحْوَةٌ)؛ لأنَّ القِيَّاسَ فِي تَصْفِيرِهِمَا أَنْ يُقَالَ (ضَحِيَّة) خَرَجَ الشَّاعِرُ عَلَى الأَصْلِ، وهذا ما أشار إليه سيبويه في هذا الموضوع، وفي غيره (٤)

ف- التروم:

الأصل في المعطوف أن يتبع المعطوف عليه، وهذا الأصل ينطبق على الجمل المعطوفة؛ فالفعل المعطوف على فعل مجزوم يكون مجزوماً، وعدم الجزم هو خروج على الأصل، وهذا الخزوج قد يكون

(١) - انظر الكتاب ٤٣٧/١.

(٢) - ديوان النابغة الجعدي ١٦، لسان العرب (دخن).

(٣) - يصف غباراً أثارته حوائر فرسه، فجعله كدخان التنضب في سطوره وتكائفه. والتنضب: شجر كثير الدخان، مفرد تنضبة. غادرت: تركته خلفها. والدواخن: جمع دخان على غير قياس والشاهد فيه: تصغير (ضَحَى) على (ضَحِيَّة)، والقياس ضحيتة بالهاء لأنها مؤنثة، إلا أنهم صغروها بدون هاء لتلا تلبس بصفّر (ضحوة) انظر الكتاب (حاشية) ٤٨٥/٣.

(٤) - انظر المصدر السابق ٤٨٥/٣، ٤٨٧، ٤٨٨.

على التوهّم، ويستدلّ سيبويه على ذلك بما نقله عن الخليل صاحب فكرة التوهّم عندما سئل عن قول الأعمش: (١)

إِنْ تَرَكَبُوا فَرَكُوبَ الْخَيْلِ عَادَتْنَا أَوْ تَنْزَلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزِّلُ (٢)

فقد ذكر أنّ (تنزلون) معطوف على معنى إن تركبوا! لأنّ معناه: أتركبون فذاك عادتنا وهذا ما سميّ بمعطف التوهّم، وهو خروج على الأصل (٣)
* ومنه أيضاً ما ذكره من قول زهير:

بدا ليّ أنّي لستُ مدركٌ ما مضى ولا سابقٌ شيئاً إذا كان جانياً (٤)

فقد جاءت (سابق) مجرورة بتوهّم دخول الباء الزائدة على المعطوف عليه (مدرك) وهذا خروج على الأصل الذي صرح به سيبويه وقال عنه: «وهذه لغة رديئة، وإنما هو غلط» (٥)

ص- صرف المنوع من الصرف:

الأصل أن يُمنع من الصرف بعض الأعلام، والصفات، والجموع (٦) ضمن قواعد مستنبطة من

(١)- ديوان الأعمش ٤٨، خزنة الأدب ٦١٢/٣، مع الهوامع ٦٠/٢.

(٢)- نُزِّلُ: جمع نازل. وكانوا ينزلون عن الخيل عند ضيق المعركة فيقاتلون على أقدامهم. وفي ذلك الوقت، يتداهمون: نُزَّلُ. والشاهد فيه رفع (تنزلون) عطفاً على (إن تركبوا)، وهو المسمى معطف التوهّم، لأنّ معناه أتركبون فذاك عادتنا، أو تنزلون في معظم الحرب فنحن معروفون بذلك. انظر الكتاب ٥١/٣.

(٣)- انظر المصدر السابق ٥٠/٣-٥١.

(٤)- الشاهد فيه جر (سابق) خطأ، وهو معطوف على (مدرك) بتوهّم دخول الباء الزائدة عليه. انظر الكتاب ١٦٠/٤، وانظر ١٦٥/١، ٣٠٦، ٣٠٥/٢، ١٥٥/٣، ٢٩/٣، ٥١، ١٠٠.

(٥)- انظر المصدر السابق ١٦٠/٤ وانظر ٦٧/٢، ٦٨، ٣٠٦.

(٦)- انظر النحر الراقي لمعباس حسن ٢٠٠/٤ وما بعدها.

كلام العرب، وكلّ صرف للممنوع من الصرف هو خروج على الأصل؛ ويتكلم سيبويه على كلمة (أذرعان) التي تمنع من الصرف لأنها علم المؤنث، ثم يستدل على ما خالف الأصل بقول امرئ القيس: (١)

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أذْرَعَاتٍ، وَأَهْلُهَا يَبْتَرِبُ، أَدْنَى دَارِهَا فَظَرُّ عَالٍ (٢)

فقد صرف (أذرعان) على الرغم من أنها علم مؤنث: (٣) خروجاً على الأصل.

* ومن ذلك ما أورده سيبويه من غير أن يصرح بأنه صرفاً للممنوع من الصرف، ولكنه ذكر بيت أبي كبير الهذلي: (٤)

مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ وَهَنَّ عَوَاقِدُ حُبَّتِ النَّطَاقِ فَعَاشَ غَيْرَ مَهْبِلٍ (٥)

بتنوين (عواقد)، وهذه الكلمة على صيغة منتهى الجمع، والأصل منعها من الصرف، لكنّها صُرِّفَتْ لضرورة الوزن. وسبويه وإن لم يُشير إلى ذلك فإن استدلاله بهذا البيت له مدلوله؛ لأنه على دراية بكل ما يحيط بالمادة المستدل بها، وما فيها من معالجات نحوية.

(١) - ديوان امرئ القيس ٣١، المنتخب ٣/٣٣٣، ٣٨٤، شرح المفصل ١/٤٧، ٣٤/٩.

(٢) - تنوّرتّها: نظرت إلى نارها من بعيد. أذرعان: بلد في أطراف الشام بجوار البلقاء. يشرّب: المدينة المنوّرة، أدنى دارها: أقرب مكان من أماكن ديارها. نظر عال: أراد أنه يحتاج إلى نظر بعيد. والشاهد فيه: صرف (أذرعان) مع أنها علم مؤنث. وفي هذا البيت كلام كثير ووجوه مختلفة اختلاف الرواية. انظر الكتاب ٣/٢٣٣، أوضح المسالك ١/٥١.

(٣) - انظر الكتاب ٣/٢٣٣، ٢٣٤.

(٤) - ديوان الهذليين ٢/٩٢، خزنة الأدب ٣/٤٦٦، والإنصاف ٢/٤٨٩.

(٥) - حُبَّتِ النَّطَاقِ: تشدّد، واحدها حَبَاك. والنطاق: إزار تشدّد المرأة في وسطها. شَبَّ: قوي وترعرع. المَهْبِلُ: المدعو عليه بالهبل وهو التكل، أو هو المعتوه. والشاهد في البيت قوله: (عواقد) وهي على صيغة منتهى الجمع، والأصل منعها من الصرف؛ ولكنّها جاءت منصرفة لضرورة الوزن. وفي البيت وجوه متعددة في موضع الشاهد. انظر الكتاب ١/١٠٩، الإنصاف ٢/٤٨٩.

والأصل في الأفعال أن تعمل، ومنها الأفعال المتمدبة إلى مفعولين، وسجيء هذه الأفعال وهي ملغاة هو خروج على الأصل، وذلك بإبطال عملها لفظاً ومثلاً لضعف العامل بتوسطه، أو تأخره.

* من ذلك ما ذكره سيبويه باستدلاله بقول اللعين بهجر العجاج:

أَبَاالرَاجِيزِ يَا بِنَ اللُّؤْمِ تَوَعِدْنِي وَفِي الرَّاجِيزِ خَلَّتْ اللُّؤْمُ وَالنَّخَوْرُ (١)

حيث ألفي عمل الفعل (خَلَّتْ) فجاء ما بعدها مرفوعاً بحسب الرواية التي اختارها سيبويه وهي الرواية التي تخدم ما يُريده، وهو الخروج على الأصل.

* ومن ذلك (كان) الناقصة، فالأصل أنها تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وورودها على غير هذه الحال هو خروج على الأصل. وينقل سيبويه عن الخليل ما يشير إلى مخالفة الأصل بقوله: «وقال الخليل: إنَّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ كَانِ زَيْدًا، عَلَى إِلْغَاءِ كَانٍ، وَشَبَّهَهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ، وَهُوَ الْفَرَزْدَقُ (٢)»

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ وَجِيرَانَ لَنَا كَانُوا كِرَامٍ (٣)

(١)- الأراجيز: جمع أراجيزة وهي ما كان من الشعر من بحر الرجز. ويقال لما لم يكن من هذا البحر قصيدة توعديني: توعديني. والشاهد فيه قوله (وفي الأراجيز خَلَّتْ اللُّؤْمُ) حيث توسط (خال) مع فاعله بين المبتدأ والخبر (في الأراجيز اللؤم) فلما توسط بينهما ألفي عمله فيهما، ولولا هذا التوسط لنصبهما. انظر الكتاب ١/١٢٠، أوضح المسالك ١/٣١٤.

(٢)- ديوان الفرزدق ٨٣٥، وخزانة الأدب ٤/٣٧.

(٣)- الشاهد فيه (وجيران لنا كانوا كرام) بإلغاء عمل كان، فقد ذهب سيبويه إلى زيادتها بين الصفة (كرام) والموصوف (جيران). وللنحاة آراء متعددة. انظر الكتاب ٢/١٥٣، أوضح المسالك ١/١٨٢.

فقد ألفني عمل (كان) الواقعة بين الصفة (كرام) والموصوف (جيران)، وهذا الإلغاء هو مخالفة للأصل في عمل (كان) (١)

ر- المشابهة:

الأصل في النداء أن أداته (يا) لا تدخل على ما فيه (أل)، وإذا أردنا نداء ما فيه (أل) استخدمنا معه لفظة (أيها) فنقول: يا أيها الرجل. إلا إذا كان المنادى لفظ الجلالة (الله)، فإنه ينادى بـ (يا) مباشرة.

* ويذكر سيبويه أنه قد شمع دخول (يا) على (التي) في قول الشاعر (٢)

من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالود عني (٣)

وذلك لمشابهة (التي) بـ (الله) حيث جمع بين حرف النداء و (أل) خلافاً للأصل (٤)

* ومنه أيضاً منع صرف اسمٍ لشبهه بما لا ينصرف، ويستدل سيبويه على الخروج على الأصل هذا بقول الكميّ (٥)

(١)- انظر الكتاب ١٥٣/٢.

(٢)- البيت من الخمسين، انظر الكتاب ١٩٧/٢، والإنصاف ٣٣٦/١، ومع الهوامع ١٧٤/١.

(٣)- الشاهد فيه قوله (يا التي) حيث جمع حرف النداء وأل تشبيهاً بقولهم: يالك للزوم الألف واللام لها، ضرورة، ولا يجوز ذلك في الكلام. انظر الكتاب ١٩٧/٢.

(٤)- انظر المصدر السابق ١٩٧/٢.

(٥)- المنضبط ٢٣٨/١، ٣٥٦/٣، واللسان (حم) و(عرب).

وجدنا لكم في آلِ حاميمِ آيةً تأوتها منا نقيٌّ ومقربٌ (١)

فقد منع (حاميم) من الصرف، وأراد بها السور التي أولها حم، لمشابتها باليمنوع من الصرف للعلمية،
والعجمة نحو قابيل وهابيل، وهو خروج على الأصل (٢)

ش- الفصل:

الأصل أن لا يُفصل بين الجار والمجرور بفواصل لقبحة، ومنه الفصل بين (كم) الخبرية
ومجرورها، فإذا كان الخروج على الأصل، وقُصِلَ بينهما فالأحسنُ نصبِ مجرورها على التمييز،
ويستدل سيبويه على ذلك بقول زهير (٣)

تَوَمَّ سِنَانًا وَكَمْ دُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مُحَدَوْدِبًا غَارُهَا (٤)

«والتقدير: كم محدودبٍ غارها دونه من الأرض، إلا أنه لما قُصِلَ بينهما نصب (محدودباً)، وإن لم
يقصد الاستفهام؛ لئلا يفصل بين الجار والمجرور، وأما عدل إلى النصب، لأن (كم) تكون بمنزلة عدد
ينصب ما بعده، ولم يمتنع النصب بالفصل كما امتنع الجرا (٥) لأن الفصل بين الناصب والمنصوب له

(١) - أراد بال حاميم السور التي أولها (حم). والمغرب: الذي يفتح بما في نفسه، وبما ينهب إليه. والشاهد فيه: ترك صرف

(حاميم) لشبهه بما لا ينصرف للعلمية والعجمة، نحو: هابيل وقابيل. انظر الكتاب (حاشية) ٢٥٧/٣.

(٢) - انظر المصدر السابق ٢٥٧/٣.

(٣) - البيت لم يرد في ديوان زهير، ونسب إلى كعبٍ ولده، وليس في ديوانه. انظر الكتاب ١٦٤/٢ والإحالات التي فيه.

(٤) - توَمَّ: تقصد، والغار: الفائر المظلم من الأرض، وجعله محدودباً لما يتصل به من الأكام، ومتون الأرض. والشاهد فيه

الفصل بين (كم) وتمييزها، وهو (محدودباً) لقبح الفصل بين الجار والمجرور. انظر الكتاب ١٦٥/٢

(٥) - أي: وقد أجزى النصب في المجرور لوجود نظير له، وامتنع الجرا لعدم وجود نظير.

نظير في كلام العرب، بخلاف الفصل بين الجار والمجرور؛ فإنه ليس له نظير في كلام العرب» (١)

* ومنه أيضاً أنّ الأصل ألا يفصل بين اسم العدد وتمييزه، والفصل بينهما خروج على الأصل، ويستدلّ سيبويه على ذلك بقول العباس بن مرداس: (٢)

على أنني بعد ما قد مضى ثلاثون للهجرٍ حولاً كميلاً
يدكوكبك حنين القجول ونوح الحمامة تدعو هديلاً (٣)

فقد فصل بين اسم العدد (ثلاثون)، وتمييزه (حولاً)، وهذا يقوي ما أجازاه سيبويه في (كم) من الفصل بينها، وبين تمييزها عوضاً عما منعه من التصرف في الكلام بالتقديم والتأخير، بسبب كونها أشبهت (كم) الاستفهامية فالزمت التصدير لذلك. وإن كان بين (كم) وبين اسم العدد فرق، فإنّ الثلاثين ونحوها من أسماء الأعداد لا تمتنع من التقديم والتأخير؛ لأنها لم تتضمن معنى يوجب لها التصدير، فكان عملها في التمييز أوسع من عمل (كم)، وفي كلا الحالتين خروج على الأصل. (٤)

(١) - الإنصاف ٣٠٦/١.

(٢) - انظر الكتاب (حاشية) ١٥٨/٢، والإحالات التي فيه.

(٣) - الكميل: الكامل، يريد في البيت الأول: لم أسع عهدك على تطاول الزمن. العجول: الرالة التي فقدت ولدتها، لعجلتها في ذهابها، وجيئتها جرعاً: يقال للنساء، وللإبل، والهديل: صوت الحمامة، أو هو الفرج الذي تزعم الأعراب أنّ جارحاً قد صاده في سفينة نوح؛ فليست من حمامة إلا وهي تبكي عليه. يقول: إذا حنت وإله من الإبل، أو ناحت حمامة رقت نفسي فكنت منك على تذكاري. والشاهد في البيت الأول؛ وهو الفصل بين (ثلاثين) و (حولاً) بالمجرور ضرورة. وهذا تقوية لجواز الفصل بين (كم) وتمييزها عوضاً لما منعه من التصرف في الكلام بالتقديم والتأخير، فهي واجبة التقديم، وأنا الثلاثون ونحوها، فلما لها من التصرف بالتقديم، والتأخير، وفقدان الصدارة وجب اتصال التمييز بها إلا في الضرورة. انظر الكتاب ١٥٨/٢-١٥٩، والإنصاف ٣٠٨/١.

(٤) - انظر الكتاب ١٥٦/٢-١٥٨، والإنصاف (حاشية) ٣٠٨/١.

ت- نيابة اللفظ:

الأصل في الصفة أن تكون مشتقة لفظاً، أو تاويلاً، والمراد بالمشتق هنا: ما أخذ من المصدر للدلالة على معنى، وصاحبه: كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، وأفعال التفضيل، والمؤول بالمشتق، كاسم الإشارة، و (ذو)، والمنسب (١)

* ويستدل سيبويه بما خرج على الأصل، فناب لفظ مناب معنى هو صفة لما قبله، ذلك من خلال قول الأعشى (٢)

تَيْنَ كُنْتَ فِي جَبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرَقَّيْتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ (٣)

فقد ذكر أن (ثمانين) وردت صفة ل (جب) لأنها نابت عن لفظ آخر وهو طويل، أو عميق (٤)، وهذا ما يفرضه سياق المعنى الذي يريده الشاعر.

ث- اختلاف اللفظين:

الأصل أن لا يتكرر حرفان لهما معنى واحد، وتكرارهما هو خروج على الأصل. وقد استدل سيبويه على ذلك بقول حنيد الأرقط:

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

(١)- انظر أضواء على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (المتن) ١٤/٣.

(٢)- ديوان الأعشى ٩٤، وشرح المفصل ٧٤٠/٢، لسان العرب (سبب).

(٣)- الجبة: البئر. والقامة: مقدار طول الرجل. وأسباب السماوات: مراقبها أو نواحيها. والواو فيه بمعنى (أو). يشوّد الشاعر بزينة بن شمسر الشيباني بالهجاء القاتل ويريد أنه لا يُنجبك مني البعد. والشاهد فيه أنه جعل (ثمانين) وصفاً ل (جب)، لأنها نابتة مناب طويل وعميق. الكتاب ٢٨٢.

(٤)- انظر المصدر السابق ٢٨٢.

(٥)- العصف: التبن، أو الزرع الذي أُكِلَ جبه. والشاهد فيه إدخال (مثل) على الكاف لأن الكاف بمعنى مثل، والتفدير: مثل مثل عصف، وجاز التكرار لاختلاف اللفظين. الكتاب ٤٠٨/١.

فقد جاءت (مثل)، وتلتها (الكاف)، والكاف بمعنى مثل، فيكون قد تكرر لفظان بمعنى واحد وجاز التكرار لاختلاف لفظيهما. (١)

٢- الاستدلال للأصول:

شغل الخروج على الأصل حيزاً كبيراً في كتاب سيبويه، حتى غدا اهتمامه هذا بارزاً في المحاور المتعددة لذلك الخروج. وهذا لا يعني أنه لم يتكلم على الأصول، وبين مناحيها. فقد شمل كتابه أصول النحو حتى صار قرآنه بما حواه من قواعد تفصيلية للغة العرب وكلامهم. وقد وظف سيبويه حديثه عن الخروج على الأصول لخدمة الأصل نفسه، لأن الأصول لا تحتاج إلى تفصيل كبير، بل العكس صحيح، فهو يسهب في الكلام في الكلام على ما خالف القواعد العربية وأصولها ليوضح تلك القواعد ويزيدها بياناً.

* من الأصول أن الصفة تتبع الموصوف، ولا يصح أن تتقدم الصفة على موصوفها، وإذا تقدمت حُسن نصبها على الحالية، واستدل سيبويه على ذلك بقول ذي الرثة (٢)

وتحت العوالي في القنا مستظلةً ظباً أعارتها العيون الجاذرُ (٣)

(١)- انظر الكتاب ٤٠٨/١.

(٢)- ديوان ذي الرثة ٢٥٤، شرح المفصل ٦٤/٢.

(٣)- عوالي القنا: صدرها. والقنا: الرياح، جمع قنافة، والعرب تشبه النساء بالطباء في طول الاعناق. والجاذر: جمع جودر، وهو ولد البقرة الوحشية. والشاعر يصف نسوة مثيبتين، فصرن تحت عوالي الرياح وفي حوزتها. والشاهد فيه نصب (مستظلة) على الحال بعد أن كانت صفة للطباء متأخرة، فلما صارت متقدمة امتنع أن تكون نعناً، لأنّ النعت لا يتقدم على منعونه انظر الكتاب ١٢٣/٢.

وأصل الكلام: في القنا طباء مستظلة، على أن (مستظلة) صفة لاطباء) ولما كانت الصفة تتبع الموصوف، ولا تنفدته، فقد نصب (مستظلة) على أنها حال، وهو بذلك يؤكد أصلاً نحويًا ويستدل له (١)

* ومن الأصول أن المفعول له هو «ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر، فانتصب لأنه موقوع له، ولأنه تفسير لما قبله لم كان؟ وليس بصفة لما قبله، ولا منه» (٢) فبعد أن سرد صاحب الكتاب هذا الأصل أكدته بآيات وفيرة، منها قول العارث بن هشام:

فصَحَّتْ عَنْهُمْ وَالْأَحْبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لِهِمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مَقِيدِ (٣)

فقد نصب (طمعاً) على المفعول له، «كأنه قيل له: لم فعلت كذا وكذا، فقال: لكذا وكذا» (٤)

* ومنه أن ضمير النصب المنفصل يوضع في الموضع الذي لا يُستطاع فيه استخدام الضمير المتصل، وقد ذكر سيبويه هذا الأصل بقوله: «اعلم أن علامة المضمير المنصوبين (إيّا)، ما لم تقدر على (الكاف) التي في رأيتك، و(كُما) التي في رأيتكما، و(كُم) التي في رأيتكم، و(كُن) التي في رأيتكن، و(الهاء) التي في رأيتهُ، و(الهاء) التي رأيتُها، و(هُما) التي في رأيتُهما، و(هُم) التي في رأيتُهم، و(هُن) التي في رأيتُهن، و(ني) التي في رأيتني، و(نا) التي في رأيتنا. فلئن قدرت على شيء من هذه الحروف في موضع لم توقع (إيّا) ذلك الموضع لآتهم استغنوا بها عن (إيّا)، كما استغنوا بالتاء وأخواتها في الرفع عن

(١)- انظر الكتاب ١٢٢/٢.

(٢)- المصدر السابق ٣٦٧/١.

(٣)- يعتذر من فراره يوم بدر، بعد أن قُتِلَ أخوه أبو جهل، ولم يأخذ بشاره. وقوله: عنهم، أي عن أعدائه. يقول: لم يترك القتال جُبناً، ولم يغف عنهم ويصفح إلا طمعاً في أن يموت لهم، ويعاقبهم بيوم يوقع بهم فيه فيفسد أحوالهم. والشاهد فيه نصب (طمعاً) على المفعول له. الكتاب ٣٦٩/١.

(٤)- المصدر السابق ٣٦٩/١.

(أنتَ) وأخواتها» (١) ثم يستدلّ على الأصل بقول الشاعر: (٢)

صَبْرًا مِنْ مَحْبُوبِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَاللَّهُ يَرْعَى أبا حَرْبٍ وَإِيَّانَا (٣)

فقد استخدم الضمير المنفصل (إيَّانا) في موضع لا يقدر فيه على استخدام الضمير المتصل (نا) في نحو (رأيتنا) (٤) ومثل ذلك: أي الاستدلال للأصول كثير في الكتاب (٥)

٣- الاستدلال لأكثر من وجه:

كان غاية سيبويه إتمام ما رسمه النحاة الذين سبقوه من قواعد لُغَةِ العرب، لذلك فهو يعطي البيت الشعري كلَّ الوجوه المحتملة لتخريجه. فإذا رُوي البيت بأوجه مختلفة فإنّه يبيّن وجوها، وإن لم يكن له إلا رواية واحدة فإنه يشير إلى احتمالات أخرى لو كان الشاعر قد ذكرها لجاز له ذلك.

* من ذلك ما نقله لنا عن قول عمرو بن معدٍ يكرب:

الحَرْبُ أَوْلُ مَا تَكُونُ فُتْيَةً نَسَى بِرَبِّهَا لِكُلِّ جَهْلٍ (٦)

(١) - الكتاب ٢/٣٥٥-٣٥٦.

(٢) - الشاهد من الخمسين. انظر شرح المفصل ٣/٧٥. ومع الهوامع ١/٩٣.

(٣) - الشاهد فيه استعمال (إيَّانا) الضمير المنفصل حيث لم يقدر على المتصل. الكتاب ٢/٣٥٦.

(٤) - انظر المصدر السابق ٢/٣٥٩.

(٥) - انظر المصدر السابق ١/٥٦، ٧٨، ٧٩، ١٢٩، ١٥١، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٩، ١٩٠، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ١٦٧/٢.

١٦٣، ١٦٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٥٦، ٣٥٧، ١٨٣/٣، ٣٢، ٣٥، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٥٧.

١٣١، ٣٦٠، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥٨٩، ٢٢٥/٤.

(٦) - فُتْيَةٌ: نصفيّر فتاة، والبرّة: اللباس، وأصلها من بزوت الرجل برّاً: ملبته، ثم سبّت بما تزول إليه من السلب في الحرب ونحوها. يعني أنّ الحرب تنفّر من لم يُحَرِّبْهَا حتّى يدخل فيها فتهلكه، فهي تبدأ صغيرة ثم تكبر، ويشدّ ضرامها. والشاهد فيه: رفع (أول)، ونصب (فُتْيَةٌ)، والعكس، ورفعهما جميعاً، ونصبهما على تفديرات مختلفة. فتقدير الأول: الحرب أول أحوالها إذا كانت فُتْيَةٌ، فُتْيَةٌ فيه حال ناب عن الخبر للمبتدأ الثاني. وتقدير الثاني: الحرب في أول أحوالها فُتْيَةٌ، فلا أول) نصب على الظرفية. وتقدير الثالث والرابع أوضحهما سيبويه. انظر الكتاب (حاشية) ١/٤٠١-٤٠٢.

ثم شرع يبيّن الوجوه المحتملة، موضّحاً كلّ وجه منها بقوله: «وبعضهم يقول:

الحربُ أوّلُ ما تكونُ فتيّةٌ

أي إذا كانت في ذلك الحين. وبعضهم يقول:

الحربُ أوّلُ ما تكونُ فتيّةٌ

كأنه قال: الحرب أوّلُ أحوالها إذا كانت فتيّةً، كما تقول: عبد الله أحسنُ ما يكون قائماً. ومن رفع (الفتيّة) ونصب الأوّل على الحال قال: البرُّ أرخصُ ما يكون قفيزان. ومن نصب (الفتيّة) ورفع الأوّل قال: البرُّ أرخصُ ما يكون قفيزين. (١)

* ومنه ما ذكره في باب (كَمْ) وجوزات الاسم الواقع بعدها، واستدل بقول أنس بن زعيم: (٢)

كَمْ بجودٍ مقرفٍ نال الغلا وكريمٍ بخله قد وضّعة (٣)

(١) - في قوله (البرُّ أرخصُ ما يكون قفيزين) إشارة إلى مثال نثري سابق تناوله بالمقارنة مع قول عمرو بن معد يكرب. انظر الكتاب ٤٠١/١ - ٤٠٢.

(٢) - ويتنسب لعبد الله بن كريز، وأبي الأسود. انظر الكتاب (حاشية) ١٦٧/٢.

(٣) - المقرف: النذل اللثيم الأب، أي آتة قد يرتفع اللثيم بجوده، ويتضع الكريم الأب بسبب بخله. والشاهد فيه قوله: كَمْ بجود مقرف نال الغلا. ذ (كَمْ) في هذا البيت خبرية تدلّ على التكثير، كالك قلت: كثير من المقرفين نالوا الغلا بسبب جودهم، وكثير من الذين لهم آباء كرماء قد اتضع حالهم بسبب بخلهم. والبيت يروى بثلاثة أوجه: الرفع والنصب والجرّ، فرواية الرفع (مقرف) تكون فيها (كَمْ) ظرفاً متعلقاً بقول (نال)، ويكون (مقرف) مبتدأ، وجملة (نال الغلا) في محل رفع خبر المبتدأ، وكأنه قال: مقرف نال الغلا في زمنٍ كثيرة بسبب جوده. وأما رواية النصب فعلى أن تكون (مقرفاً) تمييزاً لـ (كَمْ) الخبرية، وإنما نصب للفصل بينه وبينها. وأما رواية الجرّ فعلى أن تجعل (مقرف) بالجر تمييزاً لـ (كَمْ) الخبرية على أصله، ولا تعتمد بالفواصل بينهما، وكَمْ على وجهي الجر والنصب مبتدأ، وجملة (نال الغلا) في محل رفع خبره. انظر الكتاب (حاشية) ١٦٧/٢، الإنصاف ٣٠٣/١ - ٣٠٤، النحر الوافي ٥٦٩/٤ - ٥٧٠.

وأشار إلى جواز ثلاثة أوجه في (مقرف)، الأول منها الرفع على أن تكون مبتدأ، وتكون (كم) ظرفاً متعلقاً ب(نال)، وخبر (مقرف) هو نال العُلا، والثاني النصب على التمييز لـ (كم) الخبرية، والثالث الجرُّ بالإضافة على الرغم من وجود الفاصل (بجود) (١)

هذان المثالان يوضحان غاية سببويه من استدلاله بأكثر من وجه، فهو كثيراً ما يحيط بالقاعدة النحوية، ويحاول إشباعها درساً وتمحيصاً ليبيّن كلَّ الوجوه المحتملة. ومثل ذلك كثير جداً في الكتاب. (٢)

٤- بيان اللهجات :

حاول سببويه في كتابه إضافة إلى تعقيد اللغة أن يرسم خارطة لغوية للهجات العرب، فهو يشير في مواضع متعددة إلى القبائل العربية ولهجاتها، ومرات كثيرة يشير إلى أسماء البلدان والمواضع ونحوها سواء أكان استدلاله بالشعر، أم بالنثر، أم بالقرآن الكريم، وقراماته! فقد أشار إلى (أسد) ست عشرة مرة (٣) وإلى أهل الحجاز أربعاً وخمسين مرة، (٤) ومثل ذلك كثير في الكتاب.

(١) انظر الكتاب ١٦٦٧-١٦٦٨، والإنصاف ٣٠٣/١ - ٣٠٤ أسئلة ٤١.

(٢) انظر المصدر السابق ٧٢/١، ١٤٦، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٨٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٢/٢، ٦٤، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١١٥، ١١٦، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٦٧، ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٢، ٣٥٨، ١٤٢/٣، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٧، ٤٨، ٥٤، ٧١، ٨٥، ٨٦، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٤١، ٢٦٠، ٢٧٩، ٢٩٦، ٣٦٠، ٣٦٥.

(٣) انظر الكتاب: ٤٧/١، ١٤٩، ١٤٥/٢، ٣٤٣، ٨٦، ٦٥/٣، ٢٤٧، ٢٤٨، ٥٣٣، ١٢٥/٤، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٦، ١٩٩، ٢١١، ٢١٤.

(٤) انظر المصدر السابق: ٥٧/١، ٥٩، ٧١، ٨٣، ١٢٢، ١٤٦، ٣٧٣، ٣٨٥، ٢٧٦/٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١، ٤١٣، ٢٥/٣، ٢٦، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣٧٣، ٣٨٧، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٩، ٩٠/٤، ١٠٨، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٥٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٠، ٢٥٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٢، ٤٥٧، ٤٧٣.

* من استدلاله بالشعر لبيان لهجة ما ذكره لهجة ما ذكره في الاستثناء المنقطع، وأطلق عليه «هذا بابٌ يُختار فيه النصبُ لأنَّ الآخرَ ليس من نوع الأول» (١) وذكر أنَّ أهل الحجاز يقولون: ما فيها أحدٌ إلا حماراً، على معنى (ولكن حماراً) كراهةً أن يبدلوا الآخرَ من الأول، فيصيرُ كأنه من نوعه، فحُجِّلَ على معنى (ولكن). ثم ذكر أنَّ بني تميم يقولون: لا أحدٌ فيها إلا حمارٌ، أرادوا ليس فيها إلا حمارٌ، ولكنه ذكر أحداً توكيداً؛ لأنَّ يعلم أنَّ ليس فيها آدميٌّ، ثم أبدل فكأنه قال: ليس فيها إلا حمارٌ (٢)، ويتابع سيبويه حديثه موضحاً رأي أهل الحجاز تارة، ورأي بني تميم تارة أخرى ويستدلُّ على آرائهم بالشعر كقول أبي ذؤيب الهذلي:

فإنَّ تَمَسَّ في قَبْرِ بِرَهْوَةَ ثَاوِيَا أُنَيْسَكَ أَصْدَاءُ: الْقُبُورِ تَصِيحُ (٣)

وبإنشاد بني تميم كقول النابغة الذبياني:

يا دار مَيَّةَ بِالْعَلْبَاءِ فَالَسَّندِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ (٤)
وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَانًا أَسَانِلِهَا عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّيِّعِ مِنْ أَحَدِ (٥)

(١) - الكتاب ٣١٩/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ٣١٩/٢ - ٣٢٠.

(٣) - برثني الشاعر رجلاً يدعى (نشبية). ثاويًا: مقيماً. والأصداء: جمع صدى، وهو طائر يقال له الهامة، تزعم الأعراب أنه يخرج من رأس القتبيل إذا لم يدرك بشره فيصبح: اسقوني اسقوني! حتى يثار به. والشاهد في جمعه الأصداء أنيس المرثي، الساعاً ومجازاً، لأنها تقوم في استقرارها بالمكان وعشارتها له مقام الأناسي. وهو تقوية لمذهب تميم في إبدال ما لا يعقل مثن يعقل، فيجعلون (ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ) بمنزلة (ما في الدار أحدٌ إلا فلان). والنصب في مثل هذا أجود لأنَّ استثناء منقطع، وهو لغة الحجازيين. انظر الكتاب (حاشية) ٣٢٠/٢.

(٤) - العلباء والسند: موضعان. أقوت: خلت من أهلها. انظر الكتاب ٣٢١/٢.

(٥) - أصيلان: مصفّر أصيل شذوذاً، أو هو مصفّر أصلان بالضم، وهذا جمع أصيل، أو هو مفرد كرتان، وقُرتان. وأصيل: العشي. عيئت: عجزت ولم تستطع الجواب، و(جواباً) تمييزٌ مفرد من عيٍّ جوائها على المجاز. انظر الكتاب (حاشية)

إِلَّا أَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّوْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَدِّ (١)

واظهار لفة أهل الحجاز الذين ينصبون (إلّا أوارِيّ)، ومنه قول النابغة الذبياني أيضاً:

خَلَفْتَ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّ بِصَاحِبِ (٢)

الذي أظهر من خلاله لفة بني تميم الذين يرفعون (حُسْنُ) على البدلية من موضع (علم) . ومنه قول ابن الأيهم التغلبي:

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الرَّقَابِ (٣)

وقول عمرو بن معد يكرب:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةً بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٤)

(١) - الأوارِيّ: محابس الخيل، واحدها أري، وهو من تازيت بالمكان : تحبست به. لأيا: بطناً، ومعناه: أبينها بعد لأي لتفتريها. والنوي: حاجز حول الغباء يدفع عنه الماء، من نأى: بقى. وشبهه في استدارته بالحوض. والمظلومة: أرض حفر فيها الحوض لغير إقامة، لأنها في فلاة، فظلمت لذلك، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه عنى أنّ حفر الحوض لم يمشق، فذلك أشبه للنوي به. والجَدِّ: الصلبة، ولذا لم يتيسر تسميق الحفر. والشاهد فيه رفع (أوارِيّ) على البدل من الموضع، والتقدير: ما بالربع أحد إلا أوارِي، على اعتبارها من جنس الأعديين اتساعاً ومجازاً. انظر الكتاب (حاشية) ٣٢١/٢.

(٢) - المثنوية: الاستثناء في البمين، أي يمينا قاطعة لا يقول الحالف فيها: إلا أن يشاء الله غيره، أو نحو ذلك . يقول: حُسْنِ ظَنِّي بِصَاحِبِي وَثَقْنِي بِهِ يَقُومُ مَقَامَ الْعِلْمِ. والشاهد فيه نصب (حُسْنِ) على الاستثناء المنقطع، لأن حُسْنَ الظنّ ليس من العلم. ورفع (حسْنِ ظنّ) على البدل من موضع (علم) جائز كأنه أقام الظنّ مقام العلم اتساعاً ومجازاً. انظر الكتاب (حاشية) ٣٢٢/٢.

(٣) - قبل هذا البيت لما كان بين تغلب وقيس من عداوة وحرب. والشاهد فيه رفع (غير) على البدل من (عتاب) وجعل الطعن والضرب من العتاب اتساعاً ومجازاً، وأهل الحجاز ينصبون (غير) انظر الكتاب ٣٢٣/٢ والحاشية.

(٤) - الخيل: الفرسان. دلفت: زحفت. وجيع: مرجع. يقول: إذا تلاقوا في الحرب جعلوا الضرب الوجيع بدلاً من تحية بعضهم لبعض. والشاهد فيه جعل الضرب تحيةً على الاتساع والمجاز. وذكر سيبويه هذا تقوية لجواز البدل فيما لم يكن من جنس الأول حقيقة. انظر الكتاب حاشية ٣٢٣/٢.

وقول الحارث بن عبّاد:

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِجَا م حِمِّهَا التَّخَيْلُ وَالْمِرَاحُ (١)

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّـ جَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَاحُ (٢)

فقد استدل بلفظ بني تميم في جواز إبدال (الفتى) من (التخيل). ومنه قول الحارث أيضاً:

لَمْ يَغْذُهَا الرَّسْلُ وَلَا أَيْسَارُهَا إِلَّا طَوِيَّ اللَّحْمِ وَاسْتَجْوَزُهَا (٣)

ومنه استدلاله بقول جرّان العود:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهِيَ أَنْيْسُ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ (٤)

فقد رفع (اليعافير، والعيس) على أنها بدلٌ من (الأنيس) وهي لهجة بني تميم.

* ومنه ما ذكره في «باب بدل المعرفة من النكرة، والمعرفة من المعرفة، وقطع المعرفة من المعرفة

مبتدأة» (٥)

(١) - جاحم الحرب: معظمها واشدها. لجاحمها: أي بسبب جاحمها أو عند جاحمها. التخيّل: الخيلاء والتكبر. والميراح بالكسر: المرح واللعب.

(٢) - العتبار: الشديد العبر. والنجدات: جمع نجدة، وهي الشدة. الوقاح: كسحاب: العصب العافر، وإذا صلب حافره صلب سائره. والشاهد فيه إبدال (الفتى) من (التخيّل والميراح) على الاتساع والمجاز وهي لغة لبني تميم. انظر الكتاب ٣٢٤/٢ والحاشية.

(٣) - يصف الشاعر اسرّة منعمة تتغذى طري اللحم متى تستجيز لنفسها من مالها. ونفى عنها التغذي بالرمل، وهو اللبن؛ لأنه غذاء من لا يقدر على اللحم من المحتاجين، كما نفى أن يكون غذاءها لحم الأيسار، وهو جمع يسرّ بالتحريك، ويسر، وهو الضارب بقداح الميسر. ولحم الميسر كانوا يطعمونه ضمفاء العبي وساكين الجيران. والشاهد فيه إبدال (طري) من (الرمل) وإن لم يكن من جنسه اتساعاً ومجازاً. انظر الكتاب (الحاشية) ٣٢٤/٢.

(٤) - اليعافير: جمع يعفور، وهو الطيب الذي لونه لون العفر، وهو الثراب، والعيس: جمع عيس، وعيساء، وأصلها الإبل لكثرة أراء بشر الوحش، والشاهد فيه قوله: إلا اليعافير، والأعيس، حيث رفع ما بعد إلا على البدل متا قبلها مع أن (اليعافير والعيس) ليسا من جنس الأنيس في الأصل ولكّنه تومتع فجعلها من جنسه. انظر الكتاب ٣٢٢/٢، والإنصاف ٢٧١/١.

(٥) - الكتاب ١٤/٢.

فقد أشار إلى لهجة الهذليين من خلال استدلاله بقول مالك بن خُوَيْلِدِ الخُناعي:

يَا مَيَّ إِن تَقْقِدِي قَوْمًا وَتَدْتِهِمْ

أَوْ تُخَلِّسِيهِمْ فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلَّاسٌ

عَمْرُو وَعَبْدُ مَنَافٍ وَالَّذِي عَهَدَتْ

بِئَطْنٍ عَوَّعَرَ أَبِي الصَّيِّمِ عَبَّاسٌ (١)

فقد قطع (عمرو)، وما عُطِفَ عليه مثا قبله، ورفع على الابتداء، ولو نصب (عمرو) على أنها بدل من (قوماً) لجاز (٢)

وتعرض سيبويه لبيان اللهجات في كتابه كله واضح بيّن، سواء أكان ذلك في القرآن الكريم والقراءات، أم الشعر، أم النثر (٣)

٥- الاستدلال للجيد:

كان الهدف من تعويد اللغة العربية إيجاد الأسس التي تربط عناصرها، لذلك بحث سيبويه وغيره من النحاة عن الشائع من لغة العرب، والقليل، والنادر، والقبيح، والحسن، وغير ذلك من المصطلحات، ولعلّ الجيد عند النحاة هو ما وافق لغة الكثرة، وشاع، وانتشر على لسانهم، والقبيح ما نطقت به قلة من العرب، إذن فالاستدلال للجيد هو معيار سليم للغة العرب وبيان لِمَا شاع منها حتى صار أصلاً استمدت منه قواعد اللغة العربية.

(١) - تُخَلِّسِيهِمْ: أي يُوخِّدُونَ منك بفتحة، فإنّ الدهر من دأبه أن يُوخِّدَ فيه الشيء بفتحة وفتحة. وعمرو: هو عمرو بن عبد مناف بن قصي. الذي عهدت، أي الذي عهدته، فهو من قبيل الائتفات من الخطاب إلى الغيبة. وعمرع: جبل في بلاد هذيل. والعباس هو ابن عبد المطلب القرشي. وبين هذيل وقريش قرابة في النسب، والدار. والشاهد فيه قطع (عمرو) وما بعده مما قبله، ورفع على الابتداء. ولو نصب على البدلية من (قوماً) لجاز. انظر الكتاب (حاشية) ١٥/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ١٥/٢-١٦.

(٣) - انظر استدلال سيبويه بالشعر لبيان اللهجات. الكتاب ٣١٩/١، ٣٢٠، ١٥/٢، ٢٠، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤.

* من ذلك ما ذكره في «باب ما يُضمرّ فيه الفعلُ المستعملُ إظهاره بعد حرفٍ» (١) من نصب الاسم بإضمار فعل يقتضيه الشرط تقديره (كان)، واستدلّ على ذلك بقول ابن همام السلوليّ:

وأحضرتُ عُدْرِي، عليه الشهو م د ، إنَّ عاذراً لي، وإنَّ تاركاً (٢)

على تقدير: إنَّ كان عاذراً لي، وإنَّ كان تاركاً. وعدة النصب جيداً (٣) وقد قارن ذلك بلغة من يرفع الاسم بدلاً من نصبه مضغفاً لغة من رفع بقوله: «ووزعم يونس أنّ العرب تُنشِدُ هذا البيت لهُدَيْتَةَ بنِ خَشْرَمٍ:

فإنَّ لكُ في أموالنا لا نَضِيقُ بها ذراعاً، وإنَّ صَبْرٌ فَتَصْبِرُ لِلصَّبْرِ (٤)

والنصب فيه جيّد» (٥) أي أنه لو نصب (صبراً) لكان أجود.

* ومنه أنّ الأصل في اسم (إنَّ) أن يكون معرفة، وخبرها قد يكون معرفة أو نكرة، فإذا جاء اسمها نكرة فالجيد أن يكون خبرها نكرة أيضاً، وقد استدل سيبويه على ذلك بقول امرئ القيس:

(١) - الكتاب ٢٥٨/١.

(٢) - يخاطب الأمير مستشهداً على براته. والشاهد في نصب (عاذراً) بعد (إنَّ) بكان المحذوفة مع اسمها. الكتاب ٢٦٢/١.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢٦٠/١.

(٤) - يقول: إنَّ طولبنا بديته لم نضق بها ذراعاً، ولم نعجز أموالنا عنها، وإنَّ أوجبوا علينا الثار والقتل صبرنا لذلك والشاهد فيه رفع (صبراً) بعد إنَّ بتقدير: وإنَّ وقع صبراً، أو إنَّ كان لبنا صبراً فلنا نصبر، والنصب أجود. الكتاب ٢٥٩/١ - ٢٦٠.

(٥) - المصدر السابق ٢٦٠/١.

وإن شفاءً عَبْرَةً مَهْرَاقَةً فهل عند رَسْمِ دَارِسٍ من مَعْوَلٍ (١)
وتنكير اسم إن (شفاء) حَسَنٌ لأنَّ خبرها (عبرة) نكرة (٢) ومثل ذلك كثير في الكتاب (٣)

٦- الاستدلال للقليل:

لعلَّ حرصَ سيبويه على الاستدلال للقليل هو دليل على رغبته بالإحاطة بلغة العرب ما قلَّ منها وما كثر، وما حسن وما قبح؛ لذلك نراه يستدل للقليل، ويشير إلى قلة تداوله بين قبائل العرب.
* من ذلك أنَّ بعض العرب يجعلون (ليس) غير عاملة مثل (ما) حين يتقدم معمول الفعل كقول حُمَيْدِ الأَرَقَطِ:

فأصبحوا والنوى عالي مَعْرَسِهِمْ وليس كلَّ النوى تُلقِي المساكينُ (٤)

ينصب (كلَّ) على أنَّها مفعول به لـ (يلقي)، ولا يجوز أن تعمل (ليس) على أنها فعل ناقص إذا كانت

(١)- العبرة: الدمة. والمَهْرَاقَةُ: المصوية. والرسم: ما بقي من آثار الدار لاصفاً بالأرض. والدارس: البالي. والمَعْوَلُ: التعميل والانتكال؛ أو هو من العويل بمعنى البكاء. يقول: بكأوه يشفي من لوعة الأسي، ولكنه تلبيل النفع والجدوى، وإنَّ يرد ما فانه من فقد الأحبة. والشاهد فيه نصب (شفاء) اسماً لأنَّ مع تنكيرها: لأنَّ الخبر نكرة مثلها. وهو أحسن من أن يكون الاسم نكرة، والخبر معرفة في نحو: إنَّ قريباً منك زيد. انظر الكتاب (حاشية) ١٤٢/٢-١٤٣.

(٢)- انظر المصدر السابق ١٤٣/٢.

(٣)- انظر المصدر السابق ١/١٨٥، ١٩٥، ١٩٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٢١، ٣٩٩، ١٧/٢، ٣٧، ٦٤، ١٤٢، ٣٠٤، ٦٥، ٦٢/٣، ٨٩، ٩٢/٤.

(٤)- يصف اضيافاً جبابعاً نزلوا به. المرَّس: المنزل الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل. يقول: أكلوا كثيراً من التمر، وألقوا قليلاً من النوى؛ لأنهم لجوعهم لم يلقوا إلا بعضه. والشاهد فيه أنَّ (ليس) مثل (ما). انظر الكتاب ١/٧٠، ١٤٧.

(كلّ) منصوبة. ووصف سيبويه هذه اللفظة بقوله: «وقد زعم بعضهم أنّ ليس تُجْعَل كـ (ما)، وذلك قليل لا يكاد يُعرف، فهذا يجوز أن يكون منه: ليس خَلَقَ الله أشعَرَ منه، وليس قالها زيد.» (١) وقال: «فلو كان (كلّ) على ليس ولا إضمار فيه لم يكن إلاّ الرفع في (كلّ)، ولكنه انتصبَ على تُلقَى.» (٢) * ومن ذلك أن بعض بني تميم يمنعون (أمس) من الصرف، وقد ذكر سيبويه ذلك واستدلّ بقول الشاعر:

لقد رأيتُ عجباَ مُدَّ أَمَسَا عجائزاً مثلَ السعالي خَمَسَا (٣)

وبيّن أنّه قليل، لأنّ من خصائص (مُدّ) أنها ترفع وتجرّ، وأمس جاءت مجرورة بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف. (٤)

* ومنه أنّ علامة جزم الفعل المضارع المعتل الآخر حذفُ حرف العلة، ويرى سيبويه أنّ قلّة من العرب يجعلون علامة جزم المعتل السكون، ويستدلّ على ذلك ببيت لقيس بن زهير: (٥)

ألم يأتَيْكَ والأنبا: تَمَي بما لاَقَتْ لَبُونُ بني زيادِ (٦)

(١)- الكتاب ١/١٤٧.

(٢)- المصدر السابق ١/٧٠.

(٣)- العجائز: جمع عجوز، والسعلة: أنثى الغول، أو ساحرة الجح. والشاهد فيه (مدّ أسسا) حيث جاء مجروراً بالفتحة نيابة عن الكسرة، فدلّ على أنّ قلّة من العرب يعاملون هذا اللفظ معاملة الاسم المنوع من الصرف. وهناك آراء أخرى مردود عليها. انظر الكتاب ٣/٢٨٤-٢٨٥، وأوضح للمسالك ٣/١٥٤.

(٤)- انظر الكتاب ٣/٢٨٥.

(٥)- انظر الخصائص ١/٣٣٣، والمحتسب ١/٩٧، ١٩٦، ٢١٥، والإنصاف ١/٣٠.

(٦)- اللبون من الشاء والإيل: ذات اللبن. وبنو زياد هم أولاد سفيان العبسي، وأتهم فاطمة بنت الخرشب وللبيت ومناسبة قصة المذكورة، والشاهد فيه: إسكان الباء، وعدم حذفها في (يأتيتك) في الجزم. حملاً لها على الصحيح. وهي لفة لبعض العرب يجرون المعتل مجرى السالم في جميع أحواله. فاستعملها هنا للضرورة. انظر الكتاب ٣/٣١٦، والإنصاف ١/٣٠.

بإثبات الياء في (ألم يأتيك)، وقد نسب سيبويه إنشاد البيت إلى من يثق بعربيته (١) والاستدلال للقليل في كتاب سيبويه كثير، حرص سيبويه على إبرازه في كثير من طرق استدلاله. لاسيما الشعر (٢)

٧- الاستدلال للضعيف :

كرّر سيبويه مصطلح الضعف في مواضع كثيرة من الكتاب، وكان ينعى الضعيف أحياناً بالخبيث والقبیح. ومهما كان مظهر الضعف عنده فإنه في النهاية يدلّ على قلة اتساع رقعة الناطقين به، بل ندرتهم.

* الأصل في الشرط ألا يفصل بين أداة الشرط والفعل الذي بعدها، سواء أكانت هذه الأداة اسماً أم حرفاً، ولا يجوز أن يتقدّم فاعل فعل الشرط المجزوم على الأداة، فلا يقال: متى زيدٌ يأتك أكره. أما إذا كانت الأداة (إن) فقد أجازوا تقدّم الاسم ووقوعه بين (إن) وفعل الشرط، لأنّ «(إن) أصل الجزاء ولا تفارقه، فجاز هذا كما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر».

وأما سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعفٌ في الكلام، لأنها ليست كلن. (٣) وبعد إشارته إلى ما ضعف في كلامهم يستدل سيبويه له بقول عدي بن زيد (٤)

فمَتَى وَأَعْلَى يَنْبَهُمْ يُحَيِّوْ م وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِي (٥)

(١)- انظر الكتاب ٣/٣١٥.

(٢)- انظر في ذلك الكتاب ١/١٤٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ١٣٦/٢، ٢٩٥، ٩٩/٣، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٩٦، ٤٨٦، ٥٠٤، ٥١٥، ٣٩٩/٤ وانظر فهارس كتاب سيبويه لعضيه ٣٠-٤٢.

(٣)- الكتاب ٣/١١٢، ١١٣.

(٤)- ديوان عدي بن زيد ١٥٦، شرح المفصل ١٠/٩، مع السوامع ٥٩/٢.

(٥)- الراعل: الداخل في الشرب ولم يُعَجَّ، يُنْبَهُم: ينزل بهم. وتَعَطَّفَ: ثَمَل. والشاهد فيه تقديم الاسم على الفعل في (متى) مع جزمها للفعل في الضرورة، ورفع الاسم بعد (متى) بإضمار فعل ينسره الظاهر. انظر الكتاب (حاشية) ٣/١١٣.

فقد تقدم (واغْل) على الفعل المجزوم (يُنْبِئُهُمْ) وهذا فيه ضعف لأن الجزم واقع بغير (إن) (١) * ومنه أن (لا) النافية لا تفصل بين المتلازمين إلا إذا تكرر فيقبح قولك: مررت برجل لا فارس، حتى تقول: مررت برجل لا فارس، ولا شجاع، ومثل ذلك: هذا زيد لا فارساً، لا يحسن حتى تقول: هذا زيد لا فارساً، ولا شجاعاً (٢) ويذكر سيبويه أنه يجوز على ضعف أن ترد (لا) دون تكرار، ويستدل لذلك بقول رجل من بني سلول:

وَأَنْتَ أَمْرٌ مَنَا خَلَقْتَ لغيرنا
حَيَاتِكَ لَا نَفْعُ وَمَوْتِكَ فَاجِعٌ (٣)

فقد رفع (نفع) بعد (لا) على الرغم من عدم تكرارها وهذا جائز على ضعفه في الشعر (٤) والاستدلال للضعيف غير قليل في كتاب (٥)

٨- تأكيد السماع:

يبقى السماع أبرز الأصول النحوية التي اعتمدها النحاة في استدلالهم؛ لأنه أدق طرائقها وأهمها، وهذا ما جعل سيبويه يشير في كتابه في مواضع لا تحصى إلى السماع عن العرب، أو الموثوق بهم، أو بعض العرب، أو غير ذلك من العبارات.

* من ذلك نقله في «باب من الفعل سمي الفعل بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث»، (٦)

(١) - انظر الكتاب ١١٣/٣ وانظر بتوسيع الإنصاف ٦١٥/٢-٦٢٠.

(٢) - انظر الكتاب ٣٠٥/٢.

(٣) - يقول: أنت منا في النسب، إلا أن نفعك لغيرنا، فحياتك لا نفعنا لعدم مشاركتك لنا، ولكن موتك ينجعنا لأنك أحدنا. والشاهد فيه رفع ما بعد (لا) مع عدم تكرارها، وهو نبيح. انظر الكتاب (حاشية) ٣٠٥/٢-٣٠٦.

(٤) - انظر المصدر السابق ٣٠٥/٢.

(٥) - انظر في ذلك المصدر السابق: ٤٨١، ٤٩، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٣٠٥/٢، ٣٣٧، ٣٩٢/٣، ٩٢، ١١٣، ١١٤.

(٦) - المصدر السابق ٢٤١/١.

من أن بعض العرب يقول: رويدَ وهلمَّ وخَيْبَلْ وهي أسماء أفعال لـ: أروِدْ، وهاتِ، وائتِ، وهي تدلُّ على الأمر، ثم استدلاله على ما شاع من بعض العرب بقول طُفَيْلِ بْنِ يَزِيدِ الْحَارِثِيِّ:

تَوَاكِمَا مِنْ إِبْلِ تَوَاكِمَا (١)

«فهذا اسم لقوله له: اثْرُكِبَا» (٢)

* ومنه نقله عن العرب من قولهم: رُوَيْدٌ بمعنى أروِدْ واستدلاله بقول معطل الهذلي: (٣)

رَوَيْدَ عَلِيًّا جَدًّا مَا ثَدِي أَمْهَمٌ إِيْنَا وَلَكِنْ بَقَضُهُمْ مَتَمَائِنُ (٤)

ثم توكيده لمعنى (رويد) بقوله: «فقد تبين لك أن رُوَيْدًا في موضع الفعل» (٥)

* ومنه ما ذكره في «باب ما يجيء من المصادر مثني منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره» (٦) فقد تكلم على ما سمعه من العرب من المصادر المثناة نحو: حنانيك، ولبتيك، وسعديك، وحذاريك، ودواليك وغيرها (٧) ثم استدل لما سمع من العرب بقول طرفة بن العبد:

أَبَا مَنْدَرٍ أَفْتَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٨)

(١) - موضع الاستشهاد به (تواكها) حيث استعمل (فَعَالٍ) من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف اسم فعل أمر، وبناء على الكسر. انظر الكتاب ٢٤١/١، والإنصاف ٥٣٧/٢.

(٢) - الكتاب ٢٤٢/١.

(٣) - ديوان الهذليين ٤٦٣.

(٤) - علي: قبيلة من كنانة. وجدُّ ثدي أتهم إينا، أي بيننا وبينهم خولة رحم، وقرابة من قبل أسهم، وهم منقطعون إينا بها، وإن كان في ودهم لنا مئذ، أي كذب ولفظ. فهو يذكر قطعة كانت بينهم وبين هؤلاء، على ما بينهم من قرابة وأخوة. والشاهد فيه (رويد) وهو اسم فعل أمر عمل فيما بعده فنصب (علياً). الكتاب ٢٤٣/١.

(٥) - المصدر السابق ٢٤٣/١.

(٦) - الكتاب ٣٤٨/١.

(٧) - انظر المصدر السابق ١٤٨-٣٥١.

(٨) - أبو منذر: كنية عمرو بن هند. يخاطبه حين أسر بقتله. وللشاهد فيه نصب (حنانيك) على المصدر النائب عن الفعل. انظر المصدر السابق ٣٤٨/١.

ونقل ما زعمه الخليل من أن معنى التثنية أنه أراد تحثنا بعد تحثن. (١)
 وذكر قولَ عبد بنى الحَسَناس:

إِذَا شَقَّ بُرْدٌ شَقَّ بِالْبُرْدِ مِثْلَهُ دَوَالِيكَ حَتَّى لَيْسَ لِلْبُرْدِ لَيْسُ (٢)

ليؤكد ما سمع عن العرب مبرزا أقوال شيوخه، لا سيما الخليل. (٣)

وكان سيبويه ينوع في صيغة الاستدلال بالسمع فهو يستخدم عبارة: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم ينشد هذا البيت نصياً» (٤) أو «سمعناه ممن يرويه من العرب» (٥) أو «سمعناها ممن يرويها عن العرب» (٦) أو «زعم أبو الخطاب: أنه سمع هذا البيت من أهله» (٧) أو «سمعنا من العرب من يقول» (٨) أو «سمعت رجلاً من العرب ينشد هذا البيت» (٩)

(١) - انظر الكتاب ٣٤٨/١.

(٢) - يظن العرب أن المتحاثين إذا شق كل واحد منهما ثوباً صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد. والبُرد: الثوب. وفي البيت إقواء لأنه من أبيات مكسورة الروي. وهناك رواية أخرى (حتى كلنا غير لابس) وعلى هذا فلا إقواء. والشاهد فيه (دواليك)، نصبت على المصدر الموضوع موضع الحال، وثنى لأن المداولة من اثنين. والكاف للخطاب، لا يتعرف ما قبلها بها، فلذا يصح وقوعه حالاً. انظر الكتاب (حاشية) ٣٥٠/١.

(٣) - انظر المصدر السابق ٣٥١/١-٣٥٤.

(٤) - المصدر السابق ٣٠٤/١.

(٥) - المصدر السابق ٤٢٦/١.

(٦) - المصدر السابق ٥٨/٣.

(٧) - المصدر السابق ١٢٣/٣.

(٨) - المصدر السابق ١٢٨/٣.

(٩) - المصدر السابق ١٤٤/٣.

* لم يهتم سيبويه بالمسموع الشائع من لغة العرب فحسب، بل نراه في بعض المواضع ينقل ما سمعه من الغريب، فهو يشير إلى ذلك أحياناً بقوله: (بعض العرب) من خلال قوله: «وَنظِيرُ عُنُقٍ قَوْلِ بَعْضِ الْعَرَبِ فِي السَّمَاءِ: سَمِيٌّ» (١) ثم يستدل على ذلك بقول أبي نُخَيْلَةَ:

كَنْهَوْرٌ كَانَ مِنْ أَعْقَابِ السَّمِيِّ (٢)

فذكر (سَمِيٌّ) جمع سماء وهو جمع غريب (٣) ومثل ذلك كثير جداً في الكتاب (٤)

٩- تتبع القاعدة والامتدال لها:

لم يهدف سيبويه في كتابه إلى الحديث عما خالف الأصول، أو عما أكدها فقط، بل هو يتتبع اتجاهات متعددة تخدم النحو، وتعيده. فهو يتتبع القاعدة بتفاصيلها، ويستدل لها بالشعر بأبيات كثيرة متتالية يبني من ورائها إثبات صحة ما يتناوله بدلائل من كلام العرب.

* من ذلك أنه في حديثه عن اسم الفاعل، وعمله نجده يفصل فيه، ويتكلم عليه إذا كان منوناً، أو غير منون تخفيفاً، ومضافاً، أو غير مضاف، ويتحدث عن معمول اسم الفاعل، وأحواله، والعطف على هذا المعمول. وخلال هذا التتبع الدقيق يستدل للقواعد، ودقائقها بواحدٍ وعشرين بيتاً، (٥) ويصرح خلال

(١)- الكتاب ٦٠٦/٣.

(٢)- الكَنْهَوْرُ: القطع العظيم من شراكب السحاب، وأحدته كنهورة. والأعقاب: جمع عقب وهو آخر الشيء، عنى آتة سحاب نقل بالماء، فأتى لذلك آخر السحاب لثقله، وأراد بالسماء هنا السحاب. والشاهد فيه: جمع سماء على (سَمِيٌّ) بوزن فُعُول، اجتمعت واوان في آخره فقلبت ثابتهما ياء، ثم قلبت أولهما ياء لالتقائهما ساكنة بالياء المنقلبة، فقلبت كذلك ياء، وكسر الحرف الصحيح لثبوت الياء بعد الكسرة. ونظيرها من السالم: عناق، وعنوق، وهو جمع غريب. انظر الكتاب (حاشية) ٦٠٦/٣.

(٣)- انظر المصدر السابق ٦٠٦/٣.

(٤)- انظر فهرس كتاب سيبويه لمضيه ٤٢٠٣٦.

(٥)- انظر الكتاب ١٦٤/ - ١٧٥.

هذه المتابعة برغبته في التوضيح حين يقول:

«ومتا يزيد هذا الباب إيضاحاً أنه...» (١)

ومما استدلت به على تنوين اسم الفاعل قول امرئ القيس: (٢)

إني بحبلكَ واصلُ حَبلي وبريشِ نَبلكَ رائِشُ نَبلي (٣)

ثم يستدل بقول عمر بن أبي ربيعة:

ومن مالي عينيهِ من شيءٍ غيره إذا راحَ نحوَ الجمرةِ البِيضِ كالدُّمى (٤)

ثم يستدل ببيت زهير بن أبي سلمى، فالأخوص الرياحي (٥) في الموضوع نفسه، ثم يستدل على اسم

الفاعل إذا كان غير متون بقول الفرزدق:

أناي على القساءِ عادِلٌ وطِبه برَجلي لثيمِ واستِ عبدٍ تعادِلُهُ (٦)

(١) - الكتاب ١/١٩٨.

(٢) - ديوان امرئ القيس ١٣٩.

(٣) - راح السهم بريشه: ركب فيه الريش. والتبيل: السهام، لا واحد له من لفظه. يقول لها: امري من أمرك، وهواي من هواك. وهذان مثلان ضربهما للنودة والمواصلة. والشاهد فيه تنوين (واصل) و(رائش) ونصب ما بعدها تشبيهاً بالفعل المضارع، لأنهما في معناه، ومن لفظه، فجزياً مجراه في الفعل، كما جرى مجراها في الإعراب. انظر الكتاب ١/١٦٤.

(٤) - من شيءٍ غيره: أي من نساء غيره. والجمرة: موضع رمي الجمار بمنى. والبِيض: النساء البيض والدُّمى: صور الرخام، شبهت النساء بها لأن الصانع لا يدخر جهداً في تحسينها، وتلطيفها، لما لهن من السكينة والوقار. والشاهد فيه إعمال (مالي) ونصب ما بعدها تشبيهاً بالفعل المضارع، لأنهما في معناه، ومن لفظه. الكتاب ١/١٦٥.

(٥) - انظر المصدر السابق ١/١٦٥.

(٦) - القساء: الناقة المحدودة من الهزال. والوطب: سقاء اللبن. عدل وطبه برجليه واسته، أي جعلهما عدلاً له، أي جعل وطبه في ناحية من الراحلة معادلاً له. والعبدان: ما يوضعان على جنبي البعير. والشاهد فيه حذف التنوين من (عادِلٌ) وإضافته إلى ما بعده استخفافاً. الكتاب ١/١٦٢.

ثم يقول الزبيرقان بن بدر:

مُسْتَحْقِي حَلْقِ الْمَادِيَّ يَحْفَرُهُ بِالْمَشْرِفِيَّ وَغَابَ فَوْقَهُ حَصِيدُ (١)

ثم يستدل بقول السُّلَيْكِ بن السُّلَيْكَةِ، إلى أن يقول: «ومما يزيد هذا الباب إيضاحاً أنه على معنى المنون قول النابغة:

أَحْكَمُ كَحَكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ شِوَّاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ» (٢)

ثم يتابع استدلاله بقول للمرار الأسدي، ثم أبي الأسود الدؤلي، ثم جرير، ثم كعب بن جميل التغلبي، ثم رجل من قيس عيلان، ثم بيت من الخمسين، وهكذا يستمر سببونه باستدلاله متبوعاً القواعد الجزئية لاسم الفاعل وعمله (٣) وهذه سمة من سمات طريقة استدلاله نقرؤها في أكثر من مكان (٤)

١٠- عدم استدلاله بالشعر:

يلاحظ أن الفارق بين عدم استدلال سببونه بالقرآن الكريم أحياناً، وعدم استدلاله بالشعر، واضح؛ فهو لم يستدل بالقرآن الكريم في مواضع لغة العرب القبيحة، لأن القرآن في الأصل كان بلغة مثالية لا يرقى إليها شك. أما الاستدلال بالشعر على تلك اللفظة فهو موجود، لأن الشعر ديوان العرب

(١) - وصف جيشاً وفرسانه. استحقوا الحلق: جملوه في حقائبهم، والحلق: جمع حلقة، والمراد لبسهم للدروع، والمادي: مفرد ماذية، وهي الدروع الصافية الحديد، اللينة الملمس. يحفره: أراد يحفر المادي: يرفعه ويشمره. والضمير المستتر للجيش. والمشرقي: سيف منسوب إلى المشارف بالشام. والغاب: الرماح. والحصد: العناب الشديد المعكم. والشاهد فيه (سستحقي) حيث حذف النون، كما حذف التنوين في البيت السابق. الكتاب ١٦٧/١.

(٢) - يخاطب النعمان بن المنذر، يقول له: كن حكيماً في أمري مصيباً للحق والعدل، كما أصابت فتاة الحي، وهي زرقاء البعامة في تقدير عدد الحمام. والشرع: المورد. والثمد: الماء القليل. والشاهد فيه إضافة (وارد) إلى الثمد إضافة غير محضة ولم تكنسب تعريفاً، فوسفت بها النكرة قبلها وهي (حمام) انظر الكتاب ١٦٨/١.

(٣) - انظر الكتاب ١٦٨/١-١٧٤.

(٤) - انظر المصدر السابق ١٦٣-١٦٠/١، ٤٤/٢، ٤٨، ٦٢، ٧٠، ٧٥، ١٣٣-١٤٠، ٣١/٣، ٤٠، ٤١، ٤٦.

وهو الوعاء الذي ضمّ ملامح لغتهم، فمن الطبيعي أن يحوي الشعر أحياناً لغة قبيحة، أو ضعيفة، أو غير ذلك من النعوت، لأنه؛ أي الشعر، ترجمة صادقة للسان هذه الأمة.

ويلاحظ أن سببويه لم يستدل بالشعر العربي في استنباطه للقواعد البسيطة الواضحة التي تدخل في بعض الأبحاث «كالابتداء» (١)، «وباب الابتداء يضم في ما ينبنى على الابتداء» (٢) و«باب ألف الندبة فيه تابعة لما قبلها» (٣) و «باب ما لا تلحقه الألف التي تلحق المندوب» (٤) و «باب ما لا يجوز أن يندب» (٥) و «باب الحروف التي ينبت بها المدعو» (٦) و«أسماء الأفعال المنقولة عن ظرف أو جار وجرور» (٧) و «باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي» (٨) و «باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجة في جميع اللفات» (٩) و «باب ما ينتصب من الأسماء التي ليست بصفة ولا مصادر لأنه حال يقع فيه الأمر فيتنصب لأنه مفعول به» (١٠) فهي إذن تتعلق بالابتداء، والندبة، وأسماء الأفعال، وبعض أنواع المفعول به. ولا حاجة للوقوف عليها لأنها من الأصول، وسببويه وضع جلّ اهتمامه في غير الأصول لأن الأصل لا ينبغي دليلاً، إضافة إلى أن

(١) - الكتاب ١٢٨/٢.

(٢) - المصدر السابق ١٢٩/٢.

(٣) - المصدر السابق ٢٢٤/٢.

(٤) - المصدر السابق ٢٢٥/٢-٢٢٧.

(٥) - المصدر السابق ٢٢٧/٢-٢٢٨.

(٦) - المصدر السابق ٢٢٩/٢-٢٣١.

(٧) - المصدر السابق ٢٤٨/١-٢٥٣.

(٨) - المصدر السابق ٢٥٧/١-٢٥٩.

(٩) - المصدر السابق ٣٨٧/١-٣٩٠.

(١٠) - المصدر السابق ٣٩١/١-٣٩٧.

القواعد البسيطة الواضحة تحتاج إلى أمثلة من كلام العرب، ونطقهم، وأوزانهم لتكون خير دليل على هذا الكلام. ولغة الكلام هي لغة الواقع، أما لغة الشعر فهي اللغة المثالية للعرب، وهي تضطره أحيانا إلى الاعتماد عن لغة الحديث اليومي، لينظم قصيدة باللغة المثالية التي لا تحوي لهجة محلية، أو لكنة قبليّة، أو استعمالاً يخص جماعة دون أخرى.

* هذه الأبحاث النحويّة نستطيع أن نقسمها إلى أنواع متعدّدة: منها ما نأى به عن الشعر فقد استدلّ فيه بالقرآن الكريم، وكلام العرب، والأمثلة الموضوعية، لكنّه لم يستدلّ بالشعر، ذلك في «باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي» (١) و «باب ما يختار فيه الرفع، ويكون فيه الوجة في جميع اللغات» (٢) و «باب ما ينتصب خبره لأنه معرفة لا توصف، ولا تكون وصفاً» (٣).

* ومنها ما لم يستدلّ فيه سببوه بالشعر إضافة إلى عدم استدلاله بالقرآن الكريم، ذلك في «أسماء الأفعال المنقولة عن ظرف أو جار ومجرور» (٤) و «باب ما ينتصب من الأسماء التي ليست بصفة، ولا مصدر، لآته حالّ يقع فيه الأمر فينتصب لأنه مفعول به» (٥) و «باب ألف الندبة فيه تابعة لما قبلها» (٦) و «باب ما لا تلحقه الألف التي تلحق المندوب» (٧) و «باب ما لا يجوز أن يندب» (٨).

(١) - الكتاب ١/٢٥٢ - ٢٥٩.

(٢) - المصدر السابق ١/٣٨٧ - ٣٩٠.

(٣) - المصدر السابق ٢/١١٤ - ١١٧.

(٤) - المصدر السابق ١/٢٤٨ - ٢٥٣.

(٥) - المصدر السابق ١/٣٩١ - ٣٩٧.

(٦) - المصدر السابق ٢/٢٢٤.

(٧) - المصدر السابق ٢/٢٢٥ - ٢٢٧.

(٨) - المصدر السابق ٢/٢٢٧ - ٢٢٨.

و «باب ما ينتصب لأنه ليس من اسم ما قبله ولا هو هو» (١) و«باب ما ينتصب لأنه قبيح أن يكون صفة» (٢) ولعل ذلك يعود إلى أن هذه الأبحاث تدخل في الأبحاث النحوية البسيطة.

* ومنها ما لم يستدل فيه بالشعر إلا في آخر الباب، فقد استدل ببيت شعري واحد، كان ذلك في حديثه عن أدوات النداء، فعددها، ومثل لها، وبيّن خصائص كلّ منها، ثم جاء في آخر الباب ليستدل على حذف (يا) من النكرة في الشعر من خلال قول العجاج:

جاري لا تستنكري عذيري (٣)

يريد: يا جارية. ولعل استدلاله بهذا البيت الوحيد في هذا الباب جاء في سياق استدلاله ببعض الأمثلة المتداولة نحو: «افتد مخنوق»، و«أصبح ليلاً»، و«أطرق كرا» (٤) على ما فيها كلها من خفة في اللفظ، ومدلول لغوي يمتاز بهما الرجز، والأمثال.

* ومنها ما يبدأ به الكلام مستدلاً ببعض الشعر، ثم يبتعد عنه صفحات طويلة من دون أن يستدل ببيت واحد. نحو ما ذكره في «باب ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة» (٥) فقد بدأه بقوله: «وذلك قولك هذا أول فارس مقبل، وهذا كلّ متاع عندك موضوع، وهذا خير منك مقبل»، ثم نقل لنا عن النخيل وأبي الخطاب استدلالهما بأبيات الشنخ، وذي الإصبع العدواني، وابن أحمر، بعد ذلك نراه

(١) - الكتاب ١١٨/٢ - ١٢١.

(٢) - المصدر السابق ١١٧/٢ - ١١٨.

(٣) - يخاطب امرأته، يريد: يا جارية. وعذير الرجل: ما يروم، وما يحاول ما يعذر عليه إذا فعله. والشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من (جاري) وهو اسم نكرة قبل النداء لا يتصرف إلا بعرف النداء، وإنما يطرد حذفه في المعارف وسببويه يقصد بالنكرة هنا ما كان نكرة قبل النداء فصار معرفة بعده. انظر الكتاب (حاشية) ٢٣١/٢.

(٤) - المصدر السابق ٢٣١/٢.

(٥) - المصدر السابق ١١٠/٢.

يبتعد عن الشعر، والاستدلال به، وينتهي من الباب المذكور، ثم يدخل في «باب ما ينتصب خبره لأنه معرفة، وهي معرفة لا توصف ولا تكون وصفاً» (١)، ثم يعتد حديثه إلى ثلاثة أبواب أخرى تالية لم يذكر فيها بيتاً شعرياً واحداً (٢).

الأمر ذاته نراه في كلامه على «ما ينتصب لأنه قبيح أن يوصف بما بعده، ويبنى على ما قبله» (٣) فقد بدأ كلامه بذكر الأمثلة نحو: هذا قائماً رجلاً، وفيها قائماً رجلاً ثم أتبعها بثلاثة أبيات لذي الرمة، وكثير، وآخر غيرهما، ثم ابتعد عن الاستدلال بالشعر إلى آخر الباب، ثم دخل بالباب الذي يليه «باب ما يثنى فيه المستقرّ توكيداً» (٤)، ثم «باب الابتداء» (٥)، ثم «باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ، وسدّة مسدّته» (٦)، ثم «باب من الابتداء يضمّر فيه ما يُبنى على الابتداء» (٧)، ثم «باب يكون المبتدأ فيه مضمراً، ويكون المبنى عليه مظهرًا» (٨)، من غير أن يستدلّ ببيت شعري واحد. ولعل هذه الطريقة في استدلاله ترجع إلى أنه حاول في البداية أن يثبت أصول الباب فحشد لها الأمثلة والشعر والأمثال، وبعد أن استقرت القاعدة، شرع بذكر الأمثلة التي وضعها هو نفسه، ليشير إلى قواعد جزئية بسيطة، أو ليعالج بعض القواعد التي لا يملك لها شيئاً من شعر العرب.

(١) - الكتاب ١١٤/٢.

(٢) - الأبواب المفصولة هي: «باب ما ينتصب لأنه قبيح أن يكون صفة»، و«باب ما ينتصب لأنه ليس من اسم ما قبله، ولا هو هو»، و«هذا شيء ينتصب على أنه ليس من اسم الأول، ولا هو هو». المصدر السابق ١١٧/٢، ١١٨، ١٢٠.

(٣) - المصدر السابق ١٢٢/٢.

(٤) - المصدر السابق ١٢٥/٢.

(٥) - المصدر السابق ١٢٦/٢.

(٦) - المصدر السابق ١٢٨/٢.

(٧) - المصدر السابق ١٢٩/٢.

(٨) - المصدر السابق ١٣٠/٢.

١١- أسلوب فني (الحكاية):

ذكر سيبويه كثيراً من المعالجات النحوية التي رأينا أنها تنضوي تحت نوع من الأساليب الفنية التي تمتاز بها اللغة العربية، لذلك فقد رأينا أيضاً أنّ هذه الأساليب جُلّها جاء فيما خالف الأصول النحوية، وقواعدها المستنبطة، وقلة منها لم تخرج على هذه الأصول، ولعلّ الحكاية هي إحدى الأساليب الفنية التي لا تخرج على الأصول، والتي أشار إليها سيبويه، واستدل لها بالشعر.

* من ذلك ما نقله عن الخليل في الحكاية واستدلّ له بقول الشاعر: (١)

كذبتُم وبيتِ الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصرّ وتحلّب (٢)

حيث أراد: يابني منّ يقال لها شاب قرناها (٣) وهذا المثال ليس الوحيد في هذا الأسلوب (٤)

١٢- تكرار البيت في أكثر من موضع:

يُلاحظ في تناولات سيبويه النحوية من خلال الكتاب أنه يكرّر كثيراً من الشعر، أو الرجز بأكثر من طريقة؛ فهو يذكر البيت في موضع، ثم يذكره مرة ثانية في موضع آخر مشيراً إلى ذلك بشكل صريح. وقد يكرر البيت من غير إشارة إلى أنه قد ورد ذكره سابقاً، وقد يذكر جملة من البيت، أو طرفاً منه مذكراً بوروده فيما سبق، وكلّ موضع منها يخص قاعدة نحوية تختلف عن الأخرى.

(١)- البيت لرجل من بني أسد. انظر الخصائص ٣٦٧/٢.

(٢)- أراد لن نتمكّنوا من نكاحها يا بني المرأة التي يقال لها: شاب قرناها، والتي تصرّ الماشية، أي تشمت ضروعها ليجتمع الدرّ فتحلّب. والقرن: الفرد من الشعر في جانب الرأس، يعني العجوز الرابعة. والشاهد فيه حمل (بني شاب قرناها) على

الحكاية. انظر الكتاب (حاشية) ٨٥-٨٦.

(٣)- انظر المصدر السابق ٨٦/٢.

(٤)- انظر المصدر السابق ٨٤/٢، ٢٠٧/٣، ٣٢٦، ٣٢٧.

* من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

بدا لي لستُ مُدْرِكُ ما مضى ولا سابقاً شيئاً إذا كان جانياً (١)

فقد استدلّ به سيبويه على عمل اسم الفاعل (سابقاً) عمل فعله فيما بعده (٢) ثم استدل به على عطف المجرور على منصوب على توهم جره، وذلك بعطف (سابق) على (مُدْرِك) على توهم جرهما بحرف جرّ زائد، فكانه قال: لستُ بِمُدْرِكٍ، ولا سابقٍ (٣) ثم استدلّ به على إضمار اسم كان في قوله: إذا كان جانياً (٤) ثم استدلّ به على أمرٍ سبق ذكره، وهو جر (سابق) على تقدير الباء الزائدة في (مُدْرِك)، أي: لستُ بِمُدْرِكٍ ولا سابقٍ (٥) ثم كرّر فكرة التوهم من خلال استدلاله به مرتين في صفحة واحدة (٦)، ثم استدلّ به حول القاعدة ذاتها لما كان يتكلم على قوله تعالى: (فَاطَظِقْ وَأَكْنِ مِنَ الصَّالِحِينَ) (٧)، وعقد بينهما مقارنة بقوله: «دفاًتاً جرّوا هذا، (أي: سابق) لأنّ الأول قد يدخله الباء (أي: مُدْرِك)، فجاؤوا بالثاني، وكانهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعل الذي قبله (أي: أُصَدِّقْ) قد يكون جزماً، ولا فاء فيه تكلموا بالثاني (أي: أكنّ)، وكانهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا» (٨)، ثم استدل به مرة أخرى مشيراً إلى فكرة التوهم ناعثاً إياها بأنها لغة ردئية (٩)

(١) - للبيت روايات متعددة في (ولا سابقاً)، و(ولا سابق) ذكرها سيبويه بما يخدم تناولاته النحوية. الكتاب ١/١٦٥.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/١٦٥.

(٣) - انظر المصدر السابق ١/٣٠٦.

(٤) - انظر المصدر السابق ٢/١٥٥.

(٥) - انظر المصدر السابق ٣/٢٩.

(٦) - انظر المصدر السابق ٣/٥١.

(٧) - المناقرون ٦٣/١٠٠.

(٨) - الكتاب ٣/١٠٠-١٠١.

(٩) - انظر المصدر السابق ٤/١٦٠.

* ومنه استدلاله بقول الشاعر:

إِذَا رَأَيْتَنِي سَقَطْتُ أَبْصَارَهَا ذَابَ بِكَارٍ شَايَحَتْ بِكَارُهَا (١)

فسيبويه استدلل بقول الشاعر ثم أشار إلى هذا الاستدلال فيما بعد؛ فقد جاء الاستدلال في بحث المفعول المطلق ثم وردت الإشارة إلى البيت ذاته في بحث المفعول لأجله (٢) ومثل ذلك كثير في كتابه (٣).

(١) - سقطت أبصارها: خشعت هيباً لي. والداب: العادة. البكار: جمع البكر والبكرة من الإبل، وهو الغني. شايحت: جدت ومضت. وقد أضاف (بكارها) إلى ضمير (بكار) الأولى، وذلك على سبيل التوكيد، لاختلاف معنى اللفظين. لأن البكار الأولى جمع بكرة بمعنى الإناث، والثانية جمع بكر بمعنى الذكور. والشاهد فيه نصب (داب بكار) ونهضة على المصدر المثبته به، وعامله معنى قوله (إذا رأيتني سقطت أبصارها) لأنه دال على دورها في ذلك. انظر الكتاب (حاشية) ٣٥٧/١.

(٢) - انظر المصدر السابق ٣٦٩/١.

(٣) - انظر المصدر السابق، وتكرار استدلاله بقول الربيع بن ضبع ٢٠٨/١، ١٦٢/٢، وجريز ١٠٢/١، ١٨٣/٣، وقوله ٢٣٣/١، ٣٣٦، وقوله ٣٣٩/١، ٣٤٤، وقوله ٢٠٥/٤، ٢٠٨، والثابتة الجمدي ٢٠٧/٣، ٣٨٥/٢، ٣٢٧، وعلقمة بن عبدة ١٩/٣، ٢٣ والأخوص الرياحي ١٦٥/١، ٣٠٦، ٢٩/٣، والعبدي ١٦٣/٢، ٤٩٨/٣، وذو الرقة ٢٨٠/١، ٢٤٧/٢، وأسرئ القيس ١٤٧/١، ٢٩٤/٢، والحارث بن كلدة ٨٨/١، ١٣٠، وساعدة بن جوية ٣٦/١، ٢١٤، وعدي بن زيد ٣١٢/٢، ٣١٨، والثابتة الذبياني ٢٠٧/٢، ٣٨٢/٣، وقوله ٢٧٧/٢، ٣٢٢، وهدي بن خشرم ١٥٩/٣، ١٣٩/٤، وحيثان بن ثابت ٤٦٨/٣، ٥٥٤، وذو الرقة أيضاً ١٧٩/١، ١٦٦/٢، ٢٨٠، ومضرس بن ربعي ٢٧/١، ١٩٠/٤، والمغيرة بن حبهان ٣٩٣/٣، ٩٢، والحارث بن نهبك ٢٨٨/١، ٣٦٦، ٣٩٨، وذو الرقة أيضاً ١٠٩/٢، ٣٩٨/٣، وجريز أيضاً ٨٧/١، ١٣٠، وكعب بن جميل ١٧٣/٢، ٢٩٤، وعقبة الأسدي ٩٧/١، ٢٩٢/٢، ٩١/٣، والطرياح ٤٣٠/٣، ٢٤٧/٤، وطرفة بن العبد ٤٩/٣، ٥١، وقوله ٩٩/٣، ١٠٠، وعامر بن الطفيل ١٦٣/١، ٢١٤، والأعشى ١٧٩/١، ١٦٦/٢، وجريز أيضاً ٥٣/١، ٢٠٥/٢، ونصيب ١٤٨/٤، ٥٠٣/٣، وجريز أيضاً ٩٤/١، ١٧٠، والفردق ٦٣/٤، ٦٥، والغنم الكلابي ٤٠٢/٣، ٦٠١، ودريد بن الصفة ٢٦٦/١، ٣٣٢، والخرنق بنت هفان ٢٠٢/١، ٥٧/٢، ٦٤، وقولها ٢٠٢/١، ٥٨/٢، ٦٤، والفردق كذلك ١٦٦/١، ١٦٢/٢، ٧٢/٢، وزيد بن عمرو بن نغيل ١٥٥/٢، ١٥٥/٣، والشماخ ١١٠/٢، ٣٣٥، والمرار الأسدي ١١٦/١ =

== ١٦٨، ١٣٩/٢، وزيد الخير ١/١٢٩، ١٨٨/٤، وذو الإصبع العدواني ١/٢٤٦، ٢٧٧، وعمرو بن معد يكرب ٢/٣٢٣،
 ٥٠/٣، وقيس بن ذريح ٢/٢١٦، ٢١٩، وأنس بن العباس السلمي ٢/٢٨٥، ٣٠٩، ومزاحم العقيلي ١/٧٢، ١٤٦، والمنذر
 ابن درهم ١/٣٤٩، ٣٢٠، وقيس بن الخطيم ١/١٨٦، ٢٠٢، وأبي الأخرز الحناني ٣/١١١، ٢٥٦، وأبي محجن الشفني
 ١/٤٢٧، ٢٨٩/٢، والأعشى ١/٤٠٨، ٣٢٢، وزهير ٣/٥١٠، ٥٠٠، وتميم بن سبل ٣/٦٤٣، ٤٦٣، وعمرو بن أبي ربيعة
 ٣/٣٣، ٣١، والأعشى أيضاً ٢/١٣٧، ٤٥٤، ٧٤، وقوله ٣/١٦٤، ٥١، وقوله ٣/١٥٤، ٥٥، وهشام أخي ذي الرمة
 ١/١٤٧، ٧١، وأمريئ القيس أيضاً ٢/٢٤٦، ٦٩، والمرار ١/١١٦، ١٩٠، وابن هرمة ١/٤١٦، ٤١٥، وأمّية بن أبي الصلت
 ٢/٣١٥، ١٠٩، وأمّية بن أبي عائذ ١/٣٩٩، ٦٦، وبامث بن صريم ٢/١٦٥، ٣، وحاتم الطائي ١/٣٦٨، ١٢٦،
 وعمرو بن قبيصة ١/١٩٤، ١٧٨، وألنسر بن تولب ١/٢٦٧، ١٤١، وعمرو بن أبي ربيعة أيضاً ١/٣١، ١١٥، وطريف
 بن تميم ٣/٤٦٦، ٣٧٨، والأخطل ٢/٣٩٩، ٨٤، وهنتره ٢/٢٦٩، ٢١٣، والمهلهل ٢/٦٣، ١٦، وقوله ٢/١٩١، ٢٥١،
 والأعشى أيضاً ٣/٥١٣، ١٨٧، والمرار بن سلامة العجلي ١/٤٠٨، ٣١، وجريز أيضاً ١/٢٢٢، ٤٠٤، وعمرو بن كلثوم
 ١/٢٢٢، ٤٠٥، وفروة بن مسيك ٣/١٥٣، ٢٢١، وابن قيس الرقيقات ٣/١٥١، ١٦٢، وذو الإصبع ٢/١١١،
 ٣٦٢، وقعب بن أم صاحب ١/٢٩، ٣، ٣١٦، ٥٣٥، وحبيد الأرقط ١/١٤٧، ٧٠، وأمريئ القيس أيضاً ٣/٦٢٦، ٢٧، ورجل
 من أزد السراة ٢/٢٦٦، ١١٥، ١٥٤، وحسان بن ثابت ٣/١١٤، ٦٥، والفرزدق أيضاً ٣/٣١٥، ٣١٣، ومن الرجز قول
 روية ٣/١٦٥، ١٦٤، والعجاج ٢/٣٤٧، ٤٨٨، وأبي النجم ١/١٧٥، ١٧٧، ١٩٣، وروية أيضاً ٢/١٨٥، ١٨٦، والأعور
 بن براء الكلبي ١/٢٠٨، ١٦٢، والعجاج ٢/٢٣١، ٢٤١، وجبران السود ١/٢٦٣، ٣٢٢، وأبي النجم أيضاً
 ١/١٢٧، ١٣٧، ١٤٦، وروية أيضاً ٢/٢٧٥، ٢٠٧، وطفيل بن يزيد الحارثي ١/٢٤١، ٢٧١، وذو الرمة
 ٣/٢٢٥، ١٤٧، وخطام المجاشعي ٣/٥٦٩، ٩٢٤، وأبي النجم أيضاً ١/٢٢١، ٢٩٠، ٦٠٧، وقوله ٢/٢٤٨، ٤٥٢،
 وروية أيضاً ١/٢٩، ١٧٠، والعجاج أيضاً ١/٢٦، ١١٠، وخطام المجاشعي أيضاً ١/٣٢، ٤٠٨، ٢٧٩، وقوله ٢/٤٨،
 ٦٢٢، وروية أيضاً ٢/١٥٣، ٣٩٦، والعجاج أيضاً ١/١٧٦، ٣، ٣٣٨، وقوله ٣/٤٦٦، ٣٧٧.

كانت الصلة بين سيبويه، وشيخه الخليل قوية متداخلة بشكل يصعب معه الفصل بين آراء كلٍ منهما، هذا ظاهر الكتاب؛ وعلى الرغم من ذلك فإنه بإمكاننا أن نتلمس في مواضع ليست بقليلة أن سيبويه كان يسرد رأي شيخه ويفصل فيه ويوضحه، بل ويضيف إليه كثيراً من الآراء، والعديد من الشواهد التي من شأنها أن توصل القارئ إلى الإحاطة بالقاعدة إحاطة تامة.

❖ - من ذلك ما نقله عن الخليل في النداء بقوله: «وقال الخليل رحمه الله: إذا أردت النكرة فوصفت، أو لم تُصِفْ فهذه منصوبة؛ لأن التنوين لحقها فطالت، فجعلت بمنزلة المضاف لما طال نُصِبَ، ورُكِّعَ إلى الأصل» (١). ثم يفصل سيبويه ما أراده الخليل، ويبين أن نداء النكرة لما لحقها التنوين وطالت، صارت بمنزلة المضاف، وعلى ذلك فإنه يجيز نقلاً عن الخليل نصب المنادى إذا كان نكرة مقصودة منوثة سواء أكان موصوفاً أو غير موصوف، ثم يستدل على ما نُقِلَ عن الخليل بقول ذي الرِّتَّة (٢):

أَدَاراً بِحَزْوَى هَجَّتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةٌ فَمَا: الْهَوَى يَرْفَضُ أَوْ يَرْقَرُقُ (٣)

فقد نصب (داراً) وهي نكرة مقصودة، لكنها لما وصفت بالجار والمجرور صارت بمنزلة المضاف (٤) ثم يذكر سيبويه، إضافة إلى ما قاله الخليل أن المنادى النكرة إذا لم يوصف فحكمه الرفع، وهو بذلك يخالف رأي شيخه الذي ذكر أن الحكم هو النصب سواء أوصِفَ المنادى أم لم يوصف، ثم يستدل على ذلك بأبيات كثيرة منها قول الطِّرِّاح: (٥)

(١) - الكتاب ١٩٩/٢.

(٢) - ديوان ذي الرِّتَّة ٣٨٩، وشرح المفصل ٦٣/٧، ومع الهوامع ٢ / ١٣١، ١١١.

(٣) - حَزْوَى: اسم موضع. هَجَّتْ: أثرت وحزنت. العبرة: الدفعة. ماء الهوى: هو الدع لآن الهوى يبعثه. يرفض: ينصب متفرقا. والرقرق: أن يجيء، ويذهب فتري له حركة وتلاؤا. والشاهد فيه نصب (داراً)، ولفظها نكرة، ولكنها طالت بما بعدها من الصفة، وهي الجار والمجرور، فصارت بمنزلة المضاف. انظر الكتاب ١٩٩/٢ - ٢٠٠ (حاشية).

(٤) - انظر المصدر السابق ١٩٩/٢.

(٥) - ديوان الطرِّاح ١٦٢. لسان العرب (مصر).

يَادَارُ أَقْوَتُ بَعْدَ أَصْرَامِهَا عَامَاً وَمَا يَغْنِيكَ مِنْ عَامِهَا (١)

«فإنما ترك التنوين فيه لأنه لم يجعل أقوت من صفة الدار، ولكنه قال: يادار، ثم أقبل بعد يحدث عن شأنها، فكانه لما قال: يادار، أقبل على إنسان فقال: أقوت، وتغيرت، وكأنه لما ناداها قال: إنها أقوت يافلان، وإنما أردت بهذا أن تعلم أن أقوت ليس بصفة» (٢).

١٤- التصريح بموضع الشاهد بشكل مفصل:

من يدرس كتاب سيبويه يدرك أنه يلجأ إلى الإيجاز، والإشارة إلى ما يريده من تناولاته النحوية، حتى إننا نكاد نحكم بأنه لم يصرح بموضع الشاهد في أي بيت استدل به في كتابه، بل كان يترك لنا الدور لنستنبط، ونستنتج، وهذا ما فتح المجال أمام المحققين؛ ليعيروا كل شاهد اهتمامهم، ويشبعونه تحليلاً وتعميماً.

* - مرة واحدة فصل سيبويه في موضع الشاهد، وبين وجهه بما يتناسب مع الأصول النحوية ذلك في استدلاله بقول دريد بن الصفة:

لقد كذبتك نفسك فاكذبنا فإن جزعاً وإن إجمالاً صبر (٣)

(١) - أقوت: أقرت. والأصرام: جمع صبرم، وهو الفرقة من الناس ليسوا بالكثير. ينكر على نفسه أن يتشاغل بالدار لتغيرها، إذ لا يجدي ذلك عليه شيئاً. والشاهد فيه رفع (دار) لأنها لم ترصف بما بعدها، وإنما ما بعدها استئناف، وإخبار بعد النداء. انظر الكتاب (حاشية) ٢٠١/٢.

(٢) - المصدر السابق ٢٠١/٢. وانظر في مثل ذلك ٢٠٧/٢.

(٣) - أورد المحقق أن البغدادي قد نته على أن الصواب (فاكذبها)، والخطاب للمونث، لأنه يقول لعاذلته، أو امرأته العاذلة: كذبتك نفسك فيما تزعمين من محاولة تخفيف ما أجذ من الحزن عليه، فاكذب نفسك فلما أن أجزع عليه جزءاً فلي العفر في ذلك، وإنما أن أجمل الصبر إجمالاً فأمدح بذلك. وإجمال الصبر: أن يصبر الصبر الجميل، وهو الذي لاشكوى فيه إلى الخلق. الكتاب (حاشية) ٢٦٦/١.

وفصل سيبويه في موضع الشاهد، ووجه الاستشهاد بقوله: «فهذا على (إتا)، وليس على (إن) الجزاء، كقولك: إن حقاً، وإن كذباً، فهذا على (إتا) محمول. ألا ترى أنك تدخل الفاء، ولو كانت على (إن) الجزاء، وقد استقبلت الكلام، لاحتجت إلى الجواب. فليس قوله:

فلن جزعاً كقوله: إن حقاً وإن كذباً، ولكنه على قوله تعالى (١): **لَإِنَّمَا مَتَى بَعْدُ وَإِنَّمَا فَجَاءَ»** (٢)

من خلال ما تقدمت لاحظنا أن سيبويه يولي الشعر اهتماماً خاصاً لينفذ منه إلى قواعد اللغة العربية مضيئاً إلى مصادر استدلاله نظراً عالم وذهن مبدع.

وعلى غرار ما رأيناه في استدلاله بالقرآن الكريم كان سيبويه يستدل بالشعر لما خرج على الأصل بشكل عام؛ ولأن الأصول لديه لاحتاج إلى أدلة كثيرة، فإنه يسوق الأدلة الكثيرة على ما خرج على هذه الأصول.

لذلك فقد أخذ خروجه على الأصل ملامح متعددة، منها ما يتعلق بالمعنى، وهو الأكثر، ومنها ما يتعلق بأسلوب فني امتازت به لغة العرب، ومنها ماله صلة باللفظ، لا المعنى، وقد يكون حديثه عن الخروج على الأصل بأمر يتعلق بالحذف، أو مخالفة السماع، أو الضرورة، أو الاستخفاف، أو القليل والنادر، والقيبح في لغة العرب، أو نزع الخافض، أو صرف المعنوع من الصرف، أو الإلغاء، أو التوهم، أو الفصل، أو القطع، أو الجوار، أو الاتساع، أو النية، أو ما يتعلق في بُنيّة الكلمة، وصرفها.

(١) - محمد ٤/٤٧.

(٢) - أي لو جعلنا (إن) ههنا للجزاء لاحتجنا إلى جواب، لأن جواب (إن) يكون فيما بعدها، وقد يكون ما قبلها مبنياً من الجواب، إذا لم يدخل عليها شيء من حروف العطف، كقولك: أكرهك إن جئتني. فلن أدخلت عليها فاء، أو ثم بطل أن يكون ما قبلها مبنياً، فلذلك بطل أن يكون البيت على المجازاة. عن السيرافي. انظر الكتاب (٢٦٦) (حاشية).

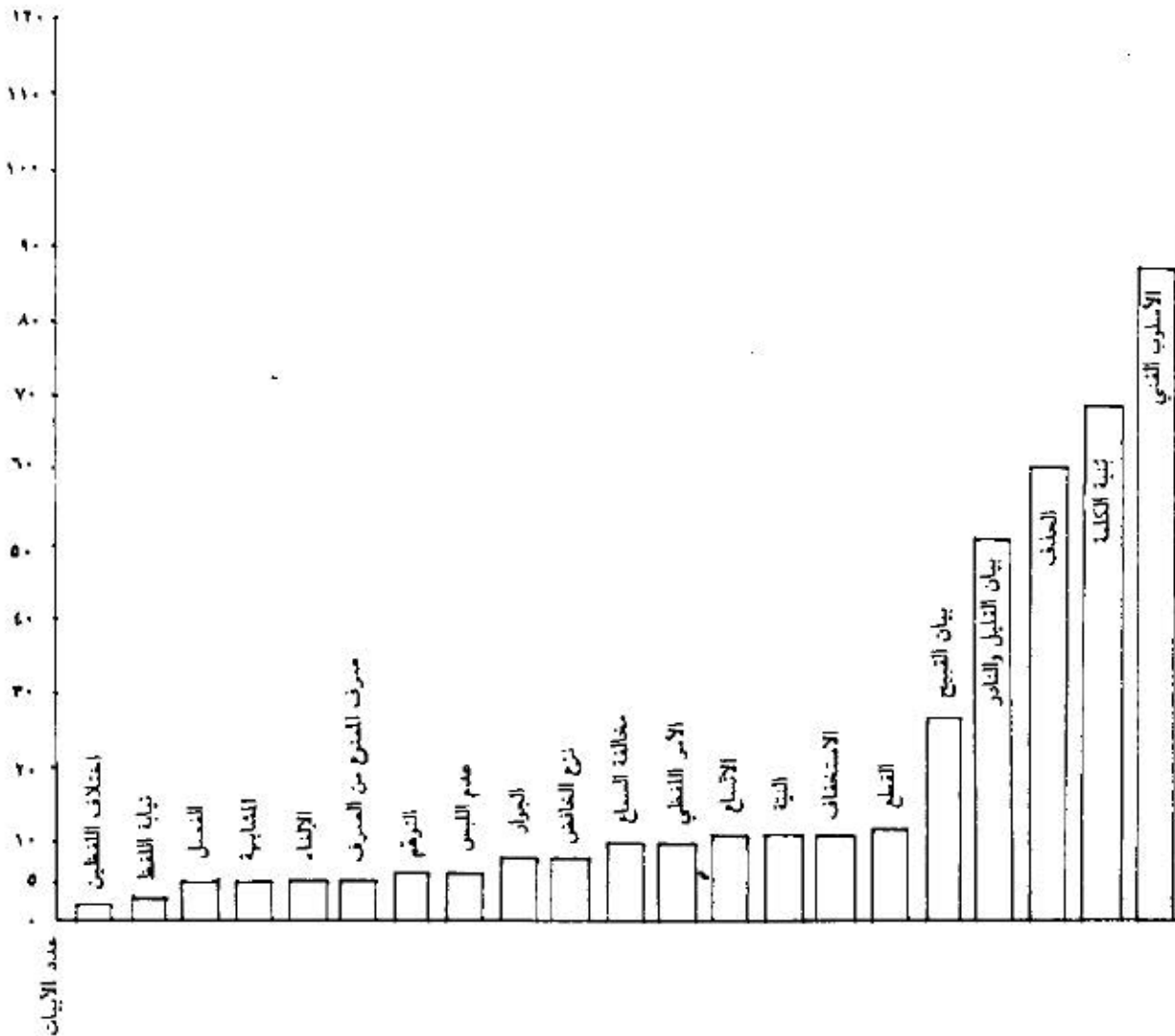
وبالمقابل فإن اهتمامه الكبير بما خالف الأصول لم يصرف جهده عن الحديث عن الأصول، بل استدلّ لها من خلال الاشتغال، وعمل المصدر، وعمل مبالغة اسم الفاعل، وحرص سيبويه على متابعة القواعد التي رسمها فاستدلّ لها بالشعر بشكل متنوع قدر المستطاع ناقلاً كلام شيوخه ، ومضيفاً على كلامهم في مواضع كثيرة، ضمن مقارنات، وتناولات نحوية بديعة، يثبت أدلته بما سمعه عن العرب أو ما سمعه منهم.

وزيادة في دقته، فهو في كثير من المواضع يشير من خلال كلامه إلى أن هذا البيت أو ذاك قد ورد ذكره فيما سبق، ناقلاً لنا الجيد من لغة العرب مستدلاً له بالشعر، وكذلك القليل والضعيف من لغتهم أو لهجاتهم، ذاكراً أكثر من وجه إن لزم الأمر هادفاً من وراء ذلك إلى الإحاطة بالبحث، وعرض جزئياته.

أما المواضع النحوية التي لم يستدل لها بالشعر فهي قليلة نسبياً، واقتصرت على جزء من المباحث النحوية البسيطة كالابتداء، والنداء، والندبة، وأسماء الأفعال لأنها من الأصول التي لا تحتاج إلى دليل بحسب الخط العام لاستدلال سيبويه في كتابه.

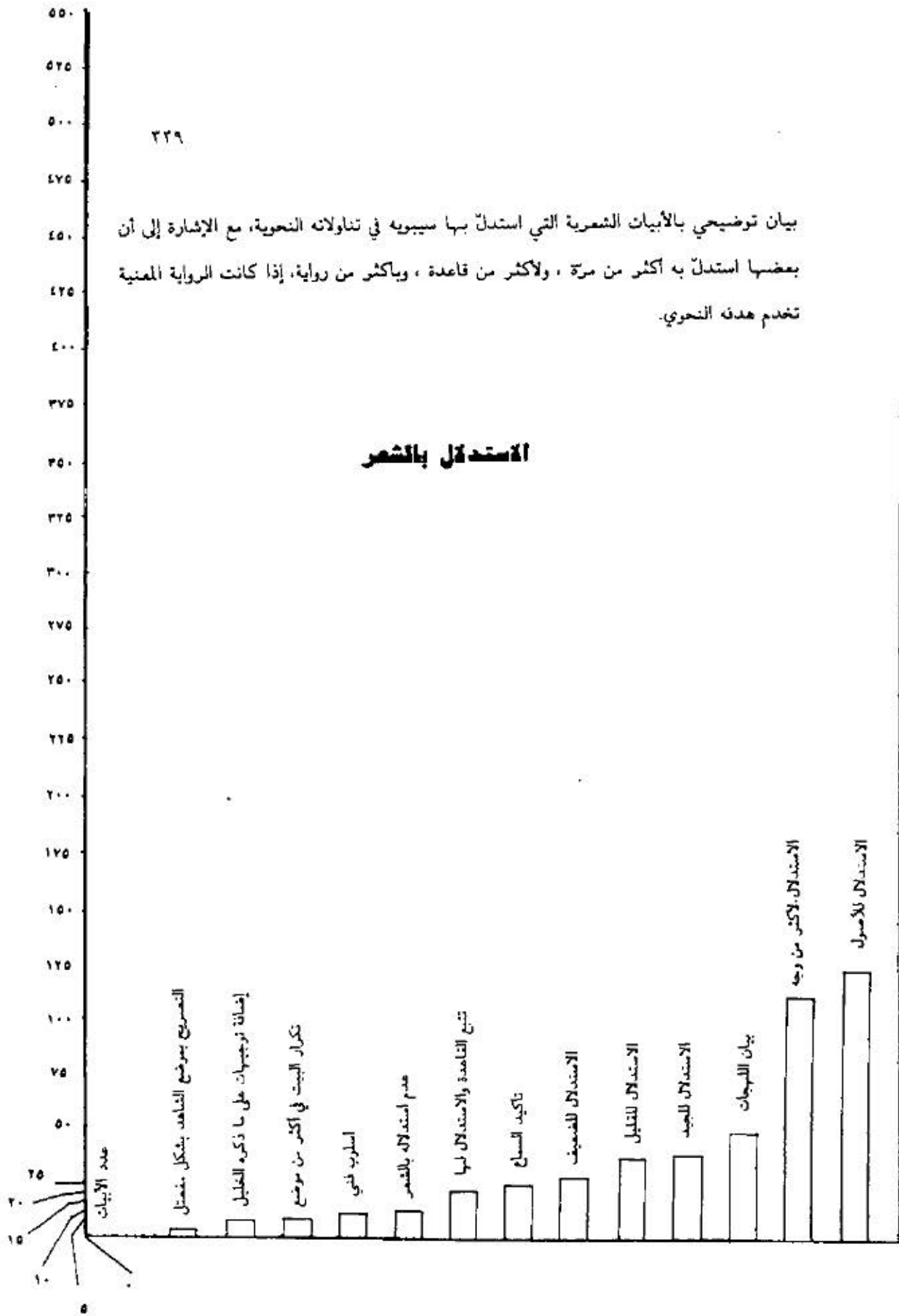
بيان توضيحي بالأبيات الشعرية التي استدلّ بها سببوه في تناولاته النحوية على ما خرج على الأصل مع الإشارة إلى أنّ بعض هذه الأبيات استدلّ به أكثر من مرة، ولأكثر من قاعدة، وبأكثر من رواية، إذا كانت المعنية تخدم هدفه النحوي.

الاستدلال بالشعر على ما خرج على الأصل



بيان توضيحي بالأبيات الشعرية التي استدل بها سيبويه في تناولانه النحوية، مع الإشارة إلى أن بعضها استدل به أكثر من مرة ، ولاكثر من قاعدة ، وياكثر من رواية، إذا كانت الرواية المعنية تخدم هدفه النحوي.

الاستدلال بالشعر



- الأمثال

تميزت لغة الأمثال بأنها تمثل اللفظة بدقتها، وبساطتها، وإيجازها؛ وهذا ما جعلها مصدراً هاماً من مصادر كلام العرب. لكنّ النحاة في بداية نشأة النحو العربي لم يعيروا لغة الأمثال اهتماماً مناسباً، ولعل السبب في ذلك هو حرصهم على لغة الشعر الذي أخذوه عن الرواة والأعراب خوفاً ضياعه، مطمئنين إلى أنّ القرآن الكريم باقٍ من غير شك.

ولم يحرص العلماء على لغة الأمثال لأنها تمثل لغة العرب فحسب، بل لأنها تصور تاريخهم؛ ولأن لكل مثل تقريباً قصة، ومناسبة تتعرف من خلالها تاريخ العرب، وفكرهم إضافة إلى لغتهم، متمثلين منها العظات والعبر لما فيها من حوادث ومفارقات.

أما سيبويه فقد سبق غيره بالاهتمام بالأمثال التي كانت دائرة على السنة العرب، تصور لغتهم التي يتداولونها، وترصد تركيب الجملة عندهم على غرار ما رأيناه في لغة الشعر، وكلام العرب، وإذا كان سيبويه قد أولى لغة القرآن الكريم، والشعر اهتماماً أكبر، فإن ذلك لا يعني أنه أهمل لغة الأمثال، لكنه جعلها عنصراً متمماً في استدلاله، واستخدمها للاستدلال على ماخالف الأصول بشكل عام شأنها شأن سائر مصادر الاستدلال، وقد أورد سيبويه في كتابه ما يزيد على أربعين مثلاً جعلها شواهد يستدل بها في معالجاته النحوية، وقد استخدمها استخدامات مختلفة.

وقد قرن سيبويه استدلاله بالقرآن الكريم باستدلاله بالأمثال؛ فهو يقدم القرآن الكريم أولاً، ثم يتبعه بمثل من أمثال العرب، ثم يشرحه بشكل واضح لاليس فيه؛ من ذلك قوله: «ومن ذلك قوله عز وجل: **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** (١)». ومثل ذلك قول العرب في مثل من أمثالها:

(إِنْ لَاحِظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةَ) (١): أي إن لا تكن له في الناس حظيَّةٌ فلإني غير أليَّةٍ، كأنها قالت في المعنى: إن كنت ممن لا يحظى عنده فلإني غير أليَّةٍ. ولو عنت بالحظيَّة نفسها لم يكن إلا نصبا إذا جعلت الحظيَّة على التفسير الأول» (٢) ومثل ذلك أمثلة أخرى (٣)

وفي مواضع مختلفة نرى سببه يقدم الأمثال على الشعر مبرزا دور المثل في الاستدلال النحوي،

من ذلك قوله: «(لَمْ يُحَرِّمُ مَنْ قُصِدَ لَهُ) (٤) وقال أبو النجم:

لَوْعَصَرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمَسْكُ انْقَصَرَ (٥)

يريد: عَصِرَ» (٦) ومنه قوله: «(كَمَا جَعَلُوا عَسِي) بمنزلة كان في قولهم: (عَسِي الْغَوِيرُ أَبُو سَأ)» (٧)

(١) - الحظيَّة : هي المرأة تحظى عند زوجها، وتعير ذات مكانة وإعزاز. غير أليَّة: أي غير مفسرة فيما يلزمها لزوجها. وقيل معناه: إن أخطأتك الحظوة فيما تطلب فلا تال أن تتودد إلى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد. الكتاب ٢٦١/١

واللسان(حظا).

(٢) - الكتاب ٢٦١/١.

(٣) - انظر المصدر نفسه ٢٨٢/١، ٣٩١/٢.

(٤) - يريد: قَصَبَة، القَصْبَة: دم كان يجعل فيه ميم بمعنى من فُصِدَ عرق البعير، ثم يستخ إلى أن يجمد، ويقوى وتأويل ذلك أن الرجل كان يضيف في شدة الزمان، فلا يكون عنده ما يقويه، ويشج أن ينحر رأسه، فيفصدها، ويطلع الضيف: أي لم يحرم الغري من فُصِدت له الراحة فحظي بدسها، يضرب لمن طلب أمرا فنال بعضه. الكتاب ١١٤/٤، وجمع الأمثال للبيداني ١٩٢/٢.

(٥) - يصف شعرا يتمهد بالبان والمسك، ويكثر فيه منهما حتى لو عصرا منه لسالا. والشاهد في تسكين ثاني الفعل (عَصَرَ) طلبا للاستخفاف، وهي لفة في بكر بن وائل قوم أبي النجم. الكتاب ١١٤/٤.

(٦) - المصدر السابق ١١٤/٤.

(٧) - الْغَوِيرُ: تصغير غَارٍ، والأبوس: جمع بوس، وهو الشدة. وأصل هذا المثل - فيما يقال - من قول الزبَاء حين قالت لغومها عند رجوع (قصير) من العراق، وسعه الرجال، وبات بِالغَوِيرِ على طريقه. عَسِي الْغَوِيرِ أَبُو سَأ: أي لعل الشرأ يأتبكم من قبل الغار. وجاء رجل إلى عمر (رض) يحمل لقيطا، فقال عمر: عَسِي الْغَوِيرِ أَبُو سَأ. قال ابن الأهرابي: إن سَأ عرض بالرجل! أي لملك صاحب هذا اللقيط، ونصب (أبوسا) على معنى عَسِي الْغَوِيرِ بصير أبوسا، ويجوز أن يقدر: عَسِي الْغَوِيرِ أن يكون أبوسا، وقيل: جعل عَسِي بمعنى كان، ونزله منزلته. يضرب للرجل يقال له لعل الشرأ جاء من قبلك. الكتاب ٥١/١، وجمع الأمثال ١٧/٢.

ثم استدلاله بأبيات للأعشى، وجريير، وذو الرئعة، والمعجاج (١) ومثل ذلك كثير (٢)

ويلجأ في مواضع أخرى إلى الاستدلال بالأمثال بين الشواهد الشعرية، ففي حديثه عن نصب المصدر بفعل محذوف يقول: «وقال الراجز، وهو المعجاج:

أَطْرَبًا وَأَنْتَ قَنْسَرِي (٣)

وإنما أراد: أظرب، أي أنت في حال طرب؟ ولم يرد أن يُخبر عما مضى، ولا عما يُستقبل.

ومن ذلك قول بعض العرب: (أَعْدَّةُ كَفْدَةِ البَعِيرِ، وموتاً في بيت سلولية) (٤) ... وقال جرير:

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيبًا أَلُومًا لَا أَبَالِكَ وَاهْتَرَابًا (٥)

يقول: أتلوم لوماً، وأتفترب اغتراباً» (٦) ومثل ذلك حديثه عن الأعلام، وصرفها، واستدلاله قائلاً: «وكذلك هَجَرَ، يوث ويذكر. قال الفرزدق:

مَنْهَنَّ أَيَّامٌ صَدَقِي قَدْ عُرِفَتْ بِهَا أَيَّامُ فَارِسَ وَالْأَيَّامُ مِنْ هَجَرًا (٧)

(١) - انظر الكتاب ١/٥١، ٥٢، ٥٣.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/٢٨٠، ٢٨١، ٢٤٣.

(٣) - الفئسري: الشيخ الكبير المسن، يقول أظرب وأنت شبيخ، والطرب: خفة الشوق هنا، وخفة السرور. والشاهد نصب (طرباً) على المصدر الموضوع موضع الفعل، أي أظرب طرباً. الكتاب ١/٣٣٨.

(٤) - مثل يضرب في خصلتين إحداهما شر من الأخرى. وسلول عند العرب قليلة ذليلة؛ وكان عامر بن الطفيل يريد قتل النبي (ص) فاتفق مع أربد بن قيس على ذلك، لكن النبي أحسن بذلك، وولى عامر هازباً فنزل بيت امرأة سلولية، ثم خرجت على ركبته غدة عظيمة، وخاف الموت وهو في بيت السلولية. مجمع الأمثال ٢/٥٧-٥٨.

(٥) - يُعْتَبَرُ العباس بن يزيد الكندي بحلولة في شُعْبَى، لأن كان حليفاً لبني فزارة (وشعبي) من بلادهم، والحلف عار عند العرب. جعله عبداً لثيباً نازلاً في غير أهله، فأنكر عليه أن يجمع بين اللوم والفرية. والشاهد نصب (لوماً، واهتراباً) بفعل محذوف. الكتاب ١/٣٣٩.

(٦) - المصدر السابق ١/٣٣٨-٣٣٩.

(٧) - فارس: بلاد الفرس، وهَجَرَ: بلد في البحرين. والشاهد فيه منع سرف (هجر) لتأنيته على إرادة البقعة والبلدة. الكتاب

فهنا أتت. وسمعنا من يقول: (كَجَالِبِ التمرِ إِلَى هَجَرَ) يائتي» (١) ثم إتباعه ببيت لمسكين الدارمي (٢) ومثل ذلك غير قليل. (٣)

ونرى سببوه أحياناً يضع الأمثال في المقام الأول في استدلاله، ويقدمها على غيرها من مصادر الاستدلال؛ من ذلك ما أورده في بداية حديثه عن (باب ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل)، يقول في صدر كلامه: «وذلك قولك: (أتميمياً مرةً وقيسياً أخرى) (٤) وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلونٍ وتنقلٍ، فقلت: أتميماً مرةً، وقيسياً أخرى» (٥)، وفي الكتاب غيرُ مثالٍ على ذلك (٦).

ومن الطرق التي يستخدمها سببوه في الاستدلال بالأمثال أنه في كثير من الأحيان يأتي بالمثل في ثنايا كلام العرب، والفاظهم بعيداً عن آيات القرآن الكريم، أو الشعر؛ من ذلك استدلاله بقوله: (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) (٧) فهو يورد المثل بين كلم من الأمثلة التي صنعها حتى إنه في

(١) - جاء في مجمع الأمثال للميداني (كستبضع التمرِ إلى هَجَرَ) ومودى المعنيين واحد، ذلك أن (هَجَرَ) مشهورة بالتمر، وجالب التمر إليها مخطئ. انظر الكتاب ٢٤٤/٣، ومجمع الأمثال للميداني ١٥٢/٢-١٥٣.

(٢) - انظر الكتاب ٢٤٤/٣.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢٨٠/١، ٢٨١، ٢٩٧/٢.

(٤) - مثل يضرب في التلون والتنقل من حال إلى حال.

(٥) - الكتاب ٣٤٣/١.

(٦) - انظر المصدر السابق ٢٨٠، ٢٥٨/١.

(٧) - للمثل روايات أخرى، وهو يضرب لمن خبره خيرٌ من مرأه. وقد أورد الميداني قصة المثل مفصلة. انظر الكتاب ٤٤/٤، ومجمع الأمثال للميداني ١٢٩/١-١٣١.

(باب سانجيء فيه (الفِعلَة) تريد بها ضرباً من الفعل) كله لم يورد آية كريمة واحدة، أو بيتاً من الشعر، ولم يذكر في ذلك الباب إلا ذلك المثل (١). وقد أكثر سيبويه في كتابه من هذه الطريقة (٢).

وقد يرجئ الاستدلال بالأمثال إلى آخر المعالجة النحوية بعد أن يفرغ من ذكر الشعر والأمثلة، وكلام العرب النثري؛ من ذلك استدلاله بمثلين متتاليين في ختام حديثه في (باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل لإظهاره إذا علقت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل) فهو يقول: « ومنه قول العرب: أمرٌ مُبْكِيَاتِكِ لا أمرٌ مضحكاتك (٣)، و(الطَّبَاءُ عَلَى الْبَقْرِ) (٤). يقول: عليك أمرٌ مُبْكِيَاتِكِ، وخلّ الطَّبَاءُ عَلَى الْبَقْرِ » (٥). ولم أجد في الكتاب إلا هذين المثلين استدلالاً بهما على هذه الطريقة المذكورة.

(١) - أي : نسع بالمعبدئي لا أن تراه. انظر الكتاب ٤٤/٤.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩٢، ٢٣١/٢، ٢٦٩/٣، ٣٠٧، ٦٤٨، ٧١/٤.

(٣) - يروي أن فتاة من بنات العرب كانت لها خالان، وهنات، فكانت إذا زارت خالاتها الينبها، واضحككنها، وإذا زارت عساتها أدبنها وأخذن عليها، فقالت لأبيها: إن خالاتي بلطننني، وإن عتاتي يبكنني، فأجابها أبوها بهذا المثل: ومعناه أتبع أمر من ينصح لك فيرشدك، وإن كان شراً عليك صعب الاستعمال، ولاتتبع أمر من يشير عليك بهواك: لأن ذلك ريتا أدى إلى العطب. انظر الكتاب ١/٢٥٦، مجمع الأمثال للميداني ١/٣٠١.

(٤) - يضرب عند انقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة. وكان الرجل في الجاهلية إذا قال لامرأته (الطَّبَاءُ عَلَى الْبَقْرِ) بآثت منه، وكان عندهم طلاقاً، ونهيب (الطباء) على معنى اخترت أو أختار الأطباء على البقر، والبقر كناية عن النساء، ومنه قولهم: (جاء بقره) أي عياله وأهله. انظر الكتاب ١/٢٥٦، ومجمع الأمثال للميداني ١/٤٤٤.

(٥) - الكتاب ١/٢٥٦.

اعتمد سبويه لغة الأمثال لدقتها، والتصاقها بحياة الأعراب، وتداولها على ألسنتهم، لذلك فإننا نراه في مواضع متعددة لا يكتفي بإيراد مثل واحد، بل يذكر مثليين، أو ثلاثة أمثال في الفكرة الواحدة؛ من ذلك قوله: «ومن ذلك أيضاً أن ترى رجلاً قد أوقع أمراً، أو تعرض له فتقول: (متعرضاً لعَيْنٍ لم يَعْنِهِ) (١)، أي دنا من هذا الأمر متعرضاً لعَيْنٍ لم يعنه. وترك ذكر الفعل لما يرى من الحال. ومثله: (بَيْعَ الْمَلْطَى لَا عَهْدَ وَلَا عَقْدَ) (٢)، وذلك إن كنت في حال مساومة، وحال بيع، فتدعُ أبايعك استغناء لما فيه من الحال. ومثله: (مواعيدَ عرقوبٍ أخاه ييشرب) (٣) كأنه قال: واعدتني مواعيدَ عرقوب أخاه، ولكنه ترك (واعدتني) استغناء بما هو فيه من ذكر الخلف» (٤) وقد تكرر ذكر سبويه لمثليين، أو ثلاثة أمثال في المسألة الواحدة في مواضع متعددة (٥).

ويجعل أحياناً الشطر من بيت شاع وانتشر، وذهب مثلاً بين الناس مادةً للاستدلال، يدفعه إلى ذلك شهرة البيت بل شطره؛ من ذلك قوله: «وتصدق ذلك قولهم في مثل: (في عَصَةِ مَا يَنْبِتَنَّ شَكِيرُهَا)» (٦) ولم يشر سبويه إلى أن هذا المثل هو صدر لبيت باختلاف بسيط (٧)، وهو بتمامه:

(١) - العنن: الأمر. مثل يضرب للمعتز فيما ليس من شأنه. الكتاب ٢٧٢/١. مجمع الأمثال للميداني ٣٢٠/٢.

(٢) - المَلْطَى: البيع بغير رجوع، وهو مثل يضرب لمن يقدم على أمر لا يرجع فيه.

(٣) - عرقوب رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلكَ طلعتها، فلما أطلعت أتاه لليلة، فقال دعها حتى تصير بلعاً، فلما أبلحت قال: دعها حتى تصير زهراً، فلما زهت قال: دعها حتى تصير زطياً، فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير نمرًا، فلما أنمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدها، ولم يسطر أخاه شيئاً، فسار مثلاً في الخلف. وفيه بقول الأشجعي:

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيّةً
مواعيدَ عرقوبٍ أخاه ييشربُ

انظر الكتاب ٢٧٢/١، ومجمع أمثال ٣١١/٢.

(٤) - الكتاب ٢٧٢/١.

(٥) - انظر الكتاب ٢٥٦/١، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٢٩، ٣١٧/٣.

(٦) - العضة واحدة العضاة وهو شجر عظام، والشكير: صغار الورد، والشوك: أي إن الصغار إنما تنبت من الكبار، يضرب مثلاً في مشابهة الرجل أبا، والشاهد زيادة (ما). الكتاب ٥١٧/٣.

(٧) - خزانة الأدب ٨٣/١، ٤٨٩/٤، ٥٦٦، ولسان العرب (شكر).

نلاحظ مما تقدم أنّ الأمثال التي ذكرها سيبويه في كتابه جاءت تحتل مكانها الهام في الاستدلال إلى جانب الشعر والنثر، فهي تتقدمها حيناً، وتتقدمانها حيناً آخر، لافرق عنده بين مثل أوغير مثل، إلا إذا كان الأمر يتعلق بغزارة المادة؛ فما من شك أنّ الأمثال تعجز عن اللحاق بالشعر والقرآن الكريم من حيث العدد، ففي الوقت الذي استدلت فيه بأكثر من ألف بيت، وبما يقرب من أربعائة آية كريمة نجده قد استدلت بأربعين مثلاً تقريباً في كتابه كله.

ولم تكن الأمثال التي تناولها سيبويه في كتابه مطابقة لما أوردته كتب الأمثال، فهي قد تختلف أحياناً اختلافاً بسيطاً لا يفتير في الأمر النحوي شيئاً، وهذا الاختلاف ليس من اختلاق سيبويه، أو شيوخه الذين نقل عنهم فهم بعيدون عن الشك في دقتهم في النقل، وأمانتهم فيما يروونه عن الأعراب، وأمثالهم، ولعلّ السبب في اختلاف رواية الأمثال بين الكتاب من جهة، وكتب الأمثال من جهة أخرى يعود إلى اختلاف الأعراب في ذكر المثل تبعاً لما يتداولونه في باديتهم، فإذا كان الشعر على ما فيه من وزن، وقافية، وإيقاع عرضة لتعدد الروايات، وكذلك القرآن الكريم بقراءاته المتعددة، فمن البدهي أن يحمل المثل روايات متعددة أيضاً تتسم كلّها بالفصاحة بدليل أنّ كلّ النحاة الذين عاصروا سيبويه، أو نقل عنهم تداولوا هذه الأمثال، ونقلوها في زمن عرفت فيه حدود الاحتجاج الزمانية، والمكانية.

- المسائل النحوية في استدلال سيبويه بالأمثال

لم يكن استدلال سيبويه بالأمثال يغطي الجوانب النحوية كافة على نحو ما رأيناه في استدلاله بالشعر، والقرآن الكريم، ولعلّ السبب يعود إلى قلة الأمثال في كتابه. وهي على قلتها عالجت بعض القضايا، أو أسهمت في بعض التناولات النحوية، سواء أكانت فيما خالف الأصول أم فيما وافقها.

١- الخروج على الأصل:

استدل سيبويه لما خرج على الأصل في عدة حالات تتعلق بأسلوب فني، أو بالحذف، أو الضرورة، أو ببيان لغة، أو ببنية الكلمة.

* من ذلك أنّ (لا) النافية للجنس لاتعمل في المعرفة، بل تعمل في النكرة، (١) وقد نقل لنا سيبويه ما خالف هذا الأصل، ويبيّن أن بعض الأساليب الفنية جاءت على خلاف الأصل، واستدل بالشعر ثم استدل بقول عمر بن الخطاب (رض) الذي ذهب مثلاً بين الناس: «**قَضِيَّةٌ** ولاأبا **حَسَنٌ**» (٢) فأعمل (لا) في المعرفة (أبا **حَسَنٌ**) خلافاً للأصل. ونقل لنا عن الخليل قوله في ذلك: «لأنه لايجوز لك أن **تُعْمِلَ** (لا) في معرفة، وإنما تعملها في النكرة» (٣).

* واستدل على جواز حذف الفعل العامل فيما بعده، وبقاء المفعول، بقولهم «**أَوْ فَرَقًا خَيْرًا** من **حَسَبٍ**» (٤) بتقدير **أَوْ أَفْرَقَكَ فَرَقًا خَيْرًا** من **حَسَبٍ**، ومن ذلك ما استدل به من قولهم:

(١) - الكتاب ٢/٢٩٦.

(٢) - المصدر السابق ٢/٢٩٧.

(٣) - المصدر السابق ٢/٢٩٧، انظر في ذلك ١/٢٧٢-٢٧٣، ٢٨٠-٢٨١، ٢/٣٠٦، ٣٩١.

(٤) - الفرق: الخوف والمثل كلام تكلم به عند العجاج رجل قد فعل له فعلاً فاستجاده، فقال العجاج: أكل هذا حباً؟ أي فعلت كل هذا حباً لي؟ فقال الرجل سجيماً له: أو فرقاً خيراً من حب؟ أي: إن فعلت هذا خوفاً فهو أنبل لك وأجل؟ انظر الكتاب (حاشية) ١/٢٩٨.

«اللَّهُمَّ ضَبْعاً وَذَنْباً» (١) إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل. وإذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهم اجمع، أو اجعل فيها ضبعاً وذنباً.

* واستدل سيبويه بالأمثال على ماخالف الأصول كالحذف الذي يكون للضرورة؛ ولا تكون الضرورة إلا في الشعر، لما في الشعر من قيود تقيدته، ومن خلال حديث سيبويه عن حذف (يا) قبل المنادي النكرة، أجاز حذفها في الشعر، واستدل بقول المعجاج:

جاري لاتستكري عذيري (٢)

وفي غير الشعر يكون الحذف ضعيفاً، واستدل على ذلك بالأمثال: «افتدِ مخنوقاً» و«أصيح ليلاً» و«أطرق كراً»، ثم أشار إلى أن هذا ليس بكثير، ولا بقوي (٣).

* وهو يعرض لبعض القضايا الصرفية التي تتعلق ببنية الكلمة مستنداً للغة بكر بن وائل، وكثير من بني تميم على تسكين ما هو متحرك في الأصل استخفافاً (٤)، ونقل لنا قولهم: «لم يُحَرِّمَ مَنْ قُصِدَ لَهُ» (٥) والأصل قولهم (قُصِدَ) بكسر عين الكلمة، لكنه استدل على ماخالف الأصل في بنية الكلمة.

(١) - قيل: إن الذنب والضبع إذا اجتمعا لم يؤذيا، وشغل كل واحد منهما الآخر، وإذا تفرقا أذيا، وقيل: إن معناه في الدعاء عليها؛ فقل الذنب الأحياء، وأكلت الضبع الأسوات فلم يبق منها بقية. الكتاب (حاشية) ٢٥٥/١، وانظر في مثل ذلك ٣٤٣/١.

(٢) - يخاطب المعجاج امرأته: بريد: باجارية. وعذير الرجل: ما يروم، وما يحاول مما يعذر عليه إذا فعله. ذلك أنه وذلك أنه كان عزم السفر فكان يرمّ رحل ناقته لسفره، فقالت له: ما هذا الذي ترمّ؟ والشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من (جاري) وهو اسم نكرة قبل النداء، لا يتعرف إلا بحرف النداء، وإنما بطرد حذفه في المعارف، وسبويه يقصد بالنكرة هنا ما كان نكرة قبل النداء فصار معرفة بعده، لا كما اعترض عليه المبرد. انظر الكتاب (حاشية) ٢٣١/٢.

(٣) - المصدر السابق ٢٣١/٢.

(٤) - المصدر السابق ١١٣/٤.

(٥) - انظر المصدر السابق ١١٤/٤.

* ومن ذلك حديثه عن وزن (مَفْعَلَةٌ) وهو الأصل واستدلّ بقول بعضهم: «إِنَّ الْفُكَاهَةَ لَمَقْوَدَةٌ» إلى الأذى» (١) حيث جاءت (مَقْوَدَةٌ) مطابقة للأصول فيما لو كان الاسم غير معتل العين، لأنّ ما كان معتل عين الكلمة بالواو، أو الياء، وكانت عينه متحركة، وماقبلها صحيح ساكن، وجب نقل حركة الواو، أو الياء إلى الساكن قبلهما، والصواب وقوع الإعلال بالتسكين وقوله (مَقَادَةٌ)؛ لكنه جاء على ماخالف قواعد العرب الصرفية، واستدلّ لها بالمثّل السابق.

ولعل سببونه كان يهدف إلى بيان ماخالف الأصول من خلال لفة بعض العرب.

٢- الاستدلال للأصول

لم يذكر سيبويه شيئاً من الأصول في استدلاله بالأمثال، إلا في مثلين جاءا في كلامه على إضمار الفعل المستعمل إظهاره (١). فالأصل أن الفعل أو مايقوم مقامه يعمل في مفعوله فينصبه، وقد استدل سيبويه على ذلك حين يكون العامل محذوفاً بقولهم: «أمرَ مبيكاتك لا أمرَ مضحكاتك» (٢) وقولهم «الظباء على البقر» على تقدير: عليك أمرَ مبيكاتك، وخلّ الظباء على البقر (٣).

ولعلّ القلّة في استدلال سيبويه للأصول تعود إلى ماضٍ ملعماً من ملامح الكتاب، وهو أنّ سيبويه أولى اهتمامه لما خالف الأصول أكثر من اهتمامه بالأصول ذاتها، لأنّ الأصول لاتبني دليلاً.

٣- الأسلوب الفنيّ (الحكاية):

* لم يحظَ بحث الحكاية بأمثال كثيرة، أو آيات قرآنية كريمة، أو شعر، بل أنه لم يذكر من الأمثال في هذا المجال إلا مثلاً واحداً في حديثه عن الأفعال التي تجري مجرى الأسماء، واستدلّ بقولهم: «مذُ شَبَّ إلى ذبِّ» أو «مذُ شَبَّ إلى ذبِّ» (٤) فقد استدلّ بالمثّل السابق على إعراب (شبّ وذبّ) وجرّهما حملاً على إجرائهما مجرى الأسماء، وذلك ضمن حديثه عن قوله (ص) «إنّ

(١) انظر الكتاب ٢٥٦/١.

(٢) أي اتبع أمرَ من ينصح لك فبرشدك وإن كان مرّاً عليك صعب الاستعمال، ولا تتبع أمرَ من يشير عليك بهواك، لأن ذلك ربتا أدى إلى العطب. انظر الكتاب ٢٥٦/١. ومجمع الأمثال ٣٠/١ فقد ورد «ويروي أمرٌ بالرفع، أي أمرٌ مبيكاتك أولى بالتقبول والاتباع من غيره».

(٣) انظر الكتاب ٢٥٦/١.

(٤) ويقال: أعيينني من شَبَّ إلى ذبِّ، ومن شَبَّ إلى ذبِّ: أي من لدن شببت إلى أن دببت على العصا؛ يجعل ذلك بمنزلة الاسم، بإدخال (من) عليه، وإن كان في الأصل فعلاً. الكتاب ٢٦٩/٣، واللسان (شبيب).

الله ينهاكم عن قيل وقال» (١) وقول ابن مقبل (٢):

أصبح الدهرُ وقد ألوى بهم
غير تقوالتٍ من قيلٍ وقالٍ (٣)

وغير ذلك (٤).

٤- الاستدلال لأكثر من وجه:

* يحاول سيبويه أن يحيط بالجوانب النحوية المحتملة لما يطرحه من مادة يستدل بها، وهو في الأمثال كشأنه في الشعر، والقرآن الكريم؛ من ذلك استدلاله بقولهم: «عَضَبَ الخيلِ على اللُجْمِ» (٥)، فقد ذكر أكثر من وجه منقول عن العرب؛ يقول سيبويه: «كانه قال: غضبت، أو رآه غضباناً فقال: عَضَبَ الخيلِ، فكأنه بمنزلة قوله: عَضِبَتْ غضبَ الخيلِ على اللُجْمِ. ومن العرب من يرفع فيقول: عَضَبُ الخيلِ على اللُجْمِ، فرفعه كما رفع بعضهم: الطَّبَاءُ على البقرِ» (٦).

(١) - انظر الكلام على هذا الحديث في اللسان (قول) حيث أجاز العكاية والإجراء مجرى الأسماء.

(٢) - ملحقات الديوان ٣٩٢، انظر الكتاب (الحاشية) ٢٦٨/٣.

(٣) - الرى بهم: ذهب بهم، فلم يبق منهم غير الخبر والحديث، قيل عنهم: كذا، وقال فلان: كذا والشاهد فيه: إعراب (قيل وقال) وجرهما حملاً على إجرائهما مجرى الأسماء، ولو أمكنه ألا يصرفهما حملاً على معنى الكلمة واللفظة لجاز. الكتاب (حاشية) ٢٦٩/٣.

(٤) - كاستدلاله بقول الشاعر: ولم أسمع به قبلاً وقالاً. المصدر السابق ٢٦٩/٣.

(٥) - الكتاب ٢٧٣/١ وهو مثل يضرب لمن يفضب غضباً لا ينتفع به، ولا موضع له يرتصب (غضب) على المصدر، أي غضب غضب الخيل. مجمع الأمثال للميداني ٥٦٢.

(٦) - يضرب المثل عند انقطاع ما بين الرجلين من الصراية والصداقة. وأن (الطباء) منصوب على معنى اخترت، أو اختار الأطباء على البقر. والبقر كناية عن النساء. وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته بانت منه، وكان طلاقاً. الكتاب ٢٥٦/١ ومجمع الأمثال ٤٤٤/١ ورواية أخرى في المصدر السابق ١٤٢/٢.

وكان سيبويه قد استدللّ قبل ذلك بعدة أمثال متتابعة تقريباً، فنقل قولهم: «ادفع الشرّ ولو إصبغاً»، (١) وقولهم: «متعرّضاً لعننٍ لم يعنيه»، (٢)، وقولهم: «بيّع الملقى لالعهد ولا عقده»، (٣) وقولهم «مراعييد عرقوب أخاه بيثرب»، (٤) وما فيها من وجوه نحوية محتملة. وقد أورد سيبويه أمثالاً أخرى في الموضوع نفسه (٥).

٥- بُنْيَةُ الْكَلِمَةِ:

تكلم سيبويه على بنية الكلمة سواء أكان ذلك فيما خالف الأصول كما أسلفت، أم في حديثه عن معاني بعض الأوزان كحديثه في باب (استفعلت) عن معنى التحوّل الذي يضطه هذا الوزن فهو ينقل المعنى من حال إلى حال، ويستدل على ذلك بقولهم: «استنوّق الجمل» (٦)، واستتبيست الشاة» (٧).

(١) - الكتاب ٢٧٠/١.

(٢) - العنن: الأمر، يضرب المثل للمعترض فيما ليس من شأنه. وقد أورد الميمني كما هو في الكتاب وأورده صاحب اللسان (تعرّض لعننٍ لم يعنيه). انظر الكتاب ٢٧٢/١. مجمع الأمثال ٣٢٠/٢، اللسان (عنن).

(٣) - الملقى: البيع بغير رجوع وقد أورد الميمني، وصاحب اللسان برواية مختلفة قليلاً. انظر الكتاب ٢٧٢/١ ومجمع الأمثال ٢٨٣/٢ واللسان (ملس، ملط، صيد).

(٤) - هو عجز لبيت صدره: (وعدت وكان الخلف منك سجة)، وعرقوب رجل من العماليق يضرب به المثل في خلف الرعد، وله قصة مشهورة. انظر الكتاب ٢٧٢/١. ومجمع الأمثال ٣١١/٢، واللسان (ثرب).

(٥) - انظر الكتاب ٢٥٨/١، ٢٤٤/٣.

(٦) - أي: صار كالناقة في ذلك، ولا يستعمل الفعل (استنوّق) إلا مزيداً. اللسان (نوق).

(٧) - استتبيست الشاة، أو استتبيست العنز، مثل يضرب في الرجل الذليل يتعزّز. انظر الكتاب ٧١/٤، وانظر ٤٤/٤، واللسان (تيس).

من خلال ما تقدم نرى أنّ استدلال سيبويه بالأمثال، لم يكن ركناً هاماً من أركان استدلاله، بل كان متمماً لغيره من طرق الاستدلال من قرآن كريم، وشعر، وهو من باب الإحاطة بكلّ مادة تصور واقع لغة العرب التي رسم سيبويه ملامحها من خلال القواعد الشاملة المذكورة في كتابه، وهو فيما تقدم لم يحرص على الاستدلال للأصول النحوية، وقواعدها البسيطة، بل كان استدلاله لما خالف الأصول، وخرج عليها بشكل عام على غرار ما فعله في استدلاله بالقرآن الكريم، والشعر.

ما نقله عن العرب (لغة التخاطب)

أدرك النحاة القدماء منذ بدايات نشأة النحو، بل قبل ذلك أيضاً، الفرق بين لغة الأعراب في البادية، ولغة العرب الذين جاؤوا المدن، وسكنوها، أو الذين ترددوا على الحواضر بشكل عام فجعلوا لغة البداة هي الأصل الذي تُستنبط منه قواعد العربية؛ لأنها اللغة الفصيحة التي تمثل لغة الشعر والقرآن الكريم أعلى درجاتها (١)

لم يَنْلُ سببوه سبق في مشافهة الأعراب، فقد كان متتبعا لسنة من سبقه من النحاة الذين اعتنوا بالبداية عناية بالغة فعاشوا في مضاربهم، وتنقلوا معهم، وشافههم في بوادي نجد، والحجاز وتبسة، وكذلك في مواسم الحج (٢) وقد أوثى سببوه لغة التخاطب عناية كبيرة تشابه عناية بالشعر، والقرآن الكريم، وقارب استدلاله بكلام العرب من لغة، أو أساليب تركيبية، أو عبارات مسموعة الشعر، والقرآن في الاستدلال على ما خالف الأصول وهذا يدل على أهمية لغة العرب التي يتخاطب بها من حيث دقتها ومطابقتها للواقع الذي تؤخذ من خلاله قواعد العربية.

(١) - في ذلك يقول ابن جني: «وليس أحد من الفصحاء إلا يقول: إنه يحكي كلام أبيه وسلفه، يتوارثونه آخر من أول، وتابع عن مَن تبع. وليس كذلك أهل الحضر، لأنهم يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وغالفوا كلام من ينسب إلى اللغة العربية الفصيحة. غير أن كلام أهل الحضر مضام لكلام فصحاء العرب في حروفهم، وناليفهم، إلا أنهم أخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيحة» الخصائص ٢٩٢.

(٢) - انظر الاثنفاق لابن دريد ١١٩ نج: هارون. القاهرة ١٩٥٨، وطبقات الزبيدي ٣٨٢٩ نج: أبو الفضل القاهرة ١٩٥٤، معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٣/١٦٩ القاهرة بلا تاريخ.

ومن المظاهر الهامة التي تبين أهمية الأعراب في كتاب سيبويه أنه يعتمد انشادهم للشعر ويتخذ منه حجةً للدلالة على صحة الرواية تماماً كما اعتمد كلامهم في لغة التخاطب (١) شأنه شأن من سبقه من النحاة الذين نقل عنهم كأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد وغيرهم.

١- النقل عن شيوخه:

كانت بداية النحو بصريّة، ومن البصرة انتقلت إلى الكوفة فغيرها من الأمصار فيما بعد، لذلك فقد كان أئمة النحو الأوائل فيها السباقين في الأخذ عن الأعراب، ومشافهتهم.

* ولما كان النحاة الأوائل لم يتركوا لنا أثراً مكتوباً نركن إليه فقد أضحى كتاب سيبويه هو المرجع الأهم لأرائهم المستنبطة من كلام الأعراب. فقد أورد رأي عيسى بن عمر، ونقل عنه في مواضع متعددة كلام العرب في لغة تخاطبهم، كقوله: «وكان عيسى يقول: ادخلوا الأوّل فالأوّل؛ لأن معناه ليندخل، فحمله على المعنى» (٢) وقوله: «وإن شئت نصبت فقلت: مبروراً ماجوراً، ومصاحباً مُعاناً. حدثنا بذلك عن العرب عيسى، ويونس وغيرهما، كأنه قال: رجعت مبروراً، واذهب مصاحباً» (٣) ويقول في «باب ما لا يكون الاسم فيه إلا نكرة» (٤) نقلاً عن عيسى بن عمر: «وقد يجوز نصبه على نصب: هذا رجلٌ منطلقاً، وهو قول عيسى» (٥)، وقوله: «حدثنا بذلك يونس، وعيسى جميعاً أنّ بعض العرب الموثوق بعربيّته يقول: ما مررتُ بأحدٍ إلا زيدا، وما أتاني أحدٌ إلا زيدا» (٦)

(١)- انظر في ذلك الكتاب ١/٢٤٩، ٢/٢٢٧، ٣/٣٢٨، ٤/٣٢٧، ٥/٣٢٧، ٦/٣٢٧، ٧/٣٢٧، ٨/٣٢٧، ٩/٣٢٧، ١٠/٣٢٧، ١١/٣٢٧، ١٢/٣٢٧، وغيره كثير جداً.

(٢)- المصدر السابق ١/٣٩٨.

(٣)- المصدر السابق ١/٢٧١.

(٤)- المصدر السابق ٢/١١٠.

(٥)- المصدر السابق ٢/١١٢.

(٦)- المصدر السابق ٢/٣١٩، وانظر كذلك ٣/١٦.

عن الأعراب تفسّر ثقة سيبويه بيونس، وبما ينقله عنه، فلا غرابة إذا وجدنا أنّ سيبويه كان يقصد بيونسَ في قوله: «وزعم من نشق به أنه سمع روية يقول: هذا غلامٌ لك مقبلاً» (١) وفي غيرها من العبارات التي ينقل فيها عن روية دون أن يذكر اسمه واسم بيونس (٢).

أما الخليل فإنه يصعب الفصل بينه، وبين سيبويه فصلاً دقيقاً، لأن كثيراً من آراء سيبويه قد تكون مأخوذة عن الخليل من غير إشارة إلى ذلك، وهو نوع من تائر التلميذ بأستاذه تائراً يصل إلى حد الانصهار الفكري في كثير من المواضع.

وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد سيبويه يشير في مواضع كثيرة إلى الخليل وينقل لنا تعليقاته، وأقيسته، وتوجيهاته المبينة على فطرة وسلامة في اللغة، اكتسبها من بوادي الحجاز، ونجد، وتهامة، وهو أمر لا نرى داعياً لذكره وتكراره.

وإذا كان سيبويه قد نقل لنا لغة التخاطب عند العرب عن الخليل فإنه لم يصل إلى القدر الذي أخذه عن بيونس فقد فاق نقله عن بيونس كلّ نقل عن شيوخه.

ولعلّ التداول الذي نراه في كتب النحو التي تلت مرحلة النشأة، والتأسيس للأمثلة وكلام العرب مرده إلى أن الخليل ويونس قد تلمذ لهما نحاة العصر آنذاك من بصريين وكوفيين، فأخذوا منهما، ودوتوا عنهما فكُتِب لهذا التداول الانتشار والبقاء .

(١) - الكتاب ٢/١١٣، ٣٩٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ٨٦/١.

احتلت مشافهة سيويه للأعراب حيزاً كبيراً من استدلاله في الكتاب، وقاربت القرآن الكريم والشعر من حيث الكثرة، وضاهتها من حيث الأهمية التي أولاها سيويه لما سمعه من كلامهم، أو ما نقل إليه عنهم.

ولقي سيويه الأعراب في البصرة وسمع منهم كثيراً ، وجعل كلامهم دليلاً في استنباطه للأصول، وركنا هاما من أركان الاستدلال النحوي، أما إذا كان هذا المسموع يخرج على الشائع من الأصول المسموعة فإنه لا يثير استنكاره، لأنه أخذه بنفسه عن أعرابي فصيح؛ من ذلك قوله: «وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: مررت برجلٍ هَدَك من رجلٍ، ومررتُ بامرأةٍ هَدَك من امرأة؛ فجعله فعلاً مفتوحاً» (١).

والعبارات التي يستخدمها سيويه وتدلّ على مشافهته للأعراب كثيرة ومتنوعة؛ منها: سمعت من أثق به من العرب (٢)، وسمعنا من ثقب به من العرب (٣)، وسمعناه مثن ترضى عربيته (٤)، وسمعنا العرب الفصحاء يقولون (٥) ، وسمعنا فصحاء العرب يقولون (٦)، وسمعنا ذلك من فصحاء العرب (٧)،

(١)- الكتاب ٤٢٣/١.

(٢)- المصدر السابق ٢٣٠/١، ٥٤٩/٣.

(٣)- المصدر السابق ١٣٩/٤.

(٤)- المصدر السابق ٥٣٣/٣.

(٥)- المصدر السابق ٢١٩/١، ٢٨٥/٣.

(٦)- المصدر السابق ٥٠٥، ١٥٧/٣.

(٧)- المصدر السابق ٢٣٨/٣.

وسمعتهم يقولون (١) ، وسمعناهم يقولون (٢)، وذلك قول العرب سمعناه منهم (٣)، وسمعت عربياً (٤)، وسمعت عربياً موثقاً بعربيته يقول (٥)، وسمعت رجلاً من أهل البادية (٦)، وغير ذلك من العبارات الكثيرة التي تكشف ثقة سيبويه بكلام العرب الذي يتداولونه ويتخاطبون به.

وقد يكون سيبويه أكثر دقة في الأخذ عن الأعراب حين يحدد اسم الأعرابي في نقل لفته؛ يقول سيبويه: «وسمعتُ أعرابياً وهو أبو سُرهَبٍ، يقول: كَرَمًا وطولَ أنفٍ، أي أكرم بك وأطولُ بأنفِكَ» (٧)

وفي بعض المواضع يشير سيبويه في نقله، واستدلاله بلغة التخاطب إلى القبيلة، أو موطنها، دون أن يحدد اسم قائل بعينه كقوله: «وسألنا العُلَوتِيِّينَ، والتميميِّينَ، فرأيناهم يقولون : من قَدَّيْدِيمةٍ ومن وُرَيْثِيَّةٍ، لا يجعلون ذلك إلا نكرة، كقولك: صباحاً، مساءً، وعشيَّةً ، وضحوَّةً. فهذا سمعناه من العرب.» (٨) ومثل ذلك ما نقله من لغة تميم وأسد، وبعض تميم من بني عدي، وطِيَّيِّ، والحجاز (٩)

(١) - الكتاب ١/١٦٠، ٢/١٥٠، ٣/١١٦.

(٢) - المصدر السابق ٣/١٦٨، ٢/٢٠٦، ٤/١٣١، ٣/١٣٣، ٤/١٣٤، ٦/٢١٦.

(٣) - المصدر السابق ١/٤١٢، ٢/١٥٢.

(٤) - المصدر السابق ٢/٤١٣.

(٥) - المصدر السابق ٣/٩٨.

(٦) - المصدر السابق ٢/٤٢٠.

(٧) - المصدر السابق ١/٣٢٨.

(٨) - المصدر السابق ٣/٢٩١.

(٩) - انظر المصدر السابق ٢/١٩٢، ٣/٥٥٥، ٤/١٧٧، ١٨٠.

أما إذا لم يكن يطمئن إلى سلامة المسموع من لغة التخاطب فإنه يصرّح كذلك بعدم اطمئنانه كقوله: «وهو قليل خبيث» (١)، أو «وهذا كلام خبيث موضوع في غير موضعه» (٢)، أو «وهو ضعيف خبيث» (٣)، أو «والعرب قد تتكلم بهذا وليس بالكثير» (٤)، مستخدماً عبارات صريحة بعدم ثقته كالتخبيث والضعف، أو بعدم تفريته للغة التي ينقلها كقوله: «والعرب قد تتكلم بهذا، وليس بالكثير، وما شابهها من العبارات.

هذه سبيلٌ سيويه في الاستدلال بلغة التخاطب التي يتداولها العرب، وهذه طريقته في استنباط القواعد، وهي لا تفترق عن استدلاله بالشعر، والقرآن الكريم؛ ذلك لأنها تصوّر واقع العرب بشكل دقيق دون قيود لفظية، أو موسيقية مفروضة؛ لهذا السبب كان يحرص على فصاحة الأعرابي الذي يسمعه، وأمانة الراوي الذي ينقل عنه، فإذا اطمأن إلى هذه الأركان كاملة، استطاع تععيد اللغة، واستخراج القواسم المشتركة من بين كمّ كبير من الأساليب العربية، ولهجاتها التي تتباعد حيناً، وتتقارب أحياناً.

ولم تكن أدلته في الاستدلال بلغة التخاطب ذات أبعاد مستقلة من حيث الخروج على الأصل، أو مطابقتها له، بل كانت تحوم حول لغة القرآن الكريم، والشعر، وتسير سيرهما لأنه لم يكن يستدل بأحدهما إلا مرفقاً بأمثلة كثيرة متنوعة من لغة التخاطب.

(١) - الكتاب ٣٨٩/١.

(٢) - المصدر السابق ١١٢/٢.

(٣) - المصدر السابق ٣١٨/٢.

(٤) - المصدر السابق ٣٥٧/٢.

• الأمثلة المصنوعة •

سعى سيويه لتوضيح قواعده المستنبطة إلى وضع أمثلة من عنده، مبنية على كلام العرب، الهدف منها شرح صورة القاعدة النحوية بشكل مبسط لتكون تمهيداً لاستدلاله بالقرآن الكريم، والشعر، والأمثال، لذلك نراه يضع أمثله على الأغلب في بداية البحث، ثم يُثَبِّتُهَا بِأَدْلَتِهِ الأخرى.

وكان لمحاكاة سيويه لكلام العرب بأمثله المصنوعة أثر كبير فيمن جاء بعده من النحاة؛ حتى إننا نراهم يأخذون أمثله دون تعديل، أو تطور بشكل عام، ولعلّ السبب في ذلك ثقتهم الكبيرة فيما وصل إليه، أو فيما وضعه أستاذهم.

وليس التفريق بين الأمثلة المصنوعة من جهة، وما جاء قبل ذلك في لغة التخاطب يسيراً؛ لأن صاحب الكتاب قصد التمثيل لما هو متداولٌ على ألسنة العرب، فاجتهد بوضع أمثله على غرار ما نطقوا به (١) وقد حاول سيويه في أمثله أن تكون مطابقة للمقاييس النحوية التي استنبطها، وهذه المقاييس مطابقة أصلاً لما سمعه من العرب، أو نُقِلَ إِلَيْهِمْ عَنْهُمْ.

من ذلك ما أخذه عن الخليل من قول العرب: «مُطِرْنَا الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ» (٢) ثم شَرَعَ بِسَرْمِ أمثلة متعددة تتناوب بين جواز الرفع، أو النصب فقال: ضَرَبَ زَيْدٌ الْيَدَ وَالرَّجْلَ، وَمَطَّرْتُهُمْ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَمَطَّرَ قَوْمُكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَصَيَّدَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ (٣) وَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ ظَهْرَهُ، وَمَطَّرَ قَوْمُكَ سَهْلَهُمْ (٤)، وَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، وَضَرَبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ وَالبَطْنَ، وَقَلَّبَ عمرو ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ،

(١) - انظر ما جاء في الاحتجاج للحلواني ١٧٣ وما بعدها.

(٢) - انظر الكتاب ١/١٥٩.

(٣) - المصدر السابق ١/١٦٠.

(٤) - المصدر السابق ١/١٦١.

وَمَطَرْنَا سَكْبُنَا وَجَبَلْنَا، وَمَطَرْنَا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ (١)، وَضَرَبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ وَالْبَطْنَ، وَمَطَرْنَا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَ قَلَبَ زَيْدٌ ظَهْرَهُ وَبَطَنَهُ (٢). وهذه الأمثلة كلها تدور في فلك واحد نسجها سيبويه وصنعها من وحي قياسه على ما أخذه من الخليل من قول العرب: مَطَرْنَا الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ، ومثل ذلك كثير (٣)

ويحاول في بعض المواضع أن يحاكي لغة الشعر، فيقدم المثال المصنوع على غرار لغة الشعر، ثم يتبعه بقول الشاعر؛ كقوله: «أَنَا أَنْتَ مَنْطَلِقًا انطَلقتُ معك، وَأَنَا زَيْدٌ ذَاهِبًا ذَهبتُ معه.

وقال الشاعر، وهو هُبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ:

أَمَا خِرَاشَةُ أَمَا أَنْتَ ذَا فَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ» (٤)

هذا نسج سيبويه في الاستدلال بالأمثلة المصنوعة، غايته أن يقرب الفكرة النحوية من خلال أمثلة بسيطة قريبة إلى اللغة التي يتداولها العرب بينهم، حتى إذا استوى له ما يريد بدأ بسرد الآيات الكريمة، والشعر، وغير ذلك من طرق الاستدلال؛ ليعيط بالقواعد النحوية المستنبطة إحاطة تامة.

ولم يكن حال الأمثلة المصنوعة مختلفاً عن حال لغة التخاطب من حيث استدلال سيبويه بها، فهي تابع للاستدلال بالقرآن الكريم والشعر، ومنتمة لهما للوصول إلى فهم القواعد المستنبطة. لذلك لانستطيع أن نحكم بأبعاد القضايا النحوية في لغة التخاطب، والأمثلة المصنوعة حكماً مستقلاً؛ لأن أحكامها تُستمد من أحكام القرآن الكريم، والشعر من حيث خروجهما على الأصل وما يتفرع عنه، وكذلك مطابقتهما له.

(١) - الكتاب ١/١٥٨.

(٢) - المصدر السابق ١/١٥٩.

(٣) - انظر مثلاً الكتاب ١/٢٥٨، ٢٩٩، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٣٢/٢، ٣٠٧.

(٤) - أبوخراشة: كنية خفاف بن ندية. والنفر: رهاط الرجل. والضبع: السنة المجدبة. وإذا أجذبوا ضعفوا، وسقطت قواهم فعانت فيهم الضباع والذئاب. أي إن كنت عزيزاً كثير الغرم فلاني مثلك، وقومي سوفورون لم تطح بهم السنون. والشاهد فيه نصباً (ذا نفر) خبراً لكان المحذوفة التي مرّض عنها (ما) تمويضاً لازماً. الكتاب (حاشية) ١/٢٩٣.

الفصل الثاني

الاستدلال بغير النصوص

- السماع
- القياس
- العلة النحوية

• السَّمْع • (١)

إذا كان عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر قد اعتمدا القياس دون مجافاة للسَّمْع؛ وإذا كان أبو عمرو بن العلاء، ويونس قد اعتمدا السَّمْع دون مجافاة للقياس، فإن سيبويه قد أخذ بالمنهجين معاً، وجمع بينهما جمعاً دقيقاً بارعاً، فيه أمانة السَّمْع، وفرن القياس، وفي ظني أن ما نهجه هو تأثر كبير واضح بأستاذه الخليل يُظهره لنا من خلال تناولاته النحوية في كتابه.

ولم تنقل لنا كتب الطبقات، أو التراجم شيئاً عن رحلة سيبويه إلى بادية العرب، أو سعيه وراء الأعراب في البوادي، ليأخذ عنهم كما سعى غيره من النحاة؛ وما أورده في كتابه مشيراً إلى السَّمْع لا يتعدى أن يكون أحدَ أُسرين؛ أولهما أن ما ذكره هو نقل عن شيوخه الذين سمعوا عن الأعراب، وثانيها أن ما ذكره بقوله: سمعنا من العرب الفصحاء يقولون، وسمعنا فصحاء العرب يقولون، قد جاء نتيجة لمشافهته لهم في البصرة من خلال ترددهم عليها بشكل عام (٢) وعدم سماعه المباشر، ومعايشته للأعراب هو الذي جعله يقصر في بعض المسائل التي سنأتي على ذكرها فيما بعد.

وحدثنا عن السَّمْع يبعدنا عن المادة المسموعة التي ذكرها سيبويه، واستدلّ بها وهي تشمل القرآن الكريم، وقراماته المتعددة، والحديث الشريف، وكلام العرب؛ شعره، ونثره، وما يشعله النثر من أمثال وغيرها مما يتداوله العرب من عبارات، وتراكيب؛ فقد أتينا على ذكرها فيما ورد سابقاً.

(١) - هو الأصل الأول من أصول الاستدلال النحوية وقد عرف ابن الأنباري المسوغ بقوله: «هو الكلام العربي الفصيح، المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حدّ الفلّة إلى حدّ الكثرة، فخرج عنه -إذا- ما جاء في كلام غير العرب من المولدين، وما شدّ من كلامهم كالجزم بل لن)، والنصب بل (م) ... إلخ» لم الأدلة لابن الأنباري ٨١، وعرفه السيوطي تعريفاً أفضل فقال: «وأهني به (أي السَّمْع) ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فمثل كلام الله تعالى وهو القرآن، وكلام نبيل (ص)، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه ويعدّه إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً أو نثراً، عن سلم أو كافر. فهذه ثلاثة أنواع لا يبدّ في كلّ منها من الثبوت» الاقتراح للسيوطي ١٤.

(٢) - انظر الكتاب ١/٢١٩، ٣/١٥٧، ٥٠٥.

*- وعلى الرغم من أن سيبويه قد اعتمد القياس، والسماع في كتابه لكنه كان أكثر اهتماماً بالسماع، فهو يوليه الأهمية الأولى، إن وجد، ويقدمه على القياس، وهو لا ينكر تفضيله له فقد صرح بذلك في قوله: «ولو قالت العربُ اضربُ أيُّ أفضل، لقلته، ولم يكن بُدُّ من متابعتهم. ولا ينبغي لك أن تقيسَ على الشاذِّ المنكر في القياس، كما أنك لا تقيس على أنسٍ أمسك، ولا على أنقول، أبقول، ولا سائرَ أشلة القول، ولا على الآن، أنك، وأشباه هذا كثير» (١)

*- ولم يكن لسيبويه أسلوب واحد في سماعه عن العرب، بل كان يلون الحديث عن ذلك بطرق كثيرة، ومتنوعة، فهو يشير إلى ثقته بمن سمع منه (٢) أو يشير إلى فصاحته (٣) دون تحديد لاسمه أو قبيلته، وقد يذكر أنه سمع رجلين من العرب عربيين يقولان (٤)، وقد ينتقل اسم الأعرابي الذي سمع منه (٥)، وقد يشير إلى أنه سمع ذلك من تميم وأسد (٦)، أو من بعض تميم من بني عدي (٧) وقد يكون سماعه مبنياً على بحث وتقصير منه كقوله: سألنا العرب فوجدناهم يوافقون (٨)، أو سألنا العلويين والتميميين فرأيناهم يقولون (٩)، أو سألنا من برفع (١٠)

(١) - الكتاب ٤٠٢/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/٧١، ٢٥٥، ٣١٩، ٣٩٦، ٢/٩٢، ١٤٠، ٣٥٩، ٣/٢٦٥، ٤٦٢، ٥٤٩، ٤/١٣٩.

(٣) - انظر المصدر السابق ١/٢١٩، ٣/١٥٧، ٢٣٨، ٢٨٥، ٥٠٥.

(٤) - انظر المصدر السابق ٢/٢٦، ٢٧.

(٥) - انظر المصدر السابق ١/٣٢٨.

(٦) - انظر المصدر السابق ٤/١٢٧.

(٧) - انظر المصدر السابق ٤/١٨٠.

(٨) - انظر المصدر السابق ٣/٢٩٠.

(٩) - انظر المصدر السابق ٣/٢٩١.

(١٠) - انظر المصدر السابق ٣/٢٢.

*- ويدعم سيبويه أحياناً سماعه عن العرب بما أخذه عن شيوخه، قاصداً تقوية القاعدة النحوية وتدعيمها، كقوله: حدثنا بذلك يونس عن العرب (١)، أو حدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون (٢) أو حدثني يونس أنه سمع من العرب من يقول (٣)، أو وكذا قول العرب، ويونس (٤)، أو حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب (٥)، أو حدثنا بذلك عن العرب عيسى، ويونس، وغيرهما (٦).

*- ويرى سيبويه أنّ الكثير المسموع أولى بأن يقاس عليه لأنه الأصل، من ذلك أنه تكلم على المنادى الذي اتصلت به ياء المتكلم، وذكر أن حذف الياء منه هو الكثير، وهو أولى بأن يقاس عليه (٧) واستدل على ذلك بقوله تعالى: **يَا عِبَادِ قَاتِلُوا** (٨) ثم بين أنّ القليل المسموع لفتاً لا يقاس عليها من خلال حديثه عما غلبت فيه المعرفة النكرة؛ يقول «هذه ناقةٌ وفصيلُها راتغين، لأن هذا أكثرُ في كلامهم، وهو القياس. والوجه الآخر قالة بعض العرب» (٩)

(١)- انظر الكتاب ٣١٥/٢.

(٢)- انظر المصدر السابق ٣٣٧/٢.

(٣)- انظر المصدر السابق ٣٦١/٢.

(٤)- انظر المصدر السابق ٤٥٩/٣.

(٥)- وانظر المصدر السابق ٨٣/٢.

(٦)- انظر المصدر السابق ٢٧١/١.

(٧)- انظر المصدر السابق ٢٠٩/٢.

(٨)- الزمر: ١٦/٣٩.

(٩)- الكتاب ٨٢/٢.

*- وفي بعض المواضع من الكتاب يشير سيبويه إلى ما يتوقف فيه على السماع، ولا يصلح فيه القياس كتقوله في باب المتصور والمدود: «رضي يرضى وهو راضٍ، وهو الرضا، ونظيره سنخط يسنخط سخطا وهو ساخط، وكسروا الراء كما قالوا: الشُّبَع فلم يجيئوا به على نظائره، وذا لا يُجسَر عليه إلا بسمع» (١) وقوله: «وقالوا: بدا له يبدؤ له بدأ، ونظيره حَلَبٌ يَحْلُبُ حَلْباً، وهذا يُسَمَع ولا يُجسَر عليه، ولكن يُجاءُ بنظائره بعد السمع» (٢). وفي الكتاب غير مثال على ذلك (٣).

*- واقتصر السماع عند سيبويه على ما خالف الأصول، لأن ما وافق الأصول كان على القياس وهذا مذهب الخليل الذي نقله لنا سيبويه بشكل واضح بقوله في باب النسبة: «قال الخليل: كلُّ شيء من ذلك عدلته العرب تركته على ما عدلته عليه، وما جاء تاماً لم تُحدث العرب فيه شيئاً فهو على القياس» (٤) وهذا القول يبين لنا بشكل لا لبس فيه أن السماع - وهو ما يعيل إليه سيبويه - كان نقلاً لما خرج على أصول القواعد العربية.

*- ويظهر اهتمامه بالسماع مرة أخرى من خلال رده للرأي النحوي، إن لم يكن له نظير من كلام العرب: من ذلك ما نقله عن يونس، وناس من النحويين في حديثه عن الفعل المسند إلى ألف الاثنين، أو نون النسوة، واتصلت به نون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة، يقول سيبويه: «وأما يونس، وناس من النحويين فيقولون: اضربان زيدا، واضربان زيدا، فهذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها، لا يقع بعد الألف ساكنٌ إلا أن يُدغم» (٥)

(١) - الكتاب ٥٣٨/٣.

(٢) - المصدر السابق ٥٣٩/٣.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢٥٢/١، ٢٠٣/٢، ٢٠٣/٤، ٥٦٨٣/٤، ١٥٠٩/٤.

(٤) - المصدر السابق ٣٣٥/٣.

(٥) - الكتاب ٥٢٧/٣.

*- وكان سيبويه قد استدلّ بالسمع لما خالف الأصول وخرج عليها، لكنه حاول من خلال نقله للمسموع أن يتأوّله ليتفق مع الكثير، ذلك أنّ النحاة الذين سبقوه بنوا على الأكثر، وجعلوا القليل لفة، وهذا مادفعه لتعميل الظواهر القليلة المسموعة، وتأويلها لتناسب الأصل المستقرى من الكثير.

من ذلك ما نقله سيبويه عن رأي الخليل في قول الأعشى:

إِنْ تَرْكَبُوا فَرَكِبُوا الْخَيْلَ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشْرُ نَزْلِ (١)

فقد ذكر تأويل الخليل بأنّ الفعل (تنزلون) معطوف على (تركبوا)، ولكنّ الشاعر رفعه على التوهم، ظناً منه أنّ الفعل (تركبوا) لم يُجرّم، ثم نقل لنا رأي يونس بأنّ الكلام (تنزلون) هو استئناف لامجال لجزمه، وقد أيد سيبويه رأي يونس قائلاً: «وقول يونس أسهل» (٢). فهو يحاول تأويل المسموع متأخراً على الأصل ليجد له تخريجاً مناسباً يتفق والأصول.

*- لم يكن تأويل المسموع عند سيبويه مناسباً للأصول بشكل مطّرد، فهو يحنح ببعض تأويلاته بعيداً عن الأصول؛ من ذلك أنّ الأصل في الاسم المرفوع بعد (لولا) أن يكون مرفوعاً على الابتداء، أما إذا جاء الضمير بعدها فالواجب أن يكون في محل رفع، وقد عرض سيبويه ما سُمع من قول يزيد بن الحكم:

(١) - نُزِلَ: جمع نازل، وكانوا ينزلون من الخيل عند ضيق المعركة فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتداعون: نزال. والشاهد فيه رفع (تنزلون) عطفاً على معنى (إنّ تركبوا)، وهو المسمى عطف التوهم. لأنّ معناه: أتركبون فتلك عادتنا، أو تنزلون في معظم الحرب فنحن معروفون بذلك. وهذا مذهب الخليل. وحمله يونس على القطع، والتقدير عنده: أو أنتم تنزلون. الكتاب (حاشية) ٥١/٣.

(٢) - المصدر السابق ٥١-٥٠/٣.

وكم موطنٍ لولاي طحّت كما هوى بأجرامه من قلّة النيقِ منّهوي (١)

وأول الضمير الواقع بعد (لولا) تأويلاً بعيداً عن الكثير الشائع الذي تؤخذ منه الأصول، وذهب إلى أن (لولا) حرف جر، والضمير بعدها مجرور المحل، وهذا تأويل لا يخلو من تكلف واضح؛ لأن ما يعجز عن جرّ الاسم الظاهر لا يقوى على جرّ الضمير، كما أنّ معناها في هذا التركيب لم يطرأ عليه تغيير حتى تتبدل وظيفتها الإعرابية في نظم الجملة (٢)

وقد أدت هذه التأويلات النحوية للمسموع منا خالف الأصول إلى تحكيم القياس، وصادفت من النحاة جنوحاً للتعميلات الذهنية، حتى تخضع لما شاع استعماله في لغة العرب، ولو كان النحاة قد تركوا هذه التأويلات، وعدتوا هذا المسموع من الظواهر الشاذة التي فرضتها ضرائر الشعر لكان أفضل (٣).

(١) - يعاني أخاه، أو ابن عت. وكم لإنشاء التكبير، خبرها تقديره: لي. والموطن: الموقف من مواقف الحرب. طاح بطرح ويطيح: هلك. والجملة وصف لموطن، وقد سدت مسدّ جراب لولا. أو الجملة الشرطية كلّها في موقع الصفة. هوى: سقط. والأجرام: جمع جرم، بالكسر، وهو الجسد. والقلّة: ما استندار من رأس الجبل. والنيق: أعلى الجبل. والشاهد فيه الإتيان بضمير الخفض بعد (لولا) وهي من حروف الابتداء. ووجه ذلك أن المبتدأ بعد (لولا) لا يذكّر خبره. فأشبهه المجرور في انفراد. والأكثر أن يقال: لولا أنت. الكتاب (حاشية) ٣٧٤/٢. وانظر الإنصاف ٦٩٠/٢-٦٩٢.

(٢) - انظر الكتاب ٣٧٤/٢.

(٣) - انظر الاحتجاج للحلواني ٣٢١.

• القياس •

إذا كان علم اللغة يعتمد على السماع (١) فإن علم النحو يعتمد على القياس للإحاطة بكل قوانين الكلام، وما يتفرع عنها لمواكبة التطور الذي يفرضه الواقع، لذلك عرفوا النحو فقالوا: «النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولانعلم أحداً من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة.» (٢)

• لم يتَّبرَّ النحاة في استدلالهم لتعميد اللفظة المنهجة الوصفية من خلال اعتماد السماع من الأعراب والرواة فحسب، بل قرنوا به منهجاً قياسياً مستفيدين بطريقة ما من قياس الفقهاء، وقد ظهرت ملامح القياس قبل سيبويه عند عبد الله بن أبي إسحاق، ثم تلميذه عيسى بن عمر. فالحضرمي أول من بعج النحو، ومدَّ القياس والعلل (٣) وابن عمر الذي عني بالقياس أكثر من عنايته بالسماع سواء أكان

(١) - يقول ابن الأنباري: «ألا ترى أن اللغة لما وُضعت وضماً نغلياً، لا عقلياً لم يجز إجراء القياس فيها، واقتصر فيها على ما ورد به النقل؟ ألا ترى أن القارورة إنما سميت قارورة لاستقرار الشيء فيها، ولا يسمى كل ما يستقر فيه: قارورة، وكذا سميت الدار داراً لاستقرارها، ولا يسمى كل شيء مستديراً داراً؟» لم الأدلة ٩٩-١٠٠.

(٢) - في مثل ذلك قال الكسائي: «إنما النحو قياس يُشع» وقال ابن الأنباري: «وهو في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: هو حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع، وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع. وهذه الحدود كلها متقاربة.» لم الأدلة ٩٣. في أصول النحو للأفغاني ٧٨.

(٣) - من الحديث عن قياس النحاة قبل سيبويه فوجب الإيجاز. انظر طبقات ابن سلام ١٤، ١٩، ١٥، ١٦، والكتاب ١/٢٧٩، ٣/٣٤١، ٧٧/٢ ومعاني القرآن للفرّاء ٢/١٨٢.

ذلك في النحو أم في قراءته (١) ثم جاء يونس، والخليل -كما بيتنا- ليأخذوا به. ولعل كتاب سيبويه هو المستقرّ الذي رسم للقياس حدوده التي أفاد منها النحاة فيعاً بعد من غير أن يضيفوا إليه شيئاً يذكر إذا استثنينا بعض النحاة الذين تأثروا بالمنطق الصوري، وعلم الكلام بشكل زاد على الحد الطبيعي (٢).

* - لم يكن القياس عند هؤلاء النحاة وليد مصادفة، بل كان نتيجة طبيعية تحكّم فطرة العربي في جزيرته، فالعربي إذا صفت سليقته، وقويت فصاحته، تصرّف، وارتجل ما لم يسبقه إليه أحد قبله (٣)، فالعجاج، وابنه روبة «قاسا اللغة، وتصرفا فيها، وأقدا على ما لم يات به من قبلهما» (٤) وكانا يرتجلان كلمات، والفاظاً لم يسمعاها، ولا سبقا إليها. (٥) لذلك فقد جاء النحاة الأوائل ليترجموا في قواعدهم المستنبطة نتاج سليقة العربي، فأضاف كلّ نحويّ لبنه في صرح القياس إلى أن وصل الأمر إلى الخليل الذي لم يكن أوّل القياسين، بل كان «سيد قومه وكاشف قناع القياس في علمه» (٦)

(١) - من ذلك ما نقله سيبويه «وكان عيسى بن عمر يقول: يانظرا، يشبّهه بقوله: بارجلأ، يجعله إذا ثونّ وطال كالنكرة، ولم نسمع عربياً يقوله، وله وجه من القياس» الكتاب ٢/٢٠٣، ومنه أنه كان يختار النصب ما وجد إليه سبيلاً، وإليه يفتزع إذا اختلفت العرب، انظر طبقات ابن سلام ١٨، إنباه الرواة للقفطي ٢/٣٧٥ ومنه أنه يقرأ أحيانا على قياس العربية وأساليبها، طبقات القراء لابن الجزري ١/٩١٣ القاهرة ١٩٣٢، والأمثلة كثيرة. انظر الكتاب ١/٣٩٨-١٧١/٣، ١٤٣/٣، وانظر الاحتجاج للحلواني ٢٨٣.

(٢) - انظر المصدر السابق ٣٧١.

(٣) - انظر الخصائص ٢/٢٥.

(٤) - الاقتراح للتبويطي ٥٣.

(٥) - انظر الخصائص ٢/٢٥.

(٦) - المصدر السابق ٣٩١/١.

دبر
الكتاب
الغريب

وإذا ذكرنا الخليل فمن الصعب أن نفصل عنه سيبويه في أحكامنا، وعلى الرغم من كلِّ إشارات سيبويه إلى آراء الخليل يبقى الكتاب بوتقةً انصهرت فيها آراؤهما انصهاراً يعسر فصله.

القياس عند سيبويه:

*- من الطبيعي أنّ اهتمام سيبويه بالسمع أكثر من اهتمامه بالقياس لا يمنعه من ترجيح القياس في بعض المواضع على السماع. فهو لا يلتفت إلى ظاهرة قدّم لها كثيراً من كلام العرب شعراً، ونثراً، بل يستدل بالقياس مخالفاً لما سُمع عن العرب، ففي كلامه على رفع الاسم الذي يتقدم على عامل يصحّ أن يعمل فيه يستدل بقول أبي النجم العجلي:

قد أصبحت أمّ الخِيار قدّعي عليّ ذنباً كلُّه لم أصنع (١)

ويشير إلى ضعفه، وأنّ النصب في (كلُّه) لا يكسر البيت (٢)، ثم يستدل بيت امرئ القيس:

فأقبلت زحفاً على الركتين فتوبت نسيّت وثوباً أجراً (٣)

ثم بيت النمر بن تولب:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر (٤)

(١) - أم الخيار: زوجته. ويعني بالذنب الشيب والصلع والشيوخة. والبيت حجة لمن قال: زيداً ضربت، ولم يأتِ بالهاء، ولكنه أضمرها، يريد: ضربته، فكذلك: كلُّه لم أصنع، أراد لم أصنعه، فأضمر الهاء. انظر الكتاب ٨٥/١، شرح أبيات سيبويه للنحاس ١٠٣ خزنة الأدب للبغدادي ١٧٣/١.

(٢) - انظر الكتاب ٨٥/١.

(٣) - للبيت رواية أخرى:

فلما دنوت نسدتها فتوبت نسيّت وثوباً أجراً

وصف أنه طرق محبوسه في ذهول على خيفة من الرقباء فجعل يزحف، أي يمشي رويداً لئلا يُشعر به، وأنشد الخليل برفع (توب) يريد به الهاء، فتوبت نسيّت، وثوب أجراً، وبعض الكنديين يروي البيت بالنصب: فتوباً نسيّت، وثوباً أجراً. انظر الكتاب ٨٦/١، وديوان امرئ القيس ١٥٩، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٤٠، وخزنة الأدب ١٨٠/١.

(٤) - يريد الشاعر: نساء فيه، ونسرٌ فيه، ولو لم ينو الهاء لقال: ويوماً نساءً ويوماً نسرًا. انظر الكتاب ٨٦/١، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٤٠.

ثم يستدل بقول بعض العرب: «شهرٌ ثرى، وشهرٌ نرى، وشهرٌ مرعى» (١) يريد: ترى فيه. ثم يستدل بيت لأحدهم:

ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ قَتَلْتُ عَمْدًا فَأَخْرَى اللَّهُ رَابِعَةً تَعَوُّدُ (٢)

وبعد هذا السرد لما سُمِعَ عن العرب شعراً، ونشراً يذكر سببوه أن الرفع ضعيف، «والوجه الأكثر الأعراف النصب، وإنما شبهوه بقولهم: الذي رأيتُ فلاناً، حيث لم يذكرُوا السَاء. وهو في هذا أحسن». (٣) فسببوه لم يضع اعتباراً لما سمعه، ولم يُقَمَّ عليه أصلاً نحويًا؛ لأنه يخالف القياس.

ويتضح لنا أن القياس الذي لجأ إليه سببوه كان الدافع إليه أنه لم ترد عن العرب كل صور التراكيب، والصيغ، والجميل التي تعتبر عن المعاني المختلفة، وهو بذلك يشابه إلى حد بعيد القياس عند الفقهاء حيث أن نصوص الكتاب، والسنة لم تقف عند الأحكام الشرعية جميعها لما حدث في الماضي، ولما يمكن أن يحدث في المستقبل، وبناء على ذلك فقد وضحت ضرورة القياس لتواكب هذا التطور، وتسد تلك الفجوة.

ونحن لاندعي أن نشأة القياس عند النحاة والفقهاء كانت واحدة، بل نرجح أن النشأة كانت منفصلة أملت بها الحاجة والضرورة عند كليهما، لأنه لو اقتصرَت الأحكام النحوية، والفقهيّة على ما ورد

(١) - ذكر ابن الشجري في أماليه ٣٢٦/١ (حيدر آباد) ١٣٤٩: «أي: شهر ذو ثرى. والثرى: التراب الندي. والثاني حذفوا منه العائد إلى الموصوف، وحذفوا معه المفعول، أي شهر ثرى فيه أطراف العشب. والثالث كالأول حذفوا منه المضاف، أي شهر ذو مرعى». الكتاب (حاشية) ٨٦/١.

(٢) - البيت من الخمسين التي لا يعرف قائلها. يريد الشاعر بالثلاث ثلاث نسوة تزوجهن ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوينه فقلن هواه. أو يعني غير ذلك مما يحتمله المعنى. وهذا لأنه لا يعرف للبيت سابق ولا لاحق. انظر الكتاب (حاشية) ٨٦/١، وشرح أبيات سببويه للنحاس ٤٠.

(٣) - الكتاب ٨٦/١.

في النقل، لوقفنا عاجزين أمام كثير من المسائل التي لم يرد النقل فيها، لذلك وجد النحاة والفقهاء أنفسهم مضطرين لقياس ما لم يرد النقل فيه على ماورد، وفي هذه الخطوة من غير شك تحقق الكثير من ضبط الأحكام وتفعيد الأصول في كلا العليتين (١).

*- وفي مواضع كثيرة نرى سيبويه يحضّ على القياس، إذا لم يكن ثمة سماع؛ فهو يقول بعد كلام استدل فيه بكلام العرب: «فاعتبر ما أشكل عليك من هذا بدأ» (٢) ويقول في موضع آخر: «قد يوجّه الشيء على الشيء البعيد إذا لم يوجد غيره. ورتباً وقع ذلك في كلامهم» (٣) وحثّه في لجونه إلى القياس أنّ العرب أنفسهم فعلوا ذلك، فقد شبهوا الشيء بالشيء في كلامهم (٤). وفي كلامه على ما يُنصّب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاراً (٥) يسرد سيبويه كثيراً من كلام العرب شعراً ونثراً، ويقيس ما تشابه منه، ويعلّل ما فيه من مشابهة وقياس (٦)؛ نحو قول ابن ميادة:

تفاقدَ قومي إذ يبيعون مهجتي بجاريةٍ بهراً لهم بعدها بهراً (٧)

فقد قاس (بهرأ) على (تتا)، وفي موضع آخر قاس (بهرأ) على (جهداً) (٨).

-
- (١)- بعد ذلك جاء تأثر النحاة المتأخرين بالفقهاء في ترتيب قضايا قياسهم، عندما اتجهوا إلى بناء أصول النحو على غرار أصول الفقه. انظر: مكانة الخليل لعابنة ٦٠.
- (٢)- الكتاب ١/١٠٤.
- (٣)- المصدر السابق ٢/٣٧٦، ٣/٤١٣، ٢/٢٧٨، ٣/٤١٣.
- (٤)- انظر المصدر السابق ١/٢٥٩، ١/١٨٢.
- (٥)- انظر المصدر السابق ١/٣١١.
- (٦)- انظر المصدر السابق ١/٣١١-٣١٣.
- (٧)- قوله بعدها: أي بعد الفعلة التي فعلوا. يقول: فقد قومي بعضهم بعضاً إذ لم يمينوني على جارية شغفت بحبها، فكانهم باعوا مهجتي. دعا عليهم بالنفاق، وبالفجأة، والقهر. انظر الكتاب ١/٣١١، لسان العرب (فقد، بهر).
- (٨)- ذلك في قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبها، قلت: بهراً عددَ النجم والحصى والتراب

انظر الكتاب ١/٣١١-٣١٢.

*- ونراه يقيس كلام العرب في باب ما تُخبرُ فيه عن النكرة بنكرة على القرآن الكريم، ليزيده وضوحاً، وفي ذلك يقول (١): «والتقديم ههنا والتأخير فيما يكون ظرفاً أو يكون اسماً، في العناية والاهتمام، مثله فيما ذكرتُ لك في باب الفاعل والمفعول. وجميع ما ذكرتُ لك من التقديم والتأخير، والإلقاء والاستقرار عربيّ، جيد، كثير، فمن ذلك قوله عزّ وجلّ: **ولم يكنْ له كفواً أحدٌ**» (٢)»

ويتنوع سيبويه في عباراته التي تشير إلى القياس، ويلوّن في أساليبه، من ذلك قوله: «وقالوا: الشكور، كما قالوا: الجحود، فإنما هذا الأقلّ نوارد تحفظ من العرب، ولا يقاس عليها، ولكنّ الأكثر يقاس عليه» (٣)، وقوله: «والوجه كلّ شاةٍ وسخلتها بدرهم، وهذه ناقةٍ وفصيلها راتعين: لأنّ هذا أكثر في كلامهم، وهو القياس. والوجه الآخر قد قاله بعض العرب» (٤)، وقوله: «قالوا: الحجّار، فجاءوا به على الأكثر والأقيس، وهو في الكلام قليل» (٥) وقوله: «وليس في كلّ شيءٍ يقال إلا أن تقيس شيئاً، وتعلم أن العرب لم تتكلّم به» (٦) وقوله: «وأنا يونس فقوله على الكثير: هذا أحيّ، كما ترى، وهو القياس، والصواب» (٧).

(١)- انظر الكتاب ٥٦/١.

(٢)- الإخلاص ٤/١١٢.

(٣)- الكتاب ٨/٤.

(٤)- قصد سيبويه بالوجه الآخر (كلّ شاةٍ وسخلتها بدرهم) بمعنى كلّ شاةٍ وسخلتها لها بدرهم: انظر الكتاب ٨٢/٢.

(٥)- وقصد بالحجار جمع حجر، والقياس أحجار. المصدر السابق ٥٧٢/٣.

(٦)- المصدر السابق ٩٤/٤، وانظر ٩٣/٤.

(٧)- قصد تصغير (أحوى)، انظر المصدر السابق ٤٧٢/٣.

قياسه على الكثير:

*- من الواضح أنّ قياس سيبويه يعتمد الكثير الشائع من لغة العرب، أمّا القليل، والنادر، فيحفظ، ولا يقاس عليه (١). فقد سأل الخليل مرة عن صرف كلمة (رتان) فأجاب: «لاصرّفه، وأحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يُعرّف» (٢) فسيبويه ينقل كلام الخليل من دون تعليق أو تعليل وهذا دليل لقبوله لمبدأ القياس الذي أخذه عن شيخه الخليل.

وهو يصرّ على مبدأ القياس بشكل واضح في قوله: «فاستحسن من هذا ما استحسن العرب، وأجزّء كما أجازته» (٣) فقوله (العرب) يعني من غير شكّ ماشع، وانتشر من كلامهم، ويقصد به الكثرة، ومثل هذا الأسلوب كثير في الكتاب (٤).

ويبدو من خلال الكتاب أنّ سيبويه، ومن سبقه من النحاة لم يعرفوا الكثرة، ومدلولها عند من تكلم عليها، وبقي الباب مفتوحاً لاجتهادات المحدثين (٥).

(١)- انظر الكتاب ٦٩/٢، ٤٠١، ٤٠٤/٣، ٨/٤.

(٢)- المصدر السابق ٢١٨/٣.

(٣)- المصدر السابق ٦٩/٢.

(٤)- انظر في ذلك المصدر السابق: ٨٢/٢، ٢٨٠/٣، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٦٢، ٤٧٢، ٥٧٢، ٨/٤، ٩٤، وانظر فهارس كتاب سيبويه لعضية ٣٤.

(٥)- ذكر عباس حسن في كتابه اللغة والنحو بين القديم والحديث ٤٠، دار المعارف ١٩٦٦م أنّ المقصود بالكثرة، الكثرة العددية لا ريب. ولكنه لاحظ أنّ النحاة ولم يبيّنوا لنا: أي الكثرة العددية بين أفراد القبيلة الواحدة دون نظر لغيرها أم هي الكثرة بين القبائل، بأن تشيع خصائص لغوية في مجموعة قبائلها أكثر من قبائل مجموعة أخرى، من غير نظر لأفراد كل قبيلة وعددها. ولم يبيّنوا كذلك: هل تجري الموازنة من حيث الغلة والكثرة بين القبائل الست التي اختيرت اللغة عنها أو تتجاوزها إلى غيرها. وانظر مكانة الخليل بن أحمد لعباينة ٦٣.

* - لم يُجز سيبويه القياس على ماقلّ من المسرع الفصيح، فهو ينقل عن العرب قولهم: مطرنا سهلنا وجبلنا، وشرّب عبد الله ظهره وبطنه، ثم يجيز النصب في قوله: «وإن شئت نصبت - أي على نزع الخافض - تقول: شرّب زيد الظهرَ والبطنَ، ومطرنا السهلَ والجبلَ، وقلب زيداً ظهره وبطنه. فالمعنى أنهم مطروا في السهل والجبل، وقلب على الظهر والبطن» (١) ثم يشير إلى أنّ النصب على نزع الخافض، لاعلى الطرفية في قوله: «ولكنّهم أجازوا هذا، كما أجازوا قولهم: دخلتُ البيت، وإنّما معناه دخلتُ في البيت. والعامل فيه الفعل، وليس المنتصب ههنا بمنزلة الطرف» (٢)، ثم يصرح بأن هذا الاستعمال لا يقاس عليه، وأنهم لم يجيزوا حذف الجر في غير السهل والجبل، والظهر والبطن (٣) ثم يسوق أمثلة لا يجوز القياس عليها، بل تُستعمل فيما اختصت به، فيقول: «فجازا هذا (٤) في ذا وحده» (٥)، كما لم يجر حذف حرف الجر إلا في الأماكن، في مثل: دخلتُ البيتَ، واخشعتُ بهنًا، كما أنّ لدنّ مع غدوة لها حال ليست في غيرها من الأسماء، وكما أنّ عسى لها في قولهم: عسى الغوّزُ أبوساً، حال لا تكون في سائر الأشياء» (٦).

* - وقد يحكم القياس في ردّ بعض الآراء النحوية التي لاتستند إلى سماع، من ذلك ما نقله من أنّ يونس يجيز: مررتُ به المسكنَ على قوله: مررتُ به مسكيناً بنصبها على أنّها حال. ويردّ عليه سيبويه مباشرة مستعيناً بالقياس في قوله: «وهذا لا يجوز، لأنه لا ينبغي أن يجعله حالاً، ويدخل فيه الألف واللام، ولو جاز هذا لجاز مررتُ بعبدِ الله الظريفَ، تريد ظريفاً» (٧).

(١) - الكتاب ١/١٥٩.

(٢) - المصدر السابق ١/١٥٩.

(٣) - انظر المصدر السابق ١/١٥٩.

(٤) - أي النصب في (الظهرَ والبطنَ، والسهلَ والجبلَ).

(٥) - أي في (شرّب وشطّر).

(٦) - الكتاب ١/١٥٩.

(٧) - المصدر السابق ٢/٢٦٦.

* وتصريح سيبويه بعدم القياس على القليل كثير في كتابه (١)، ومردّه إلى أنّ الكثير هو الذي يمثل لغة العرب، والقليل يمثل لغة من لغاتهم، ولا يمكن بناء الأحكام النحوية التي تُعقّد كلام العرب مستمدة من لغة القليل منهم.

قياسه على القليل:

* - على الرغم من أنّ سيبويه يقيس على ما أكثر من كلام العرب، ويتحاشى القياس على ما قلّ سماعه فإننا نراه في بعض المواضع من كتابه يقيس على القليل، ويبني الأحكام النحوية على هذه القلة وهو الغائل: «فلنما هذا الأقلّ نوادر تُحفظ عن العرب، ولا يقاس عليها، ولكن الأكثر يقاس عليه» (٢) من ذلك ما ذكره في حديثه عن التصغير، فالتصغير خاصّ بالأسماء وحدها، فلا تُصغّر الأفعال، ولا الحروف، وهذا ما نعلم عليه سيبويه في كتابه حين نقل ذلك عن الخليل: يقول سيبويه: «وسالت الخليل عن قول العرب: ما أُتِيْلِحَ. فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس: لأن الفعل لا يُحَقَّر، وإنما تحقّر الأسماء لأنها توصف بما يعظم ويهون، والأفعال لا توصف، فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء لمخالفتها إياها في أشياء كثيرة» (٣). والعرب لم يصغّروا من الأفعال إلا صيغة (ما أفعله)، وفي ألفاظ قليلة تحديداً، وهذا ما عبّر عنه سيبويه بقوله: «ولكنهم حقّروا هذا اللفظ، وإنما يعنون الذي تصفه بالمُلح، كأنك قلت: مُلِحٌّ، شبهوه بالشيء الذي تلفظ به وأنت تعني شيئاً آخر نحو قولك: يطوهم الطريق، وصيّد عليه يومان (٤). ونحو هذا كثير في الكلام» (٥) ثم يصرح بما لا يدع

(١) - انظر في ذلك الكتاب: ٤١٤، ٣١٨/١، ٦٩/٢، ٣٠٢٨٠/٣، ٥٩٤، ٤١٠، ٨/٤.

(٢) - الكتاب ٨/٤، وانظر مثل ذلك في ٦٩/٢، ٤٠٢، ٤٠١، ٤٠٤/٣.

(٣) - المصدر السابق ٤٧٧/٣-٤٧٨.

(٤) - يريدون: يطوهم أهل الطريق الذي يمرون فيه، فعذف أهلاً، وأقام الطريق مقامهم. ومعنى يطوهم الطريق أنّ يبرئهم على الطريق، فمن جاز فيه رآهم. وقوله: صيد عليه يومان، معنى صيد عليه الصيد في يومين، فعذف الصيد، وأقام اليومين مقامه. الكتاب (حاشية) ٤٧٨/٣.

(٥) - المصدر السابق ٤٧٨/٣.

مجالاً للشكّ في جواز القياس على (أُتِيْلِحَ و أُحْيِسِنَ) في قوله: «وليس شيء من الفعل، ولا شيء من متا سُمِّيَ به الفعل يُحَقَّرُ إلا هذا وحده، وما أشبهه من قولك: ما أفعله» (١)

ونخلص إلى أنّ تفسير (أفعل) لفة لم تكن فاشية بين العرب، بل هي لفة قليلة، ولم يسمع منها إلا (ما أُتِيْلِحَ)، و (ما أُحْيِسِنَ)، وعلى الرغم من ذلك فقد أجاز سيبويه القياس عليها، وقصد بقوله: «وليس شيء من الفعل، ولا شيء من متا سُمِّيَ به الفعل يُحَقَّرُ إلا هذا وحده، وما أشبهه من قولك: ما أفعله» أنّ الأفعال لا تُصَفَّرُ، وإنما الذي يُصَفَّرُ هو (ما أُتِيْلِحَ، وما أُحْيِسِنَ)، وما شابهه من الأفعال في صيغة التعجب، لا في سائر الأفعال؛ وهذه إجازة للقياس على لفة قليلة، وهي تفسير صيغة فعل التعجب (ما أفعله).

القياس على الشاذ:

* - وقف سيبويه من الشاذ من لغة العرب موقفاً واضحاً، فهو يقول: «ولا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس» (٢) رافضاً إجراء القياس على ما شذّ من كلامهم، وقد يردّ قول النحويين غيره إذا أدرك أنّ العرب لم تتكلم به؛ كقوله: «وأما قول النحويين: قد أعطاهوك، وأعطاهوني، فإنما هو شيء قاسوه لم تتكلم به العرب، ووضعوا الكلام في غير موضعه» (٣) وقوله: «وهذا من الشواذ، وليس متا يقاس عليه ويطلرد» (٤) وقوله: «قد أعطاهوني، فهو قبيح لا تكلم به العرب، ولكنّ النحويين قاسوه» (٥)

(١) - الكتاب ٤٧٨/٣، وانظر في المرضع ذاته خزانة الأدب ٤٧/١، ولعباس حسن اللغة والنحو بين القديم والحديث ٨٩.

والنحو الزاوي ٦٨٦/٤.

(٢) - الكتاب ٤٠٢/٢.

(٣) - المصدر السابق ٣٦٤/٢.

(٤) - المصدر السابق ٤٠٥/٤.

(٥) - المصدر السابق ٣٦٣/٢-٣٦٤.

ومجمل القول أن سيبويه في قياسه حاول أن يوجد القواسم المشتركة للغات العرب، فإذا وجد حكماً شاع وانتشر على لسانهم قعده، وأطره بإطار نحوي مستفيداً من آراء النحاة الذين سبقوه، مضيفاً إليهم كثيراً من نظراته الثاقبة.

المقارنة بين ظاهرتين:

* - قد يقارن سيبويه بين ظاهرتين في لغة العرب، ولكل منهما حظاً من الكثرة والغشوة، ولهما وجه من القياس، فهو يشير إلى صحة الظاهرتين، ثم يبين أنّ إحدى هاتين اللغتين أقيس من الأخرى؛ من ذلك قوله: «واعلم أنّ أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل: رأيتُ زيداً: من زيداً؟ وإذا قال: مرتت بزيدٍ قالوا: من زيدٍ؟ وإذا قال: هذا عبدُ الله، قالوا من عبدِ الله؟ وأما بنو تميم فيرفعون على كلّ حال . وهو أقيس القولين» (١). فهو يجيز الحكاية في قوله: من زيداً؟ ومن زيدٍ، ويذكر أن الرفع هو أقيس الظاهرتين.

* - بعد الذي رأيناه من قياس سيبويه من خلال الأمثلة المتنوعة السابقة نلاحظ أنه في مواضع قليلة من كتابه ينكر على العرب بعض لغاتهم، ولا يجيز القياس عليها، وفي الوقت ذاته نرى قراءة قرآنية، وشعراً لهذه اللغة التي أنكرها سيبويه. من ذلك أنه خطأ العطف بالرفع على اسم (إنّ) قبل استكمال الخبر، وقال: «واعلم أنّ ناساً من العرب يفلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيدٌ ذاهبان» (٢)، والقياس أن المعطوف يشارك المعطوف عليه في الحكم لأنه تابع له. لكنّ الصحيح أنّ العطف على المحلّ

(١) - الكتاب ٤١٣/٢، وانظر ١٨١/٢.

(٢) - المصدر السابق ١٥٥/٢.

قبل استكمال الخبر جائز وتوידه كثير من الشواهد كقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا حَوْلَ عَلَيْهِمْ وَلَا حَزْمٌ
يَحْزَنُونَ** (١) برفع (الصابئون) عطفاً على محل (الذين)، وبها قرأ القراء السبعة، وعليه مصاحف
الأمصار والجمهور (٢)

ومنها قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** (٣) برفع (ملائكته) وهي قراءة ثابتة
صحيحة (٤)، ومن الشعر قول ضابئ البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رَحَلَةً فإني وقَيَّارٌ بها لقريبُ (٥)

برفع (قيار) عطفاً على اسم إنّ وهو في الأصل مبتدأ. هذه الشواهد من شعر، وقراءة قرآنية، والقراءات
القرآنية كلها في الأصل لغات، إضافة إلى أنها سنّة، والسنة لا تخالف كقيلة بإثبات ما أنكره سيبويه
وغلظه.

*- وتكلم الكثيرون بعد سيبويه عن القياس وأركانه، ووضعوا أصوله التي نظمت قواعده، ورسمت
ملامحه المستنبطة من الكتاب (٦) ونحن لن نقف عند أركانه، وأقسامه إلا إذا كان سيبويه قد قاس في
كتابه بما ينطبق على المسميات التي وضعها المتأخرون.

(١) - المائدة ٦٩/٥.

(٢) - انظر البحر المعيط لأبي حيان ٥٣١/٣.

(٣) - الأحزاب ٥٦/٣٣.

(٤) - رواية عبد الوارث عن أبي عمرو. انظر في شواذ القرآن لابن خالويه ١٢٠، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٦٤٥/٢.

(٥) - رفع (قيار) وردت في أكثر من مصدر. وفي المسألة آراء مختلفة متباينة. انظر الكتاب ٧٥/١، وخزانة الأدب ٣٢٣.٨١/٤.

والإيضاح ٩٥، ولسان العرب (قير)، وسيبويه جامع النحر العربي لغوزي سمود ٥٤-٥٦. والبيت قاله في البجن حينما
حبسه عثمان (رمن) لهجته قوماً من بني جرول بن نهشل. وقيار: اسم فرسه، والرحل: المنزل.

(٦) - انظر لمع الأدلة لابن الأنباري ٩٣ فما بعدها، والاقتراح للسبوطي ٤٦ فما بعدها.

أنواع القياس في كتاب سيبويه: (١)

١- قياس الشبه:

وهو أبرز أنواع القياس في كتاب سيبويه؛ ويقوم على المشابهة بين المقيس والمقيس عليه من جهة المعنى، أو من جهة اللفظ؛ من ذلك ما ذكره في «باب الترقيم في الأسماء التي كل اسم منها من شيئين كانا بائنين فضم أحدهما إلى صاحبه فجعل اسماً واحداً بمنزلة عنتريس وحلوكوك» (٢) فهو يقيس المركب تركيباً مزجياً في حال ترخيمه على الاسم المختوم بتاء التانيث المربوطة؛ نحو: حضرموت، ومعد بكرب من جهة، وتمرة، والبصرة من جهة أخرى، ويعتد أوجه المشابهة بينهما؛ يقول سيبويه: «وذلك مثل حضرموت، ومعددي كرب، وبخت نصر، وماز سرجس، ومثل رجل اسمه خمسة عشر، ومثل عرويه. فزعم الخليل رحمه الله أنه تحذف الكلمة التي ضمت إلى الصدر رأساً، وقال: أراه بمنزلة الهاء» (٣) ثم يشير إلى أوجه المشابهة بين المقيس، والمقيس عليه وهي ثلاثة:

أولها: التصغير، فهو يلحق صدر الاسم المركب، ثم يوتى بالاسم الثاني بعد التصغير، كذلك يلحق التصغير ما قبل التاء المربوطة؛ يقول سيبويه: «الآن ترى أنني إذا حقرت لم أغير الحرف الذي يليه، كما لم أغير الذي يلي الهاء في التحقير عن حاله التي كان عليها قبل أن يحقر، وذلك قولك في تمرة ثميرة، فعال الرام واحدة، وكذلك التحقير في حضرموت تقول خضيرموت» (٤)

(١) - سميئات أنواع القياس لم يذكرها سيبويه نصاً، وإنما هي أسماء ذكرها المتأخرون فأخذناها للتوضيح. انظر لمع الأدلة ٩٣ فما بعدها، الاقتراح ٤٦ فما بعدها، في أصول النحر للأفغاني ١٠٨ فما بعدها، القياس في اللغة العربية محمد الخضر حسين ٧٤ فما بعدها، مكانة الخليل بن أحمد لعابانية ٧٠ فما بعدها.

(٢) - الكتاب ٢/٢٦٧.

(٣) - المصدر السابق ٢/٢٦٧.

(٤) - المصدر السابق ٢/٢٦٧.

الكتاب
الخطبة
الخطبة
الخطبة

والثاني: النسبة، فإننا ننسب إلى الجزء الأول من الاسم المركب، كما ننسب الاسم المختوم بالتاء بعد حذفها؛ فنقول في النسبة إلى معدي كرب: معدي، وفي أربعة عشر: أربمي كقولنا في النسبة إلى البصرة: بصري.

والثالث: يتعلق ببنية الكلمة فالتاء المربوطة المتصلة بالاسم الثلاثي مثل البصرة، لاتلحقه بالرباعي، والمتصلة بالرباعي لاتلحقه بالخماسي، ومثله في المركب، فالاسم الثاني من المركب لايدخل الاسم الأول بشيء من الأبنية ولايلحقه بها.

لذلك فإن سيبويه قاس حذف الاسم الثاني في المركب عند ترخيجه، على حذف التاء المربوطة في الترخيم، فقال في ترخيم رجل اسمه خمسة عشر: ياخسنة (١). وغير ذلك من الأمثلة (٢)

٢- قياس الاستثناس:

ويلجأ إليه سيبويه في شرح ظاهرة نحوية، وذلك بسرد أمثلة مشابه لها من وجه من الوجوه من غير أن يكتسب المقيس من المقيس عليه حكماً، كما هو الحال في قياس الشبه.

من ذلك جواز تقديم خبر كان على اسمها، فنقول: كان أخاك زيداً، ولايجوز ذلك في كان، فلا نقول: كان أخوك عبد الله. وذكر أنّ (كان)، وأخواتها محمولة في عملها على كان، فـ (كان) هي الأصل، وكان وأخواتها هي الفرع، فلم يجز في الفرع ما جاز في الأصل، وقاس سيبويه ذلك كله على (ليس) التي ترفع وتنصب، و (ما) العجازية التي تعمل عمل ليس، فإنه يجوز تقديم خبر (ليس) على اسمها، ولايجوز ذلك في (ما) لأنها فرع على ليس في عملها (٣)

(١) - انظر الكتاب ٢٦٧/٢-٢٦٨. وشرح السيرافي ٧٩/٣.

(٢) - انظر الكتاب ٧٧-٧٦/٢ وشرح السيرافي ١٩٣/٢، والكتاب ٣٧٨/١، ١٨٥/٣، وشرح السيرافي ٦٨/٤.

(٣) - انظر الكتاب ١٣١/٢.

ومنه كذلك أنه قاسن جزم (أكن) في قوله تعالى: **فَاصْطَقْ وَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ** (١) والمعطوف على (اصْطَقْ) المنصوب على قول زهير بن أبي سلمى:

بدا لي أنني لست مُدْرِكٌ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جانياً (٢)

حيث عطف (سابق) المجرور على (مدرك) المنصوبة، وفي ذلك يقول سيبريه: «فلنما جزوا هذا -أي سابق- لأن الأول (مدرك) قد يدخله الباء، فجاؤوا بالثاني، وكانهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا (أكن) لما كان الفعل الذي قبله (فاصْطَقْ) قد يكون جزماً، ولا فاء فيه تكلموا بالثاني، وكانهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا» (٣) ويعلل ذلك بأن الفعل (أكن) جاء مجزوماً؛ لأن ما سبقه (فاصْطَقْ)، قد يكون مجزوماً ولا فاء فيه، فتوهمه الفارئ مجزوماً، وعطف عليه بالجزم. وقاسه على جر (سابق) المعطوف على خبر ليس (مدرك) الذي يكثر مجيئه بالباء التي تجره، فتوهمه الشاعر مجروراً بالباء فعطف عليه بالجر. وغير ذلك من الأمثلة (٤)

٣- القياس التعليمي:

وهو افتراض أساليب لم يرد استعمالها عن العرب، ثم التماس حكم لها، قياساً على ماورد عنهم من أشباهه، الفرض منه تعليمي تطبيقي (٥) من ذلك أنه أجاز صرف (مسلمين) إذا سُمِّي بها رجلٌ، وأجاز إعرابها بالحركات، فيقال: هذا مسلمين، ورأيت مسلميناً، ومررت بمسلمين قياساً على قول بعض العرب الذين يعربون (سنيين) بالحركات، وثبتت الياء رفعاً ونصباً وجرّاً (٦).

(١)- المتأفقون ١٠/٦٣.

(٢)- البيت منسوب إلى زهير بن أبي سلمى، ونُسب إلى صرمة الأنصاري، واستدل به سيبريه على العطف على التوقم. انظر

الكتاب ١/٣٠٦، ١٦٥/٢، ١٥٥/٢، ١٠٠، ٥١، ٢٩/٣، ١٦٠/٤.

(٣)- المصدر السابق ١٠١/٣.

(٤)- انظر المصدر السابق ٢/٢٧٤، ٢٠٦/٢، ٣/١٠٤-١٠٥.

(٥)- انظر مكانة الخليل بن أحمد لعبانة ٨٠.

(٦)- انظر الكتاب ٣/٢٣٢، ٢٣٣.

ومنه حديثه عن (فو) إذا كانت اسماً لرجل وجعلها في الأفراد (فم) بزيادة الميم مكان الواو، لتكون على مثال الأسماء، وافترض أنه لو كانت العرب لم تنطق بـ (فم) لقال: (فو) لأن الاسم من الهاء بدليل قولهم: أفواه، كما قالوا: سوط وأسواط (١).

* - ومن الواضح أن القياس التعليمي الذي يعتمد الافتراض في الوصول إلى الأحكام شبيهة بقياس الفقهاء الذين يفترضون ما لا يمكن وقوعه ليصلوا على أحكامهم، وهذه الافتراضات جعلت النحاة بعد سببويه يبتعدون عن الهدف الأساسي الذي سعى إليه سببويه في كتابه، ويتجهون نحو إظهار المهارة النحوية، وما يتفرع عنها من تناولات تدلّ على تأثرهم بالفقه والمنطق إلى حد بعيد.

* - ويبدو أن سببويه قد تأثر بشيخه الخليل تأثراً بارزاً، ففي كثير من أسئلة القياس عنده كان ينقل عن شيخه أجوبة على أسئلة يطرحها عليه، وهذا ما أعطى الأحكام قوة، واتساعاً، وتنوعاً حيث نرى أركان القياس؛ الأصل، والفرع، والعلة والحكم بارزة من غير شطط، كما هو الحال عند غيرهما من نحاة الكوفة الذين أجازوا القياس على الشواذ، وعلى النادر، كما قاسوا على ما عدته غيرهم ضرورة ففتح الباب واسعاً لدخول الجدل المنطقي مما أكسب القياس كثيراً من التعقيدات، وتفرّع عن ذلك تقسيمات، ومستويات مستمدة من أصول الفقه، أبعثت القياس عن اللغة واستعمالاتها، وروحها، وخلقت صراعاً حول القياس بين مؤيد ومعارض (٢).

الكتاب
الذي
هو

(١) - انظر الكتاب ٢٦٤/٣.

(٢) - نعرض النحاة القياسون للهجوم من أصحاب السماع، حتى خصم ابن الأنباري كتابه (لمع الأدلة) دفاعاً عن القياس أمام خصومه. لكن الحملة ظلت مستمرة ضد القياس على يد ابن مضاء القرطبي ٥٩٢ هـ الذي أراد أن يفتش أركان القياس. انظر في تفصيل ذلك: لمع الأدلة لابن الأنباري ٩٣ وما بعدها، والرد على النحاة لابن مضاء القرطبي ١٦٥، وما بعدها تح: شرفي ضيف مصر ١٩٤٧ م وفي أصول النحو للأنفاني ١٠٨، وما بعدها، ومكانة الخليل بن أحمد لمباينة ٨١، وما بعدها.

• العلة النحوية •

حين شاع اللحن، وكثر على لسان بعض العرب، قام النحاة الأوائل بعملية استقراء لهذه اللفظة بنية وضع الضوابط لها، وإرساء الأصول، فجمعوا الظواهر، وصنّفوها، وبيّنوا الفروق بين لهجات أصحابها، وأطلقوا المصطلحات على تشابه منها فكانت عناوين الأبحاث النحوية فيما بعد. ولما كان العربي على احتكاك بالأمم الأخرى من خلال الفتح، ونشر الدعوة الإسلامية؛ فقد كان من الطبيعي أن يُطوّر النحاة معارفهم، وهذا ما دفعهم للبحث عن علل يفسترون بها الظواهر التي لاحظوها في استقراءهم للغة العرب، مما جعل العلة النحوية تعود بالفائدة الكبيرة على النحو، فقد جعلت الفهم، والتوضيح سعة من سمات الدراسة النحوية.

(١) العلامة النحوية وقد ذكرها ابن العربي

* - ويكتسب كتاب سيبويه أهمية كبيرة في تأريخ العلة النحوية، ليس بما ذكره سيبويه من لمحات فريدة^١ بل بما نقله لنا عن تقدمه من النحاة الأوائل، ناهيك عن الثقة التي يتمتع بها بشهادة من روى عنهم (١) فكتابه سجلٌ حافل نستطيع أن نأخذ منه صورة عن التفكير النحوي الذي كان للنحاة الذين سبقوه، أخذين بعين الأهمية قلّة الذين روى عنهم (٢).

وكان عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) أقدم من روى عنهم سيبويه في كتابه، وهو أول من بعج النحو، ومدّ القياس، والعلل (٣) وكان ممن روى عنهم سيبويه أبو عمرو بن العلاء، وله

(١) - انظر مقاله يونس بن حبيب في سيبويه في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤٨، وطبقات الزبيدي ٤٩.
(٢) - روى سيبويه في كتابه عن الخليل بن أحمد ٥٢٢ مرة، ويونس بن حبيب ٢٠٠ مرة، والأخفش ٤٧ مرة، وأبي عمرو بن العلاء ٤٤ مرة، وهيسى بن عمر ٢٢ مرة، وأبي زيد الأنصاري ٩ مرات، وهارون بن موسى ٥ مرات، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ٤ مرات؛ اعتمدنا في هذا على كتاب (سيبويه إمام النحاة) لناصف ص ١٠٢.
(٣) - انظر طبقات ابن سلام ٦، نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ٢٠، ٢٣، ٦٠.

عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي

إشارات واضحة في تعليل كلام العرب (١)، ثم يأتي الخليل بن أحمد الذي برع في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليقه، (٢) بما وهب من ذهن ثاقب وقريحة صافية؛ قال الزجّاجي: «ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله، سئل عن العلل التي يعتلّ بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها، أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علّة لما علّته منه، فإن أكن أصبت فهو الذي التمس، وإن تكن هناك علّة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبه النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إننا فعل هذا هكذا لعلّة كذا، وكذا، ولسبب كذا، وكذا سنحت له، وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلّة، إلا أنّ ذلك ممّا ذكره الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فإن سنح لغيري علة لما علّته من النحو هي أليق بالمعلول فليات بها» (٣)

ولم تكن العلّة في بدايتها معقدة شائكة بل كانت تجنح إلى البساطة التي تهدف إلى فهم كلام العرب، لذلك دار معظمها حول المعنى، أو حول العامل، وهذه التعليقات هي قليلة إذا ما قورنت بما

(١) - انظر نزّهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ٣٧٠٢٩.

(٢) - انظر المصدر السابق ٥٥.

(٣) - الايضاح في علل النحو للزجّاجي ٩٩.

ذكره النحاة المتأخرون فيما بعد (١).

العلّة في الكتاب:

ليس بمقدورنا أن نفصل من خلال الكتاب علل الخليل عن علل سيبويه، فالتشابه بينهما كامل إضافة إلى التشابه بينهما وبين علل النحاة الأوائل، ولعلمهم جميعاً أولوا المعنى عناية خاصة بعلمهم، واهتموا بقياس الشبيه بشبيهه، وحمل النظر على ما يناظره، منطلقين من أن العربي كان يميل إلى البساطة ويطلب الخفة في النطق، وينأى عن الثقل في لفظه. ومتابعة سيبويه لخطوات الخليل لاغرابة فيها؛ لأنه تلميذه، وعنه أخذ الروح النحوية التي تفرّعت منها أقسام النحو. لكن الذي يميز سيبويه من غيره أنه أعطى لما أخذه عن شيوخه بعداً عميقاً في التوسع، والكثرة، والمحاكمة.

وظهرت العلل الثواني والثالث في كتاب سيبويه، وفيها إشارة إلى يونس، والخليل، وقد شغلت حيزاً في الكتاب، وعنها أخذ النحاة المتأخرون كثيراً من مبادئهم التي وضعوها مستمدين أصولها من

(١) - ازداد اهتمام النحاة بالعلّة بعد سيبويه، وشغلت عقولهم حتى إنه لم يخلُ كتاب نحوي منها تقريباً، وأضحت الصلة قوية بين العلة من جهة، والمنطق، والفقه من جهة أخرى، فحاكمتها في التفسير، والتفريع، وترتيب المسائل وتسميتها، وصارت العلة آنذاك مقياساً لمهارة النحوي وحذقه. فابتعدت العلة عن هدفها الأصلي في فهم كلام العرب، الأمر الذي دفع بعض النحاة إلى التعرّض بالعلّة: كابن مضاء القرطبي الذي دعا إلى ترك العلل - ماعداً البسيطة منها، والتي تسهم في فهم كلام العرب - والانتصار على عبارة (هكذا نطقت العرب). تفصيل ذلك أنظره في: العلل في النحو لقطرب (٢٠٦هـ)، وعلل النحو، ونقض علل النحو للحسن بن عبد الله الأصبهاني الملقب بلقمة (٢١٠هـ)، وكتاب علل النحو لأبي عثمان المازني (٢٤٩هـ)، وعلل النحو لابن كيسان (٣٢٠هـ) والإيضاح في علل النحو للزجاجي (٣٣٧هـ)، والنحو المصوغ في العلل لبرهان (٣٤٥هـ)، وعلل النحو لابن الوراق (٣٨١هـ)، والحدود للرباعي (٣٨٤هـ)، والخصائص لابن جني (٣٩٢هـ)، وأمال السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله (٥٨١هـ)، والرد على النحاة لابن مضاء القرطبي أحمد بن عبد الرحمن (٥٩٢هـ)، والاقتراح للسيوطي (٩١١هـ).

كتاب سيبويه (١)، من ذلك ما علّل به جرّ المنوع من الصرف بالفتح نيابة عن الكسر وقال: «واعلم أنّ ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام، ووافقه في البناء (أي في الصيغة والوزن) أجري لفظه سُجري ما يستثقلون، ومنعوه ما يكون لنا يستخفون، وذلك نحو أبيض، وأسود، وأحمر، وأصفر، فهذا بناءٌ أذهب، وأعلم، فيكون في موضع الجرّ مفتوحاً، استثقلوه حين قاربَ في الكلام ووافق في البناء» (٢) فالعلة الأولى هي المبنية على الظاهرة اللغوية بجر الاسم بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف، والعلة الثانية أن المنوع من الصرف يجر بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنّ شابه الفعل، والعلة الثالثة أن ماشابه الأفعال من الأسماء يمنع من الصرف لثقل الكسرة على الأفعال، وعلى الأسماء التي تُشابه الأفعال في وزنها. هذا التدرّج في التعليل دون ذكر التسميات ذكره سيبويه مرات عديدةً كتعليله لعدم تنوين الفعل (٣)، وتعليله لجعل المبتدأ معرفة، والخبر نكرة (٤)، وعدم جواز حذف الجار (٥)، ورفع المضارع (٦).

(١) - ظهرت الإشارة إلى العلل التراثي والثالث في كتاب سيبويه من خلال التناولات النحوية، لكنها ظهرت فيما بعد بتقسيماتها، وتسمياتها المعروفة في كتب النحاة المتأخرين، كالزجاجي، ثم ابن مضاء القرطبي، ثم السيوطي، وغيرهم، مع الفروق بين التسميات التي أطلقوها؛ فالعلة الأولى هي علامة تلاحظها الدراسة الرصيفية لظواهر اللغة، كتعليل رفع الفاعل بأنه فاعل، ونصب المفعول بأنه مفعول، والعلة الثانية: كان يسأل: لماذا يُرفع الفاعل وينصب المفعول؟ ثم ينهب إلى أن العلة في ذلك أن يماز الفاعل من المفعول. والعلة الثالثة: كان يسأل: لماذا لم يحصل العكس؟ فيقال له: الفتح أخف من الضم، والمفعول به أكثر استعمالاً في كلام العرب من الفاعل، فنصبوا الكثير، ورفعوا القليل لكثر في كلامهم ما يستخفون، ويقال ما يستثقلون. انظر الاحتجاج للحلواني ٣٨٠.

(٢) - الكتاب ٢١/١.

(٣) - انظر المصدر السابق ٢٠/١.

(٤) - انظر المصدر السابق ٤٧/١-٤٨.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢٥٤/١.

(٦) - انظر المصدر السابق ٩/٣-١٠.

مزج العلة بالقياس :

* سمى سيبويه في تعليقه لبعض الظواهر اللفوية نحو توضيح التركيب في الجملة العربية، فهو يدعم تعليقاته بالقياس نقلاً عن الخليل، ويونس اللذين روى عنهما كثيراً من تعليقاته؛ ففي حديثه عنا لاجوز أن يُندب قاس النكرة التي لا تُندب على أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة إلا ما كانت صلت مشهورة. يقول سيبويه: «وذلك قولك: وارجلًا، ويا رجلًا. وزعم الخليل رحمه الله ويونس آة قبيح، وآة لا يقال. وقال الخليل رحمه الله: إنما قبح لآئك أبهت. آلترى آئك لوقلت: واهداة، كان قبيحًا، لآئك إذا نذبت فإنما ينبغي أن تُفجَع بأعرف الأسماء، وأن تُخصَّ، ولا تُبهم؛ لأنَّ الندبة على البيان، ولو جاز هذا لجاز يارجلًا ظريفًا، فكنت نادياً نكرةً. وإنما كرهوا ذلك آة تفاخسَ عندهم أن يُختلطوا، (١) وأن يتفجعوا على غير معروف. فكذلك تفاخسَ عندهم في المبهم لإيهامه؛ لآئك إذا نذبت تُخبر آئك قد وقعت في عظيم، وأصابك جسيمٌ من الأسر، فلا ينبغي لك أن تُبهم. وكذلك: وآسنٌ في الداراة، في القبح» (٢) وبعد أن فرغ سيبويه من نقل كلام الخليل قال: «وزعم آة لا يستفبح وآسن حضر بشر زمزامة؛ لأنَّ هذا معروف بعينه، وكأنَّ التبيين في الندبة عُدُّ للفتجَع. فعلى هذا جرت الندبة في كلام العرب» (٣). والمزج بين العلة والقياس في كتابه نراه في أكثر من موضع كتعليقه لعدم دخول الألف واللام على المنادى المفرد النكرة، وقياسه على أسماء الإشارة (٤)، وتعليقه لترك التنوين، أو النون في اسم لا النافية للجنس إذا كان بعده لام الجر، نحو: لا أبألك، ولا مسليعي لك، وقياسه على المنادى (٥).

(١) - أي يضجروا ويغضبوا.

(٢) - الكتاب ٢٢٧/٢-٢٢٨.

(٣) - المصدر السابق ٢٢٨/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ١٩٧/٢.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢٧٦/٢-٢٧٨.

العلة والعوامل:

* - ووجه سببويه بعضاً من تعليلاته في الكتاب نحو العوامل، وأثرها؛ من ذلك أنه علّل جزم المضارع بعد جواب الأمر، أو النسبي، أو الاستفهام، أو التمني، أو العرض لأن هذه الحالات تتضمن معنى إن الشرطية، فقال: «فأما ما انجزم بالأمر فقولك: اتنني أتك. وأما ما انجزم بالنسبي فقولك: لا تفعلْ يكن خيراً لك. وأما ما انجزم بالاستفهام فقولك: ألا تأتيني لأحدثك؟ وأين تكون أزرِك؟، وأما ما انجزم بالتمني فقولك: الأماء أشربته، وليته عندنا يحدثنا. وأما ما انجزم بالعرض فقولك: ألا تشرلْ تُصِبْ خيراً. وإنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إن تأتي، بل إن تأتي، لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغن عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أن إن تأتي غير مستغنية عن أتك» (١) ثم ينقل إلينا عن الخليل قوله: «إن هذه الأوائل كلها فيها معنى إن، فلذلك انجزم الجواب؛ لأنه إذا قال: اتنني أتك، فإن معنى كلامه إن يكن منك إتيان أتك، وإذا قال: أين بيتك أزرِك، فكانه قال: إن أعلم مكان بيتك أزرِك؛ لأن قوله: أين بيتك، يريد به: أعلمني. وإذا قال ليته عندنا يحدثنا، فإن معنى هذا الكلام إن يكن عندنا يحدثنا، وهو يريد ههنا إذا شئني ما أراد في الأمر. وإذا قال لو نزلت فكانه قال: انزل» (٢) وتعرض سببويه للعوامل في تعليلاته نراه في أكثر من مكان، منها أن حروف الجر في القسم تصل فعل القسم المقدر بالمقسم به، كما يصل الفعل اللازم إلى الاسم بحرف الجر (٣).

ولم يهدف سببويه إلى إظهار العلة ذاتها في تناولاته النحوية بدليل أنه لم يذكرها صراحة في عناوين أبحاثه إلا مرة واحدة في «باب علل ما تجعله من حروف الزوائد، وما تجعله من نفس الحرف» (٤) ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أن اهتمام سببويه كان منصباً على النحو، وأن العلة كانت

(١) - الكتاب ٩٣/٣ - ٩٤.

(٢) - المصدر السابق ٩٤/٣.

(٣) - انظر المصدر السابق ٤٩٧/٣، وانظر ١٨٣/٢، ٩٠/٣ وانظر مكانة الخليل لعبارة ٩٢.

(٤) - الكتاب ٣٠٧/٤.

نرد كثيراً لخدمة الوظيفة النحوية، وتشبيت أركان قواعدها، في الوقت الذي لم يكن مهتماً بإظهار براعته في التعليل كما هو الحال عند من جاء بعده من النحاة (١)

ومن طبيعة سيبويه أنه لا يركن إلى الأحكام ما لم يُخضِعها للمناقشة والحوار، يدفعه إلى ذلك حبه للاستقصاء ومتابعة العلل، ويظهر ذلك من خلال إلحاحه على شيخه الخليل بالأسئلة الكثيرة المتلاحقة التي نراها منشورة في ثنايا الكتاب في أبحاث كثيرة؛ من ذلك ما جاء في «باب النداء» (٢) وهو يحاور شيخه: «قلت: رأيت قولهم يازيد الطويلَ علامَ نصبوا الطويلَ؟

قال: نُصِبَ لأنه صفة لمنصوب. وقال: وإن شئت كان نصباً على أعني.

فقلت: رأيت الرفع على أي شيء هو إذا قال يازيدُ الطويلُ؟

قال: هو صفة لمرفوع.

قلت: ألسنتَ قد زعمتَ أن هذا المرفوع في موضع نصبٍ، فلمَ لا يكون كقوله: لقيتُه أسيرَ الأحداث؟» (٣) ويستمر الحوار بينهما في تعليقات متتالية مستمدة من الحوار الدائر.

ومنه ما جاء في باب تفسير المؤنث وفيه قوله: «اعلم أن كل مؤنث كان على ثلاثة أحرف فتحقيقه (أي: فتصنيفه) بالهاء وذلك قولك في قَدَمٍ: قُدَيْتُهُ، وفي يَدٍ: يَدَيْتُهُ. وزعم الخليل أنهم إنما أدخلوا الهاء ليفرقوا بين المؤنث والمذكر. قلتُ: فما بالَ عَنَاقٍ؟ قال: استثقلوا الهاء حين كثر العدد، فصارت العاقُ بمنزلةِ الهاء، فصارت قُعَيْتُهُ في العدد والزنة فاستثقلوا الهاء. وكذلك جميع ما كان على أربعة أحرف فصاعداً. قلتُ: فما بالَ سَمَاءٍ، قالوا: سَمَيْتُهُ؟ قال: من قَبْلِ أنها تُحذفُ في التحقير، فيصيرُ تحقيرُها كتحقير ما كان على ثلاثة أحرف، فلما حَقَّتْ صارت بمنزلةِ دَلْوٍ، كَأَنَّكَ حَقَّرْتَ شيئاً على ثلاثة أحرف. فإن حَقَّرْتَ امرأةً اسمها سَمَاءٌ قلت: سَمَيْتِي، ولم تُدْخِلْها الهاءَ؛ لأن الاسم قد تم» (٤).

(١) - انظر العلة النحوية للبارك ٦٦.

(٢) - الكتاب ١٨٢/٢.

(٣) - المصدر السابق ١٨٣/٢.

(٤) - الكتاب ٤٨١/٣ - ٤٨٢.

ولم يأخذ سيبويه آراء شيخه دون استيعاب، وقناعة، فهو لا يتردد في تضعيف رأي شيخه إذا كان له رأي آخر فيه، وهذا لا يقلل من الاحترام الشديد له؛ قال سيبويه: «و زعم الخليل رحمه الله أنه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجل أخو زيد، إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد. وهذا قبيح. ضعيف لا يجوز إلا في موضع الاضطرار، ولو جاز هذا لقلت: هذا قصير الطويل، تريد: مثل الطويل. فلم يجز هذا كما قبح أن تكون المعرفة حالاً للنكرة إلا في الشعر» (١) وهذا الرد لرأي شيخه، ووصفته له بالضعف، والقبح يخفي وراءه قناعة خاصة في بعض المسائل، لا يقلل من شأنها التاثر الكبير به في جلّ الكتاب.

أقسام العلة:

كثرت أقسام العلة، وتشعبت على أيدي النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه، كلٌ يضيف إلى من جاء قبله علةً جديدة متأثراً بالفقهاء غالباً، حتى تشعبت أقسام العلة التي وردت عند النحاة المتأخرين بشكل كبير (٢)، لذا سنتكلم على الأقسام التي وردت أمثلتها في كتاب سيبويه سواء ما كان منها لسيبويه نفسه، وما كان لغيره من النحاة الذين سبقوه:

آ-التخفيف: وهي أبرز العلة التي وردت في الكتاب، وتبين أن العربي يهرب من ثقل اللفظ إلى خفته، وهذه نتيجة طبيعية لثقل اللفظ في لغات البشر. ولعلّ كثيراً من الألفاظ العامية الشائعة نُقلت من الفصحى بعد أن جُنحَ بها نحو الخفة؛ وفي الكتاب أمثلة كثيرة صرح فيها سيبويه بعلة التخفيف، منها أن التنوين يحذف من اسم الفاعل، ويضاف إلى ما بعده طلباً للخفة، يقول سيبويه: «وليس يغير كفت التنوين، إذا حذفته مستخفاً، شيئاً من المعنى، ولا يجعله معرفة... وقال الخليل: هو كائن أخيك، على الاستخفاف، والمعنى: هو كائن أخاك» (٣)

(١)- الكتاب ٣٦١/١.

(٢)- أحصى الحسين بن موسى الدينوري العلة في كتابه «ثمار الصناعة»، وهدم أقسامها فكانت أربعة وعشرين منها: السماع، والنشبية، والاستثناء، والاستثقال، والفرق، والترديد، والتعريض، والنظير، والنقبض، والمعنى، والمشاكلة، والمعادلة، القرب والمجاورة، والوجوب، والجواز، والتغليب، والاختصار، والتخفيف، ودلالة الحال، والأصل، والتحليل، والإشغاف، والتضاد، والأولى أنظر الاقتراح للسيوطي ٤٨.

(٣)- الكتاب ١٦٦/١.

ومنها أن العرب يضيفون الصفة المشبهة إلى معمولها للتخفيف من ثقل التنوين (١) ومنه أنهم يحذفون حرف الجر، وأل التعريف للتخفيف، قال سيبويه نقلاً عن الخليل: «أَنَّ قولهم: لاهِ أبوك، ولقيتهُ أمْس، إنما هو على: لله أبوك، ولقيتهُ بالأمس، ولكنهم حذفوا الجارَ والألفَ واللامَ تخفيفاً على اللسان» (٢).

ب- كثرة الاستعمال:

وهي علة ترتبط بعلة التخفيف ارتباطاً وثيقاً، لأن كثرة استعمال اللفظ، أو التركيب يعرضه للتغيير طلباً للخفة، والخفة بدورها لاتأتي إلا من كثرة الاستعمال، من ذلك ما علّل به حذف حرف، أو أكثر في ترخيم المنادى لكثرتيه في كلامهم (٣). ومنه أنهم «حذفوا الفعلَ من إياكَ لكثرة استعمالهم إياه في الكلام» (٤). وقد جعل سيبويه من علة كثرة الاستعمال عنواناً لباب من أبواب كتابه (٥) وعلّل فيه حذف الفعل العامل في (ديارَ مئةَ) في قول ذي الرئة:

ديارَ مئةَ إذْ مَيُّ مَساعِفَةٍ ولا يري مثلها عَجْمٌ ولا عَرَبٌ (٦)

(١)- انظر الكتاب ١/١٩٥.

(٢)- المصدر السابق ٢/١٦٣.

(٣)- انظر المصدر السابق ١/٥٣.

(٤)- المصدر السابق ١/٢٧٤.

(٥)- انظر المصدر السابق ١/٢٨٠.

(٦)- مساعفة: مواتية، ورخم (مئة) فقال (مَيّ) في غير النداء ضرورة، وقيل كانت تُسمى مَيّا وميتة. والشاهد فيه نصب (ديارَ)

بفعل مقدر تقديره: أذكر ديار مئة وأحبها، ولا يذكر هذا الفعل لكثرتيه في كلامهم. انظر الكتاب ١/٢٨٠ (حاشية).

وديوان ذي الرئة ٣، وغزاة الأدب ١/٣٧٨.

بأن الأصل: «أذْكَرُ دِيَارَ مِثَّةٍ. وَلَكِنَّهُ لَا يُذَكَّرُ (أذْكَرُ) لَكثرة ذلك في كلامهم، واستعمالهم إياه.» (١) وفي الكتاب أمثلة أخرى (٢).

جـ- العلة القياسية:

وهي ربط المتشابه بعضه ببعض، والكشف عن النظائر، وقد مرّ معنا تعليقه لما لا يجوز أن يُنْدَبَ، فقياس النكرة التي لا تُنْدَب على أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، إلّا ما كانت صلته مشهورة (٣) وكذلك تعليقه لعدم دخول الألف، واللام على المنادى المفرد النكرة، وقياسه على أسماء الإشارة (٤)، وتعليقه لترك التنوين، أو النون في اسم لا النافية للجنس إذا كان بعده لام الجرّ نحو: لا أَبَالِكُ، ولا سُنْتَلِيْ لِك، وقياسه على المنادى (٥).

والعلة القياسية تظهر في عملية استقراء اللغة، فيلاحظ الشبه بين الظواهر فتعلّل ظاهرة قياساً على ظواهر أخرى كما رأينا.

(١)- الكتاب ٢٨٠/١.

(٢)- انظر المصدر السابق ٢٩٥، ٢٩٢، ٢٧١/١؛ وأحاط سيبويه حلة كثرة الاستعمال بتوضيح هام قال فيه: «وليس كلّ شيء يكثر في كلامهم يُفْتَر عن الأصل، لأنه ليس بالقياس عندهم، فكبروا ترك الأصل» الكتاب ٢١٣/٢.

(٣)- انظر المصدر السابق ٢٢٧/٢-٢٢٨.

(٤)- انظر المصدر السابق ١٩٧/٢.

(٥)- انظر المصدر السابق ٢٧٩/٢-٢٢٨.

اعتمد النحاة كثيراً على المعنى في عليهم، وأرجعوا إليه كثيراً من الظواهر النحوية، وراعاه سيبويه في منهجه؛ من ذلك قول الحارث بن سفيان:

لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ (١)

فقد علل سيبويه رفع (ضارع) بأن المعنى يدلّ على ذلك، فقله (لَيْبِكَ يَزِيدُ) متضمّن معنى لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ، أو لَيْبِكَ ضَارِعٌ (٢) ومنه ما أورده في «باب منه يُضَمُّونَ فِيهِ الْفِعْلُ لِقَبْحِ الْكَلَامِ إِذَا حُمِلَ آخِرُهُ عَلَى أَوَّلِهِ» (٣) وقال: «وَأَمَّا وَيْلًا لَهُ وَأَخَاهُ، وَوَيْلَهُ وَأَبَاهُ، فَانْتَصَبَ عَلَى مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي نَصَبَهُ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَلَزِمَهُ اللَّهُ وَيْلَهُ وَأَبَاهُ، فَانْتَصَبَ عَلَى مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي نَصَبَهُ، فَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ - وَإِنْ كَانَ لَا يُظَاهِرُ - حَفَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى» (٤). وغير ذلك من الأمثلة (٥)

واعتماد سيبويه المعنى منهجاً في تعليقه يفرضه تذوقه للغة العرب، ورغبته في كشف ما غمض من أسرارها.

(١) - يزيد هو يزيد بن نهشل الذي رثاه بهذا اشعر. والضارع: الغليل الخاضع. لخصومة، أي لأجل الخصومة، فهو ينصره ويؤيده. والمختبط: طالب العرف. تطيح: تذهب وتهلك. والطوائج، أراد المطاوح، لأنه جمع طيحة، فجمع على حذف الزيادة، كقوله تعالى: (لَمَّا فَتَحَ) ووأحدتها ثلثة. والشاهد فيه رفع (ضارع) بإضمار فعل دليل عليه معنى ما قبله، فتدبره: لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ. انظر الكتاب (حاشية) ٢٨٨/١، وخزانة الأدب ١٤٧/١، شرح المفصل لابن يعيش ٨٠/١.

(٢) - انظر الكتاب ٢٨٨/١.

(٣) - المصدر السابق ٣٠٧/١.

(٤) - المصدر السابق ٣١٠/١.

(٥) - انظر المصدر السابق ١٧١، ٥٣، ١٣٨، ٤٣٧، ٤٤٠.

وهي علة كثيرة عند النحاة، وقد عتبر عنها سيبويه، ومثل لها بقوله: «اعلم أنهم يحذفون الكلِّم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً. وسترى ذلك إن شاء الله. فعمّا حذف، وأصله في الكلام غير ذلك. لم يكت، ولا أدت، وأشبه ذلك. وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون يدع، ولا يقولون ودع، استغنوا عنها بترك. وأشبه ذلك كثير» (١)

ومنه قوله في (أن): «وتقول: لو أنه ذاهبٌ لكان خيراً له، فإنّ مبنيةً على (لو) كما كانت مبنيةً على لولا، كأنك قلت: لو ذاك، ثم جعلت أن، وما بعدها في موضعه. فهذا تمثيل، وإن كانوا لا يبنون على (لو) غير (أن)، كما كان (تسئل) في قولك بذي تسئل في موضع اسم، ولكنهم لا يستعملون الاسم لأنهم متى استغنوا بالشيء عن الشيء حتى يكون المستغنى عنه شتقاً» (٢)

وسيبويه من خلال كشفه عن علة الاستغناء (٣) يرصد أسلوباً من أساليب لغة العرب، وتبعه في ذلك من جاء بعده من النحاة. (٤)

(١)- الكتاب ٢٥/١.

(٢)- المصدر السابق ١٢١/٣.

(٣)- انظر في ذلك المصدر السابق ١٢٥/١-١٢٥، ١٢٦، ٢٧٥، ٣٦١/٢، ٣٦٦-٣٨٣، ٣٦٧، ١٥٨/٣، ١٨٩-١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.

(٤)- انظر العجوة في علل القراءات السبع للفارسي ٢٠٠/١، الخصائص لابن جني ٢٩٦/١.

و- التوهم:

كان سيبويه أول من أشار إلى التوهم نقلاً عن شيخه الخليل بن أحمد، ثم جاء النحاة وأخذوا هذه العلة عنه فيما بعد، وصار بيت زهير بن أبي سلمى الذي علّله صاحب الكتاب شاهداً استدل به جميع النحاة في العطف على التوهم؛ وفي ذلك قال سيبويه: «دوسالت الخليل عن قوله عز وجل: **فَأَطَقُوا** وأكَّن من الصالحين (١) فقال: هذا كقول زهير:

بدا لي آتي لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جاقياً (٢)

فلنما جزوا هذا، لأنّ الأول قد يدخله الباء، فجاؤوا بالثاني، وكانهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعل الذي قبله قد يكون جزماً، ولإفاء فيه تكلموا بالثاني، وكانهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا.» (٣) ومنه قول الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيلِ عادتنا أو تنزلون فإننا مَقَشَرُ نُزُلٍ (٤)

فقد رفع (تنزلون) على (إن تركبوا) على توهم الرفع فيه.

وعلة التوهم التي نقلها سيبويه عن الخليل تخريج لطيف لما قلّ سماعه عن العرب، ولا قياس فيه، فاستنبطت تلك العلة بشكل قطع كلّ تناقض بين قواعد العربية في إنباع المعطوف للمعطوف عليه، وما نقله الرواة من لغة العرب.

(١) - المناقرون ١٠٠/٦٣.

(٢) - يقول: إن المرء لا يملك لنفس ضرّاً، ولانفعاً. انظر ديوان زهير ٢٨٧، خزّانة الأدب ٣/٦٦٥، وانظر الكتاب ١٠٠، ٥١، ٢٩٤/٣، ١٥٥/٢، ٣٠٦، ١٦٥/١.

(٣) - الكتاب ١٠٠/٣ - ١٠١.

(٤) - نُزُلٌ: جمع نازل. وكانوا ينزلون من الخيل عند ضيق المركة فيماتلون على اقتداسهم. وفي ذلك الوقت يتداهون: نُزَالٌ. والشاهد فيه رفع (تنزلون) عطفاً على معنى (إن تركبوا) وهو المسمى عطف التوهم، لأن معناه أتركبون فذاك عادتنا، أو تنزلون في معظم الحرب فنحن مسرفون بذلك. وهذا منجذب الخيل. وحمله يونس على القطع، والتقدير عنده: أو أنتم تنزلون. الكتاب (حاشية) ٥١/٣.

ز- العوض:

وهي العلة التي نراها في كثير من المباحث النحوية، والصرفية في الكتاب، وقد عُلِّلَ بها سببويه جواز الفصل بين كم، وتمييزها بالخبر في قولنا: كم لك درهما؛ وأجاز ذلك لأنَّ فيها تعويضاً من التمكّن في الكلام، فامتناعها من التأخر فاعلاً كانت أم مفعولاً، وبقاؤها مبتدأة في أول الكلام عَوْضٌ عنه بجواز الفصل بينها وبين تمييزها (١) ومنه أنَّ العلة من جواز الفصل بين (إن) المخففة، والفعل الذي يليها بـ (قد) أو التسويف، أو النفي، هو التعويض بالفاصل عمّا حُذِفَ من (آه)، يقول سببويه: «واعلم أنَّ ضعيفاً في الكلام أن تقول: قد علمتُ أن تفعلُ ذاك، ولا قد علمتُ أن فعلُ ذاك حتى تقول: سَتَفْعَلُ، أو قد فَعَلَ، أو تنفي فتدخل لا؛ وذلك لأنهم جعلوا ذلك عَوْضاً ممّا حذفوا من (آه)، فكرهوا أن يَدْعُوا السينَ، أو قد، إذ قدرُوا على أن تكون عوضاً» (٢)

ح- طول الكلام:

وهي علة لم تظهر في الكتاب بالقدر الذي ظهرت به سابقاتها، من ذلك تعليل سببويه لجواز حذف الضمير من صلة الموصول، كذلك حذف الياء من كلمة (اشهيباب)، بقوله: «الذي رأيتُ فلانٌ، حيث لم يذكروا الهاء. وهو في هذا أحسن لأنَّ (رأيتُ) تمامُ الاسمِ، به يتمُّ، وليس بخبرٍ ولاصفةٍ، فكرهوا طولُه حيث كان بمنزلة اسم واحدٍ؛ كما كرهوا طول اشهيباب فقالوا: اشهباب» (٣) ومنه جملُ طول الكلام علةٌ في حذف النون من اسم الفاعل المعرّف بال في قول الشاعر:

الحَافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مَن وَرَائِنَا نَقَطُ (٤)

(١) - انظر الكتاب ١٥٨/٢.

(٢) - المصدر السابق ١٩٧/٣.

(٣) - المصدر السابق ٨٧/١.

(٤) - يقول: يحفظون عورة عشيرتهم إذا انهزموا، ويحتمونها من هذوهم، ولا يدخلونهم فيكونوا نطفين في فعلهم. وأصل العورة المكان الذي يخاف منه العدو. والعشيرة: القبيلة. والنطف: المتلطف بالعيب. وشاهد في إسمال (الحافظو) مع حذف نونها على نية إثباتها لأنها لا تعاقب الألف واللام. الكتاب (حاشية) ١٨٩/١.

وهي من العلل الطريفة التي وضعها سيبويه في كتابه نقلاً عن الخليل، من ذلك تعليقه لدخول الألف واللام على الحال على نية إسقاطهما؛ وقوله: «وهو قولك: مررت بهم الجماء الفغير، والناس فيها الجماء الفغير. فهذا ينتصب كانتصاب العراك (١) وزعم الخليل رحمه الله أنهم أدخلوا الألف واللام في هذا الحرف، وتكلموا به على نية ما لا تدخله الألف واللام»، (٢)

وقد يكون العكس؛ أي تحذف الألف واللام على نية وجودهما؛ من ذلك وصف المعرفة بالنكرة على نية وجود (أل) في النكرة، وقوله: «ومن الصفة قولك: ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك، وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل ذلك. (٣) وزعم الخليل رحمه الله أنه إنما جرّ هذا على نية الألف واللام، ولكنه موضع لا تدخله الألف واللام كما كان (الجماء الفغير) منصوباً على نية إلقاء الألف واللام، نحو طراً، وقاطبة، والمصادر التي تشبهها»، (٤)

(١) - يقصد قول ليبيد بن ربيعة:

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَلَمْ يَدْخُلْهَا
وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَيَّ نَقَصِ الدِّخَالِ

شاهدة نصب (العراك) على الحال، وهو معرفة، لأنه مصدر، والفعل يعمل في المصدر معرفة ونكرة، فكانه أظهر فعله ونصبه به، ووضع ذلك الفعل موضع الحال فقال: أرسلها نعتك الاعتراك. الكتاب (حاشية) ٣٧٢/١.

(٢) - المصدر السابق ٣٧٥/١.

(٣) - ذكر السيرافي أن (الرجل) معرفة، ومثلك وخير منك نكرة، وقد وصف بهما المعرفة لتقارب معناهما، لأنّ الرجل في هذين المثالين غير مقصود به إلى رجل بعينه وإن كان لفظه المعرفة، لأنه أريد به الجنس، ومثلك، وخير منك نكرتان غير مقصود بهما إلى شيئين بأعيانهم، فأجتمعا فحسن نعت أحدهما بالآخر. من الكتاب (حاشية) ١٣/٢.

(٤) - الكتاب ١٣/٢.

وعلة النية ليست قليلة في الكتاب (١) وقد ذكرها سيبويه تخريجاً لبعض المسموع عن العرب، وهو مخالف لما وضع من قواعد العربية آنذاك.

ي- المشابيه:

وهي من العلل التي بنى عليها كثيراً من أمثله التي أوردناها في حديثنا عن القياس، متايفيننا عن تكرارها.

*- وقد يعلل سيبويه بعلة بعيدة عما اعتدناه في كتابه، منها ما نقله عن الخليل من تعليقه لدخول (أي) التي تكون وصلة لنداء ما فيه أل على بعض صور الاختصاص، كما في قولهم: اللهم، اغفر لنا أيئتها العصابة، بأن باب الاختصاص محمول على ما حُبل عليه النداء، وهم في الأصل يدخلون عليه (يا)، كما في النداء، ولكنهم، خزلوها وأسقطوها، وبقيت (أي) التي لاتستعمل إلا في النداء دليلاً على ذلك (٢).

*- لقد حاول سيبويه في دراسته لظواهر اللغة العربية أن يستنبط عللاً من كلام العربي الذي يتداوله في محيطه، والعربي لم يكن يتكلم بتكلف، بل كان كلامه ينبع من وعي للغة عربية سامية سليمة أطلق عليه فيما بعد (السليقة). فكانت العلة من المهام التي تصدى لها سيبويه لاستنباطها من لغتهم، مستعينا بما عرفه من لغة العرب وأساليبهم، وبما وهب من عقلية فكرية، أضاف إليها جهود من سبقه من النحاة.

واتضحت جهود سيبويه في العلة من خلال استنباطه لعلل جديدة سواء آكانت من عنده، أم أخذها عن شيوخه الخليل كملة التوهم، وعلة النية، ومنها أيضاً تعليقه للشاذ من كلام العرب وتأويله بإتقان، وهو ما نراه في حديثه عن قول العرب: هذا خُجْرٌ ضَبِ خُرِبِ، حين يقول: «ومتا جرى نعتا

(١) - انظر الكتاب ٣/٢٩٠، ٧٠٧، ٧٨٧، ١١٠٥٦٥، ٥٩٦.

(٢) - انظر المصدر السابق ٢/٢٣٥-٢٣٦، وسكّانة الخليل لعبابنة ٩٨-٩٩.

على غير وجه الكلام: (هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ)، فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأصحهم. وهو القياس، لأنَّ الخَرِبَ نعتُ الجُحْرِ، والجحْرُ رفعٌ، ولكنَّ بعض العرب يجره. وليس بنعتٍ للضبِّ، ولكنَّ نعتٌ للذي أُضيفَ إلى الضبِّ فجرَّوه لأنه نكرةٌ كالضبِّ، ولأنه في موضع يقع فيه نعتُ الضبِّ، ولأنه صار هو والضبُّ بمنزلة اسمٍ واحدٍ. ألا ترى أنك تقول: هذا حبُّ رمانٍ. فإذا كان لك قلت: هذا حبُّ رمانِي، فأضفتَ الرمانَ إليك، وليس لك الرمانُ إنما لك الحَبُّ ... فكذلك يقع على جحر ضبٍّ ما يقع على حبِّ رمانٍ، تقول: هذا جُحْرٌ ضبِّي، وليس لك الضبُّ، إنما لك جحرٌ ضبِّي، فلم يمنعك ذلك من أن قلتَ جحرٌ ضبِّي، والجحرُ والضبُّ بمنزلة اسمٍ مفردٍ، فانجرَّ الخَرِبُ على الضبِّ كما أضفتَ الجحرَ إليك مع إضافة الضبِّ. ومع هذا أنهم أتبعوا الجرَّ الجرَّ كما أتبعوا الكسرَ الكسرَ، نحو قولهم: بِرَمِّ وِبادِرِهِمْ، وما أشبه هذا» (١) وهذا التعليل تأويل لما سمع من لغة العرب، وهي لغة خولفت فيها الأصول المعروفة في التوايح، فعالجها سيبويه كعادته في معالجة ما خرج على الأصل.

* - خلاصة القول أنَّ سيبويه نظر في علل من سبقه من النحاة، وعلى رأسهم شيخه الخليل، فأفاد منها فائدة عظيمة، وأضاف إليها نظراته الخاصة بعد أن أدرك لغة العرب وأبعادها.

وقد أمعن سيبويه في توضيح كلام العرب، فعزج العلة بالقياس، ووجه جزماً من تعليلاته نحو العوامل، وأثرها بأسلوب يتسم بالعرض حيناً، أو بالحوار مع شيخه أحياناً أخرى، وقد أكسب حوارهما النحو فائدةً عظيمة، فتشعبت أقسام العلة، وتعددت أنواعها حتى غدت مادة هامة لمن خَلَفها من النحاة. وتفرَّد الاثنان ببعض العلل، فكان لهما قصب السبق في علة التوهم، وعلة النية ورسماً للنحو لمسة أخرى من طرق الاستدلال النحوي.

الفصل الأول

الاستدلال بالنصوص

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- الشعر.
- الأمثال.
- كلام العرب (لغة التخاطب).

قيمة الكتاب وأثره

* - جمع سيبويه في كتابه جهود من سبغ من النحاة، وأضاف إليها الشيء الكثير من قواعد اللغة العربية حتى غدا الكتاب نهاية المطاف لرحلة تفصيل النحو، ووضع أصوله. وسهما كانت جهود سابقه كبيرة، ومساهماتهم واعية ناضجة، فإن سيبويه يظل صاحب العقل المفكر الذي استوعب الثقافات العربية في شتى علومها، واستنبط منها علماً متكاملًا محكمًا.

وعلى الرغم من نسبة الآراء النحوية إلى أصحابها، لكنها تبقى مختلطة لا يمكن الفصل فيها بشكل جازم، لاسيما الحالات التي لم يشر فيها سيبويه إلى صاحب الرأي، ولو قُدِّر لهذه الآراء ألا تختلط لوقفنا على دراسة دقيقة لتاريخ النحو قبل سيبويه؛ لذلك فإن أهمية الكتاب تظهر في جمعه لقواعد العربية، وجهود أصحابها الذين أسسوا أركانها، ثم جاء سيبويه ليكفل هذه الجهود بجهوده الذاتية، وصنعتة الشخصية.

ولم يقتصر جهد صاحب الكتاب على قواعد العربية النحوية، بل جاء شاملاً لعلوم اللغة آنذاك، وما يتفرع عنها من علم الصرف، وعلم الأصوات بمخارجها، وصفاتها فصار موسوعة حضنت جهوداً كبيرة، ومصدراً للعلماء الذين جاؤوا بعد ذلك، ليبحثوا في النحو والصرف والبلاغة واللغة والأصوات.

وإذا كان سيبويه قد أخذ عن العلماء الذين سبقوه، وهم قلة (١)، فإن الذين نهلوا من علمه، وأفادوا من كتابه لا يمكن حصرهم، والكتب التي ألفت بعده تفصّل بنقولها عنه، ونسجها على منواله.

(١) - أبرز شيوخه: حماد بن سلمة، والأخفش الأكبر أبو الخطاب، ويعقوب بن إسحاق، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد، وأبو زيد سعيد بن أوس، وهارون بن موسى التحوي، وأبرص بن العلاء، وعبد الله بن زيد والرواسي. انظر تفصيل ذلك في مقدمة الكتاب ٨-١٤.

* - والذين أخذوا عن سيبويه كُثُرًا؛ منهم من درس عليه مباشرة، ومنهم من أفاد من علمه بقراءته لكتابه. ونحن - وإن كنا بعيدين عن الإسهاب والسرد - لا بد لنا من الإشارة إلى أبرز الذين تأثروا به لنتمكن من الدخول إلى أثر سيبويه في تاريخ النحو.

١- الذين درسوا عليه مباشرة:

- قطرب النحوي، أبو علي محمد بن المستنير ت ٢٠٦ هـ، وقطرب لقب نعت به سيبويه. وكان حافظًا للغة كثير النوادر والفريب. وقد لازم سيبويه، وأخذ عنه النحو (١)

- أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، الأخفش الأوسط ت ٢١٥ هـ على خلاف في وفاته، وكان أسن من سيبويه، وهو الذي احتفظ بكتابه وشرّحه وبيّنه. حدث السيرافي فقال: جاء الأخفش إلى سيبويه يناظره بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنما ناظرتك لأستفيد، لا لغيره، فقال سيبويه: أتراني أشكّ في هذا. (٢)

- الناشئ، وكان مقن أخذ عن سيبويه، ووضع كُتُبًا في النحو، ومات قبل أن يكملها، وتوخذ عنه. وذكر محمد بن يحيى قال: «سمعت محمد بن يزيد يقول: لو خرج علم الناشئ إلى الناس لما تقدّمه أحد». (٣)

(١) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ٦٧، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ٣٨، وطبقات النحويين واللفويين للزبيدي ١٠٦، نزهة الألباء لابن الأنباري ٦٠، مفتاح السعادة ومصباح السيادة لبطاش كبري زادة ١٣٣/١ ط١ حيدر آباد الدكن ١٣٢٨-١٣٥٦ هـ.

(٢) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٦٨، وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ٣٨، وطبقات النحويين واللفويين للزبيدي ٦٧، ٧٤-٧٩، نزهة الألباء لابن الأنباري ٤١، الفهرست لابن النديم ٧٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٢٢/٢، مفتاح السعادة لبطاش كبري زادة ١٣٢/١.

(٣) - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٨٥. يرى عبد السلام هارون محقق الكتاب أنّ «قلة هؤلاء التلاميذ ناجمة عما يذكرون من أنه كانت في لسانه خبثة. ويذكرون أنّ الغراء يقول في شأن سيبويه: فأنيتة فإذا هو أهجم لا ينصح، سمعت يقول لجارية له: هاتِ ذبك الماء من ذاك العجرة. فخرجت من عنده فلم أجد إليه. ... ولعل تلك الخبثة، على ما يبدو من مبالغة في تصويرها، هي التي دفعته إلى التأليف، ونهت به عن مقام الأستاذية الواسعة إلى مقام التأليف البارح المقتدر، الذي يجانبه فضول القول، وفضول الفكر». انظر مقدمة الكتاب ١٦.

- ٢- الذين أخذوا عن سيبويه بشكل غير مباشر وتعلموا على كتابه بقراءته. هم أكثر، أشهرهم:
- الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله ت ١٨٩ هـ على خلاف في وفاته. إمام الكوفيين في النحو واللفظ، وأحد القراء السبعة المشهورين، لقي الخليل بن أحمد، وجلس في حلقاته. وذكر أنه حمل إلى أبي الحسن الأخفش خمسين ديناراً، وقرأ عليه كتاب سيبويه سرّاً (١)
 - الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ، وكان أبرع الكوفيين في علمه. قال أبو الطيب اللغوي: «أخبرنا محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا ثعلب قال: مات الفراء، وتحت رأسه كتاب سيبويه» (٢)
 - الجرمي، صالح بن إسحاق، من قبائل اليمن ت ٢٢٥ هـ. درس كتاب سيبويه على الأخفش الأوسط، وتوهم الجرمي، والمازني أن أبا الحسن الأخفش قد همَّ أن يدعي كتاب سيبويه لنفسه، فقال أحدهما للآخر: كيف السبيل إلى إظهار الكتاب، ومنع الأخفش من ادعائه؟ فقال له: أن نقرأه عليه، فإذا قرأناه عليه أظهرناه، وأشعنا أنه لسبويه فلا يمكنه أن يدعيه. وكان أبو عمر الجرمي موسراً، وأبو عثمان معسراً، فأرغب أبو عمر الجرمي أبا الحسن الأخفش، وبذل له شيئاً من المال على أن يقرئه، وأبا عثمان الكتاب، فأجاب إلى ذلك، وشرعا في القراءة عليه، وأخذوا الكتاب عنه، وأظهرا أنه لسبويه، وأشاعا ذلك، فلم يمكننا أبا الحسن أن يدعي الكتاب، فكانا السبب في إظهار أنه لسبويه (٣)
 - المازني، أبو عثمان بكر بن محمد، ت ٢٤٩ هـ على خلاف في وفاته. درس الكتاب على الأخفش الأوسط، وكان يقول: «من أراد أن يعمل كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي» (٤)

(١) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ٧٤، وطبقات النحويين واللفويين للزبيدي ١٤٣-١٤٦، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٤٢-٤٣، ومعجم الأدياء لياقوت الحموي ١٦/١٢٢.

(٢) - انظر مراتب النحويين لأبي الطيب ٨٦-٨٧، طبقات النحويين واللفويين ١٤٣-١٤٦.

(٣) - انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ١٨٤-١٨٥.

(٤) - الفهرست لابن النديم ٧٧. نزهة الألباء لابن الأنباري ٧٥.

ويحكى أن كتاب سيبويه تخرق في كم المازني، وهذا دليل على طول مصاحبته للكتاب (١)

لم يقف الاهتمام بكتاب سيبويه عند العقود القليلة من الزمن بعد وفاة سيبويه (٢)، بل استمر اهتمام الدارسين. وطلاب العلم على اختلاف عصورهم، وبلادهم، حتى إنه لم يمر زمن غير أن يُدرس فيه الكتاب أو يُشرح، أو تُشرح شواهد.

وضع سيبويه كتابه للعلماء، ولم يضعه لعامة الناس، فجاءت عباراته موجزة، وفي بعض الأحيان كانت غامضة أو صعبة حتى قيل لمن قرأه: هل ركبت البحر؟ استصعباً له.

(١)- انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ١٢٩، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥٦/١، بنية الوعاة للسيوطي ٢٠٣ كشف الظنون عن أساسي الكتب والفنون لعاجي خليفة ٤١٢/١ مصر ١٩٤١م.

(٢)- أثنى العلماء القدماء على كتاب سيبويه وعرفوا فضله وقيمته، منهم: يونس بن حبيب: انظره في أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٤٨، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٤٩، ومعجم الأدباء لياقوت ١١٧/١٦، وأبو حبيدة، معمر بن المنثري: انظره في مراتب النحويين لأبي الطيب ٧٦، والأخفش سعيد بن مسعدة: انظره في مراتب النحويين لأبي الطيب ٦٩، وإنباء الرواة للفظي ٣٥٠/٢، وأبو زيد الأنصاري: انظره في مراتب النحويين لأبي الطيب ٤٢، وإنباء الرواة ٣٥٠/٢، وابن سلام: انظره في طبقات ابن سلام ١٨، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٩٦/١٢، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٧٤، والمازني: انظره في الفهرست لابن النديم ٧٧، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٧٥، والجاحظ: انظره في نزهة الألباء لابن الأنباري ٧٣، ومعجم الأدباء لياقوت ١٢٣/١٦، وإنباء الرواة للفظي ١٩٦/٢، وابن قتيبة: انظره في المعارف لابن قتيبة ٢٣٧، المطبعة الإسلامية ١٣٥٣هـ، وأبو موسى الحامض: انظره في مراتب النحويين لأبي الطيب ٨٧، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٧٧، وأبو الطيب اللغوي في كتابه مراتب النحويين ٦٥، والسميراني في كتابه أخبار النحويين البصريين ٤٨، والأزهري في كتابه تهذيب اللغة، مقدمة الجزء الأول ص ٩، نخ: هارون ١٩٩٤م، وابن النديم في الفهرست ٧٦، وساعد الجبائي الأندلسي: انظره في معجم الأدباء لياقوت ١١٧/١٦، وابن الأنباري في كتابه نزهة الألباء ٧٣، وغير هؤلاء كثير.

ومن الطبيعي أن يتسابق العلماء على شرحه لتوضيحه، وبيان قواعده ومناقشة تلك القواعد، والاستدلال بها أو لها، ومن هذا المنطلق كثرت الشروح والتعليقات عليها (١) وقد أوردت لنا كتب التراجم أسماء الكثيرين ممن اهتموا بالكتاب، سواء أكانوا بصريين، أم بغداديين، أم أندلسيين. ووصل إلينا منها كثير، وقد تكشف لنا الأيام كتباً أخرى أشار إليها الأقدمون ولم تنزل حبيسة الضياع. لذلك فإن حديثنا عن النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه سيكون وفقاً على أبرز النحاة، وإن كان اختيار البارزين فيه مشقة كبيرة، لأن لكل نحوي اتجاهاً قد يختلف عن غيره من النحاة وإن كان الاختلاف بسيطاً.

(١) - الذين شرحوا الكتاب هم: الأخفش الأوسط ت ٢١٥هـ، والملازمي ت ٢٤٩هـ، والأخفش الأصغر ت ٣١٥هـ، وابن السراج ت ٣١٦هـ، والمبرمان ت ٣٤٥هـ، وابن درمشويه ت ٣٤٧هـ، والسيرافي ت ٣٦٨هـ، وابن سبئ اللفوي ت ٣٨٢هـ، والرتاني ت ٣٨٤هـ، والرعي ت ٤٢٠هـ، والمعري ت ٤٤٩هـ، وابن الباذش ت ٥٢٨هـ، والزمخشري ت ٥٣٨هـ، وابن يسمون ت ٥٤٠هـ تقريباً، والغشني ت ٥٤١هـ، وابن خروف النحوي ت ٦٠٦هـ تقريباً، وأبو البقاء العكبري ت ٦١٦هـ، والصفار ت ٦٣٠هـ، والشلوبين ت ٦٤٥هـ، وابن الحاجب ت ٦٤٩هـ، وابن الحاج ت ٦٤٧هـ، والغفّاف ت ٦٥٧هـ، وابن الصانع ت ٦٨٠هـ، وعبيد الله القرشي ت ٦٨٨هـ، وابن الزبير ت ٧٠٨هـ، وابن الفخار ت ٧٢٣هـ، وأبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، والعناني ت ٧٧٦هـ، والباقلاني ت ٧٧٦هـ. والذين شرحوا شواهد الكتاب هم: المبرد ت ٢٨٥هـ، والزجاج ت ٣١٠هـ، والمرافعي ت ٣٣٥هـ، تقريباً، وابن النحاس ت ٣٣٨هـ، ومبرمان ت ٣٤٥هـ، والسيرافي ت ٣٦٨هـ، والخطيب الإسكافي ت ٣٨٠هـ، وابن جندل القرطبي ت ٤٠١هـ، والأعلم الشنترمي ت ٤٧٦هـ، والزمخشري ت ٥٣٨هـ، وابن هشام اللخمي ت ٥٦٠هـ، والدقيقي ت ٦١٤هـ، والعكبري ت ٦١٦هـ، وابن معط ت ٦٢٨هـ، والشلوبين الصنبري ت ٦٦٠هـ تقريباً، والكوبي ربيع بن محمد بن منصور ت ٦٨٢هـ، والعيني ت ٨٥٥هـ. وأصحاب النكت والتعليقات هم: الجرسي ت ٢٢٥هـ، والزيادي ت ٢٤٩هـ، والسجستاني ت ٢٥٥هـ، والمبرد ت ٢٨٥هـ، وثلعب ت ٢٩١هـ، والأخفش الأصغر ت ٣١٥هـ، والسيرافي ت ٣٦٨هـ، والباهلي محمد بن أبي زرعة، أبو يعلى، المولود ت ٢٥٧هـ، والفارسي ت ٣٧٧هـ، والرتاني ت ٣٨٤هـ، وابن شيت ت ٤٠٥هـ، والمعري ت ٤٤٩هـ، والأعلم الشنترمي ت ٤٧٦هـ، وابن الطراوة ت ٥٢٨هـ، وابن الدهان ت ٥٩٦هـ، وابن الناصف: إبراهيم بن عيسى ت ٦٢٧هـ، وابن الزبير ت ٦٢٧هـ، والشلوبين ت ٦٤٥هـ، والجناسي ت ٧٢٣هـ. والذين ألفوا كتباً على الكتاب تحمل أسماء مختلفة نحو: أبواب الكتاب، وآلة الكتاب وتجرید الكتاب، هم الجرسي ت ٢٢٥هـ، والملازمي ت ٢٤٩هـ، واللخمي ت ٥٩٢هـ، والعكبري ت ٦١٦هـ، وأبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ. والذين ردوا على سيبويه أو امتدحوا عليه هم: المبرد ت ٢٨٥هـ، وابن ولاد ت ٣٣٢هـ، والزيدي ت ٣٧٩هـ، والجناسي ت ٧٢٣هـ، وابن جماعة ت ٧٦٧هـ، (اعتمدنا في معلوماتنا على كتاب «كتاب سيبويه وشروحه» لخديجة العديشي.

الاستدلال بالنصوص

• القرآن الكريم •

لم يقتصر تأثير سيبويه على من عاصره، أو درس عليه من تلامذته، بل كان أثره واضحاً عند النحاة الذين جاؤوا بعده من بصريين، وغيرهم. وقد لا يكون تأثيره لدى من ناصرته فحسب، بل عند من عارضه الرأي والموقف، فلولا سيبويه، وكتابه لما نشأت مواقف المعارضين لاسيما الكوفيون، ففكره، ونظراته، ومناظراته خلقت تطوراً فكرياً في النحو، والصرف، وغيرهما من العلوم العربية، لم يقف أثره -أي التطور- عند عصر معين بل جاوز ذلك إلى قرونٍ طويلةٍ من الزمن.

*- واعتمد سيبويه القرآن الكريم مصدراً هاماً من مصادر الاستدلال إلى جانب الشعر، وإن كان إلى الشعر أكثر ميلاً، كما أخذ بالقراءات القرآنية جميعها، لأنها سنة متبعة، وكثيراً ما احتج بقراءة عندها المتأخرون شاذة على الرغم من أنه في الغالب لا يشير إلى اسم صاحب القراءة.

أما الفراء الكوفي الذي ثبت أركان المذهب الكوفي، وظهر أثره فيمن جاء بعده من نحاة المدرسة الكوفية، فهو من أكثر النحاة استقراءً للغة القرآن الكريم، وقراءاته آنذاك، ويضع لغة القرآن في المقام الأول في استدلاله، لأنها أكثر دقة ويعتبر عن ذلك صراحة بقوله: «والكتاب أعرب وأقوى في الحجّة من الشعر» (١) ومن خلال استدلاله بالقرآن الكريم يُعنى بالفراء، وقراءاتهم (٢) مستعيناً بعلم غزير وملكة كبيرة في علوم القرآن ومعانيه (٣)، ويستدل بما يتفق مع القياس النحوي، ويرفض ما عدا ذلك،

(١)- معاني القرآن للفراء ١/١٤٤.

(٢)- انظر المصدر السابق ١/٢٨١٤، ٤٢٠، ٧٠٧، ٧٣٠، ٧٥٠، ٧٨٠، ٧٩٠.

(٣)- ذكرت كتب التراجم والطبقات أنّ له كتباً غير معاني القرآن منها: المصادر في القرآن، والجمع والتنشئة في القرآن، واختلاف أهل الكوفة، والبصرة، والشام في المصاحف. انظر الفهرست لابن النديم ١٠٠، ومعجم الأدباء للحصري ٢٠/١٣٧.

ولا يفرق بين ما عُدَّ فيما بعد شاذاً، وما عُدَّ متواتراً، ولهذا فهو يستدلّ بالفراغات ويذكر أصحابها من ذلك أنه أجاز أن تكون (هُدَى) في قوله تعالى: **ذَلِكَ الْكِتَابُ الْكَرِيمَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** (١) في محل رفع على الاستئناف لتمام ما قبله، واستدل بقراءة ابن مسعود: **وَحِضًا بَعْلَى شَيْخٌ** ثم قال: وهي في قراءتنا: **شَيْخًا** (٢)، وقد يرد قراءات كثيرة عدتها المتأخرون شاذة (٣).

*- أما الأخفش فصلته بسيبويه كبيرة، قال الأخفش: «كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ، وهو يرى أنّي أعلم به منه، وكان أعلم منّي، وأنا اليوم أعلم منه» (٤) ويرى بعض المحدثين أنّ الأخفش هو الذي فتح أبواب الخلاف على سيبويه، وساعد في نشوء مدرسة الكوفة ثم المدارس المتأخرة فيما بعد. فقد كان أبو الحسن عالماً بلغات العرب، ثاقباً للذهن، حاداً الذكاء، خالف أستاذه سيبويه في كثير من المسائل، وحمل ذلك عنه الكوفيون ومضوا يتسمون فيه فتكوتت مدرستهم (٥). والواقع أن الأخفش قد خالف سيبويه، وهذا صحيح، لكنها خلافاً في بعض الفروع، لأن النحو، وأصوله تكوتت على يد الخليل بن أحمد، وتلميذه سيبويه، لكن المنهج العام في الاستدلال بالقرآن الكريم عند الاثنين هو واحد، والقراءة القرآنية المتواترة عند الأخفش حجة على أصل نحوي وهو يبني على لغة القرآن قواعد كثيرة، وإن لم يكن سيبويه قد ذكرها قبله؛ من ذلك أنه أضاف على مواضع زيادة (أن) موضعاً آخر لم يُذكر من قبل مستدلاً بقوله تعالى: **وَمَا لَنَا إِلَّا نَحْوَكَلِّ عَلَى اللَّهِ** (٦)، وأضاف جواز تعدّي الفعل مرّ بحرف الجر (على) واستدل بقوله تعالى: **وَأَنْكُرَ لِحَمَوَيْنَ عَلَيْهِمُ فَصِيحِينَ** (٧)

(١)- البقرة ٢/٢.

(٢)- معاني القرآن للفراء، ١١١/١-١٢.

(٣)- انظر المصدر السابق ١٨١/١، ٢٤١، ٢٥٢، ٣١٤، ٣٥٧، ٣٨٩، ٢٢/٢، ٧٥، وانظر الاحتجاج للعلواني ٦٧.

(٤)- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٦٨-٦٩.

(٥)- انظر المدارس النحوية لشرقي ضيف ٩٥-٩٦.

(٦)- إبراهيم ١٤/١٢، وانظر مفني النبي ٣٢/١.

(٧)- الصافات ٣٧/١٣٧، وانظر مفني اللبيب ١٠٦/١.

والأخفش قد يقلد سيبويه في أسلوبه أحياناً فهو ينعى القراءة ويضعفها، وقد يقسو أكثر من سيبويه حيث ينعى القراءة بالرداءة في أكثر من وضع، أو ينعى بالشذوذ، أو ينكر قراءة بشكل مطلق (١) على عكس سيبويه الذي اتصف أسلوبه في رد بعض القراءات باللفظ واللين.

*- أما المبرد فهو يتعمق بالأصل النحوي، ويضع المسموع من الشعر لما استقر من القواعد العربية، ويطعن في الشواهد إذا خالفت الأصول، ويرد قراءة قرآنية عدت بعده من القراءات الصحيحة (٢)، وهذا لا ينفي اهتمامه بالقرآن الكريم والاستدلال به أكثر مما رأيناه عند سيبويه في كتابه، ففي المقتضب استدلال المبرد بأكثر من خمسمائة آية (٣) مع أن كتابه أقل من كتاب سيبويه حجماً. والقراءة عند المبرد ستة، وقد عبر عن ذلك بقول: «ومثل ذلك قوله عز وجل: ما ووري عنهما من سؤالاتهما» (٤) ولو كان في غير القرآن لكان همز الواحد جائزاً» (٥)

ويسير المبرد على هدي سيبويه بعرض الفكرة، ثم الاستدلال لها بالقرآن الكريم مؤكداً الأصل النحوي، أو ما يقبله القياس، وفي ذلك يقول المبرد: «فاللام في الأمر للفائب، وكل من كان غير مخاطب نحو قول القائل: قُمْ ولأقم معك. فاللام جازمة لفعل المتكلم، ولو كانت للمخاطب لكان جيداً على الأصل، وإن كان في ذلك أكثر، لاستغنائهم بقولهم: افعل، عن: لَتَفْعَل. وروي أن رسول الله قرأ: **تَهْدِيكُمْ فَتَلْفُحُوا** (٦) بالتاء» (٧) فالأصل النحوي يكون بدخول لام الأمر على المضارع الفائب أو

(١)- انظر الاحتجاج للعلواني ٥٥.

(٢)- انظر المقتضب للمبرد ١٠٥/٤.

(٣)- انظر المصدر السابق (المقدمة) ١١٩.

(٤)- الأعراف ٢٠/٧.

(٥)- المقتضب للمبرد ٩٥/١.

(٦)- بونس ٥٨/١٠.

(٧)- المقتضب ٤٤/٢-٤٥.

المتكلم، والقياس النحوي يقبل دخولها على المضارع المخاطب، لأن الأصل في الأمر أن يكون للخطاب، ولذلك أورد المبرّد قراءة الرسول (ص) دليلاً على رأيه. والمنهج ذاته سلكه في أكثر من موضع (١)

ويخالف المبرّد سيبويه بأسلوبه الذي يعتبر به في ردّ القراءة التي لاتوافق، وهو كالأخفش في عنف عبارته منها قوله: «أما قراءة أهل المدينة : (حَوْلَاءِ بِلَاتِي حُرّاً أَطْهَرَ كَعْرًا) (٢) فهو لحنٌ ناحش، وإنّما هي قراءة ابن مروان، ولم يكن له علم بالعربية» (٣)، وقد يصف القراءة بأنها «خطأ لا يجوز مثله في العربية» (٤) و «لاتحلّ القراءة بها» (٥) و «لو أنّي صلّيت خلف إمام فقرأ بها لقطعت صلاتي» (٦).

*- أما ثعلب فقد نسج على منوال الفراء ولم يقدم شيئاً جديداً (٧). صحيح أنه قرأ كتاب سيبويه، وناظر فيه، وله كتاب (الفصيح)، و (مجالس ثعلب)، إلا أنّهما لا يكشفان عن منهج خاص به في الاستدلال، فقد صبّ اهتمامه بالنقل، والرواية، فأبدع فيهما، ولم يولّ الظواهر النحوية وتعليلها اهتماماً كبيراً.

لذلك فلنّ استدلاله بالقرآن الكريم للظواهر النحوية قليل إذا ما قيس باستدلاله به للأمر اللغوية، وعلى الرغم من ذلك فإنّه لا يخفي رأيه في أنّ لغة القرآن، وقراءاته، لاشك في صوابها، كما نقل عنه قوله: «إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس

(١)- انظر المقتضب ١/١٨١، ٢/٣٤٣، ٣/١٨٥، ٣/٢٦١، ٤/٣٥٩.

(٢)- هرد ١١/٧٨.

(٣)- المقتضب ٤/١٠٥.

(٤)- الكامل للمبرّد ٧٤٩ طبعة زكي المبارك.

(٥)- شرح المفصل لابن يعيش ٣/٧٨.

(٦)- درة الفرائص لنحري ٦٢ مصورة عن الطبعة الأوربية. نقلاً من الاحتجاج لنحنواني ٥٩.

(٧)- انظر مجالس العلماء للزجاجي ١٠٢ نج: هارون، الكويت ١٩٩٢، إنباء الرواة للنفطي ١/١٤٤.

يأتي بعد ذلك النحاة المتأخرون حيث تطورت النظرة إلى القراءات في القرن الرابع الهجري وماتلاه على يد أبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) (١) فقد أصبحت للقراءات حدود واضحة بتصنيفاتها، واختياراتها، وتحددت أبعاد القراءات الصحيحة، والشاذة، وطبيعة إسنادها، وموافقها لرسم المصحف. وبناء على ذلك فقد صار النحاة يملكون ثقافة كبيرة في القراءات تختلف عن أسلافهم وهذا ما يبرز أنّ بعض القراءات التي عدّها النحاة القديماً شاذة قد صحّحها المتأخرون، والعكس صحيح (٢).

فالزجاج (ت ٣١٠هـ) يقرّر بأن القراءة سنة متبعة تُقرأ كما وردت، وإن كانت مخالفة للأصول النحوية، واضحاً رسم المصحف أساساً في تناولاته (٣)، وعلى الرغم من ذلك فهو يردّ بعض القراءات وينسبها إلى اللحن (٤).

أما الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، فإننا نراه لا يردّ القراءة، وإن كانت مردودة من النحاة الذين سبقوه من ذلك قوله: «وقرأ بعضهم: ولكن كانوا حُرّ الظالمون» (٥) فمن رفع جعل (هُم) ابتداءً، والظالمون

(١) - أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد (٢٤٥-٣٢٤هـ) كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رفيق الخلق، فطناً جواداً. له كتاب القراءات الكبير، وكتاب قراءة ابن كثير، وكتاب قراءة أبي عمرو، وكتاب قراءة عاصم، وكتاب قراءة نافع، وكتاب قراءة حمزة، وكتاب قراءة الكسائي، وكتاب قراءة ابن هاشم، وكتاب قراءة علي بن أبي طالب، وكتاب قراءة النبي (ص) وكتاب الياءات، وكتاب الهاءات، وكتاب أنفرادات القراء السبعة وكتاب الشواذ في القراءات. انظر الفهرست لابن النديم ٣١١/١، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي ١٣٩/١.

(٢) - انظر رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري ٢٠٢ تح: سليم الجندي، بيروت، بلا تاريخ.

(٣) - انظر أبو علي الفارسي لعبد الفتاح شلبي ٢٨٢-٢٨٤، القاهرة ١٩٥٤م.

(٤) - انظر البحر المحیط لأبي حيان النحوي ٢٧١/٤، ٤١٩/٥، ٣٣٥/٦.

(٥) - الزخرف ٧٦/٤٣.

خبره، والجملة خبر (كان) «(١) حتى إنه ينسب القراءة المردودة إلى أصحابها من غير إشارة إلى رأيه فيها، من ذلك قوله في مجيء (من) حرف جر لابتداء الغاية الزمانية: «ولو استعملت (من) في هذا الباب مكان (منذ) فقلت: ما رأيته من يومين، أو من شهرين، كان ذلك قبيحا، وأهل البصرة لا يجيزونه. وأما قول الله عز وجل: **فَمَسَّحَتْ أَسْمَٰنَ عَلَى الْقُلُوبِ مِثْلَ يَوْمِ أُحُدٍ** (٢) فتقديره: من تأسيس أول يوم» (٣).

ثم يأتي أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) الذي اهتم بكتاب سيبويه وآرائه، ومع ذلك فقد استدلل بآيات قرآنية لم يوردها سيبويه في كتابه (٤)، واستنبط منها القواعد الكثيرة، من ذلك استدلاله على أن (ما) الشرطية قد تأتي دالة على الزمان بدليل قوله تعالى: **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكَ فَتَسْتَكْبِرُوا لَهُمْ** (٥)، وأن الباء قد تأتي بمعنى التبعيض واستدل بقوله تعالى: **وَاسْتَحْوَا بَؤُوسِكُمْ** (٦) وغير ذلك من الأمثلة (٧). ولم يكن أبو علي يقبل كل القراءات، بل كان يرد بعضها، شأنه شأن سيبويه وغيره من النحاة، ذلك بأسلوب يشابه أسلوب سيبويه بعيد عن النسوة كقوله: «وهذا قبيح قليل الاستعمال، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى (٨)، و «وهذا ضعيف في القياس، وقليل في الاستعمال، وما كان

(١) - وردت في تفسير الطبري، وفي الكشف بالنصب فقط. أما في الجانح للقرطبي فقد جاء فيه: (ويجوز): **ولكن كانوا هم الظالمون** بالرفع على الابتداء والخبر، والجملة خبر كان. وذكر الأخفش أن الرفع بعد ضمير الفعول في هاتين الآيتين، وما يشبههما لغة بني تميم. انظر كتاب الجمل في النحر للزجاجي ١٤٣ (حاشية) نوح: هلي توفيق الحمد ١٩٨٤م بيروت. وانظر الصفحة ٧٦، ٣٠.

(٢) - التوبة ١٠٨/٩.

(٣) - الجمل في النحر للزجاجي ١٣٩.

(٤) - أبو علي الفارسي لشلبي ٥٢٦.

(٥) - التوبة ٧/٩.

(٦) - المائدة ٦/٥.

(٧) - انظر مغني اللبيب ١/١١١، ٢٧٨، ٢٩٤، ٣٣٥.

(٨) - أبو علي الفارسي لشلبي ٢٤٢.

كذلك فترك الأخذ به أحسن» (١) و«ألا ترى أنّ من قال: لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا. لم يكن مصيباً» لأنها حركة إعراب. (٢)

وعند ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) نرى أنه يبرز القراءات القرآنية بشكل يعكّل فيه اعتماده القراءات بأنواعها (٣) بما فيها الشاذة لأنها مروية عن رسول الله (ص)، وعلى الرغم من ذلك فهو يؤكد أنّ القراءة الصحيحة أقوى إعراباً، وأنّهض قياساً، ولهذا يجد لنفسه العذر في ترك الاستدلال بالقراءة الشاذة لأنّ القراءة الصحيحة أقوى إعراباً منها (٤). ثم نراه يستدلّ بها -أي بالقراءة الشاذة- ويبني عليها أصولاً فقد ذكر في قراءة ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر أنّ «في هذه القراءة دلالة على أنك إذا قلت: شربتُ ماءك، وإنما شربتُ بعضه، كنت صادقاً، وكذلك إذا قلت: أكلت طعامك، وإنما أكلت بعضه. ووجه الدلالة منه قراءة الباقيين، وشاورهم في الأمر، والمعنى واحد في القراءتين» (٥)

وإذا تجاوزنا إلى نحاة القرن السادس فإننا نرى الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) يستثمر فهمه لأساليب القرآن ليستنبط منه القواعد، وينفرد ببعضها من دون النحاة؛ من ذلك قوله: إنّ (أتما) تفيد الحصر كما تفيده (إنّما) المكسورة الهمزة، يقول ابن هشام: «ومن هنا صحّ للزمخشري أن يدّعي أنّ (أتما) بالفتح تفيد الحصر كذلك، وقد اجتمعنا في قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا يُنوحُ الْقَوْمَ إِلَهُوا وَإِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَائِلِينَ إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَائِلِينَ» (٦)

(١) - أبو علي الفارسي لثبتي ٢٤٠.

(٢) - البقرة ٣٤/٢، وانظر العجوة في القراءات السبع لابن خالويه ٤٩/١، وانظر ٢٣٣/١، والاحتجاج للحلواني ٧٥.

(٣) - انظر المحتسب لابن جنّي ٣٣/١.

(٤) - انظر المصدر السابق ٣٣/١، وانظر ٢٩٦/١ وما بعدها.

(٥) - المصدر السابق ١٧٦/١، وانظر ١٠٨/١-١٠٩، ١٧٦، ١٨٥.

(٦) - الأنبياء ١٠٨/٢١.

فالأولى لقصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس» (١)، وكذلك تفرّد بجواز حذف ما عَطَفَتْ عليه (أم)، واستدلّ بقوله تعالى: **أَمْ كَلِمَتُهُمْ هَدَاةٌ** (٢)، وذكر أنه «يجوز كون (أم) متصلة على أنّ الخطاب لليهود، وحذف معادلها، أي أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء» (٣) ومن ذلك أجازته أن تكون (عن) للتعليل واستدلّ بقوله تعالى: **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا** (٤) وقال: «إن كان الضمير للشجرة فالمعنى حملهما على الزلّة بسببها» (٥).

أما الرضي الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) فهو يتابع منهج من سبقه، فقد استدلّ بالقراءات الصحيحة المتواترة، وبالقراءات الشاذة. ومن استدلاله بالقراءات المتواترة: «إن **هَذَا لَسَاحِرَانِ** (٦) قراءة السبعة عدا أبي عمرو» (٧) وقوله تعالى: «**هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** (٨) وهذه قراءة نافع من القراء السبعة» (٩).

ومن استدلاله بالقراءات الشاذة قراءة قوله تعالى: **هَوَاءَ بِنَاتِي هَنْ أَطْحَوَ لَكَ** (١٠)، وذكر أنها قراءة الحسن، وزيد بن عليّ، وعيسى بن عمر، وسعيد بن جبّير، ومحمد بن مروان السدّتي... ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم، وخُرِجَتْ على أن نصب (أطهر) على الحال (١١).

(١) - مفني اللبيب ٣٩/١.

(٢) - البقرة ١٣٣/٢.

(٣) - مفني اللبيب ٤٤/١.

(٤) - البقرة ٣٦/٢.

(٥) - مفني اللبيب ١٥٨/١، وانظر الاحتجاج للحلواني ٧٩.

(٦) - طه ٩٣/٢٠.

(٧) - حجة القراءات لأبي زرعة ٤٥٤، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٢٤٢.

(٨) - المائدة ١١٩/٥.

(٩) - حجة القراءات لأبي زرعة ٢٤٢، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ١٣٦.

(١٠) - هود ٧٨/١١.

(١١) - انظر المحتسب لابن جنّي ٣٢٥/١، والبحر المحيط لأبي حبان ٢٤٧/٥.

وقوله تعالى: **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ** (١) وهي قراءة الجحدري، وأبي السَّئَالِ، وهون العُقَيْلِي (٢).

والرضي لا يتحرَّج من نقد القراءات المتواترة، ويرميها بالشذوذ، قال: «وأما يونس (٣)، والكوفيون فجوزوا إلحاق النون الخفيفة بالثني، وجمع المؤنث، فبعد ذلك إما أن تبقى النون عندهم ساكنة، وهو المروي عند يونس؛ لأن الألف قبلها، كالحركة لمانيها من المدَّة، كقراءة نافع (٤): **وَمَحْيَايَ** (٥) أو قراءة أبي عمرو: **وَاللَّيْ** (٦)، وقولهم: **التَّقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ** (٧)، ولا شك أن كل واحد في مقام الشذوذ (٨)، فلا يجوز القياس عليه (٩).

لقد تابع رضي المنهج الذي سلكه النحاة الذين سبقوه في موقفهم من القراءات والظن فيها؛ أمثال سيبويه، والمبرد، وابن جني. والصواب ألا ترد القراءات التي تخالف أصولهم ومقاييسهم، بل يجب

(١)- الروم ٤/٣٠.

(٢)- انظر البحر المحيط لابن حبان ١٦٢/٧.

(٣)- الكتاب ٥٢٧/٣، والخصائص لابن جني ٩٢/١.

(٤)- انظر حجة القراءات لأبي زرعة ٢٧٩.

(٥)- الأنعام ١٦٢/٦، والآية بنمائها: **قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.**

(٦)- الطلاق ٤/٦٥ **وَاللَّيْ يَفِضْنَ مِنَ الْحَيْضِ مَنْ فَسَدَ أَنْ أَرْتَجِرُ تَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَهْهِ وَاللَّيْ لَمْ يَجِضْنَ ...**

(٧)- هنا مثل، وهو كناية عن ضيق الأمر واشتداده. انظر الخصائص ٩٣/١.

(٨)- رضي لا يتحرَّج من نقد القراءات، فهو يثمد كل ما تقدم من قبيل الشذوذ مع أننا علمنا أن قراءة (والاي) المنسوبة إلى أبي عمرو، والبرقي، هي قراءة سبعة متواترة! سورة الطلاق الآية ٤، انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للديلمي ٤١٨ مصر بلا تاريخ. وانظر الاسترأبادي، دراسة وتحقيق ليحيى مصري ١٥٢٨ (رسالة دكتوراه).

(٩)- انظر الكتاب ٥٢٧/٣، والخصائص ٩٢/١.

عليهم أن يخضعوا أسسهم ومقاييسهم لها؛ لأنّ المنطق أن تسير القواعد وراء النصوص الفصيحة، لا أمامها (١).

أنا ابن هشام فهو يمثل مذهب النحاة المتأخرين (ت ٧٦١هـ) فهو يُشبهه مذهب ابن مالك، وأبي حيان في كثرة الاستدلال بالقرآن الكريم، بشكل متتال نحو: «والثاني ما تزايد فيه الباء، المفعول، نحو: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (٢) وحرّز إليكم بجزع النخلة (٣)، فليمدد بسبم إلى السماء (٤)، ومن يردّ قومه بالأحاطة (٥)، فطلق مسحاً بالسوق (٦) أي يمسح السوق مسحاً» (٧). ويقبل القراءات جميعها، من دون أن ينظر إلى ردة النحاة المتقدمين لهذه القراءات (٨)

ويختلف مذهب ابن هشام عن مذهب سيبويه، فهو ينهج نهج ابن مالك، وأبي حيان، ويستدل بالقراءة الشاذة، بل إنه يردّ على من أنكر بعض هذه القراءات؛ من ذلك أنه أجاز تسكين لام الأمر بعد (ثم)، واستدلّ بقراءة الكوفيين لقوله تعالى: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُؤْفُوا نُظُورَهُمْ (٩)، وقال: «وفي

(١) - انظر المقتضب للبرد ٢١٢/١، ١٣٤/٢، والمحتسب لابن جني ١٠٣/١، والرغزي الأستراباذي، لمصري ٨٩.

(٢) - البقرة ١٩٥/٢.

(٣) - مريم ٢٥/١٩.

(٤) - الحج ١٥/٢٢.

(٥) - الحج ٢٥/٢٢.

(٦) - سورة ص ٣٣/٣٨.

(٧) - مغني اللبيب ١١٥/١.

(٨) - انظر المصدر السابق ١/٢٨٥، ٣٤، ٤٠، ١٤٠، ١٧٠، ٢٢٩، ٢٦٩، ٢٩٤، ٣٠٥.

(٩) - الحج ٢٢/٢٩.

ذلك ردّاً على مَنْ قال: إنّه خاصٌّ بالشعر» (١)، وقوله في قراءة أخرى: «لاوجه لإنكار الفارسي هذه القراءة مع ثبوتها وانجاسها» (٢)، إضافة إلى أنّه يتحرج في تضييف القراءة (٣).

* - ومما تقدم نصل إلى أن أثر سيبويه قد شمل من عاصره، ومن جاء بعده، فقد تابع النحاة سيبويه في استدلالهم على ما وافق الأصول حيناً، وما خالفها أحياناً، فوقفوا عند القراءات التي خالفت الأصول، فعنهم من قبلها، ومنهم من ردها. ولعل تناولاتهم للقراءات الشاذة هو نوع من اهتمامهم بما خالف الأصول؛ لأنه لولا مخالفة القراءات لهذه الأصول في رأي النحاة آنذاك لما أطلقوا عليها اسم القراءات الشاذة.

ومن جهة أخرى فقد اهتم النحاة جميعهم بالقرآن الكريم كطريق للاستدلال، وإن كان اهتمام المتأخرين من النحاة أكبر ممّا عند سيبويه الذي أولى الشعر عناية فائقة، وعوّل على إنشاد العرب الفصحاء، وقد استدل النحاة كذلك بالقراءات القرآنية على اختلاف تصنيفها، غير أنّ النحاة الأوائل لم يدركوا تصنيف القراءات التي وضعها ابن مجاهد، فصحّت قراءاتٌ صنّفَت فيما بعد بالشاذة، ورُدّت قراءات وضعها المتأخرون في مصافّ القراءات الصحيحة.

وبعد القرن الرابع حافظ بعض النحاة على نهج الأوائل في الاستدلال بالقراءات القرآنية، وردّ بعضها كالرضي الاسترأبادي، وأخذ نحاة آخرون بالقراءات جميعها، وعدّوها صحيحة.

(١) - مفني اللبيب ٢٤٦/١.

(٢) - المصدر السابق ٢٤٥/١.

(٣) - انظر المصدر السابق ٦١٣/٢، وانظر الاحتجاج للعلواني ٨٧.

• الحديث الشريف •

لقد كان طبيعياً لو استدل النحاة بالحديث الشريف في استنباطهم لقواعد اللغة العربية، شأن شأن القرآن الكريم، لأنه أبلغ بياناً، وأروع تأثيراً من كلّ كلامٍ بعد القرآن الكريم. لكن ذلك لم يحدث بسبب تهافت العلماء على ما يزوّدهم به رواة الشعر تهافتاً أخذ جهدهم فابتدعوا الحجج، والعلل لعدم استدلالهم به (١)، وقد انقسم النحاة فريقين: الأول لم يستدل بالحديث الشريف ظناً منه أنّ الأحاديث مروية بالمعنى لا باللفظ، والثاني أجاز الاستدلال به ظناً منه أنها لفظه (ص).

لم يول سببويه الحديث الشريف أهمية تذكر، بل إنه في استدلاله به -على قلته- لم يشر إلى أنها أحاديث، إضافة إلى أنها ليست كلها موافقة لما تذكره كتب الصحاح، أما تعليل قلة استدلال سببويه بالحديث فقد تعرضنا له بشكل يفينا عن التكرار.

وفهج النحاة الأوائل نهج سببويه سواء أكانوا بصريين أم كوفيين، فلم يستدلوا بالحديث الشريف إلا في مواضع قليلة لاتشكل مذهباً. فالغراء لم يستدل في كتابيه معاني القرآن، والمذكر والمؤنث إلا بثلاثة عشر حديثاً أربعة منها جاءت حجة على ظواهر نحوية، والأخرى على ظواهر لغوية (٢)، وهو كسببويه يسوق الحديث حيناً من دون أن يصرح بأنه حديث، بل يذكره ضمن كلام العرب (٣).

(١)- انظر في أصول النحو للأفغاني ٤٦.

(٢)- انظر معاني القرآن للغراء ١/٢٦٦، ٢٨٠، ٣٦٩، ٣٧٠، ٢/١٢٦، ٥٩٠، ٤٠٢، ٤٠٠، والمذكر والمؤنث للغراء ٢١٠، ١٤. نج: مصطفى الزرقا حلب ١٣٤٥هـ.

(٣)- انظر معاني القرآن للغراء ١٢٦/٢، والاحتجاج للطلحاني ١٩٦.

أما الأخفش فإنه لم يستدل بالحديث الشريف في معاني القرآن قطاً على الرغم من أنه يتناول أحياناً بعض لفات العرب على غرار التي تناولها الرسول (ص) حيث إن لفة جَحِيْرٌ ونَفِرٌ من طَيِّبٍ تبدل الميم من لام التعريف (١) فتقول في الرجل (امْرَجُلٌ) (٢). ومع ذلك فإن الأخفش لم يستدل بالحديث الشريف: «ليس امْرُءٌ امْصِيامٌ في امْسَقَر» (٣) يريد ليس البرّ الصيام في السفر على الرغم من تناوله للفة اليمن بقوله: «وأما ما سمعناه من اليمن فيجعلون (أم) مكان الالف واللام الزائدتين» (٤).

أما المبرد فإنه يبقى في دائرة منهج سيبويه بقلة استدلاله بالحديث الشريف فقد استدلل بأربعة أحاديث في تناولاته النحوية ومثلها تقريباً في اللفة. من ذلك ما ذكره في باب «اشتقاقك للعدد لعدد اسم الفاعل كقولك هذا ثاني اثنين، وثالث ثلاثة، ورابع أربعة» (٥)، بقوله: «فإذا بلغت المائة قلت: كانوا تسعة وتسعين فأما يئسهم: إذا جعلتهم مائة، وكان تسعمائة فالفئسهم. إذا أردت: (فعلتسهم)، والفئسهم إذا

(١) - انظر الرضي الأستراباذي ليحيى مصري ٤٢٠/١.

(٢) - انظر مجالس ثعلب ٥٨١/١، نج: هارون.

(٣) - مسند الإمام أحمد ٤٢٤/٥، عن كعب بن عاصم الأشعري عن النبي (ص)، ومن هذه اللفة قول بُجَيْرِ بن غنمة الطائفي كما نسبه ابن بري :

ذاك خليبي، و ذو يواصلي يرمي ورائي باقتهم وأمسكهم

يريد: بالسهم والسلطة. والسلطة واحدة السلام، وهي الحجارة. شرح عمدة العاظم ٨ وانظر شرح الكافية الشافية ١٨١/١
نقلاً عن منهج الأخفش في إعراب القرآن (حاشية) لصفحة البرازي ١٣٣، رسالة ماجستير. معهد الدراسات الإسلامية.
مصر.

(٤) - معاني القرآن للأخفش ٢٩/١، نج: فائز فارس ط ٢ الكويت ١٩٨١ م.

(٥) - المقتضب للمبرد ١٨١/٢.

أردت : (أفعلتهم). كلُّ ذلك يقال. وجاء في الحديث: أوَّلَ حَيٍّ آلَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَهِينَةُ، وَقَدْ آلَفَتْ مَعَهُ بَنُو سُلَيْمٍ بَعْدَهُ...» (١)

والأحاديث الأربعة المستدل بها عند المبرد نجد أن أحدها قد استدلَّ به سيبويه قبل ذلك، وهو قوله (ص): «دَامَنَ أَيَّامَ أَحَبِّ إِلَى اللَّهِ فِيهَا الصُّومُ مِنْهُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ» (٢). واستدلال المبرد بالحديث الشريف يبقى ضئيلاً إذا ما قورن باستدلاله بالقرآن الكريم، والشعر، وكلام العرب، على الرغم من أنه على علم غزير به بدليل أنه صنع كتاباً في غريب الحديث، ويظهر أن المبرد كان يستدل بالحديث الشريف في معالجة القضايا النحوية من غير استرسال في الإكثار منه (٣)

وفي القرن الرابع الهجري نرى الزجاجي يسير على نهج سابقيه، قلَّة في الاستدلال بالحديث الشريف، لكنها عنده مصحوبة بالإشارة إلى أن ذلك من قول رسول الله (ص) ففي كتابه «الجمال في النحو» يستدل بحديثين، وقراءة فقط؛ ففي حديثه عن الأمر والنهي أجاز دخول لام الأمر على فعل المخاطب وقال: «وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ: **فَلْيَقْرَأُوا** (٤)، وقال في بعض المفازي **لِتَأْخُذُوا مَصَافِكُمْ**» (٥)، وكان الفراء قد استدل بهذا الحديث (٦)

(١)- المقتضب للمبرد ١٨٤/٢، وانظر ٢١٧/٢، ٢٥٠/٣، ٢٥٤/٤.

(٢)- المصدر السابق ٢٥٠/٣، والكتاب ٣٢/٢.

(٣)- انظر: أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية لمحمد عبد الخالق عضيه ٥٠ ط١ الرياض ١٤٠٥هـ.

(٤)- بونس ٥٨/١٠ وكان الكسائي قد عاب هذه القراءة لغلثها، ووصفها الأخفش بأنها لغة رديئة. انظر معاني القرآن

للفراء ٤٦٩/١-٤٧٠، والجمال في النحو للزجاجي (حاشية) ٢٠٨.

(٥)- المصدر السابق ٢٠٨.

(٦)- انظر معاني القرآن للفراء ٤٦٩/١.

ومنه أيضا قوله (ص): «الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ وَالْقَيْبُ تُعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا» (١) وبقي أمر الاستدلال بالحديث الشريف على حاله عند ابن جنبي، فهو في كتابيه الخصائص، والمحاسب استدلل بسبعة أحاديث من خلال تناولاته النحوية والصرفية، وجاء استدلاله بها متأخرا، وكانه عنده نوع من الاستئناس، من ذلك أنه تكلم على حذف الصفة إذا دلت عليها الحال، والمخ إلى قول سيبويه: سيرَ عليه ليلاً، وهم يريدون: ليلاً طويلاً (٢)، ثم يتابع سلسلة من الأمثلة كثيرة، حتى إذا استوى له تقرير الأصل قال: فعلى هذا، وما يجري مجراه تحذف الصفة، فأما إذا عريت من الدلالة عليها من اللفظ، أو من الحال فإن حذفها لا يجوز» (٣) ثم يقول: «ومن ذلك ما يروى في الحديث: لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد؛ أي لاصلاة كاملة أو فاضلة، ونحو ذلك» (٤). ومنه استدلاله بقوله (ص): كفى بالسيف شا؛ أي: شاهداً بحذف عين الكلمة، ولاهما على قوله تعالى: **يَسْ** (٥)، وذكر أن الأصل قد يكون: بالإنسان، لكنه اكتفى بالسين من جميع الاسم فقال: ياسين (٦).

ويظهر تأثير ابن جنبي بسببويه بأستدلاله بالحديث الشريف في قوله (ص): «كل مولود يولد

(١) - الجمل في النحو للزجاجي ٢٦٦. وقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري ٢٣/٧، مطابع دار الشعب بالقاهرة. (بلفظ مخالف): من أبي هريرة (رض) أن النبي (ص) قال: **لَا تُنْكِحُ الْإِيْمَ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكِحُ الْبِكْرَ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ**، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنهما؟ قال: **أَنْ تُسْكُتَ**. وانظر سند ابن حنبل ١٩٣/٤ طبعة ١٩٤٨م، وسنن ابن ماجه ١/٦٠٢، ١٨٧٢م.

(٢) - انظر الكتاب ٢٢٦/١.

(٣) - الخصائص ٣٧١/٢.

(٤) - المصدر السابق ٣٧٢/٢.

(٥) - يس ٣٦/١.

(٦) - انظر المحاسب لابن جنبي ٢٠٤/٢ تح: ناصف وشليبي القاهرة ١٣٨٦هـ، وانظر ١٠٠/١.

يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه». فقد خرّج الحديث كما خرّجه سيبويه (١).

وخطا الاستدلال بالحديث الشريف خطوة كبيرة على يد ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في الأندلس، والرضي الأستراباذي (ت ٦٨٦) في المشرق على غير اتفاق، أو تأثر بينهما. فالرضي يرى صحة الاستدلال بالحديث مطلقاً، وقد استدلّ بواحد وثلاثين حديثاً شريفاً، كلها صحيحة، إلاّ حديثين اتفق المحدثون على تضعيفهما، أحدهما قوله (ص): «كما تكونون يؤكّي هليكم»، فإنّ حديث ضعيف مرسل (٢). وثانيهما قوله (ص): «ليس في الخضروات صدقة»، فإنّ هذا الحديث اتفق المحدثون على تضعيفه؛ لأنّ من رواه الحارث بن نبهان، وأما نص الحديث الصحيح فهو: «ليس في الخضروات زكاة» (٣).

واستدلّ الرضي بأحاديث الرسول (ص) في موضوعات نحوية مختلفة؛ منها قوله (ص): «الناس كلّيل مئة لاتجد فيها راحلة واحدة» (٤)، وفي حديثه عن الصفة، والوصف بالمقادير. وقوله (ص): «يتعاقبون فيكم ملائكة» في حديثه عن قولهم: أقائمون الزيدون، فذكر أنّ (فائمون) تحتل أنّ تكون مبتدأ، وما بعدها فاعلها، وقاسها إلى الحديث الشريف (٥) وغير ذلك من الأحاديث

(١) - انظر الكتاب ٣٩٣/٢، والمعتسب لابن جني ٣٣/٢، و ٣٤٣، ١٨٦، ٨٨٨/١. ذكر سيبويه أنّ في الحديث ثلاثة أوجه: فالرفع وجهان، أولهما أنّ يكون المولود مضمراً في (يكون)، والأبوان مبتدأ، وما بعده مبني عليه، وثانيهما أنّ يكون (الأبوان) اسماً ليكون، وهما) مبتدأ، وما بعده خبر له، والنصب على أنّ تجعل (هما) فصلاً. انظر الكتاب ٣٩٣/٢-٣٩٤.

(٢) - انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ٣٢٦ نشر مكتبة الخانجي، مصر ١٩٥٦؛ نقلاً عن الرضي الأستراباذي لمصري ٩٢.

(٣) - رواه الترمذي في صحيحه، كتاب الزكاة، والحديث برقم ٦٣٨.

(٤) - انظر شرح الكافية للرضي ٢٨٢/١، ومع الهوامع للسيوطي ١٦٠/١.

(٥) - انظر أضواء على شرح ابن عفيف لألفية ابن مالك ١٨٢/٢، والعاشبة.

من ذلك نلاحظ أنّ الرضي قد خطا بشكل مؤثر في جعل لفة الحديث الشريف مادة للاستدلال في النحو العربي، بعد قرون عدة كان الاستدلال فيها يسير بخطى بطيئة، إن لم يكن متوقفاً عند الحدود التي وقف عندها سيبويه.

ثم نصل إلى القرن الثامن الهجري فنرى ابن هشام (ت ٢٧٦هـ) يستدل بالحديث الشريف بكثرة تصل إلى حدّ استدلال ابن مالك به؛ ففي مغني اللبيب استعان باثنين وستين حديثاً نبوياً استخدمها في سبعة وسبعين موضعاً، والفارق بين الرقمين مرده إلى آتة كرّر بعض الأحاديث في أكثر من مكان كقوله: (ص) «إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون» (٢) فقد استدلّ به على جواز رفع ما بعد (إنّ) ومجيء اسمها ضمير شأن محذوفاً (٣). وقوله (ص): «نحن معاشر الأنبياء لا نُؤزّث» في حديثه عن الجملة المعترضة (٤). وغير ذلك من الأمثلة (٥).

أخذ ابن هشام منحىً متطوراً في استدلاله بالحديث الشريف متأثراً بالسبيلي (ت ٥٨١ هـ)، وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) فهو يشير إلى مصدر الحديث في كتب الصحاح نحو قول: «نعم وقع في صحيح

(١) - انظر شرح الكافية للرضي ٣٠٨١٧٤/١١٨٨٦٩٧٣٥/١.

(٢) - الحديث في الصحاح دون كلمة (من). وفي مسند أحمد ٤٢٦/١ «إن من أشد الناس... المصوّرين» فلا أصل إذا لرواية النحاة.

(٣) - انظر مغني اللبيب ٣٩١/٣١٨٣٦/١.

(٤) - انظر المصدر السابق ٧٥٨٦٠-٧٤٣٣/٢.

(٥) - انظر المصدر السابق ١٣٠-١٢٩/١، وانظر ٢٥١٠٢٤٨/١، وانظر ١٣٤/١، وانظر ٥٨٥٠٥٥١/٢، وانظر ٤٧٨٤٤٩/٢ وانظر ٤٩٧٠٤٤١/٢، وانظر ١١٥/١، ٦٥٤/٢، وانظر ٧٣٤٧٣٢/٢، وانظر ٦٧٠٠٦٦٩/٢، وانظر ١٤٣/١، ٤١٣/٢.

البخاري في تفسير وجوه يومئذٍ ناظرة» (١) : «فيذهب كيما فيعود ظهره طبقاً واحداً»، أي: كيما يسجد، وهو غريب جداً لا يحتمل القياس عليه» (٢)، وإشارة ابن هشام هذه لها مدلول هام يعني بها أنه يبتعد عن السماع في استدلاله، لينهل من الكتب التي انتشرت آنذاك (٣).

ويقرون ابن هشام استدلاله بالحديث الشريف مع استدلاله بالقرآن الكريم، أو الشعر على عادة أسلافه (٤)، لكنه يفوقهم اهتماماً بالحديث الشريف، فهو يُكثر من الاستدلال به ويمزج استدلاله بتخریجه (٥)، أو يستعين بتخریج غيره أو يرده (٦).

ونظرة إلى ما تقدم تكشف لنا أنّ الاستدلال بالحديث الشريف يبقى كغيره من طرق الاستدلال يبحث عما خالف الأصول غالباً، وقد حاول النحاة الوصول إلى بعض القواعد لإضافتها إلى جهود السابقين، وهي على قلتها قياساً إلى جهود نحاة القرنين الأول، والثاني تعدّ جهداً محموداً سنقف عليه من خلال حديثنا عن الآراء التي تفرّد بها بعض النحاة بعد سيبويه.

(١) - القيامة ٢٢/٧٥. قال ابن حجر: الثابت في نسخ البخاري التصريح بـ (يسجد)، فلعلّ المؤلف وقعت له نسخة بحذف

(يسجد). عن حاشية الدمشقي نقلاً عن مفني اللبيب ٢٠٠/١.

(٢) - مفني اللبيب ٢٠٠/١.

(٣) - انظر الاحتجاج للعلواني ٢١٥.

(٤) - انظر مفني اللبيب ٢٢/١، ٢٢٠، ٢١٨، ٢١٩-٢١٨، ١٨٣، ١٥٧، ١٤٣، ٨٠، ٤٨.

(٥) - انظر المصدر السابق ١٢١، ١٠٢/١.

(٦) - انظر المصدر السابق ٣٦/١.

• الشعر •

استدلّ سيبويه بالشعر ليضع للغة العرب القواعد، متابعاً مسيرة نعاة كبار بدؤوا قبله رحلة التقعيد، وقد سلك في سبيل ذلك طريقين واضحتين؛ الأولى أخذته عن شيوخه، ونقله عنهم وأبرزهم أبو عمرو، ويونس، والأخفش الأكبر، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد الفراهيدي. والثانية سماعه الشعر من خلال نشأته في مدينة البصرة، وتردد الأعراب عليها، وإنشادهم الشعر في سوق المريتد، ولم نجد دليلاً يشير إلى رحلته وراء الأعراب في باديتهم، ذلك أنّ قوله: (سمعنا)، أو سمعته من العرب، أو غيرها من العبارات (١) لا تشكل دليلاً لرحلته، بل هي دليل على سماعه منهم، هذا السماع الذي حدث فيما أظن نتيجة رحلة الأعراب إلى الحاضرة، لا العكس.

هذان المصدران هما الأساس الذي اعتمده سيبويه في استدلاله لقواعد العربية سواء أكان ذلك

لما خالف الأصول في الغالب، أم لما وافقها.

ليس لسيبويه أثرٌ في الفراء (ت ٢٠٧هـ) شيخ نعاة الكوفة، لكنّ النهج الذي انتبجه الفراء في الرواية يشابه نهج سيبويه إلى حدّ كبير، فقد نقل الفراء عن شيوخه، وكذلك شافه الأعراب أما نقله عن الشيوخ، فمن المؤكّد أنّ شيوخه الذين أخذ عنهم غيرَ شيوخ سيبويه، ولا يشترك الاثنان إلا في يونس بن حبيب (٢)، أما غير ذلك فقد نقل عن المفضل الضبّي (٣)، والقاسم بن معن (٤)، والكسائي (٥). أما عن مشافهته الأعراب فهو كسيبويه يستنبط ممّا يسمعه القواعد، والأصول، غير أنّه

(١) - انظر الكتاب ١/٤٢٦، ٤٢٣، ٣٢٠، ٢/١٥١، ٩٢، ٢-٣٤٥، ١٥٢، ٣/١٤٤، ٤٦٣، ٣٠٠، ٢٢٥، ٣٠٠-٥٠٤، ٤/١٩٧.

(٢) - انظر معاني القرآن للفراء ١/١٢٧، ٣٧/٢، وانظر مجالس ثعلب ٤٥٦، وأخبار النحويين البصريين للسبيري ٢٨ نقلاً عن يونس بن حبيب لحسين نعتار ٣٨.

(٣) - انظر معاني القرآن للفراء ١/١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ٢٨٣، ٢٩٤، ٣٩٠، ١٦/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ١/١٣٦، ٦٨، ٣٩/٢.

(٥) - انظر المصدر السابق ١/١٣٤، ٢١٢، ٢٣٣، ٣٦٥، ٤١٠، ٤١٠.

فطافت ثلاثاً بين يومٍ وليلةٍ يكون النكيرُ أنْ تُضَيَّفَ وتَجَاراً (١)

ويرويه الفراء:

أقامت ثلاثاً بين يومٍ وليلةٍ وكان النكيرُ أنْ تُضَيَّفَ وتَجَاراً (٢)

والأمثلة المشابهة لذلك كثيرة (٣).

الثاني: اختلافهما في موضع الشاهد، فقد ذكر سيبويه قول روية:

أنا ابنُ سَعْدِ أكرمَ السَّعْدِينَا (٤)

واستدل به على نصب (أكرم) على المدح. وذكره الفراء:

أنا ابنُ سَعْدِ سَيِّدِ السَّعْدِينَا (٥)

(١) - يذكر بقرة فقدت ولدتها، فطافت ثلاث ليالٍ وأياها تطلبه، وليس لديها من نكير - أي استنكار لما رزنت به في ولدها، إلا أن تضيف وتجار، والإضافة: الإشفاق والحذر، والجوار: الصياح. والشاهد فيه: تأكيد (الثلاث) بقوله: بين يومٍ وليلة، وقد علم أنه أراد ثلاث ليالٍ، والليالي مشتملة على أيامها. والقاعدة المفصلة التي أقرتها المتأخرون أن العدد المركب إذا تميّز بشيئين كانت الغلبة لذكرهما إن كان عاقلاً، وإن كان غير عاقلٍ فللسابق بشرط الاتصال نحو: عندي خمسة عشر جملًا وناقاً، وخمس عشرة ناقاً وجملًا، فإن قُيد الاتصال كانت الغلبة للمؤنث نحو: عندي ست عشرة مابين ناقاً وجملٍ، أو ما بين جملٍ وناقاً. انظر الكتاب (حاشية) ٥٦٣/٣-٥٦٤.

(٢) - معاني القرآن للفراء ١٥١/١.

(٣) - انظر الكتاب ٤٥/٣، ١٨٠/٢، ٢٥٩/١، ٥٢٠/٣، ٧٥/١، ٢٧/٣، ٧١/١، وانظر معاني القرآن للفراء بالترتيب ٤٢٩/١، ٣٩٥/١، ١٠٥/٢، ٩٠/٢، ٤٥٨/١، ١٣٣/١، ١٩٢/١.

(٤) - روية من بني سعد بن زيد بن مناة بن نعيم، وفيهم الشرف والعدد. وفي العرب سعدو كثيرة، مثل سعد بن مالك في ربيعة، وسعد بن ذبيان في غطفان، وسعد بن بكر في هوازن، وسعد بن هذيم في قضاة بل هم أكثر من أربعين. والشاهد فيه نصب (أكرم) على التفضيم والفخر. انظر الكتاب (حاشية) ١٥٣/٢، وفهارس جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٥٧٩-٥٨٠ نج: هارون، دار المعارف ١٣٨٢هـ.

(٥) - معاني القرآن للفراء ٣٩٢/٢.

واستدل به على ثنية (سعد) من باب التفليل.

وتشابه الشواهد بينهما، على قلتها إذا ما قيست بما استدلّ به كلّ منهما تكشف أنّ بعض المصادر التي تزوّدا بها واحدة، فقد أخذ الفراء عن يونس بن حبيب الذي أخذ عنه سيبويه، كما أخذ الفراء عن الكسائي الذي أخذ عن يونس والخليل وأخذ عن حلقات البصرة العلمية علماء جمّاً.

كما أنّ للرواة والأعراب أثراً في نشر هذه الشواهد بكثرة، وكان الفراء على اتصال بهم، وهذا ما خلق بعض الفروقات في الرواية، ويبقى احتمال أخير وهو أنّ الفراء قد أخذ عن سيبويه شواهد كما رأي بعض المحدثين. (١) ومهما يكن من أمر فإنّ أخذ الفراء من سيبويه لا يقلل من قيمة الأول، فقد تفرّد بأكثر من سبعمئة شاهد لم يذكرها سيبويه، وما التقى فيه معه يختلف رواية وتعميداً، وهذا يضعنا أمام مذهب خاص به جعله رأساً من رؤوس الكوفة.

*- أما الأخفش فقد مثل استدلاله بالشعر ركناً هاماً من كتابه معاني القرآن، فقد بلغ مجموع الشواهد فيه واحداً وثمانين ومثني شاهد وهو عدد ضخم (٢)، ولم يكن يهتمّ بعزّو شواهد، فقد بلغ عدد الشواهد التي نسبتها إلى أصحابها ثلاثين بيتاً (٣).

(١)- انظر الاحتجاج للحلواني ١١١-١١٢، وفيه رد على ما ذكره شوقي ضيف في المدارس النحوية ٢١٥، من أنّ الفراء تآثر بسيبويه، وأنه كان يضع كتابه نصب عينيه ويصره.

(٢)- انظر معاني القرآن للأخفش ٥٧/١، نج: عبد الأمير محمد أمين الورد ط١، بيروت ١٩٨٥م.

(٣)- أصحاب الشواهد المنسوبة: ابن أحمر، أبو حجة النيميري، أبو زيد، أبو النجم، الأخطل، الأسود (وليس في ديوان الأسود بن يعفر فلمله غيره)، أسد الفيس، أمية بن أبي الصلت، أوس بن مفرأ، البرجمي، جميل، الغنساء، روية، زهير، طرفة، علقمة بن عبدة، عمرو بن شاس، الفرزدق، قيس بن الخطيم، لبيد، منقم بن نويرة، النابغة، مع الإشارة إلى أنّ بعض الشعراء قد ذكر لهم أكثر من شاهد. انظر معاني القرآن للأخفش (عبد الأمير) ٥٧/١-٥٨.

وتأثر الأخفش بسببويه كبير واضح، فهو الذي حمل كتاب سببويه للناس بعد وفاة مؤلفه، وقد قرأه عليه أبو عثمان المازني، والجرمي. وكانت قصتهما مع الأخفش في الكتاب مثار شك في نزاهة الرجل، وطُعن في سلوكه العلمي (١). كما درس أبو حاتم السجستاني الكتاب على الأخفش مرتين (٢).

ومهما يكن من أمر هذه الأقوال فهي تفسر لنا شدة تأثير الأخفش بسببويه في كتابه (الكتاب) (٣). وتأثر الأخفش لا يبرز من خلال الدرس القرآني في معاني القرآن، لأن اختلاف كتاب سببويه بيتاً، وبعيداً عن هذا التوجه، لكن الشبه بين الاثنين يبرز من خلال تناولهما لما خالف الأصول النحوية، كالوقوف على القراءات الشاذة التي لاتحاكي ما شاع على لسان العرب، وقد بلغت قوة التشابه حدَّ التطابق في مواضع كثيرة؛ منها قول سببويه: «هذا باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء: يضاف إليها أسماء الدهر. وذلك قولك: هذا يومٌ يقومُ زيدٌ، وأتيتك يومٌ يقولُ ذاك. وقال الله عزَّ وجلَّ: هذا يومٌ لا يُنطِقونَ (٤) و هذا يومٌ يتَفَخَّ الصادِقِين صِبْغَهُمْ (٥).... ومنه أيضاً (آية) قال الأعشى:

بَآيَةَ تَقْدَمُونَ الخَيْلَ شَعْتًا كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا (٦)

(١) - انظر نزهة الألبا لابن الأنباري ٩٢، معجم الأدباء لباقر العمري ١١/٢٢٥، ابنية الصرف لغديجة الحديثي ٥٨، بغداد ١٩٦٥م.

(٢) - انظر نزهة الألبا لابن الأنباري ١٣٠، إرشاد الأريب ١١/٢٦٤.

(٣) - انظر معاني القرآن للأخفش (عبد الأمير) ٩٠.

(٤) - المرسلات ٣٥/٧٧.

(٥) - المائدة ١١٩/٥.

(٦) - وروى (يقدمون). أي ابلغهم عني كذا بعلامة إقداسهم الخيل للقاء شعماً متفترة، من السفر والجهد. وشبه ما يسيل من عرقها ممتزجاً بالدماء على سنابكها بالدماء، وهي الخمر. والسنابك: جمع سنبك، وهو مقدم الحافر. والشاهد فيه إضافة (آية) إلى الفعل. وكان إضافتها على تأويل إقامتها مقام الوقت، فكانه قال: بعلامة وقت تقدمون الخيل. الكتاب (حاشية) ١١٨/٣.

وقال يزيد بن عمرو بن الصّعن:

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي تَمِيمًا بآية ما تُحِبُّونَ الطَّعَامَا (١)

فما لُفُو. ومنا يضاف إلى الفعل أيضاً قوله: لا أفعلُ بذِي تُسَلِّمُ، ولا أفعلُ بذِي تُسَلِّمَان، ولا أفعلُ بذِي تُسَلِّمُونَ. المعنى: لا أفعلُ بسلامتك، و (ذو) مضافة إلى الفعل كإضافة ما قبله ، كأنه قال: لا أفعلُ بذِي سلامتك» (٢)

وقول الأَخفش: «وليس شيء من الأسماء يضاف إلى الفعل غير أسماء الزمان... وهو في الكلام يكون مضافاً تقول: اذكر يومَ لا ينفكك شيء، أي: يومَ لا منفعة. وذلك أن أسماء الحين قد تضاف إلى الفعل. قال: هذا يومٌ لا يَنْطِقُونَ (٣) أي: يومٌ لا نطق... إلا أنهم قد قالوا:

بآية يَتَدَمُونَ الخيلَ زوراً كأنَّ على سنايَها مُداماً (٤)

وقالوا:

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي تَمِيمًا بآية ما تُحِبُّونَ الطَّعَامَا (٥)

(١) - جعل ذلك آية يعرفون بها لما كان من أمرهم في تحريق عمرو بن هند لبني تميم، ووفود البرجمي عليه حين شتم راتحة المحرطين منهم، وكانوا تسعة وتسعين، فظنه طعاماً يصنع، فمرّج عليه، فأمر به فحذف في النار ليكمل عدد المحرطين به سائة، كما كان أقسم عمرو بن هند. والشاهد فيه إضافة (آية) إلى (يحبون) و (ما) زائدة للتوكيد. انظر الكتاب ١١٨/٣، والكمال للمبرد ٩٨، وخزانة الأدب ١٣٨/٣، وجمع الهوامع ٥١/٢.

(٢) - الكتاب ١١٧/٣-١١٨.

(٣) - المرسلات ٣٥/٧٧.

(٤) - لهذا البيت روايتان: انظر في ذلك الكتاب ١١٨/٣، ومعاني القرآن للأخفش (عبد الأمير) ٢٥٩/١، وجمع الهوامع للمسبوطي ٥١/٢.

(٥) - للبيت رواية أخرى انظر. الكامل للمبرد ١٤٧/١، وسفني اللبيب ٤٢٠/٢.

فأضاف (آية) إلى الفعل ... وقالوا: اذهب بندي تسلم، وبندي تسلمان! كان قال: اذهب بندي سلامتك. وليس يضاف إلى الفعل غير هذا» (١) فالتطابق كبير بين القولين وهو يثبت تأثر الأخفش بسيبويه، وأخذه عنه. والأمثلة على ذلك كثيرة متعددة. (٢)

أنا المبرد فكان تأثره بكتاب سيبويه كبيراً، ويظهر ذلك في المقتضب فقد جرى ذكر الخليل وسيبويه، في مواضع تزيد على المائة. (٣) وظن بعض النحاة المتأخرين أنّ للمبرد بعض الآراء النحوية التي كان له فيها قصب السبق إلى أن ثبت العكس، فكل ما تُسبب إلى المبرد من آراء تفرّد بها مردود عليها بشكل جليّ. (٤) لكن ذلك لم يمنع من أن تكون للمبرد شواهد غير معروفة قبل في كتب النحو، ولم يذكرها سيبويه، ولكنها قد تكون مذكورة في كتب اللفظة، أو تداولها الرواة؛ من ذلك ما استدل به على مجيء نعمت المنادي المفرد منصوباً، بقول جرير:

فما كُتِبَ بنُ مائةِ وابنُ سعدى بأجودَ منكَ ياعَمَرَ الجوادِ (٥)

ومنه قول المهلهل الذي استدل به على نصب الاسم المنادي إذا لحقه التنوين اضطراراً في الشعر:

(١)- معاني القرآن للأخفش (عبد الأمير) ٢٥٨/١-٢٦٠.

(٢)- انظر الكتاب ١/٢٤٤، ٢٢١، ٢١٢، ٩٠، ٤٣٦، ٣٢٤، ٢٨٣، ١٩٧/٤. وانظر معاني القرآن للأخفش بالترتيب ١/٢٥٠.

(٣)- ٢٠٦-٢٠٨، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٢١، ٢٢٢-٢٢٣، ١٨٠-١٨١. وقد اتفقت آراء الأخفش وسيبويه فيما يقرب من متني موضع. انظر

منهج الأخفش في إعراب القرآن لصفوة البرازي ٤٨٣.

(٤)- انظر مقدمة المقتضب لعضيمة ١/٨٨.

(٥)- من ذلك ما ذكره أبو علي الفارسي، وابن جنبي، وأبو حنبلان، وأبو حيان، وابن هشام؛ انظر مواضع ذلك في مقدمة المقتضب للمبرد ١١٩، وما بعدها.

(٥)- البيت من قصيدة جرير التي يمدح بها عمر بن عبد العزيز. الديوان ١٣٤-١٣٧، وانظر المقتضب للمبرد ١/٢٠٨.

رَفَعْتُ رَأْسَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ . . . يَاعَدِيَّ لَقَدْ وَقَّتْكَ الْأَوَاقِي (١)

ومنه استدلاله على أنّ لام المستغاث به إنّ عطفت بغير (يا) كسرت بقول الشاعر:

يَبْكِيكَ نَارٍ بَعِيدِ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ . . . يَا لِلْكُهُولِ وَلِلشَّبَانِ لِلتَّجَسُّبِ (٢)

ومنه استدلاله على جواز الإتيان بالفاعل بعد إضافة المصدر إلى المفعول، بقول الشاعر:

أَفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبٍ . . . قَرَعُ الْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهُ الْأَبَارِيقِ (٣)
والأمثلة على ذلك كثيرة. (٤)

(١)- يريد أنها متعجبة من حالي إلى هذا الغاية مع ما لقيت من الحروب، والأسر، والخروج عن الأهل. ومثل هذا كثير من فعل النساء، وهو الضرب على الصدر في حالة الدهشة والانعراج، وعدّي هو اسم سهل، وهو عدّي بن ربيعة أخو كليب. والأواقي: جمع واقية، والأصل الواقي فابدلت الواو الأولى همزة وجواباً. الواقعة: العاقلة. انظر المفتضب للمبرد (حاشية) ٢١٤/٤، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٥٦، وخزانة الأدب للبغدادي ٣٠٠/١ برواية مختلفة.

(٢)- استشهد به على أنّ لام المستغاث به إنّ عطف بغير (يا) كسرت اللام، كما في قوله: وللشبان. أراد بالناني بعيد النسب. انظر المفتضب للمبرد ٢٥٦/٤ (حاشية).

(٣)- قال ابن هشام في سني اللبيب ٥٩١/٢: «الإتيان بالفاعل بعد إضافة المصدر إلى المفعول شاذٌ حيث قيل: إنه ضرورة كقوله: أفنى تلادي... فيمن رواه برفع (أفواه)، والحق جواز ذلك في النشر، إلا أنه قليل. ودليل الجواز هذا البيت، فإنه روي بالرفع مع التمكن من التنصب، وهي الرواية الأخرى. وذلك على أنّ القواقيز الفاعل، والأفواه مفعول. وصح الوجهان، لأنّ كلاً منهما فاعل ومفعول. والبيت للأقيشر الأسدي. والقواقيز: الكؤوس الصغيرة جمع قاقوزة. وقد قالوا فيها قاقوزة. انظر المفتضب للمبرد (حاشية) ٢١/١، وخزانة الأدب للبغدادي ٢٨٢/٢.

(٤)- انظر المفتضب للمبرد وحاشيته ٤٧٤٤/١، ٥٩٠١/٢، ٢٠٨/٤، ٢٥٠٠/٢٣٤.

استمر استدلال النحاة في القرن الثالث الهجري على ما كان عليه عند النحاة حتى القرن الثاني الهجري، ولم يأخذ المبرد من شعر البحتري شيئاً على الرغم من الصلة بين الاثنين، وكذلك الأمر بين ابن جنبي، والمتنبي، ولم يستدلا بشعريهما في أمور نحوية كاستدلالهما بشعراء العصر الجاهلي، والإسلامي، والأموي. وهكذا فإن نهج الاستدلال كان مرسوماً بعناية لا يخرج عليه أحداً، وإن فعل ذلك فإنه يذكر أنه يحتج للمعاني، لا للغة. (١)

وتتبع خطى الأوائل له ما يسوّغه، ذلك أنهم وضعوا الأصول، والأسس، وتركوا لمن جاء بعدهم الاجتهاد ضمن هذه الأصول، وحين يتناظرون لا يجدون غير ما ذكره النحاة الأوائل، حتى إنه لم يبق لهم إلا الحديث عن الأئيسة، والعلل التي لم يصل إليها شيوخهم، فأضافوا بعض الشواهد في استدلالهم مع المحافظة على ما نقلوه عن أسلافهم.

وقد سيطر على النحاة في بداية القرن الخامس الجمع، والمقابلة، والجدل في كل ما وجدوه أمامهم من تراث نحوي، ولم يفرز لنا ذلك الزمن شخصيات عظيمة كالخليل، وسيبويه، والفرّاء وابن جنبي وغيرهم من الأوائل. ولم يكن للمتأخرين كالزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، وابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ)، وأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، وابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)، وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)، والرضي (ت ٦٨٦ هـ) شخصية مستقلة، ونسبني منهم ابن مالك الذي رسم لنفسه شخصية نحوية حين اعتمد على الحديث النبوي الشريف، وجعله أحد المصادر الهامة في استدلاله النحوي. (٢)

ولن نقف عند هذه الشخصيات النحوية كلّها، بل سنكتفي بالحديث عن الزمخشري والرضي الأستراباذي لأنهما يمثلان هذه المرحلة.

(١) - انظر الاحتجاج للحلواني ١٢٤.

(٢) - انظر في أصول النحر للأفغاني ٤٦، وما بعدها.

* - أما الزمخشري فقد أخذ معظم شواهد وآرائه النحوية من الأوائل سواء أكانوا من البصريين أم الكوفيين، ويذكر أسماءهم في مناسبات كثيرة، وقليلاً ما يستدل بشاهد جديد في مسألة نحوية.

وقد نال سيبويه مكانة كبيرة عند الزمخشري نلمسها من خلال تقديره له، ولآرائه، من ذلك أنه أخذ برأي سيبويه في إعراب (صِبْغَةُ اللَّهِ) من قوله تعالى: **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** (١) حيث قال: «وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه، والقول ما قالت حذام» (٢)، ومنه أنه في كل مسألة خلافية يرى الحق مع صاحب الكتاب. (٣)

وقد أخذ الزمخشري كثيراً من شواهد الكتاب، وعزا بعضها إلى صاحب الكتاب، ومنها قوله:

بني أسدٍ هل تعلمون بلائفاً إذا كان يوماً ذا كواكبٍ أشنعاً (٤)

ومنها قوله: «وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول النهزلي:

ويأوي إلى نسوةٍ عطّلٍ وشعثاً مواضع مثل السعالي» (٥)

(١) - البقرة ١٣٨/٢، وصبغة، بكسر الصاد مصدر هيئة من صبغ، والمراد بها هنا (الدُّنْيَا)، وسقي صبغة لظهور أثره على معتقده. وهي منقول مطلق لفعل محذوف. إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش ١٩٦/١، دار الإرشاد بحمص ط ١٩٨٠.

(٢) - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٣١٥/١-٣١٦.

(٣) - انظر الأحاجي النحوية للزمخشري ٤٨ تج: مصطفى العدري، حماة، ١٩٦٩م.

(٤) - البيت لعمر بن شاس. الكتاب ٤٧/١، والكشاف للزمخشري ٤٠٤/١.

(٥) - للبيت روايتان، بنصب (شعثاً) ورفعها. والشاعر يصف صائداً يسمى لعباله فبمزبة من نساته في طلب الوحش، ثم يأوي إليهن. والمعطّل: جمع عطّل، وهي التي لا شيء لها، أو التي لا حلي لها، والشعث: جمع شعثاء وهي التي تفتقر شعرها وتلبّد لثلة تسده بالدهن. والمراضيع: جمع برضاع، وهي الكثيرة الإرضاع. والسعالي: جمع سعلالة وهي الفول ذلك أنه إذا كانت المرأة قبيحة الوجه سيئة الخلق شبهت بالسعلالة. والعرب يشبهون المعجّز، والخيل، وفرسانها بالسعلالة. انظر الكتاب ٣٩٩/١، ٦٦/٢، والكشاف للزمخشري ٤١٧/١.

وغير ذلك من المواضع (١). كما أهمل في مواضع كثيرة أخرى عزوها إلى صاحب الكتاب (٢)

لم يحافظ الزمخشري على منحج النحاة الذين سبقوه بالاستدلال بالشعر وفق القيود الزمانية التي وضعت ضمن أصول، وأسس محدثة، فقد خرج على منحج النحاة قبله باستدلاله ببيت أبي تمام:

هَمَّا أَظْلَمَّا حَالِيَّ نَمَّتْ أَجْلِيَا ظَلَامِيَهُمَا عَنِ وَجْهِ أَمْرَدٍ أَشْيَبِ (٣)

وعلل ذلك بقوله: «وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه» (٤) فهو يدرك مخالفته لأصول الاستدلال، وشروطه، ولكنه يدافع عن نفسه تجاه استدلاله بشعر أبي تمام.

ويستدل في مكان آخر بشطر من شعر أبي فراس الحمداني، هو:

تَعَالَىٰ أَقَاسِمُكَ الِهِمُومَ تَعَالِي

مشيراً إلى قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة (٥)

(١) - انظر الكشف للزمخشري ٥٠٤/٢ والمفصل (شرح ابن يعيش) ٨٠/١، ٦٥/٦، ٧٠/٩٦، والأحاجي النحوية للزمخشري

(٢) - انظر الكشف ١/٨٧، ٥٥٥، ٤٠٧، ٥٥٨، ١٦٨، ١٧٦، ٣٠٤، ١٠٠، ٢٩٨، والمفصل ١/٣٠٤، ١٠٣، ١٣٥، ٢/٩٥، وانظر

تلك الشواهد في فهرس الأشعار في الجزء الخامس من الكتاب.

(٣) - الكشف للزمخشري ١/٢٢٠.

(٤) - المصدر السابق ١/٢٢٠-٢٢١.

(٥) - انظر المصدر السابق ١/٥٣٦.

ولعلّه هو الذي فتح هذا الباب أمام النحاة بعده، لما كان له من المنزلة العلمية في حياته والشهرة المدوية بعد مماته. (١)

*- أما الرضي الأستراباذي صاحب شرح الكافية والشافية لابن الحاجب فقد سار على سنن القدماء كما فعل معاصروه، فاعتمد على كتب النحاة القدماء، وأكثر من ذكرهم، والإشارة إليهم، وهو على غرار المتأخرين من النحاة يستدلّ بشعر مَنْ لا يُستدلّ بشعرهم كأبي الطيّب المتنبي، من مثل قوله:

كَأَنَّ فَحْلَةَ لِمِ نَمَلًا مَوَاكِبَهَا دِهَانَ بَكْرٍ وَلِمِ تَخْلَعٌ وَلِمِ تَهَبِ (٢)

وقد جاء استدلاله بالشعر في شرح الكافية مثلاً في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، فقد استدللّ بستماتة، وأربعة أبيات، لم ينسب منها إلى أصحابها إلاّ ستة وعشرين بيتاً منها بيت المتنبي. (٣)

*- وخلاصة القول أنّ النحاة الأئمة الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني الهجريين بحثوا عن الشواهد الفصيحة سواء أكان ذلك متا سمعوه مباشرة من الأعراب الذين لم يخالطهم فساد، أم سمعوه من شيوخهم الثقات، وكان سيبويه على رأس هؤلاء دقة، وأمانة فكان كتابه سجلاً أميناً للمرحلة التي سبقته، وكان أثره واضحاً فيمن جاء بعده على مدى قرونٍ طويلة.

وبعد ذلك تأتي المرحلة التي عاشها نحاة القرنين الثالث والرابع الذين اعتمدوا على جهود السابقين، لاسيما شواهد سيبويه، وأضافوا إليها شواهد قليلة، لكنّ كلّ ذلك لم يسعفهم في إضافة

(١)- انظر الاحتجاج للعلواني ١٣١.

(٢)- ديوان المتنبي بشرح العكبري ٨٨١، مكة المكرمة ١٣٩٧هـ، وانظر خزانة الأدب للبغدادي ٤٤٧/٦، والرضي الأستراباذي لمصري ٩٩/١.

(٣)- انظر المصدر السابق ٩٩/١.

أصول جديدة؛ لأن أسلافهم سَدُّوا كلَّ ثغرة في بِنْيَانِ النحْوِ العَرَبِيِّ.
وفي المرحلة التي تلت ذلك لم تُضَفْ شواهد جديدة بشكل عام إلا ما ندر كاستدلالهم بشعر
أبي تمام، وأبي فراس، ولم يقدموا شيئاً جديداً باستثناء ابن مالك، وما أضافه من استدلال بالحديث
النبوي الشريف.

• الأمثال •

اكتسبت لغة الأمثال أهمية خاصة عند النحاة وجاءت في مرتبة قُدِّمَتْ فيها على لغة الحديث
الشريف. وكان سببويه أوَّل من سلط الضوء على الأمثال، لتكون مصدراً من مصادر الاستدلال لِمَا
ضمت في كتابه منها. وقد أخذ الاستدلال بالأمثال مظاهر متعددة عنده من خلال أكثر من أربعين
مثلاً جعلها شواهد في تناولاته النحوية؛ فهو يضع المثل بعد القرآن الكريم في بعض المواضع (١) وقد
يفعل العكس حين يقدم المثل على غيره من طرق الاستدلال (٢) وغير ذلك من أساليب في تلوين
الكلام على الأمثال.

وقد استخدم سببويه هذه الأمثال في أغراض نحوية، منها ما يتعلق باستدلاله لما خالف الأصول،
وهو الغالب، ومنها لما وافق الأصول. وقد تابع هذا المنهج النحاة الذين جاؤوا بعده، فالغراء يجيز
بعض الاستعمالات قياساً على الأمثال، ذلك لتماثلهما في التركيب كحديثه عن (عسى الغُورُ
أبُوساً) (٣).

(١) - انظر الكتاب ١/٢٨٢، ٢٩١/٢، ٣٩١/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠،

ولم يتفقد الفراء بالأمثال التي ذكرها سيبويه، بل أضاف أمثالا أخرى نحو: (محسنة فهيلي ١٨) و (شر ما ألباك إلى مَحَّةِ عرقوب) (٢) و (بعد إطلاع إيناس) (٣)، ولا دلالة لذلك إلا حرص الفراء على استنباط القواعد والأحكام من كلام العرب، والأمثال مرآة صادقة للسان العرب.

وفي القرن الثالث يتابع المبرد خطوات سيبويه، ويعول على الأمثال ويقس عليها، ويعلل بعض التراكييب؛ منها قياسه تركيب (حبة) و (ذا) وجعلهما اسماً واحداً للمذكر، والمؤنث، والمفرد والجمع على قولهم في الأمثال: (أَطْرِي فَإِنَّكَ نَاعِلَةٌ) (٤) و (الصيفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ ٥) للمفرد والجمع والمذكر

(١) - في مناسبة المثل أنه جاء ضيف إلى امرأة، ومعهُ جِرابٌ دقيق ، فأقبلت تأخذ من جرابه لنفسها، فلما أقبل أخذت من جرابها إلى جرابه. فقال: ماتصنعين ؟ قالت: أزيدك من دقيقي. قال: سُخِّنَتْ فَهيلي. أي ألقي. معاني القرآن للفراء ٤٠٢/٢، ولسان العرب (هبل)

(٢) - في لسان العرب عن الأصمعي: «وذلك أن العرقوب لامح فيه، وإنما يحوج إليه من لا يندر على شيء»، معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢.

(٣) - الاطلاع هنا: النظر . والإيناس الوجود واليقين . معاني القرآن للفراء ١٧٤/٢.

(٤) - في لسان العرب أن «هنا مثل يقال في جلادة الرجل، ومعناه أي اركب الأمر الشديد فإنك قوي عليه، وأصل هذا أن رجلاً قاله لرأية له كانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة، فقال لها: أطري، أي: خذي في أطرار الوادي وهي نواحيه، فإنك ناعلة. أي فإن عليك نعلين»، وأحسبه عنى بالنعلين غلط جلد قديسيها. معجم الأمثال للميداني ٤٣٠/١، وانظر لسان العرب (طرر).

(٥) - التاء من (ضَيَّعَتِ) مكسورة في كل حال إذا خوطب به المذكر والمؤنث والاثنتان والجمع، لأن المثل في الأصل خوطبت به امرأة، وهي دَخْنُوس بنت لقيط بن زُرارة كانت تحت عمرو بن عمرو بن هُدس، وكان شيخاً كبيراً ففَرَكْنَتْ (أي كرهت) فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه، وأجدبت فبعثت إلى عمرو تطلب منه خلوةً ، فقال عمرو (في الصيف ضَيَّعَتِ اللَّبَن) فلما رجع الرسول، وقال لها ما قال عمرو. ضربت يدها على منكب زوجها، وقالت: (هذا ومدقة خير) تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خير من عمرو، فذهبت كلمتها مثلاً. فالأول بضرب لمن يطلب شيئاً قد فوّتة على نفسه، والثاني بضرب لمن تقع باليسير إذا لم يجد الخطير. انظر معجم الأمثال للميداني ٦٨٢.

والمؤنث (١)، وتكلم على موضوعات نحوية متعددة، واستدل عليها بالأمثال المتداولة في لغة العرب (٢).

ويتابع ابن جني استدلاله بالأمثال على غرار أسلافه النحاة، فهو يكرر بعض الأمثال التي ذكرها سابقوه، نحو: (شَرُّ أهرَ ذَا ناب) (٣)، و (أُمَّتٌ فِي الحَجَرِ لَا فَيْك) (٤)، و (أطرقُ كرا) (٥) و (افتدٍ مختوقٌ) (٦)، و (أصبحَ ليلٌ) (٧). ويضيف أمثالا أخرى لم يوردها سيبويه في كتابه منها: (سرعان ذي إهالة) (٨)، و (أكذب من الأخبذ الصبحان) (٩)، و (أذلُّ من وتيدٍ بقاع) (١٠)

(١) - انظر المقتضب للمبرد ١٤٥/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ٢٥/٣، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ١٠٢/٤، وانظر مجمع الأمثال للميداني ١٦٢، ١٥٨/٢.

(٣) - أهره: حملة على الهرير، وهو صوت دون النباح. وذو ناب: الكلب هنا. بضرب في ظهور أمارات الشر ومخابله. انظر الكتاب ٣٢٩/١. والخصائص لابن جني ٣١٨-٣١٩، وانظر مجمع الأمثال للميداني ٣٧٠/١. ولسان العرب (هرز).

(٤) - الأمت: العروج. السيرافي: جملة سيبويه إخباراً محضاً، وقال المبرد: إنه خبر مراد به الدعاء، كأنهم قالوا: جعل الله في حجر أمنا لا فيك. الكتاب ٣٢٩/١. والخصائص لابن جني ٣١٧-٣١٩، وانظر لسان العرب (أمت).

(٥) - الكتاب ٢٣١/٢، ٦١٧/٣.

(٦) - المصدر السابق ٢٣١/٢.

(٧) - المصدر السابق ٢٣١/٢.

(٨) - المعروف في المثال (سرعان ذا إهالة)، والإهالة: الشعم المذاب، وفي القاموس: «فأصله أن رجلاً كانت له نعجة عجفاء، ورغاسها يسيل من سنخريها لهنزها، فقيل له: ما هذا؟ فقال: ودكها (أي دسمها) فقال السائل ذلك يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته» انظر الخصائص لابن جني (حاشية) ٣٩٣.

(٩) - المحتسب لابن جني ١٣٨/١. الأخيذ: المأخوذ، والمصباحان: المصطبح، وهو الذي شرب الصبرج، والمرأة صنبغي؛ وأصله أن رجلاً خرج من حبه، وقد اصطبح، فلقبه جيش يريدون قومه، فأخذوه وسألوه عن الحي، فقال: إننا بنتٌ في القفر، ولا عهد لي بقومي، فبينما هم يتنازرون إذ غلبه البول، فبال، فعلموا أنه قد اصطبح، ولولا ذلك لم يبيل؛ فطعنه واحد منهم في بطنه فبدره اللبن، فمضوا غير بعيدٍ فعشروا على الحي. انظر مجمع الأمثال للميداني ١٦٦/٢.

(١٠) - لأنه يُدقُّ أبداً. الخصائص ٨١/١، ومجمع الأمثال للميداني ٢٨٣/١.

وهكذا فقد تابع النحاة المتأخرون باستدلالهم ما كان عليه أسلافهم واضميين للأمثال أهمية دون الشعر، والقرآن. وقد لوحظ أن الأمثال تتكرر جيلاً بعد جيل مع إضافات جديدة، واختلاف في الرواية، فكُتِبَ النحو تأخذ بروايةٍ مثل أخذت به كتب اللغة مع اختلاف روايته، ولهذا الخلاف سبب يعود إلى أن النحاة يأخذون بالرواية التي تخدم غرضهم النحوي دون ترجيح رواية على رواية أخرى، أما اهتمام اللغويين فينصب على الألفاظ ومعانيها. إضافة إلى ذلك، فإن النحاة يدركون أن المثل المروي عن عربي فصيح يجب الوثوق بدقته، وإن تعددت رواياته ما دام الرواة من العرب الفصحاء.

أما قلة الاستدلال بالأمثال قياساً على الشعر، والقرآن، فيعود إلى أن الشعر والقرآن أكثر ثباتاً وأقل عرضة للتبدل والتغيير. الأول لما يحويه من وزن، وقافية يحميه إلى حد ما من التغيير، والثاني لما فيه من قدسية؛ قال تعالى: **إِنَّا نَحْنُ قَوْلُنَا الضَّكْوَرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَاقِظُونَ** (١). أما المثل فهو لسان حال العربي ببساطة تركيبه، وجمال تعبيره، واختصار مفرداته، وصلاحه ليخدم المعنى في أكثر من مناسبة، وهو يدفع بالعربي لتبديل بعض مفرداته ليستخدمها في المقام الذي هو فيه، لا يمتنع من تغيير مفرداته وزن، ولا قافية، ولا يخشى فيه تبديلاً.

• لغة التخاطب •

يعد كتاب سيبويه نهاية مرحلة التأسيس في البناء النحوي، فقد ارتسمت فيه ملامح النحو وأصوله بما فيه من قواعد، وطرق استدلال على هذه القواعد، فكان أثره بالفاً جداً في النحاة الذين جاؤوا بعده على مرّ العصور.

ويأتي استدلال سيبويه بلغة التخاطب من مصدرين أولهما: من لقائه الأعراب في البصرة، وسماعه منهم. وثانيهما: من أخذه عن شيوخه. وهذا ما جعله يرسخ أصوله النحوية بشكل قوي، حتى أضحى اعتماده لغة التخاطب في الاستدلال يأتي في مرتبة هامة بعد لغة الشعر، والقرآن الكريم.

ولانستطيع أن نقول: إنّ الفراء قد تأثر بسيبويه في استدلاله بلغة التخاطب، لأنّ من البدهي أن يعرف النحوي كلّ نحويّ مما حوله إذا اطمان إلى صحته وسلامته، لذلك رأينا اهتمام الفراء بلغة أعراب البادية واضحاً في نحوه، فقد لازم الفصحاء، وعنى بكلامهم، واستنبط الأحكام منها، وقد اعتمد على أعرابٍ معيّنين كأبي ثروان العكلي، وأبي الجراح، وأبي زياد الكلابي، والفقعسي، وأبي السيثم العقبلي، وكان اهتمامه بكلامهم كبيراً (١)، وفي مواضع كثيرة أيضاً استدلاله بكلام الأعراب من غير إشارة إلى أسمائهم. (٢)

ويبلغ اهتمام الفراء بلغة البادية درجة تضاهي اهتمامه بالشعر والقرآن الكريم، وهو ما لمسناه عند سيبويه أيضاً، فمن خلال استدلالهما بلغة التخاطب كانا ينفذان إلى لغات القبائل فيسميانها

(١) - انظر معاني القرآن للفراء ١/٩٠٦، ٢/٢١٢، ٣/٣٩٨، ٤/٣٦٣، ٥/١٣٩.

(٢) - انظر المصدر السابق: ١/٣٣، ٢/١٥٢، ٣/١٥٢، ٤/١٥٢، ٥/٣٩٨.

فمنهج الفراء هو منهج سيبويه لكنه ليس من باب التأثر بلغة التخاطب ذاتها، لأنّ الفراء لم يستعن بأمثلة سيبويه بل كان يأخذ من الأعراب مباشرة، متن يعيشون حوله إضافة إلى رواية شيوخه، لاسيما الكسائي.

أما الأخفش فقد كانت عنايته بلغة التخاطب عند العرب كبيرة كعناية سيبويه، فقد اعتمد على مشافهته للأعراب، وعلى رواية شيوخه، فمن اعتماده على المشافهة نقل لنا كثيراً من اللهجات والوجوه التي سار عليها العرب في سلفيتهم (٢)، ومن أخذه عن طريق شيوخه، وكبار الرواة نقله عن يونس، وأبي عبيدة، وغيرهما (٣) من الأعلام، حتى غدا كتابه مليئاً بالرواية عن العرب.

وقد أفاد الأخفش من لغات العرب كثيراً فرصد منها (الهمزة) ونطق العرب لها بين إثبات وقلب وتخفيف (٤)، وكذلك الأفعال المجردة، والأفعال المزيدة، واستعمالاتها عند العرب (٥) ومنها

(١) - ذكر الفراء لغات لقريش، وربيعة، وطئى، وأسد، وعامر، وقضاع، وعقيل، ونمير، وسليم، وهوازن، وعلياً قيس، وباهلة، وهذيل، وتميم، وكنانة، واليمن، غير أنّ لغة أسد عنده ائيرة مفضلة، فهو إلى جانب إكثاره منها نجده يطلق عليها نعت الفصاحة، كقوله عن بني دبير: «وهم من فصحاء بني أسد». انظر معاني القرآن للفراء ٣١١/٢. وانظر الاحتجاج للحلواني ١٥٦.

(٢) - انظر معاني القرآن للأخفش ١٢٢.٩٣.٧٦/١ - ١٢٤.١٢٣.١٤٠.

(٣) - انظر المصدر السابق ١٢٣/١ - ١٢٤. ١٨٦.١٥٢.

(٤) - كقولهم في إيتاك، وإيه، وأرقتك، وإسرائيل: هيتاك، وهيه، وهزنتك، وإسرائيل. وكذلك قولهم في جبرائيل، وتوضاً، وأرجأ، وأخطأ: جبرائيل، وتوضتت، وأرجئت، وأخطيت. وغير ذلك. انظر معاني القرآن للأخفش ١٤٠.٧٣.١٦٧/١ - ٣٠٨/٢.

(٥) - تكلم الأخفش على لغات العرب في بمرش، ونبطش، وبحشيز، ومكف، وبنقر، وحزنته وأحزنته واستطاع يستطع، واستطاع بسطع، واستطاع، واستطاع بسطع. انظر معاني القرآن للأخفش ٢٥٨.٩٠/١ - ٣٩٩.٣٠٩/٢.

تذكير بعض الألفاظ وتأنيسها عند العرب (١)

وفي مواضع أخرى نرى أن الأخفش لا يشير إلى مصدره في نقل لغة العرب، وكلاهما في ذلك يوحى باطمئنانه إلى المروري من كلامهم؛ لكنه يشير إلى قبائل العرب ولغاتهم، فقد ذكر بني تميم (٢)، وبلعنبر (٣)، وبني الحارث بن كعب (بلحارث) (٤) وبني أمد (٥)، وأزد السراة (٦)، وبكر بن وائل (٧)، وبني قشير (٨)، وقيسا (٩)، ولم يكتف الأخفش بذلك، بل نراه يشير إلى لغة منطقة من المناطق كلفة أهل الحجاز (١٠)، وأهل المدينة (١١)، وأهل البصرة، وأهل الكوفة (١٢)، واليمن (١٣). ولم تكن القبائل التي أشار إليها الأخفش في مستوى واحد من الفصاحة فهو كثيراً ما كان يشير إلى

(١) - تكلم الأخفش على التذكير والتأنيس في الصواع، والإنجيل، والعصا، والطريق، والسبيل، والزقاق، والسوق، والكلاء.

(المرفأ). انظر معاني القرآن للأخفش ١/١٧، ١٨٠، ٢٥٩، ٣٦٧/٢.

(٢) - انظر المصدر السابق ١/١٦، ١٧، ٢٦، ٥٢، ٩٠، ١٢٠، ١٧٦، ٢٧٦/٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٨، ٣٢١، ٣٧٩، ٥٥١، ٥٥٢.

(٣) - انظر المصدر السابق ١/١١٨، ١٢٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ١/١١٣، ٤٠٨.

(٥) - انظر المصدر السابق ١/١٧.

(٦) - انظر المصدر السابق ١/٢٧، ٢٦.

(٧) - انظر المصدر السابق ١/٢٨.

(٨) - انظر المصدر السابق ١/١٨٠.

(٩) - انظر المصدر السابق ٢/٢٨٠، ٢٩٨، ٥٢٦.

(١٠) - انظر معاني القرآن للأخفش ١/١٧، ٣٩، ٥٢، ٧٢، ٩٠، ٩٨، ١٧١، ٢٧٦/٢، ٣٢٥، ٣٨١، ٤٥٦، ٥٣٢، ٥٥٢.

(١١) - انظر المصدر السابق ١/٤٤، ٢٥٨، ٢٩٢/٢.

(١٢) - انظر المصدر السابق ١/٤٤، ٥٢٦/٢.

(١٣) - انظر المصدر السابق ١/٢٩.

فصاحة لفة أو قبحها. (١) وهذا المنهج الذي اتبعه الأخفش يماثل منهج سيبويه، وغيره من النحاة الأوائل.

وكذلك المبرد لم يكن بعيداً عن نهج سيبويه فقد اعتمد على مصدرين أولهما: اعتماده على الأعراب، والثاني اعتماده على رواية الشيوخ.

فقد أكثر المبرد من الاعتماد على أعرابي واحد تقريباً، وهو عمارة بن عقيل (٢)، فقد وثق بفصاحته، ونقل عنه، وبنى على ذلك بعض الأحكام؛ منها ما جاء في كتاب الكامل: «قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

مررتُ بالديار ولم تعوجوا

فذلك يدلُّ على أن الرواية مغيّرة» (٣)، فالمبرد يصحح رواية شاهدٍ نحويٍّ معروفٍ مستدلاً بقراءته على عمارة بن عقيل. وفي مكان آخر يصحح ضبط كلمة من كلمات اللغة معتمداً على إنشاد عمارة بن عقيل له، يقول المبرد: «ولا خلّلتُ حَبِوتِي إلى مايقوم إلى الناس، تَكْسُرُ الحاء، وتضمُّها إذا أردت الاسم، وتفتحها إذا أردت المصدر، أنشدني عمارة بن عقيل لجرير:

قَتَلَ الزَّبِيرُ وَأَنْتَ قَاعِدُ حَبِوةٍ قَبْحاً لِحَبِوتِكَ الَّتِي لَمْ تُحَلِّلِ (٤)

وقد يجيز وجهاً معتمداً على ما سمعه من الأعراب، من ذلك قوله: «سمعت عمارة بن عقيل يقرأ: ولا الليلَ سابقَ النهارِ، وكلُّ ي قَلَّلِ يَسْبِجُونَ (٥) فقلتُ: ما تريد، فقال: سابقُ النهارِ» (٦) فقد

(١) - انظر معاني القرآن للأخفش ١/٢٨٠، ٢٨١؛

(٢) - انظر الاحتجاج للحلواني ١٥٩.

(٣) - الكامل للمبرد ٣٤، نج: شاکر والمبارک، القاهرة بلا تاريخ.

(٤) - المصدر السابق ١١٢، وانظر ١٩٠.

(٥) - يس ٣٦، ٤٠.

(٦) - الكامل للمبرد ٢١٦، وانظر الخصائص لابن جني ١/١٢٥.

أشار إلى حذف التنوين قبل أداة التعريف، ولم يرفضه وفضل عليه وجهاً آخر (١).

وقد اعتمد المبرد على لغة الأعراب في رده على سيبويه، وإنكاره لبعض ما جاء في كتابه (٢). وقد اعتمد المبرد كذلك على رواية الشيوخ، وما نقلوه عن الأصمعي؛ من ذلك قوله: «ومتا يؤكد ذلك السماع قولُ الأصمعيّ - فيما حدّث به علماؤنا-: إنّ أعرابياً سمع خلف الأحمر، فقال بالأحمر، إنّ عندك لأشأوى، فقلب الياء واوا (٣)، وأخرجه سُخْرَجُ صحراءَ وصحارى» (٤) ومنه اعتماده على رواية أبي زيد في إنزال (ما) منزلة (مَن)، واستعمالها لِمَنْ يعقل. (٥)

والموضح مقاً مرّ أن المبرد قد سار على هدي سيبويه، والغراء، والأخفش، ونهج نهجهم في اعتماده رواية البداية، وكذلك رواية الشيوخ، لكنّ المبرد أضاف لمسةً خاصة لهذا النهج وهي اعتماده على رواية عمارة بن عقيل، ولغته بشكل كبير.

(١)- انظر توجيه النحاة للقرات الشاذة للصنبر ٨٦.

(٢)- من ذلك أن سيبويه يرى أن (فقال) صيغة نسبة لا تحتاج إلى الياء، نحو: ثواب، وقاتل لصاحب الثياب والجمال، ثم قال: «وليس في كل شيء من هنا قبل هذا، إلا ترى أنك لا تقول لصاحب البئر: بئر، ولا لصاحب الفاكهة: فاكهة»، الكتاب ٣٨١/٣-٣٨٢. ورد المبرد على سيبويه بقوله: «وكل من رأيناه متن ترضى صريته يقول لصاحب البئر بئر، حتى صار لكثرة استعماله لا يحتاج فيه إلى حجة من شعر، ولا غيره»، انظر المقنضب للمبرد (حاشية) ١٦١/٣-١٦٢ وفيه ردّ ابن ولاد على المبرد وانتصاره لسيبويه.

(٣)- أشأوى هي أشياء وأصلها أشأى بثلاث ياءات: الياء الأولى عين الكلمة، والثانية بدل من الألف، والثالثة بدل من الهمزة، حذبت الياء الأولى المشددة للتخفيف، ثم قلبت الكسرة فتحة، والياء ألفاً فصار الجمع أشأيا على وزن لفاهى، ثم قلبت الياء واواً شفوذاً لصار أشأوى. انظر الإنصاف المسألة ١١٨ ص ٨١٦-٨١٧، وشرح المفصل ١١٧/٩.

(٤)- المصدر السابق ٣١/١.

(٥)- انظر المصدر السابق ١٨٥/٤.

ومع نهاية القرن الرابع بدأ النحاة يشكّون في فصاحة الأعراب، وسلامة لسانهم بعدما اختلطوا، وفسدت سليقتهم، وقد عبّر ابن جنّي عن ذلك في حديثه عن زيادة النون في (عَنْبِر) بقوله: «فكذلك يجوز أن يرد دليل يقطع به على نون (عَنْبِر) في الزيادة، وإن كان ذلك كالمتعذر الآن لعدم المسروع من الثقة، المأنوس بلفته وقوة طبيعته» (١) فإذا تعدّر وجود الثقة في المسروع لكثته ليس مستحيلاً، فقد ظلّ بعض النحاة، واللغويين على صلة وثيقة بالبادية، وأهلها، وعدّوا كلامهم مصدراً من مصادرهم في التأليف (٢) وفاخر بعضهم بفصاحته لأثّه وُلِدَ في البادية. (٣)

ومن هذا الدافع اعتمد ابن جنّي على لغة أعرابي من عقيل هو الشجري محمد بن العتاف (٤) وبنى الأحكام، والقواعد على ما سمعه منه (٥) كما عزّل على رواية أهل النحو واللفظة، كالأصمعي (ت ٢١٦هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦هـ)، وأبي زيد (ت ٢١٥هـ). (٦)

(١) - الخصائص لابن جنّي ٣/٦٦، وقد عبّر أبو علي الفارسي عن ذلك بقوله واصفاً الأعراب آنذاك: «ليست لهم أصول يراجمونها، ولا قوانين يمتصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربّما استهواهم الشيء فزاعوا به عن القصد» ٣/٢٧٣.

(٢) - منهم الأزهري (ت ٣٧٠هـ) صاحب كتاب تهذيب اللغة، الذي جعل الأعراب أرفع مكانة في فصاحتهم من بطون الكتب القديمة، ومنهم الهمداني (ت ٣٣٤هـ) الذي جعل لغة الحجاز، ونجد السفلى، فلى الشام، وديار مصر وربيعة فصيحة إلا لغة الذين عاشوا في المدن. انظر مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ٦ نوح: هارون القاهرة ١٩٦٤م، وانظر العربية لبوهان فك ١٥٩، ترجمة النجار، القاهرة ١٩٥١م.

(٣) - انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢/١٢٨، ١٢٤.

(٤) - هو أبو عبد الله محمد بن العتاف العُقَيْلِيُّ التَّمِيمِي، وذكره ابن جنّي باسم أبي عبد الله الشجري. قال فيه: «وقلما رأيتُ بدويًا أفصح منه»، ولا تعرف سنة وفاته. مقدمة الخصائص ١٥١-١٦.

(٥) - انظر الخصائص لابن جنّي ١/٣٣٨، ٢/٢٦٠، ٣/٢٨٠.

(٦) - توفي ابن جنّي عام ٣٩٢هـ وعاش ٦٥ عاماً تقريباً أي أنه لم يدرك قطرباً، وأبازيد، والأصمعي، وبناء على ذلك فإن الرواية عنهم لم تكن شفاهة، وقوله: «أنشدنا الأصمعي بقصد به، أنشدنا في كتابه، وكانه خطاب لنا. انظر الخصائص ١/١٣٦، ١٣٧، والمعتصم لابن جنّي ١/٥٦، ٥٥.

نلاحظ من ذلك أنه في هذه المرحلة ١ أي في القرن الرابع الهجري بدأ التصريح بضعف لغة الأعراب لاختلاطهم بالأعاجم إلا القليل منهم، على عكس ما عُرِفَ عن نحاة القرنين الأول، والثاني الذين جعلوا لغة البادية أصلاً يبنون عليه من غير تردد أو شك.

ويعد ذلك تضاملاً اعتماد النحاة على الأعراب تضاملاً كبيراً، لأن لغتهم خالطتها لغة الأعاجم، فلم يكن للنحاة آنذاك بدءاً من الاعتماد على القرآن، والشعر، لأنهما مدوتان أما لغة التخاطب فلم تكن مدونة إلا ما سجله النحاة الأوائل منها، لذلك فإن النحاة حافظوا على ما وصلهم من أسلافهم، وما دوتوه من لغة التخاطب.

ومع القرنين الخامس والسادس تكون قد انتهت عصور المشافهة، ولم يذكر أحدٌ من نحاة تلك الفترة أنه نقل لغة عن أعرابي، أو بنى حكماً على حديثه إلا ما ندر، فالزمخشري مثلاً يذكر أنه سمع أعرابية، وقال في تفسيره لقوله تعالى: **وَجَوْهًا يُوتِظِرُّ نَاطِرَةً * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً (١)**: «وسمعتُ سَرَوِيَّةً مستجدية بمكة وقت الظهر، حين يفلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقابلهم، تقول: عَيَّنْتِي نُوتِظِرَّةً إِلَى اللَّهِ وَالْيَكْمِ» (٢) كما أشار إلى أن بعض البدويات أنشدته :

عَرِيضُ الْقَفَا مِيزَانُهُ فِي شِمَالِهِ قَدْ انْحَصَّ مِنْ حَسَبِ الْقَرَارِيطِ شَارِفُهُ (٣)

وكان استبداله في المثالين السابقين من كلام البادية، لكنّه لم يكن لأمر نحوي، أو لغوي كما كان الحال عند أسلافه بل كان لأمر يتعلق بالمعنى، وما فيه من مجاز.

(١) - الفباة ٢٢/٧٥-٢٣.

(٢) - الكشاف للزمخشري ١٩٢/٤.

(٣) - المصدر السابق ٣٣٩/١، وقد استدل بالبيت على معنى البلاهة والنغلة بقوله: **عريض القفا**.

هذه حال النحاة بصريين، وكوفيين، فقد اعتمدوا على لغة الأعراب الذين كانوا يشافهونهم، وعلى رواية الشيوخ، وقد رأينا ذلك عند سيبويه، والفرّاء، والأخفش، ورأينا اهتمامهم بذكر القبائل والأمصار.

وفي القرن الثالث تابع النحاة نهج أسلافهم، واعتمدوا على الأعراب، والشيوخ على حدّ سواء، وأهتم المبرّذ بأعرابي واحد وثق بفصاحته ونقل عنه، وبنى على كلامه أحكاماً.

وفي القرون التالية بدأ الشكّ في فصاحة الأعراب بعدما فشا الضعف في لسانهم، وقد عبّر عن ذلك نحاة تلك الفترة كابن جنّي، ثم جاء الزمخشري حيث ندر أخذه عن الأعراب، وإن ظهرت إشارته للغة البادية، فهي لأمر بلاغية تتصل بالمعنى، ولا علاقة لها بالنحو واللغة.

الفصل الثاني

الاستدلال بغير النصوص

- السماع والقياس
- المدرسة البصرية وأتباعها
- المدرسة الكوفية وأتباعها

• السماع والقياس •

لم تكن مذاهب النحاة في الاعتماد على السماع، والقياس حتى وفاة سيبويه واحدة، كما لا يمكننا أن نصف أحد النحاة بأنه اعتمد على السماع، ولم يعتمد على القياس، أو اعتمد على القياس ولم يعتمد على السماع، لكننا نستطيع أن نقول في هذه الفترة: إن الحضرمي، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد اعتمدوا على القياس، ولم يهملوا السماع، ولم يجافوه، وإن أبا عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب اعتمدا على السماع ولم يهملوا القياس، ولم يجافياه. أما سيبويه فقد أفاد من السماع والقياس على حدٍ سواء وجمع بينهما بكلّ دقة وعمق.

ومن جهة أخرى كان الكسائي (ت ١٨٩هـ) يرسم ملامح المذهب النحوي الكوفي الذي اعتمد على الاتساع في الرواية من أشعار، وأقوال، وقرامات شاذة، والاتساع في القياس بحيث يعتدّ في قواعد النحو بالشاذ، والقليل، والنادر (١).

لذلك تداخل السماع، والقياس في مناهج النحاة، لاسيما المتقدمون منهم، وكلما مرّت السنون نأى النحاة بأنفسهم عن السماع، وأخذوا بالقياس منهجاً لهم، وهذا ما سيجعلنا نتنتج المنهجين عند أبرز أنصارهما انطلاقاً من دراسة كلّ مذهب على حدة، لأن نحاة البصرة، وإن اعتمدوا القياس بشكل عام فقد اهتموا بالسماع أيضاً، وكذلك نحاة الكوفة فإنهم لم يهملوا القياس على الرغم من اهتمامهم بالسماع أكثر.

(١) - انظر المدراس النحوية لشوقي صيف ١٩٥.

وينبغي أن يستقرّ في الأذهان أنّ المدرسة الكوفية لاتباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو، فقد بنّت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلّت إلى اليوم راسخة في النحو العربي، غير أنّها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشقّ لنفسها مذهباً نحويّاً جديداً، له طابعه وله أسسه ومبادئه (١)

• المدرسة البصرية وأتباعها •

نهج سييويه شيخ المدرسة البصرية منهج الفطرة، والطبع الأصيل في تناولاته النحوية، ودرس الأمثلة المستمدة من القرآن الكريم، والشعر، وكلام العرب واستنبط ما فيها من أساليب الكلام؛ ليكشف أبعادها بمعايير الصحة والخطأ، أو الحسن والقبح، أو الكثرة والقلّة، وهو بشكل عام يقدم المادة النحوية الأولى بعناصرها الأولية، ولا ينقصها إلا استخلاص الضوابط، واستنباط الأصول، فيجمعها ويصنّفها، ثم يعرضها جملة أو أحاداً، ويحلّل التراكيب فيها، ويؤوّل الألفاظ، ويقدّر المحذوف، ويستخلص المعنى المراد (٢).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يتطور السماع عند النحاة، بل توقف عند حدود معينة أخذ فيها النحاة من الأعراب حاجتهم، وقعدوا اللفّة على ما سمعوه، وساعد على هذا التوقف قلّة الثقة بالأعراب بعدما اختلط بالأعاجم، ولم يعد يوثق بلغة الأعراب إلا قليلاً منهم.

وبالمقابل تقدّم القياسُ بشكل ملحوظ عند النحاة، لاسيما المتأخرون منهم، وعلى ذلك لم يبق أمام النحاة إلا الاعتماد على سماع من سبقهم، على تفاوت بينهم على مبدأ ما قيس على كلام العرب فهو

(١) - انظر المدارس النحوية لشرقي صيف ١٥٨.

(٢) - انظر سييويه إمام النحاة لناصر ١٦٣-١٦٦.

لما مات سيبويه قرئ كتابه على أبي الحسن الأخفش إذ لا يعلم أن أحدا قرأه على سيبويه، ولا قرأه سيبويه على أحد (٢)، ومن الطبيعي أن يتأثر الأخفش بالكتاب، ويفيد منه ويبصر في تفتيق موضوعات، ومسائل منه بما كان عليه من علم بالكلام وحذق بالجدل؛ قال الأخفش: «كان سيبويه إذ وضع شيئاً من كتابه عرضة عليّ وهو يرى أنني أعلم به منه، وكان أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه.» (٣)

وصحيح أن الأخفش تأثر بسيبويه، لكن ذلك لا يعني أنه أخذ بآرائه كلها من دون مناقشة، بل شرح الكتاب، وخالف سيبويه في كثير من الآراء النحوية؛ قال الكسائي: «لم يكن في القوم - يعني البصريين - أعلم من الأخفش، نبهتهم على عوار الكتاب وتركهم» (٣). وهو الذي فتح أبواب الخلاف على سيبويه، وساعد في نشوء مدرسة الكوفة النحوية بعد أن حملوا مخالفات الأخفش لسيبويه ومضوا يتسعون فيها.

والواقع أنه إذا كان الأخفش قد ساعد في نشوء مدرسة الكوفة - كما قال الكسائي، وتابعه بعض المحدثين - فإن في ذلك بعض المبالغة؛ لأنّ الخلاف بينهما خلاف قد يحصل بين كثير من النحاة في كل عصر، ثم إنّ هذه الخلافات كانت في أمور النحو الفرعية، لا الأصلية ذلك أنّ قواعد النحو وأصوله الأساسية تمت على يد سيبويه التي أخذها عن شيخه الخليل، أي قبل وفاة الأخفش بأكثر من ربع قرن.

(١) - القول لأبي عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ) انظر الخصائص لابن جني ١/٣٥٧، ٢/٢٥٠.

(٢) - انظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٦٦ نج: محمد إبراهيم البنا ط ١٩٨٥م.

(٣) - مراتب النحويين لأبي الطيب اللفوي ٦٨، ٦٩.

ولاشك أنّ الأخفش لم يخرج كلياً على مدرسة البصرة، ولم يشدّ عن القواعد الأساسية التي أقامها سيبويه، ومن قبله الخليلُ سوى تفسيرات، واجتهادات بسيطة دَفَعَتْهُ إليها طبيعة هذا العلم الذي وضعه أناس يقبلون المناقشة، والأخذ والرد، والأخفش من أكابر علماء النحو في عصره، وهو يرفض التقليد، والمتابعة، بل يدرس، ويمحص حتى يقتنع، وإلّا فله اجتهاد آخر. (١)

وإذا كان الأخفش قد خالف مدرسته في بعض الآراء فإنّ معظم آرائه وافقت مدرسته البصرية وزعيمها سيبويه؛ من ذلك ما قاله سيبويه: «مما جرى نعتاً على غير وجه الكلام (هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ، فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأصحهم. وهو القياس لأنّ الخربَ نعت الجحر، والجحر رفع، ولكن بعض العرب يجره وليس بنعتٍ للضبِّ، ولكنه نعتٌ للذي أضيف إلى الضبِّ، فجرّوه لأنه نكرة كالضبِّ، ولأنه في موضعٍ يقع فيه نعتُ الضبِّ، ولأنه صار هو والضبُّ، بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنّك تقول: (هذا حبٌّ رتان، فإذا كان لك قلت: هذا حبٌّ رتاني، فأضفتَ الرتانَ إليك، وليس لك الرتانُ إنما لك الحبُّ)» (٢) وما قاله الأخفش جاء مرافقاً فيه سيبويه: «ويقولون: هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ، والخربُ هو الجُحْرُ. ويقولون: هذا حبٌّ رتاني، فيضيف الرتانَ إليه، وإنما له الحبُّ وهذا في الكلام كثير.» (٣)، والأمثلة كثيرة متنوعة (٤)

(١) - انظر منهج الأخفش في إعراب القرآن لصفوة البرازي ٤٧١.

(٢) - الكتاب ٤٣٦/١.

(٣) - معاني القرآن للأخفش ٧٥/١.

(٤) - انظر الكتاب ٩٠/١، ١٤٣/١، ١٨٠/١-١٨١/١، ٢١٢/١، ٢٨٣-٢٨٢/١، ٣٨٦/١، ١٢٧/٢، ١٤٠/٢، ٢٨٣/٣، ٣٩٩/٣، ٤٠٠/٣.

١١٧/٣-١١٩، وانظر بالترتيب معاني القرآن للأخفش ٨٠/١، ٣٧٤/٢، ٢٤٨/١، ٤٨-٤٧/١، ٢٤٩/١، ٨٨/١، ٩١/١،

٣٥٩/٢، ٥٨-٥٩/١، ٦٦/١، ٨٩-٨٨/١.

أما ما خالف الأخفش فيه سيبويه فلم يكن بقدر ما وافقه فيه سواء أكان ذلك من جهة الكثرة، أم الأهمية. من ذلك رأيهما في (علّ) قال المرادي: (للتعليل)، هذا معنى أثبتته الكسائي، والأخفش، وحنلاً على ذلك ما في القرآن من نحو: **لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ (١)** و**لَعَلَّكُمْ تَحْقُقُونَ (٢)** أي: لِتَشْكُرُوا لِتَهْتَدُوا(٣). وقال الأخفش: **لَعَلَّه يَعْدُكُوا(٤)**، ونحو قول الرجل لصاحبه: افرغ لعلنا نتفدى؛ والمعنى لنتفدى، وحتى نتفدى، ويقول الرجل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، أي لتأخذه (٥). وذكر سيبويه أنّ (علّ) طمع وإشفاق (٦). وغير ذلك من الأمثلة (٧).

لقد كان لأراء الأخفش، وابتعاده عن سيبويه حيناً وأخذه بأرائه أحياناً أخرى أثرٌ في الصورة التي كوَّنها حوله النقاد، فجعلوه بعيداً عن مدرسته البصرية، وموسساً لمدرسة الكوفة، أو بالأحرى مساعداً في بنائها. (٨) لكننا نرى أن الصواب لا يتعدى وجهة نظر محدّدة يملكها الأخفش، وهي مخالفة لما عند سيبويه، وهي ليست في أمور جوهرية متعلّقة ببنية القواعد النحوية بل في فروع،

(١)- البقرة ٥٢/٢، وغيرها من المواضع. انظر المعجم المفهرس لعبد الباقي (تشكرون).

(٢)- البقرة ١٥٠/٥٣، وغيرها من المواضع.

(٣)- انظر الجنى الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم المرادي ٥٢٧-٥٢٨ تج: طه محسن، العراق ١٩٧٦.

(٤)- طه ٤٤/٢٠.

(٥)- انظر معاني القرآن للأخفش ٤٠٧/٢.

(٦)- انظر الكتاب ٢٣٣/٤.

(٧)- انظر في ذلك الكتاب ٤١/٢، ١٠٣/٣، ٢٢٥/٤، وانظر بالترتيب معاني القرآن للأخفش ٤١٠/٢، ١٢٥/١، ٩٨-٩٩.

(٨)- ذكر محمد خير العلواني صاحب (الاحتجاج) أنّ الأخفش «أحياناً يبني الأصول على غير مسموع، ولكنه يحكم القياس وحده، وهذا مخالف لما رأينا من آرائه الأولى». وفي هذا القول ما يدل على أنه غير مقيد بمنهج محدّد. انظر

وتلاميذهم لتابعة بعضهم بعضاً، فكان أن تسقط بعض علماء الكوفة الذين درسوا في البصرة آنذاك بعض الخلافات بين علماء البصرة أنفسهم، وأخذوا يبنون عليها أحكاماً فاقت الخلافات الأصلية بكثير من المبالغة التي ساعدت على تاجيح الخلاف.

ثم يأتي المازني أبو عثمان (ت ٢٤٩هـ) الذي لم يكن خارج حدود بصريته، فقد كان مهتماً بالقياس كما هو الحال عند البصريين، ولكن ذلك لا يمنعه من الأخذ بالسماع إذا تعارضاً؛ من ذلك أنه سمع قول الشاعر:

وأنا الذي قتلته بكراً في الوعى وتوكت تغلب غير ذات سنام

ورأى فيه العائد من الصلة يعود إلى (أنا)، لا إلى (الذي)، وهو مخالف للشائع المعروف، فأجازه، وقال: «لو لم أسمعه لم أجزه» (١)، وفي مكان آخر يقول في (استحوذ، وأغيلت) «فلنا لم نسمعها معتكئين في اللغة، ورب حرف هكذا، فاحفظ ما جاء من هذا، ولا تُقسنه» (٢)

أما المبرد فقد تمسك بالقياس تمسكاً شديداً، فاق فيه الحضرمي، والخليل، وطالب بعدم الالتفات إلى الشواذ، والنوادر، فقال: «القياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة» (٣)، وقال أيضاً: «إذا جعلت النوادر والشواذ غرضك، واعتمدت عليها في مقاييسك كثرت لآلتك» (٤) فهو يخطئ العرب، وينكر روايات لسيبويه شععت من الفصحاء كقول النمر بن تولب:

(١) - شرح الفصح لابن جنى لابن الدهان، اللوحة ١٩٨، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب في جامعة بغداد، نقلاً عن الاحتجاج للحلواني ٣٠٠.

(٢) - المنصف في شرح التصريف لابن جنى ٢٧٦/١.

(٣) - الكامل للمبرد ١٨٥/١.

(٤) - الأشباه والنظائر للسيوطي ٤٩/٣، حيدر أباد الطبعة الثانية.

وَبَوْمٌ نُسَاءٌ وَبَوْمٌ نُسَرٌّ (١)

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَبَوْمٌ لَنَا

وقول أبي النجم العجلي:

عَلَيَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ (٢)

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخَيْتَارِ قَدَّعِي

برفع (كله) (٣).

لكن المبرد يرد ما نُقِلَ عن الفصحاء في البيتين السابقين اللذين أوردهما سيبريه عنهم، فيقول: «أخبرنا أبو عمر الجرمي بهذا كله منصوباً، وسمعنا بعض ذلك منصوباً من الرواة» (٤).

وقد كانت للمبرد رغبةٌ ملحةٌ في أن تجري المسائل على نظام مستقيم. وقياس مطرد، فدفعه ذلك إلى أن ينكر بعض الروايات التي تخالف القياس العام، وهذا النهج الذي اتجهه المبرد عرضة لردود قاسية من بعض المتأخرين. (٥)

(١) - يريدون : نساء فيه، ونُسَرَتْ فيه.

(٢) - وجه الاستشهاد برفع (كله)، انظره في الكتاب ٨٥/١ ومفني اليبب ٢٢٠/١.

(٣) - الكتاب ٨٥/١.

(٤) - انظر مقدمة المتقضب للمبرد ١٠٩/١.

(٥) - قال ابن جني بعدد ردة المبرد روايات أوردها سيبريه في كتابه: «وأما اعتراض أبي العباس هنا على الكتاب، فلنا هو على العرب، لا على صاحب الكتاب؛ لأنه حكاه كما سمع، ولا يمكن في الوزن أيضاً غيره... فكأنه قال لسببويه: كذبت على العرب، ولم تسمع ما حكيت، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه» انظره في خزنة الأدب للبيدادي ٢٧٩/٢، ٥٣٠/٣. وانظر الخصائص ٧٥/١، ٣٤١/٢، ٩٦/٣، وقال ابن ولاد عن المبرد في (الانتصار): «فهذا رجل يجعل كلامه في النحو أملاً، وكلام العرب فرعاً، فاستجاز أن يخطئها إذا تكلمت بفرغ يخالف أصله.» مقدمة المتقضب ١٠٩/١.

والأمثلة على اتباع المبرّد للقياس، وردّه لما أورده سيبويه في كتابه سموعاً عن الفصحاء كثيرة^(١)؛ لأنه كان يتبع الكثرة من كلام العرب، ويقيس عليه؛ من ذلك قوله: «واعلم أنّ القياس، وأكثرَ كلام العرب أنّ تقولَ: هذه أربعةَ عَشْرَك، وخمسةَ عَشْرَك، فتدعُهُ مفتوحاً على قولك: هذه أربعةَ عشرَ، وخمسةَ عشرَ. وقوم من العرب يقولون: هذه أربعةَ عشرَك، ومررتُ بأربعةَ عشرَك، وهم قليل، وله وَجِيئةٌ من القياس: وهو أن تردّه بالإضافة إلى الإعراب... وإنما كان القياس المذهب الأول»^(٢) ويقول في موضع آخر: «أنا الأقيس، والأكثر في لغات جميع العرب فإن تقول...»^(٣)

ويتابع البصريون منهجهم القياسي؛ فابن السراج (ت ٤٣١٦هـ) يأبى القياس على الشاذ، وعلى ما لا نظير له، وإذا تعارض السماع والقياس فهو يأخذ بالسماع،^(٤) أما الزجاجي (ت ٤٣٣٧هـ) فإنه يردّ الشواهد القليلة التي أوردها الكوفيون حول التمتع من الألوان، ولأنها تحمل ظواهر نحوية لا يقاس عليها، ويردّ الشواهد إلى الشذوذ^(٥). وكذلك السيرافي (ت ٤٣٦٨هـ) الذي تابع نهج سيبويه، والبصريين بشكل عام، وقاس على ما شاع عند العرب، وسمع عنهم، وردّ القياس على ما شدّ من لغتهم بقوله: «ولا يلزم القياس على الشاذ في كل شيء»^(٦)، وقال في مثل ذلك:

(١)- انظر ذلك كله في مقدمة المقتضب للمبرّد ١٠٨/١ وما بعدها.

(٢)- المصدر السابق ١٧٩/٢.

(٣)- المصدر السابق ١٩٣/٢، وانظر ١٧٥/٢.

(٤)- انظر الاحتجاج للحلواني ٣٠٣.

(٥)- انظر الجمل في النحو للزجاجي ١٠٢ نج: علي توفيق الحمد بيروت طبعة أولى ١٩٨٤م.

(٦)- شرح السيرافي على الكتاب ١٧٢/٣، وانظر ١٥٩/٣ عن الرتاني النحوي لمازن مبارك ١٥٥، دمشق ١٩٦٣، وانظر ١٥٦.

« لو أن هذا القياس لم تكن العرب المؤثوق بعريبتها تقوله لم ثلثت إليه » (١) فهو يقبل بكلام العرب على اختلاف لغاتهم، ولهجاتهم، إذا كان محصوراً بالمتتبع، والرواية، والسمع، ويرد القياس، إذا لم يكن على الأصل المعروف من غير تحريف (٢).

ثم يأتي الرثاني (ت ٣٨٤هـ) الذي مزج النحو بعلم الكلام، وسار على منهج سيبويه بشكل عام حيث يرى أن السماع هو مصدر القياس ففي حديثه عن (الغازي) (٣) يعرض ستة أوجه فيها، ويقيس كل وجه على نظيره من كلام العرب، ويقول: «فقد بان علل كل وجه من هذه الأوجه، وصحت بالرواية عن العرب والقياس الصحيح» (٤) وبالمقابل فإن يضعف القياس إذا لم يقو سماع، واستعمال في كلام العرب (٥) لذلك فهو لا يقيس إلا على الكثير، وينكر القياس على القليل، أو النادر، ويصرح بذلك بقوله: «وإنما لم يجز القياس على النادر، وإن كانت له علة صحيحة؛ لأن علة نادرة، وحكمته أن تكون علة لهذه الصفة؛ لأنها تجري في خروجها عن الأصل المطرد مجرى الاستعارة» (٦) فمنهج الرثاني هو منهج الخليل، وسيبويه في اعتماده على الكثير الشائع والقياس عليه.

(١) - شرح السيرافي على الكتاب ١٦٢/٢، عن الرثاني ١٥٧، ولذلك رداً على المبرد أسفاطه الاحتجاج بقول يزيد بن الحكم:

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَتْ كَمَا هَوَى
بَأَجْرَائِهِ مِنْ قَلَّةِ النَّبِيِّ مَنَهَوَى

بقوله: «وما كان لأبي العباس أن يستط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون، وغيرهم، واستشهدوا بهذا البيت، وغيره من القصيدة، ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب»، انظر شرح

السيرافي ١٥٢/٣، والرثاني ١٥٧.

(٢) - انظر رواية اللغة لعبد الحميد الشلفاني ٢٨٦، مصر ١٩٧١ من الاحتجاج للعلواني ٣٠٤.

(٣) - انظر الكتاب ٣٠١/٣ والغازي: نبت، أو هو ذباب يطير في الربيع يدل على خصب السنة.

(٤) - الرثاني لمبارك ٢٥٩.

(٥) - انظر المصدر السابق ٢٦٠.

(٦) - انظر المصدر السابق ٢٦٦.

أما ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) فقد طوّز السماع، والقياس تطويراً نظرياً واضحاً عندما قسم كلام العرب أربعة أقسام: المطرد في القياس والاستعمال، والمطرّد في القياس الشاذ في الاستعمال، والمطرّد في الاستعمال الشاذ في القياس، والشاذ في القياس والاستعمال (١). وقد عدت (المطرّد في القياس والاستعمال) أنّه «الفاية المطلوبة، والمثابة المنوبة، وذلك نحو: قام زيد، وضربت عمراً، ومررت بسميد» (٢) أما الذي اطرد في الاستعمال، وشذّ في القياس، «فلا بدّ من اتّباع السمع الوارد به فيه نفسه لكنّه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه» (٣) فهو يوصي فيه أن يستعمل ما استعملته العرب على شذوذه.

ويرجّح السماع على القياس متأثراً برأي أستاذه أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) فيقول: «إنّ الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به، وترك القياس، لأنّ السماع يُبطل القياس، قال أبو علي: لأنّ الغرض فيما ندوته من هذه الدواوين، وثبتت من هذه القوانين، إنّما ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها، ويستوي من ليس بفصيح، ومن هو فصيح، فإذا ورد السماع بشيء لم يبق غرض مطلوب، وعُدل عن القياس إلى السماع» (٤)

أما إذا خالف كلام السماع، والقياس فيجب رده؛ لأنّه «لم يبق له عِصمة تُضيفه، ولا سُنكة تجمع

شعاعه» (٥)

(١) - انظر الخصائص لابن جنّي ٩٨٠٩٧/١.

(٢) - المصدر السابق ٩٧/١. وفي ذلك يقول أيضاً: «ألا تعلم أنّ القياس إذا أجاز شيئاً، وضع ذلك الشيء حينه، فقد ثبت قديمته، وأخذ من الصحة والقوة ما أخذته» المصدر السابق ١٣٦/١.

(٣) - المصدر السابق ٩٩/١.

(٤) - المنصف في شرح التصريف لابن جنّي ٢٧٨/١، وانظر كذلك الخصائص ١١٧/١، ١٢٤، ١٢٥.

(٥) - المصدر السابق ٣٨٧/١.

وعلى هذا النحو نرى ابن جني يتبع نهج سيبويه في الأخذ بما شاع، واستعمل من كلام العرب متأثراً بشيخه الفارسي واضحاً هذا الفكر ضمن أصول نظرية واضحة.

وفي القرن السادس الهجري لم يطرأ على المذهب الذي اختطه سيبويه جديد، إلا ما أضافه النحاة من حديث نظري، وضعوا فيه أصولاً وقواعد. أخذين بعين الاعتبار الجمع بين القياس والسمع، إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وتفضيل السماع إذا تعارض مع القياس، وطرح القياس جانباً إذا كان سنياً على القليل والنادر.

فأبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) يحافظ على أصول القدماء لكنه يطورها ويضفي عليها تفصيلات تكشف صلته العميقة بعلم الحديث وطرقه، وبالفقه وأصوله. (١) ففي كتابه الإعراب في جدل الإعراب يتكلم على صناعة النحو، ويجعل أدلتها ثلاثة، هي النقل، والقياس، واستصحاب الحال، ثم يضع حدوداً لها فيقول: «فأما النقل فالكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، وأما القياس فهو حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه، كرفع الفاعل، ونصب المفعول في كل مكان، وإن لم يكن كل ذلك منقولاً عنهم، وإنما لما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول كان محمولاً عليه، وكذلك كل مقيس في صناعة الإعراب.» (٢) فالسمع عنده، أو النقل ما انصف بالكثرة، والنقل الصحيح المتواتر، ووضع شروطاً للتواتر والأحاد، ورفض المرسل والمجهول (٣).

(١) - انظر على سبيل المثال حديثه عن الاستدلال، والاعتراض على الاستدلال بالنقل. الإعراب في جدل الإعراب لأبي

البركات الأنباري ٤٥-٤٦، نج: الأنفاني، مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٥٧م

(٢) - الإعراب لأبي البركات الأنباري ٤٥-٤٦.

(٣) - في ذلك يقول: «وكل واحد من المرسل والمجهول غير مقبول، لأن العدالة شرط في قبول النقل، والجهل بالنقل، وانقطاع سند الناقل يوجبان الجهل بالعدالة، فلن من لم يذكر اسمه، أو ذكر اسمه، ولم يعرف، لم تُعرف عدالته، فلا يُقبل نقله.» لمع الأدلة لأبي البركات الأنباري ٩٠-٩١.

ويبني الأنباري أحكامه، وأصوله على الكثير المسموع فقد أجاز في ضرورة الشعر منع صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر (١) موبداً في ذلك الكوفيين معللاً ذلك بقوله: «والذي أذهب إليه في هذه المسألة مذهب الكوفيين؛ لكثرة النقل الذي خرج عن حكم الشذوذ، لائقونه في القياس» (٢)

ويتابع ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) تغليب السماع على القياس على نهج مدرسة البصرة وعلمائها، وعلى رأسهم سيبويه، لكنه لم يبلغ القياس إلغاءً كاملاً. (٣)

تلك هي مدرسة البصرة وهؤلاء هم أبرز الذين ساروا على نهجها في المشرق والمغرب، وهنا لابد لنا من الإشارة إلى الاختلافات الفردية بين نحوي وآخر ضمن المدرسة الواحدة، بين متشدد في أصوله أو متساهل، وبين متعصب في حدوده أو متسامح، فالنحاة لم يسلكوا خطأ مرسوماً لهم جميعاً بل كان كل نحوي يخضع لمؤثرات خاصة تجعله يحافظ على ما أخذه عن أسلافه أو يضيف إليه شيئاً من علوم

(١) - الشواهد التي استدل بها في كتابه الإنصاف كثيرة منها:

- طَلَبَ الْأَزَارِقَ بِالكَتَابِ إِذْ هَوَتْ
بشيبَ غائِلَةَ الثغورِ غدورُ
- نَصَرُوا نِيَّهَهُمْ وَشَدَّوْا أَرْزَهُ
بَحْتَيْنِ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ
- إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخٍ قَصِيدَةً
بِهَا جَرَّبَ عَدَّتْ عَلِيٌّ بِرَوَّابًا

(٢) - الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري المسألة ٧٠، ٥١٤/٢.

(٣) - أخذ القرطبي كتاب سيبويه عن ابن الرثاك، وأخذته بالسماع كان لتأثره بالمذهب الظاهري الذي «يرفض القياس، وما يتصل به من علل، ويكتفي بالظاهر من القرآن والحديث، وقد استلهم ابن مضاء هذه الثورة لاني حملة على الفقه والفقهاء، وإنما في حملة على النحو والنحاة من حوله، إذ وجد مادة العربية تنضخمت بتقديرات، وتأويلات وتعليقات واقيسة، وشغبت وفروع وأراء لاحصر لها ولا غناء حقيقي في تنبئها أو على الأقل في تنوع الكثير منها، فنضى بها جميعاً في ثلاثة كتب، هي (المشرق في النحو) و (تنزيه القرآن هنا لا يليق بالبيان) و كتاب (الرد على النحاة) وهو - وحده - الذي بقي من آثاره، المدارس النحوية لشوقي ضيف ٣٠٥.

• المدرسة الكوفية وأتباعها •

امتازت مدرسة الكوفة بتوسعها في رواية الأشعار، وكلام العرب، ولفاتهم على جميع العرب سواء أكانوا ممن استقر في الحواضر، أم تنقل في البوادي، في الوقت الذي كانت فيه مدرسة البصرة تتشدد في الأخذ عن العرب فلم تستدل في استنباط القواعد إلا بما قاله العرب الفصحاء، وتداولوه في باديتهم، وفي قبائل محدّدة كقيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين. (١)

وهذا لا يقلل من أئمة مدرسة الكوفة؛ فقد كانوا يرحلون أيضاً إلى البادية كما ساهم الكسائي (٢)، الذي توسع في الرواية وأخذ اللغة حتى «إنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز، من الخطأ واللحن، وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلاً، ويقيس عليه حتى أفسد النحو» (٣) ومن هذا المنطلق كان الخلاف بين المدرستين؛ فالبصرة تتشدد في فصاحة العربي الذي تأخذ عنه اللغة والشعر، والكوفة تتساهل، فتأخذ عن الأعراب الذين قطنوا حواضر العراق وخالطوا الفرس، والهنود (٤).

(١)- انظر المزهري للسيوطي (طبعة الحلبي) ١/٣١١.

(٢)- انظر إنباه الرواة على أنباء النحاة للقطبي ٢/٢٥٨.

(٣)- معجم الأدباء للحموي ١٣/١٨٣.

(٤)- انظر المزهري للسيوطي (طبعة الحلبي) ١/٢١٢، والمدارس النحوية لضييف ١٦٠.

ولم يقتصر الخلاف على هذا الحد بل تجاوزه إلى الاتساع في القياس عند الكوفيين الذين اعتدوا بأقوال المتحضرين من العرب وأشعارهم، وبنوا أحكامهم على الأشعار، والأقوال الشاذة التي سمعوها على السنة الفصحاء، وهي متا عنه البصريون خطأ، وغلطاً، وقد لخص السيوطي مذهبهم بقوله: «الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً، فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبنوا عليه بخلاف البصريين» (١) وقال: «عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظاً في شعر، أو نادر كلام جعلوه باباً، أو فصلاً» (٢).

وفي حديثنا عن أثر سيبويه في تاريخ النحو نرى أنه من واجبنا أن نتعرض لأشهر نحاة مدرسة الكوفة النحوية، وأتباعها لنظهر الفرق بين المدرستين، لا لندرس تاريخ النحو العربي، وذلك لتكتمل صورة سيبويه، ونرسم ملامح منهجه النحوي السليم.

وإذا أردنا البداية في مدرسة الكوفة نجد أن الكسائي (ت ١٨٩هـ) زعيمها، ومؤسسها يأخذ بكلام عرب (الخطمة) المتحضرين في مناظرته لسيبويه، ويفجعه في المسألة الزنبورية، وإفحام الكسائي لسيبويه معتمداً على عرب متحضرين أرسى أصلاً من أصول المدرسة الكوفية، وهو الأخذ باللفات الشاذة المخالفة للأقيسة البصرية من جهة، وللشائع المتداول على أفواه العرب جميعهم من جهة ثانية (٣)

وأخذ الكسائي بالتزود من كتاب سيبويه وعلماء البصرة بعد وفاة صاحب الكتاب، وبعد أن علم أن الأخفش الأوسط قد حمل الكتاب، وانتهى إليه علم البصرة بالنحو، وكان الأخفش بكسر من مخالفة سيبويه والخليل مستمداً قوته من معرفته بلغات العرب، فاستغل الكسائي هذه المخالفة وبدأ بتوسيعها معتمداً على الاتساع في الرواية والقياس.

(١) - الاقتراح للسيوطي ٨٤.

(٢) - مع البواع للسيوطي ٤٥/١.

(٣) - انظر الممارس النحوية لضييف ١٧٤، وانظر المسألة الزنبورية في الإنصاف: المسألة ٩٩، ٧٠٢/٢.

لم يقف الكسائي عن المستعمل الشائع عن العرب ولا عند أعراب البدو، بل مئة ذلك ليشمل ما يتكلم به المتحضرون الذين فشا اللحن على ألسنتهم؛ وما تأليفه لكتاب (لحن العوام) إلا دليل على انتشار اللحن، وزاد في ذلك أنه أخذ بالشاذ النادر من لغات العرب مما لم يكن سيبويه، والخليل يهتمان به. ولعلّ تأثر الكسائي بالقراءات القرآنية وأن كان من الغراء قد أدى إلى اهتمامه بالشاذ والنادر من لغات العرب على غرار الاهتمام الذي أولاه للقراءة الشاذة وحتى لا يظنّ بهذه الحروف أنها غير جائزة وأنها لاتجري على العربية السليمة. وما من شكّ في أن البصريين وعلى رأسهم سيبويه عُنفوا بهذه الشواذ وتسجيلها، لكنها عناية من باب آخر؛ فقد أرادوا أن يوضّحوا الهجئة في استخدامها وأن يحصنوا قواعدهم وألسنة الناس منها. وبذلك تعاون الطرفان المتعارضان على إثباتها، مع اختلاف الغاية. (١)

ومن الأمثلة التي أخذ فيها الكسائي بالشاذ والنادر أن البصريين منعوا تقديم المستثنى في أول الكلام سواء أكان مثبتاً أم منفيّاً، فلم يُجيزوا قولهم: إلا زيدا قام القوم، ولا: إلا زيدا ما أكل أحد طعاماً، ولا: ما - إلا زيدا - قام القوم؛ لكنّ الكسائي سمع قول الأعشى:

خَلَا اللَّهُ لَا أَرْجُو سِوَاكَ وَإِنَّمَا
أَعَدُّ عِيَالِي شُعْبَةً مِّنْ عِيَالِكَا (٢)

وقاس هذا الاستثناء بـ(خلا) على الاستثناء بإلّا بحجة أن (إلّا) هي الأصل، و(خلا) فرع لها، والأصل أولى بما يجوز في الفرع، ولم يلتفت إلى أن البيت المستدلّ به هو ضرورة شعرية قادت الشاعر إلى ترتيب الكلام بشكل مخالف لما شاع عند العرب، وبذلك وضع الكسائي قاعدة هي جواز تقديم المستثنى في أول الكلام سواء أكان ذلك مثبتاً أم منفيّاً، ومنه أنه أجاز إضافة (حيث) إلى المفرد على خلاف ما قاله

(١) - انظر المدارس النحوية لضيف ١٧٥-١٧٧.

(٢) - انظر الإنصاف للأنباري (حاشية) المسألة ٣٩، ٢٧٤/١، وشرح ابن عقيل لألفية ابن مالك الذي أخذ برواية (خلا الله) وهذا (خلا) حرف جرّ، وانظر المدارس النحوية ١٨٠.

سيبويه والبصريون من أن (حيث) تلزم الإضافة إلى جملة اسمية أو فعلية، واستدل الكسائي والكوفيون بييتين عندهما البصريون من النادر؛ وهما قول الفرزدق:

وَتَعَطَّنُهُمْ تَحْتَ الْحَبَا بَعْدَ ضَرْبِهِمْ بِيَيْضِ الْمَوَاضِي حَيْثُ لِيَّ الْعَمَانِمِ (١)

وقول آخر:

أَمَا تَرَى حَيْثُ سَهَيْلٍ طَالِعًا نَجْمًا يَظِي: كَالشَّهَابِ لَامِعًا (٢)

وزيد الكسائي على ذلك أنه قد بيني رأياً لاتسده الشواهد من كلام العرب، كإجازته الفصل بين فعل الشرط، وأداته بمعموله نحو: مَنْ زِيدَا يَكْرُمُ أَكْرَمَهُ، والفصل أيضاً بمطفٍ وتوكيد، وقد منع الفراء ذلك لعدم ورودِهِ في السماع (٣)، وإجازته تقديم معمول فعل الشرط والجواب على الأداة مثل: خيراً إِنْ تَفْعَلْ تُكْرَمِ، وخيراً إِنْ أَتَيْتَنِي تُصِيبِ، ومنع الفراء ذلك لأنه لاشيء يؤيده مما سمع عن العرب. (٤)

هذا هو مذهب الكسائي إمام مدرسة الكوفة، وتلك هي أبرز أصوله، وهي الأسس التي تعتمد على الاتساع في الرواية، والقياس سواء أكانت قواعد مدعومة بالشواهد، أم غير مدعومة بها.

يأتي بعد ذلك الفراء (ت ٢٠٧هـ) تلميذ الكسائي الذي تابع نهج أستاذه في نقله عن الأعراب جميعهم بدأة ومتحضرين، وهو على الرغم من اعتماده على بعض الفصحاء (٥) الذين تعرضنا لذكرهم سابقاً، وتتبعه لهم في الجزيرة العربية فإنه توسع بالسماع، والرواية عن الأعراب الذين نزلوا بفداد واختلطوا بأهل الحضر.

(١) - تحت الحبا: في أوساطهم، انظر مغني اللبيب لابن هشام ١٤١/١.

(٢) - سهيل: اسم نجم، انظر المصدر السابق ١٤١/١، وانظر مع الهوامع ٢١٢/١.

(٣) - انظر مع الهوامع للسيوطي ٥٩/٢.

(٤) - انظر المصدر السابق ٩١/٢، والمدارس النحوية لضييف ١٨٣.

(٥) - منهم أبو الجراح، وأبو ثوان. انظر المدارس النحوية لضييف ٢١٤.

ومامن شكّ أنّ الغراء عُنِي بكتاب سيبويه عناية فائقة إذ وجد أستاذه الكسائي يطلب الكتاب، ويعلمه عليه الأخفش، وكان له من ذلك دافع قوي ليقرأ الكتاب، ويقرأ كذلك ما كتبه الأخفش في النحو حتى مات، وتحت رأسه كتاب سيبويه. (١)

وأتفق الغراء مع نحاة المدرستين البصرية والكوفية آنذاك في عدم استدلاله بالحديث النبوي الشريف في كتابه (معاني القرآن) على غرار ما رأيناه عند سيبويه، وما جاء منه (٢) لم يكن إلا في مرتبة متأخرة عن القرآن الكريم، والشعر، والأمثال ولغة التخاطب.

كما ظهر تأثر الغراء بسيبويه فيما أنشده من أشعار وغيرها؛ فكثير مما استدللّ به من شعر، وقرآن كريم كان سيبويه قد أورده (٣)، وهذا التأثر لا يعمد لتأثراً منهجياً بقدر ما هو سرد لروايات وقرامات متداولة في حلقات العلم، ومدونة في كتب العلماء أخذها علماء المدرستين ونقلوها لمن جاء بعدهم.

وقد توسع الغراء في السماع من العرب، والتمس منه القياس، لاسيما إذا اتفق هذا السماع مع قراءة قرآنية محددة؛ من ذلك جواز وقوع (الواو) زائدة في جواب (إذا)، فقد استدللّ بقوله تعالى: **حَقِي إِذَا فَهَلْخُرٌ وَتَلَاوَعْمُرٌ فِي الْأَفْرِ (٤)** وقوله: **حَقِي إِذَا جَلُوهَا وَفَجِيحَتْ أَبَوَاهَا (٥)** ثم استدللّ بقول:

(١) - إنباء الرواة للنفطي ٣٥١/٢.

(٢) - انظر معاني القرآن للغراء ٢٩٦/١، ٤٦٩.

(٣) - انظر المصدر السابق ١/٣٩١، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٦٢، ١٨٦، ١٨٧، وانظر الكتاب بالترتيب ٤٢/٣، ٤٦/٣،

٢٩٢/٢، ٤٦٢/٢، ٤٥/٢، ١٧٢/١، ٨٥/١، ٥١٥/٣، ٤٧/١، ٥٢/١.

(٤) - آل عمران ١٥٢/٣.

(٥) - الزمر ٧٣/٣٩.

حتى إذا قَمَلتْ بطونكم ورأيتم أبناءكم شَبَّوا
وقلبتم ظَهَرَ المِجَنُّ لنا إن اللثيمَ العاجِزُ الخَبُّ (١)

وإلى جانب ذلك كان الفراء يخطئ أحيانا بعض كلام العرب، وينص على أنهم يغلطون من غير أن يبني على هذه اللفظة القليلة قاعدة؛ من ذلك قوله في قراءة الحسن البصري لقوله تعالى: **قُلْ لَوْ هَاءَ اللَّفِّ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا انظُرْتُمْ بِهِ (٢)**: «وقد ذُكِرَ عن الحسن أنه قال: (ولا أدزأنتكم به) فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعلَّ الحسن ذهب إليها. وأما أن تصلح من دريت، أو أدريت فلا؛ لأنَّ الياء والواو إذا انفتحت ما قبلهما وسكنتا صحتا، ولم تنقلبا إلى ألف؛ مثل قضيت ودعوت. ولعلَّ الحسن ذهب إلى طبيعته، وفصاحته فهمزها؛ لأنها تضارع درأت الحدَّ وشبهه. وربما غلطت العرب في الحرف، إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز؛ سمعت امرأة من طيِّئ تقول: رثأت زوجي بأبيات، ويقولون لبأت بالحجِّ وخَلَّأت السريق فيغلطون» (٣)

نقف بعد ذلك عن ثعلب (ت ٢٩١هـ) الذي عكف على قراءة كتاب سيبويه بنفسه ولم يقرأه على العلماء فحذق في النحو الكوفي والبصري معاً، وزاد من مكانته في النحو ما أتقنه من المعرفة بالفريب ورواية الشعر حتى أصبح إمام هذا النحو وعلمه المفرد في عصره (٤).

(١) - قملت بطونكم: كثرت قبائلكم. قلب ظهر المجن - والمجن الترس -: المتنازعة بالعداء. والخب اللثيم الماكر. انظر معاني

القرآن للفراء ٢٣٨/١، والإنصاف ٤٥٨/٢، وخزانة الأدب للبغدادي ٤١٤/٤، ولسان العرب (قمل) من غير هزو.

(٢) - يونس ١٦/١٠.

(٣) - معاني القرآن للفراء ٤٥٩/١.

(٤) - انظر المدارس النحوية لضيف ٢٢٥.

تابع ثعلبُ الكسائيَّ والفراءَ في منهجهما النحوي وما اتبعاه من أصول مبنية على السماع عن العرب، والتوسع في الرواية، وبناء الأحكام على ذلك حتى غدا مرجع أهل الكوفة في رواية أقوال الكسائي، والفراء، وحفظ للناس أكثر أعمالهما، وأملى أقوالهما، وأراهما في مجالسه، ودون لهم ذلك فيما ألف من كتب كثيرة على الرغم من أنه لم يلقهما، بل أخذ آراءهما عن تلاميذهما كسلَمَةَ بن عاصم تلميذ الفراء، ومحمد بن زياد الأعرابي تلميذ الكسائي، وقرائمه لكتب الفراء بكل ما فيها من أثر للكسائي (١)

وفي بغداد كان لقاؤه مع المبرِّد زعيم البصريين آنذاك حيث تحلَّق حول كلِّ منهما أتباع من الدارسين تنافسوا جميعاً في الدفاع عن مذهبهم وردَّ آراء المذهب الآخر (٢)، فنشأت طبقة عرَفَتْ المنهجين، وأفادت منهما وتأثرت بهما فكانت منهم -على ما قيل- مدرسة بغداد (٣)

كان ثعلب راوية حافظة للغة، والأدب، والقراءة والنحو، يُعَلِّمُ دروسه في مجالسات فلذا سُئِلَ في النحو أملى متاً حفظه عن الكسائي، والفراء، وما أفاده منهما، ولولا حفظه لكتبهما ووقوفه على آرائهما في النحو، لكان واحداً من الحَفَظَةِ، لا شأن له بصناعة النحو، لكن إفادته منهما وبعض آرائه الخاصة جعلته في زمرة الأئمة من نحاة الكوفة، ولهذا قيل: «لم يكن مستخرجاً للقياس، ولا طالباً له، وكان يقول: قال الفراء، وقال الكسائي، فإذا سُئِلَ عن الحجَّة، والحقيقة لم يأت بشيء» (٤)، وعند ثعلب يظهر الفرق بين مدرسة البصرة ممثلة بالمبرِّد، ومدرسة الكوفة ممثلة به فقد سألهما محمد بن عبد الله بن طاهر عن قوله عزَّ وجلَّ: **إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْءِ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ (٥)**

(١)- انظر مدرسة الكوفة لمهدي المخزومي ١٤٥.

(٢)- ألف ابن درستويه، والزجاج في الرد على ثعلب، وأحمد بن فارس، وأبو بكر بن الأنباري في الانتصار له، انظر الفهرست لابن النديم ٩٤. ومعجم الأدباء للحصري ١١٥/٥، وفيه الرعاة للسبوطي ١٥٣، ومقدمة المقتضب للمبرِّد ٢٧/١-٢٨.

(٣)- انظر مدرسة الكوفة للمخزومي ١٤٨.

(٤)- إنباء الرواة للقطبي ١٤٤/١، نقلاً عن المدارس النحوي لضيف ١٥٠، ١٥٣.

(٥)- المتحنة ٤/٦٠.

كم لفةً في (برآء) ؟ قال المبرد: قلتُ برآء على مثال كَرَمَاء، وبرآء على مثال كِرَام. فقال ثعلب: بُرَاء (بضم الباء) أيها الأمير. «فقال: ما تقول يا محمد ؟ فقلتُ (والفائل المبرد): أيها الأمير، سنله من أين ؟ قال: قال من أين قلتُ ؟ قال (والفائل ثعلب): حدثني سنلمة عن الفراء، أنه سمع أعرابية تقول:

أَلَا فِي السَّوَةِ انْتُنَّة

تريد: ألا في السومة انتنئة. فطرحت الهمزة «(١)

أما المبرد فقد انتبهها سائحة للفوز في هذا المجلس، فأخذ يأتي بالحجة، وبالذليل بعد الدليل؛ وكان آخر ما قال: «لا تترك كتاب الله، وإجماع العرب، لقولة أعرابية رعناء» (١) فالمراد لا يأخذ بالقليل النادر، بل إنه يعيب على ثعلب الأخذ عن أعرابية تاركاً كتاب الله وما شمع عن العرب.

وإذا كان تأثير سيبويه في ثعلب غير مباشر في المتابعة النحوية ومسائلها، فإن ذلك لم يمنع أن يخالف ثعلب الكوفيين بل إنه في بعض المسائل يأخذ برأي البصريين على غرار ما جاء في الإنصاف؛ يقول أبو البركات الأنباري في «القول في تقديم معمول الفعل المقصور عليه»: «ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز (ما طعامك أكل إلا زيداً)، وذهب البصريون إلى أنه يجوز، وإليه ذهب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين» (٢) وغيرها من المسائل. (٣)

(١) - انظر ذلك وغيره من المسائل المثارة بينهما في مجالس العلماء للزجاجي ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٩، ١٢٠.

١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١

كان لمدرسة البصرة السابق في الدراسة النحوية، فقد شهدت البصرة أوائل النحاة وشيوخهم يضمون اللبنة الأولى لهذا الصرح، ثم جاءت مدرسة الكوفة التي بناها كوفيون طلبوا العلم على يد البصريين، ثم عادوا إلى مدينتهم الكوفة لنشر ما أخذوه، وما لاحظوه، ومنهم أبو جعفر الرؤاسي الذي أخذ عن عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي الذي أخذ عن الخليل بن أحمد أستاذ البصريين ومعلم سيبويه. وبهذا تكون الكوفة مدينة للبصرة بنشأتها، والنشأة شيء والتطور شيء آخر، فالكوفيون لم ينقلوا عن البصرة نقلاً بل غيروا، وعدلوا، وزادوا وأعادوا النظر فكانت لهم نظرتهم النحوية الخاصة التي اتفقت مع البصريين حيناً وخالفتهم أحياناً أخرى.

وإذا كان سيبويه قد أخذ عن الأعراب لغتهم وعدتها مصدراً هاماً من مصادره، فإن كلا المدرستين كان لهما هذا المبدأ فقد ابتدأ البصريون الأوائل، واستدلوا ببلغة قيس، وتميم، وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم بشكل عام، ضمن أصل وهو ألا يؤخذ عن حضري قط. ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم من حولهم (١).

وإذا كان الكوفيون قد تابعوا سيبويه والبصريين بالاستدلال ببلغة الأعراب الذين سبق ذكرهم، فإنهم توسعوا في الأخذ عن هؤلاء الأعراب كأعراب سواد الكوفة، وعرب الأرياف المحيطة بالمدن، وأعراب سواد بغداد، ومنهم أعراب الحطمة الذين استعان بهم الكسائي في مناظرته لسيبويه (٢) وإذا كان البصريون قد ضيقوا لغة هؤلاء، فإن الكوفيين رأوا أن لغتهم تمثل فصيحاً من اللغات لا يصح إغفالها بعد أن وجدوها متمثلة في قراءات القرآن السبع.

(١) - انظر الاقتراح للسيوطي ١٩.

(٢) - انظر معجم الأدباء لياتوت الحموي ١٣/١٨٢.

والمصدر الأساسي الذي اعتمده الكوفيون هو النحو البصري ذاته، فالكسائي أخذ عن سيبويه لما درس الكتاب، على الأخص، والفراء بدوره أطلع عليه واحتفظ بنسخة منه، وتعلب كان متبحراً في مذهب البصريين. فائمة الكوفة في النحو خرجوا من بوابة البصرة إن مشافهة وإن مناقلة حتى استوى لهم منهجهم الجديد.

* خلاصة البحث ونتائجه *

* - مهما كانت نتائج هذا البحث كبيرة، وكذلك غيره من الأبحاث فإنها تبقى قاصرة، لا تستطيع الإحاطة بكل ماتسحقه لفتنا العربية من سبر وتمتق، لاسيما كتاب سيبويه الذي لم تكشف كل جوانبه.

* - وقد حاولت في هذا البحث أن أضع لبنة جديدة تساهم في فهم الكتاب؛ لأن سيبويه هو صاحب القيدح المعلن، وهو الذي أقام صرح النحو، وهو الذي أشاد قواعده وأركانه بحيث لم يعد فيها أي أمت أو عوج أو انحراف.

* - فقد نظرت إلى الكتاب نظرة جديدة هدفت منها أن أظهر موقف سيبويه من الأصول النحوية، فهو في غالب الأحيان يستدل لما خالف الأصول وابتعد عنها؛ لأن الأصول لا تحتاج إلى دليل.

* - ونشرت الكتاب، وأعدت جمعه بطريقة جديدة فجمعت المتشابه في الفكرة الواحدة، هذه الفكرة التي تحوم حول موافقة سيبويه للأصول النحوية في استدلاله، أو عدم موافقته.

* - وكثيراً ما كنت أضع المسألة النحوية الواحدة في أكثر من موضع، وأنظر إليها بأكثر من منظار إذا كانت تحتل ذلك، وتتبع النحاة في ذلك، ويثبت موقفيهم مما جاء في الكتاب سواء أكانوا قد وافقوا سيبويه في الاستدلال لما خالف الأصول، أم خالفوه، فنسبت الآراء إلى أصحابها مرتبةً بحسب موضوعاتها، وأظهرت مدى التأثير والتأثير بين سيبويه ومن عاصره أو من جاء قبله وبعده؛ كل ذلك حرصت على أن يكون مرتباً ترتيباً تاريخياً.

- * - وقد حرصت في هذا البحث على عدم التفريق منهجياً بين سيبويه، وأساتذته الخليل لأسباب متعددة، منها صعوبة الفصل، لا استحالته، وخشيتي من الخلط بين آرائهما لاسيما أن سيبويه لم يكن يشير إلى شيخه إشارة واضحة في كل آرائه، ورغبتني في أن يكون التفريق بين آرائهما في الكتاب بحثاً قائماً بذاته ينصف الرجلين، وإدراكي أن التمازج والتلاقح بين التلميذ وأستاذه مشروع، ووارد، فما قولنا إذا وصل إلى حدة الانصهار.
- * - وأتبعته جهدي في تتبع سيبويه، وغيره من النحاة من خلال الكتاب، وغيره من المصادر والمراجع بعمل إحصائي دقيق قدر جهدي لتصح الموازنة بين استدلال سيبويه لما خالف الأصول وغير ذلك.
- * - وقدتت آراء النحاة بحسب ما جاءت في كتبهم، وكتب من أخذوا عنهم، وقارنتها بآراء سيبويه من خلال ما جاء في كتابه، وأظهرتُ بعض ما أضافوه من آراء.
- * - وبيّنت أن أصول المنهج الذي اعتمده سيبويه، ووصل إليه لم تتغير عند من جاء بعده، وإننا كان التغيير الذي لمسناه عند النحاة فيما بعد توسيعاً لهذه الأصول أو تضييقاً لها بحسب اتجاهات كل نحوي من هؤلاء النحاة.
- * - وكان عملي فرصةً للتكلم على القبائل التي استدلّ سيبويه بشعر شعرائها، بل هدفاً رأيت أنه يمكنني من معرفة اللهجات في الكتاب وكذلك القراءات القرآنية.
- * - ووقفت على تأثير سيبويه في طرق استدلاله بطرق استدلال الفقهاء فقط، ولم أصل إلى أدلة واضحة تثبت أثر المناطق، والمتكلمين في سيبويه.

*- وتحدثتُ عن أثر البيعات العلمية في البصرة في أواخر القرن الأول، وأوائل القرن الثاني حيث شهدت دراساتٍ لغويةً، ونحويةً ناضجةً بعض النضج حتى جاء سيبويه متأثراً بالخليل وحمل عبء هذا العمل فسار بتفعيد النحو وترتيبه، وتبويبه خطواتٍ واسعةً إلى التنظيم. أنا الكوفة فلم يُكتب لها أن تعيش الظروف التي عاشتها البصرة، فقد انصرفت الكوفة بما عندها من الصحابة، والتابعين، والفقهاء، والقراء، والمحدثين إلى استخراج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة، وإلى إعمال الرأي في القضايا التي لم يرد نص لها في القرآن الكريم والأحاديث، لذلك رأيناهم يتناولون القضايا النحوية بمنهج لغوي باعتمادهم الرواية، والإمعان في التتبع اللغوي مما انعكس على اتجاهاتهم النحوية.

ولم يكن الهدف أن نسهب في حديثنا عن ضروب الاستدلال عند غير النحاة، لذلك فقد أوجزنا الحديث عن الفقهاء وعلماء الكلام والمناطقة لنبقى في الحدود التي تخدم البحث وتنبير الطريق في وصولنا إلى استدلال النحاة.

*- نكلنا على مصادر الاستدلال الاصلية عند الفقهاء؛ القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، والقياس، وعند المتكلمين؛ البرهان الكلامي، والتأويل، والتفويض، وعند المناطقة؛ القياس، والاستقراء، والتعميل. ولا أدعي بأنني أحطتُ بضروب الاستدلال عندهم، بل أخذت من شاطئ هذا البحر العظيم ما رأيت أنه يوضح جوانب البحث فقط.

أنا كلامي على الاستدلال عند النحاة فقد قسمته قسمين؛ الأول تكلمت فيه على من جاء قبل سيبويه، والثاني تكلمت فيه على سيبويه، وتركت الخليل بن أحمد الفراهيدي مشمولاً بحديثي عن سيبويه لأنني وجدت أنّ الفصل بينهما ليس سهلاً في بحث يهدف غير ذلك، وآثرت عدم الفصل كي أتجنب الوقوع في مفالطات، فأنسب رأياً لغير صاحبه.

* - وعرضت لطرائق الاستدلال عند النحاة؛ السماع، والقياس، والعلة، وقد اعتمد السماع عن الأعراب بكل أساسي، وقد أولوه العناية الكبيرة، وجعلوه ركناً أصيلاً من أركان الاستدلال، وشمل السماع القرآن الكريم بقراءته المتعددة، وأخذ به النحاة الأوائل دون استثناء، على العكس من الحديث النبوي الشريف الذي وقفوا منه موقفاً مغايراً لاعتبارات تتعلق بالمعنى والرواية، أما كلام العرب فقد غطى مساحةً كبيرة من الاستدلال، لاسيما الشعر، وحرص النحاة على الأخذ بكلام العرب لما يمثله من دقة كبيرة لما يتكلمون به آخذين بعين الاعتبار التفاوت بين القبائل تبعاً لمعايير مكانية. وتكلمت على القياس الذي ظهر عند الحضرمي، ثم عيسى بن عمر، ثم أبي عمرو بن العلاء، والتطور الذي حصل في هذا المذهب بما أضافه النحاة من نظرات دفعت بهذا المذهب أشواطاً بعيدة في توطيد أركانه. أما العلة فقد بقيت بسيطة آنذاك تهدف إلى فهم المعنى، والإحاطة بكلام العرب، وما يرمون إليه، وهي تعليقات قليلة إذا قيست بتعليقات الغليل، ومن جاء بعده من النحاة.

* - وتحدثنا عن مصادر الاستدلال؛ القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب من شعر ونثر؛ أما القرآن الكريم فقد وضعه النحاة في المرتبة الأولى من الاهتمام؛ لأنّ تقعيد اللغة وجمعها، وضبطها كان الهدف منه خدمة الدين الإسلامي، والمساعدة على نشره في البلاد المفتوحة، وكان للقراءات القرآنية أثرٌ كبير في المعالجات النحوية؛ لأنها أخفت وراها لهجاتٍ عربيةً أصيلة سمحت للنحاة برصدها، والإفادة منها، أما الحديث الشريف فلإن النحاة لم يثقوا بأنّ ماجاء هو بلفظ الرسول (ص) لأنّ أغلبها مروى بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم والمؤكّدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم فزادوا، ونقصوا، لهذا ترى وجوهاً شتى، وعباراتٍ مختلفة للحديث الواحد، إضافة إلى أنّ دخول الأعاجم في رواية الحديث يجعله عرضةً للحن، أما الشعر فقد اعتمد النحاة عليه في المرحلة التي سبقت سيبويه، وكان مصدرهم في ذلك أعراب البادية والشعراء، سواء أكان أخذهم مشافهة في الحواضر، أم نتيجة رحلتهم إلى البادية، وسواء أكان نقلهم عن الشعراء مباشرة أم عن

شيوخهم الثقات.

وتكلمنا على لغة التخاطب، فقد اهتمّ النحاة باللغة التي قاومت التطور، وحافظت على أصالتها على مرّ العصور، وهي لغة البداية، فقد أخذوا منها القواعد، واستنبطوا الأصول. وفي جوّ كان الصراع فيه بين الثقافات محتدماً، لم يكن للنحو من بدوّ إلا أن يتأثر بغيره، وكان تأثيره بالفقه كبيراً منذ بدايات نشأته، لأن نظرة النحاة إلى الفقه كانت نظرة متميّزة، فقد وجدوا فيه تجسيدا لعلم أصيل في الحياة الإسلامية، وعدّوا النحو علماً تابعاً للفقه، يخدمه، ويوسع دائرته، وهذا مادفعهم إلى الاهتمام به، وقد ظهر تأثير النحاة باستدلال الفقهاء قبل سبويه أكثر ماظهر في القياس والعلة.

*- وكان لقواعد الاستدلال عند النحاة أهمية كبيرة آنذاك لأنها تصل بصاحبها إلى مايريده من صحة ودقّة. وإن كانت تتفاوت هذه القواعد فيما بينها؛ من ذلك القواعد الزمانية التي لا تتسم بالدقّة المنشودة لأنّ الزمان ليس لحظة واحدة يقاس عليها الشعر، بل قد يمتدّ الزمان في حياة شاعر مدة تقارب القرن إلا قليلاً كابن هرمة (٩٠-١٧٦هـ) فإذا كانت حدود الاستدلال الزمانية تقف عند حدود (١٥٠هـ) معنى ذلك أنا سنستدلّ بجزء من شعر ابن هرمة، ونردّه جزءاً آخر من شعره بدعوى عدم فصاحته، وهذا مالا يقبله عقل ولا منطق، وهذا الوضع خلق غموضاً في التقسيم الزمني، وتداخلاً دفع النحاة ليعبروا التقسيم المكاني أهمية أكبر، فقد تمسّك النحاة بالحدود المكانية، وهو مايفسر استدلالهم بلغة شاعر وردّهم لغة آخر على الرغم من أنهما عاشا في عصر واحد، لكنّ الفارق بينهما أنّ من استدلوا بشعره عاش في البادية يرعى الإبل، ويبحث عن مواطن الكلا، ومن ردّوا شعره عاش في الحواضر، واختلط بغير العرب.

ولم يهمل النحاة الإنسان العربي الذي أخذوا عنه، فقد وضعوا له شروطاً كالفصاحة التي يكتسبها في بطن الجزيرة العربية، واستمرار هذه الفصاحة. وكثيراً ماكانوا يخضرونه لامتحان

ليصلوا إلى قناعة كاملة بفصاحته ودوامها.

كما وضعوا شروطاً لما يؤخذ به كشيوعه، وتعدد مصادره، وكثيراً ما رجّحوا وجهها على وجه إذا كانت المادة المستدل بها تستند إلى ماكثر استعماله عند العرب.

* جاء بعد ذلك حديثنا عن سيبويه الذي كان كتابه نهاية مرحلة هامة في تاريخ النحو، فقد اتضحت صورة النحو فيه، وبانت ملامحه، فنهل منه كلٌّ من جاء بعده، كلٌّ بحسب طريقته ونظرته. وقد قسمنا الاستدلال عنده قسمين؛ أولهما: الاستدلال بالنصوص، وثانيها الاستدلال بغير النصوص. وشمل استدلاله بالنصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب من شعر وأمثال، ولغة تخاطب.

* أنا القرآن الكريم، فقد استعان سيبويه بعلمه به، وقرآناته، وقرآنيه، ووظف إحاطته بكلّ ذلك لخدمة هدفه في تعويد النحو، فاستدلّ للغة القرآن وقرآناته، كما استدلّ بها؛ فمن استدلاله لها أنه إذا كانت لغة القراءة القرآنية مخالفة للشائع من لغة العرب بعيدة عن قياس النحاة قام ليستدلّ لها بإيجاد النظائر في لغة العرب، ليبين أنّ القراءة ليست مجافية لأصول النحو، وأنها مقبولة، أننا استدلاله بها فتكون فيه هذه اللغة الضابطاً للأصول، والمصححة للكلام، والمعيار الدقيق لصحة الاستنباط والقياس، والهدف في كلا الحالتين تثبيت القاعدة النحوية، ورسم أصول واضحة لها. وقد حددنا موقف سيبويه من القراءات على اختلاف أنواعها، وطرق تناولها، وبيّنا أنّ مواقف سيبويه في غالبيتها هي مواقف شيخه الخليل بدليل أنّه لا يخالف في أيّ من التناولات النحوية التي ينطلق فيها من القراءات القرآنية.

وصحّحنا بعض ما نسب إلى الخليل من نهج على القرآن الكريم، وقرآناته معتمدين في ذلك على أكثر من مصدر، لكنّ أبرزها كتاب سيبويه نفسه؛ لأنه المصدر الوحيد الذي رأينا فيه موقف الاثنين من القراءات القرآنية.

ووصلنا إلى أنّ سيبويه كان يحرص في كتابه على الاستدلال بالقرآن الكريم لما خالف الأصول بشكل عام، لأنّ الأصل الشائع لا يحتاج إلى دليل، وخروجه على الأصل لا يعني أنّه لم يعر الأصول الأهمية التي تستحقّها، فقد رأيناه في مواضع كثيرة يتحدث عن القواعد الأصلية البسيطة، ويستدلّ لها بآيات من القرآن الكريم، وهذا يدلّ على أنّ سيبويه أولى القواعد المستنبطة الأهمية كلّها سواء أكانت هذه القواعد متّاً يطابق الأصول، أم متّاً يخرج عليها، وإن كان في الثانية أكثر وضوحاً، وأغزر مادة.

ووصلنا إلى أنّ الاستدلال بالقرآن الكريم عند سيبويه أخذ اتجاهاتٍ متعدّدة، منها ما يتعلق بأمر يخصّ المعنى، أو بأسلوب فنيّ. ومنها ما يرصد موقعه من حيث الكثرة أو القلّة، وتداول ذلك على لسان العرب، ومقارنته من حيث الأسلوب بما ورد في القرآن الكريم، ومنها ما يحاول من خلاله أن ينقل لنا لغةً استخدمها بعض العرب، أو لهجة من اللهجات، أو اتّساعاً في استخدام بعض الأساليب، ومنها ما كان يشير إليه إشارة غير صريحة، ومنها ما يحاول أن يخرجها بما يناسب لغة العرب، وهذا الأمر هو الذي دفعه مع شيخه إلى إبراز فكرة التوهم في النحو العربي قبل غيرها من أئمة النحو.

وبيّنا طريقة سيبويه في تتبع القاعدة جزئياتها محاولاً الاستدلال لها قدر المستطاع بآيات القرآن الكريم ما توفّر له ذلك مقارناً بين المستدلّ، وما سمع عن العرب متّبعاً خطوات شيخه الخليل حيناً، ومضيناً إليه بعض التوجيهات في المسائل النحوية حيناً آخر.

وذكرنا أنّ القرآن الكريم قد حظي بأهمية خاصة عند سيبويه، حتّى إنّ في بعض المواضع لم يستدلّ بغير القرآن الكريم، وقراءاته، واصفاً اللغة التي لا يدعمها قول من القرآن الكريم بأنها ضعيفة قبيحة.

وكان سببويه يستدلّ للجيد من لغة العرب، مبرزاً مقاييس الجودة في لغتهم، لكنه كان يستدلّ أحياناً بقرائة للغة ضعيفة ليجمع أطراف البحث، ويحيط بكلّ جوانبه، وهو مادفعه إلى ذكر أكثر من وجه للقاعدة الواحدة.

وقد رسمنا لكل المسائل النحوية في استدلال سببويه بالقرآن الكريم بيانين توضيحين آثرنا فيهما إضافة إلى رصد المعالجات النحوية كافة إحصاءً دقيقاً لها جميعاً مشيرين إلى أنّ بعض الآيات الكريمة قد استدل بها أكثر من مرة، وفي أكثر من قاعدة، أو أنّه استدلّ في القاعدة الواحدة بأكثر من آية واحدة، أو أنّه استدلّ للقاعدة الواحدة بآيات متتالية مرتبط بعضها ببعض في موضع واحد، بالإضافة إلى أنّ بعض الآيات تتكرّر بقرائعات مختلفة تناسب القاعدة النحوية.

وبيّنا أنّ القواعد النحوية البسيطة لم تكن تحتاج إلى استدلال، أو أنّ القرآن الكريم لم يخوّر ما يستدلّ به على بعض القواعد، أو أنّ طبيعة بعض القواعد الصرفية، واللفظية والأوزان تحتاج إلى كلام العرب، ونطقهم لتكون دليلاً يستدلّ به سببويه على ما يريد.

*- أنا استدلال سببويه بالحديث الشريف، فقد وصلنا إلى أنّ الأحاديث التي وردت في كتابه لم تكن موافقة في الرواية لما روي في كتب السنن في المعنى ذاته، كما أنّ صاحب الكتاب لم يستدلّ بها على أنها أحاديث شريفة، بل استخدم عبارات توهم بأنها كلام صادر عن العرب، إضافة إلى أنه استدلّ في مؤخره العرض النحوي المسهب الذي اشتمل على كلام العرب، ولفاتهم، وشعرهم، وكثير من آيات القرآن الكريم، إضافة إلى أنّ بعض الأحاديث كان للاستدلال، وبعضها الآخر كان توجيهاً للحديث.

ولم يكن إغفال سببويه للأحاديث الشريفة عائداً إلى الجهل بها، بل هو نهج انتهجه في أماكن كثيرة من كتابه، وكذلك اختلاف رواية الحديث عنده لا يعدو أن يكون رواية نقلت إليه، أو أخذها

عن شيخ من شيوخ الحديث.

* - أنا استدلال سيبويه بالشعر، فقد كان له النصيب الأكبر من الكتاب، وقد استقى مادته تلك من مشافهته للأعراب، ونقله عنهم بأساليب متعددة، أو أخذه برواية شيوخه كالخليل، ويونس، والأخفش الأكبر، وعيسى بن عمر، والأصمعي.

* - وقد بيتنا من خلال البحث الشعرَ المستدلّ به، وأعدناه إلى أصوله الجاهلية، والإسلامية، والاموية، والعباسية، وراعينا تقسيم أصحابه إلى عدنانيين وقحطانيين. ورتبنا كلّ ذلك وفق الأكثر فالأقلّ، وظهر لنا أنّه عُني بالشعر الأمويّ، وما يليه من العصر العباسي عناية تفوق استدلاله بالشعر الجاهلي على الرغم من التداخل الواضح بين عصر وآخر، فكثير من الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام، ولم يُسلموا، كان معظم شعرهم قبل الإسلام، وهذا مادفعنا إلى وضعهم ضمن شعراء العصر الجاهلي كماية بن أبي الصلت، أو اعتنقوا الإسلام، وقلّ شعرهم فيه كلبيد بن ربيعة العامري.

* - وهناك طائفة من الشعراء أدركت العصر الأموي بسنوات عديدة، لكننا أبقيناها في تصنيفنا مع الشعراء المخضرمين؛ لأنّ جلّ شعرها كان في الجاهلية والإسلام العصر الراشدي منه كالنابغة الجعدي، وحسان بن ثابت، والحطيئة.

هناك فئة أخرى من الشعراء الذين عاشوا في العصر الأموي، وأدركوا العصر العباسي إلا أنّ أغلب شعرهم كان قبل ١٣٢هـ، فقد أبقيناها في عداد الشعراء الأمويين كروبة بن العجاج، وصنفنا من شعراء العصر العباسي كلّ من عاش في ذلك العصر، وظهر في شعره مدح لبني العباس وإن كان متقدماً كابي نخيلة المتوفى سنة ١٤٥هـ.

* - وتمقتينا استدلال سيبويه بشعراء مطعون عليهم، و بأبيات مصنوعة، أو مجهولة القائل، وهذا التقصّي، وإن كان لاينال من الكتاب وصاحبه إلا أنني وجدت من الواجب عرضه وتوضيحه، وبيان مرآيه. وفرقنا بين نوعين من الاستدلال: الأول منهما الاستدلال لعلم النحو، والثاني الاستدلال لعلم اللغة؛ فعلم النحو يُعنى بتركيب الكلام، وعلاقة عناصر الجملة مع بعضها، وهو علم قليل الاستجابة للتطور والتغيير، أما علم اللغة فهو يُعنى باللفظة الواحدة، وتطور مدلولها عند العرب، وهو علم سريع الاستجابة لما يعتري اللغة من تطور وتغيير في مدلولها المعنوي مع محافظتها على سلامة تركيبها ونظمها، وبقاء أصولها ثابتة لا يطلها التغيير، لذلك نرى أنّ سيبويه لم يجد حرجاً في الاستدلال بشعر من ضعفهم اللغويين، لأنّ ما يبحث عنه ليس عرضة للتغيير بشكل سريع، فالأعرابي مثلاً، وهو صاحب السليقة العربية إذا زار الحواضر، أو تخوم بلاد فارس فإنه قد يستخدم لفظة غير عربية أحياناً لكنّه لا يغير قواعد تركيب الجملة التي قُطِرَ عليها، يضاف إلى ذلك أنّ معظم ما ذكره سيبويه من شعر كان نقلاً لما كان العلماء يتداولونه في مجالسهم، ويرددونه دائماً على مسامع طلابهم، أو نقلاً لما كان يتناشده الرواة الثقات، أو عن الأعراب الفصحاء الذين يستدلّ بإنشادهم.

* - أما القبائل التي أخذ سيبويه عن شعرائها، فقد وصلنا إلى أنّه استدلتّ بشعر أغلب القبائل العربية التي يشملها ما أطلق عليه النحاة (عصر الاحتجاج)، وبيّنا أنّ سبب استبعاده لبعض القبائل في الاستدلال يعود إلى أنّها لم تنجب شاعراً معروفاً ذائع الصيت آنذاك.

* - ولم يهتم سيبويه أحياناً بنسبة الأبيات التي استدلتّ بها، بل انصبّ اهتمامه بقبول الراوي الفصيح لها، لأن قبوله لها دليلٌ على فصاحتها، ودقّتها، وعلى الرغم من ذلك فإنّ سيبويه يشير أحياناً إلى أنّ هذا البيت أوذاك مصنوع، وقد بيّنا أنّ ما أشير إليه بأنه مصنوع قد يكون من زيادات بعض قراء الكتاب؛ لأنّه لا يمكن أن يستدلّ بأبيات مصنوعة، لاسيّما أنّه يأخذ شواهد عن شيوخه، وعن

الرواة الذين لا يرقى إليهم شك في الأمانة والفصاحة، ثم ذكرنا أنّ الضرورة عند سيبويه جائزة في الشعر، فإذا كانت في النثر فهي قبح.

* - ووصلنا إلى أنّ استدلاله بالشعر كان كاستدلاله بالقرآن الكريم، فقد وجهه في الغالب لما خالف الأصول من خلال تناولاته النحوية من غير إهمال لهذه الأصول، فهو يتكلم على ما خالف الأصول لأمر معنوي، أو للضرورة، أو لأسلوب فني، أو لبنية الكلمة أو للحذف، أو لبيان القليل والناذر، أو لبيان القبيح، أو للقطع، أو للاستخفاف، أو للنيتة أو للاتساع، أو لأمر لفظي، أو لمخالفة السماع، أو لنزع الخافض، أو للجوار، أو لعدم اللبس أو للتوهم، أو لصرف الممنوع من الصرف، أو للإلغاء، أو للمشابهة، أو للفصل، أو لنيابة اللفظ، أو لاختلاف اللفظين. ويتكلم كذلك على الأصول كعمل المصدر، ومبالغة اسم الفاعل والاشتغال، إضافة إلى ملامح متعددة في استدلاله بالشعر كاستدلاله لأكثر من وجه، أو لبيان اللهجات، أو كاستدلاله للجيد، أو للقليل، أو للضعيف من لغة العرب، أو كتأكيد السماع، أو كتبعه للقاعدة والاستدلال لها، وغير ذلك من الطرق المتنوعة في استدلاله.

* - ووجدنا المواضع النحوية التي لم يستدل لها بالشعر وهي قليلة نسبياً، واقتصرت على جزء من المباحث النحوية البسيطة كالابتداء، والنداء، والندبة، وأسماء الأفعال؛ لأنها من الأصول التي لا تحتاج إلى دليل بحسب المنهج الذي أتبعه سيبويه في كتابه.

وقد عزّزنا مذهبنا إليه ببيانين توضيحيّين قصدنا فيهما إحصاء الأبيات الشعرية التي استدلت بها سيبويه في كتابه مشيرين إلى أنّ بعض هذه الأبيات استدلت به أكثر من مرة، وأكثر من قاعدة، وبأكثر من رواية، إذا كانت الرواية المعنية تخدم هدفه النحويّ.

* - أنا الأمثال فقد بيّنا أن سيبويه قد سبق غيره بالاهتمام بها في الأغراض النحوية لکنه لم يجعلها ركناً هاماً من أركان استدلاله، بل جعلها متممة لغيرها من طرق الاستدلال من القرآن الكريم، والشعر قاصداً الإحاطة بكل مادة تصوّر واقع لغة العرب التي رسم ملامحها من خلال القواعد الشاملة المذكورة في كتابه.

* - أنا استدلاله بلغة التخاطب فقد تبع ستة من سبقه من النحاة، فأولى لغة البدو عناية تشبه عنايته بالشعر، والقرآن الكريم في الاستدلال على ماخالف الأصول، وقد استقى مادته من مصدرين: أولهما النقل عن شيوخه، وثانيهما مشافهته للأعراب، ولاحظنا من خلال عبارات سيبويه أنه لم يخرج إلى البداية قط، بل كان يلقاهم في البصرة مؤكداً فصاحة من يلقاهم، ويأخذ عنهم، أو ضعف لغتهم إن شكّ فيها، وهذا النسخ الذي اختطه لنفسه متأثراً بشيوخه يجعلنا نأمن للأحكام التي يصل إليها؛ لأن القواعد التي وصلت إلينا من لغة العرب مرت عبر مجموعة من النحاة أمثال الخليل، وسيبويه، ومن سبقهما من أئمة النحو.

* - أنا الأمثلة التي صنعها سيبويه فقد كانت محاكاة لكلام العرب، وكان أثرها كبيراً فيمن جاء بعده من النحاة حتى إننا نراهم يأخذون أمثله بلا تبديل في الغالب، والسبب في ذلك ثقتهم الكبيرة فيما وصل إليه شيوخهم، وقد حاول أن تكون مطابقة للمقاييس النحوية التي استنبطها، وهذه المقاييس مطابقة في الأصل لما سمعه من العرب، أو نُقِل إليه عنهم.

* - وشمل استدلاله بغير النصوص، السماع، والقياس، والملة؛ أما السماع فقد بيّنا أن سيبويه قد جمع بينه، وبين القياس جمعاً دقيقاً بارعاً، فيه أمانة السماع، وفرن القياس، وهو بذلك يظهر تأثره الواضح بأستاذه الخليل، وعلى الرغم من الجمع بينهما، فقد كان أكثر اهتماماً بالسماع، وأولاه الأهمية الأولى إن وُجد، ويقدمه على القياس مصرّحاً بأن الكثير المسعوم أولى بأن يقاس عليه لأن

الأصل، وأنّ الرأي النحويّ أولى بالردّ إنّ لم يكن له نظير من كلام العرب. وإذا استدلّ بالسمع لما خالف الأصول، وخرج عليها، فإنه يحاول أن يتأوله ليتفق مع الكثير الشائع، لأنّ النحاة الذين سبقوه بنوا على الأكثره وجعلوا القليل لغة، وهذا مادفه لتعليل الظواهر القليلة المسموعة، وتأويلها لتناسب الأصل المستقرى من الكثير.

* - ومن جهة أخرى فقد وصلنا إلى أنّ اهتمامه بالسمع أكثر من اهتمامه بالقياس لم يمنعه من ترجيح القياس في بعض المواضع على السماع، والدافع إلى ذلك أنّه لم ترد عن العرب كلّ صور التراكيب، والصيغ، والجمل التي تعتبر عن المعاني المختلفة، وهو بذلك يشابه إلى حدّ بعيد القياس عند الفقهاء حيث إنّ نصوص الكتاب، والسنة، لم تغف عند الأحكام الشرعيّة جميعها؛ لما حدث في الماضي، ولما يمكن أن يحدث في المستقبل، وبناء على ذلك فقد وضحت ضرورة القياس لتواكب هذا التطور وتسد تلك الفجوة.

ونحن لاندعي أنّ نشأة القياس عند النحاة والفقهاء كانت واحدة، بل نرجح أنّ النشأة كانت منفصلة، أملتبا الحاجة والضرورة عند كليهما، لأنّه لو اقتصرنا الأحكام النحوية، والفقهيّة على ماورد في النقل لوقفنا عاجزين أمام كثير من المسائل التي لم يرد النقل فيها، لذلك وجد النحاة والفقهاء أنفسهم مضطرين لقياس ما لم يرد النقل فيه على ماورد، وفي هذه الخطوة من غير شكّ تحقق الكثير من ضبط الأحكام، وتععيد الأصول في كلا العلمين.

* - اتنا العلة النحويّة فقد وجدنا أنّ سيبويه نظر في علل من سبقه من النحاة، وعلى رأسهم شيخه الخليل فإفاد منها فائدة عظيمة، وأضاف إليها نظراته الخاصة بعد أن أدرك لغة العرب، وأبعادها، وقد آمن سيبويه في توضيح كلام العرب، فمزج العلة بالقياس، ووجه جزماً من تعليلاته نحو العوامل، وأثرها بأسلوب يتسم بالعرض حيناً، وبالحوار مع شيخه أحياناً أخرى، وقد أكسب حوارهما

النحو فائدة عظيمة، فتشعبت أقسام العلة، وتعددت أنواعها حتى غدت مادة هائلة لمن خلّفهما من النحاة، وتفرّد الاثنان ببعض العلل فكان لهما قصب السبق في علة التوهم، وعلة النية، ورسمًا للنحو لمسة أخرى من طرق الاستدلال النحوي.

* - ثم استعرضنا أثر استدلال سيبويه في تاريخ النحو، وقسمنا ذلك قسمين: الاستدلال بالنصوص، والاستدلال بغير النصوص بشكل مباشر، أو غير مباشر.

* - ففي **الأول** اخترنا بعض أشهر النحاة الذين تأثروا بسيبويه مدركين صعوبة الاختيار، وعلى الرغم من ذلك فقد راعينا في اختيار النحاة تنوع المدارس، والأقاليم، وعرضنا تأثرهم بسيبويه، أو مخالفتهم له في مواضع قليلة من خلال استدلالهم بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والأمثال، ولغة التخاطب.

* - في **القرآن الكريم** وصلنا إلى أنّ أثر سيبويه قد شمل من عاصره، ومن جاء بعده، فقد تابعه النحاة في استدلالهم على ما وافق الأصول حيناً، وما خالفها أحياناً، فوقفوا عند القراءات التي خالفت الأصول فمنهم من قبلها، ومنهم من ردها. ولعل تناولاتهم للقراءات الشاذة هي نوع من اهتمامهم بما خالف الأصول؛ لأنه لولا مخالفة القراءات لهذه الأصول في رأي النحاة آنذاك لما أطلقوا عليها اسم القراءات الشاذة.

ومن جهة أخرى فقد اهتمّ النحاة جميعهم بالقرآن الكريم كطريق للاستدلال، وإن كان اهتمام المتأخرين من النحاة أكبر مما عند سيبويه الذي أولى الشعر عناية فائقة، وعول على إنشاد العرب الفصحاء، وقد استدلّ النحاة كذلك بالقراءات القرآنية على اختلاف تصنيفها، غير أنّ النحاة الأوائل لم يدركوا تصانيف القراءات التي وضعها ابن مجاهد فصحت قراءات صنّفها فيما بعد بالشاذة، وزلات قراءات وضعها المتأخرون في مصافّ القراءات الصحيحة.

بعد القرن الرابع حافظ بعض النحاة على نهج الأوائل في الاستدلال بالقرامات القرآنية، ورد بعضها كالرضي الأستراباذي، وأخذ نحاة آخرون بالقرامات جميعها، وعدوها صحيحة.

* - وفي الاستدلال بالحديث الشريف، فقد نهج المتقدمون نهج سيبويه سواء أكانوا بصريين أم كوفيين، فلم يستدلوا بالحديث الشريف إلا في مواضع قليلة لا تشكل مذهباً، ثم عرضنا لمذهب ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) الذي استدل به بكثرة متأثرًا بالسبيلي (ت ٥٨١ هـ)، وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ). وذكرنا أنّ جهود النحاة آنذاك بقيت موجّهة نحو الاستدلال لما خالف الأصول في الغالب.

* - وفي الشعر تكلمنا على النحاة الأئمة الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني الهجريين الذين بحثوا عن الشواهد النصيحة سواء أكان ذلك مما سمعوه مباشرة أم من الأعراب الذين لم يخالطهم فساد أم سمعوه من شيوخهم الثقات، وكان سيبويه على رأس هؤلاء دقة وأمانة، فكان كتابه سجلاً أميناً للمرحلة التي سبقته، وكان أثره واضحاً فيمن جاء بعده على مدى قرون طويلة.

بعد ذلك تكلمنا على المرحلة التي عاشها نحاة القرنين الثالث والرابع الذين اعتمدوا على جهود السابقين، لاسيما شواهد سيبويه، وأضافوا إليها شواهد قليلة، لكن ذلك لم يسعهم في إضافة أصول جديدة؛ لأن أسلافهم سدّوا كلّ ثغرة في بنیان النحو العربي، وفي المرحلة التي تلت ذلك، لم تُصنّف شواهد جديدة بشكل عام إلا ما ندر كاستدلالهم بشعر أبي تمام، وأبي فراس، ولم يقدموا شيئاً جديداً.

* وفي الأمثال وجدنا أنّ النحاة المتأخرين قد تابعوا ما كان عليه أسلافهم، فتكررت الأمثال جيلاً بعد جيل مع بعض الإضافات الجديدة، واختلاف في الروايات سببها أنّ النحاة يأخذون بالرواية التي تخدم غرضهم النحوي دون ترجيح رواية على رواية أخرى. ومقالة الاستدلال بالأمثال قياساً على

الشعر، والقرآن الكريم إلا لأنهما أكثر ثباتاً، وأقلّ عرضة للتبدل والتغيير؛ الأول لما يحويه من وزن وقافية يحميانه إلى حد ما من التغيير، والثاني لما فيه من قدسية؛ أما المثل فهو لسان حال العربي ببساطة تركيبه، وجمال تعبيره، واختصار مفرداته، وصلاحه ليخدم المعنى في أكثر من مناسبة، وهو ما يدفع بالعربي لتبديل بعض مفرداته ليستخدمها في المقام الذي هو فيه، لايمنعه من تغيير مفرداته وزن، ولاقافية، ولايخشى فيه تبديلاً.

* - وفي لغة التخاطب وجدنا أنّ النحاة نهجوا نهج سيويه بالأخذ عن الشيوخ، ومشافهة الأعراب مباشرة، حتى إنّ بعض النحاة كالمبرد مثلاً استدلوا بلغة الأعراب في ردّهم على سيويه، وإنكارهم لبعض ما جاء في كتابه.

وفي نهاية القرن الرابع بدأ النحاة يشكّون في فصاحة الأعراب، وسلامة لسانهم بعدما اختلطوا، وفسدت سليقتهم، ووجدنا كذلك أنّه مع القرنين الخامس والسادس الهجريّين تكون قد انتهت عصور المشافهة، ولم يذكر أحدٌ من نحاة تلك الفترة أنّه نقل لغة أعرابي، أو بنى على حديثه إلاّ ماندر.

- وفي الثاني؛ أي الاستدلال بغير النصوص نكلّمنا على السماع والقياس بعد سيويه، وأثر سيويه في ذلك، وانتسبنا إلى أنّه قد تداخل السماع والقياس في مناهج النحاة، لاسيما المتقدمون منهم، وكلّما مرّت السنون نأى النحاة بأنفسهم عن السماع، وأخذوا بالقياس منهجاً لهم، وهذا جعلنا نتتبع المنهجين من خلال المدرسة البصريّة، والمدرسة الكوفيّة، ومن تبعهما من غير أهل البصرة، والكوفة، فكان تقسيمنا بحسب الأفكار، لا الأمصار. وقلنا إنّ المدرسة الكوفية لاتباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو، فقد بنّت نموّها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي، غير أنّها مع اعتمادها على تلك الأركان استطاعت أن تشقّ لنفسها مذهباً

نحويًا جديدًا له طابعه، وله أسسه ومبادئه.

وقد كان لمدرسة البصرة السابق في الدراسة النحوية، حيث وضع نحاة البصرة دعائم النحو العربي، ولبناته الأولى، ثم جاءت مدرسة الكوفة التي رفع لواها نحاة كوفيتون أخذوا النحو على يد نحاة البصرة، وعادوا إلى مدينتهم الكوفة لينشروا ما أخذوه، وهم مدينون للبصرة بنشأة مذهبهم.

والكوفيتون لم ينقلوا من البصرة نقلًا بعيدًا عن الوعي والدراية والتمحيص، بل أعادوا النظر فيما أخذوه، فعدّلوا، وغيّروا، وبدّلوا، ورسموا شخصيتهم النحوية التي اتفقت مع البصريين حينًا، وخالفهم أحيانًا كثيرة. وإذا كان نحاة الكوفة قد أخذوا عن سيبويه والبصريين استدلالهم بلغة الأعراب فقد توسّعوا في أخذهم عن هؤلاء الأعراب كأعراب سواد الكوفة، وعرب الأرياف المحيطة بالمدن.

وإذا كان الكوفيون كذلك قد اعتمدوا على الكسائي، فإنّ الكسائي أخذ عن سيبويه حين درس الكتاب على الأخفش، والفراء بدوره اطلع عليه، واحتفظ بنسخة منه، وتعلبًا كان متبحرًا في مذهب البصريين.

وكذما ذكرت فإنّ أئمة الكوفة في النحو خرجوا من بوابة البصرة، إنّ مشافهة وإن مناقلة حتى استوى لهم منهجهم الجديد.

فهارس البحث

الصفحة

- | | |
|---------|--|
| ٥٠٣-٤٩٥ | ١ - فهرس القرآن الكريم. |
| ٥١١-٥٠٤ | ٢ - فهرس القراءات القرآنية واصحابها. |
| ٥١٤-٥١٢ | ٣ - فهرس الحديث الشريف. |
| ٥١٧-٥١٥ | ٤ - فهرس الأمثال. |
| ٥٣٣-٥١٨ | ٥ - فهرس الأشعار. |
| ٥٣٧-٥٣٤ | ٦ - فهرس الأرجاز. |
| ٥٤٩-٥٣٨ | ٧ - فهرس الأعلام. |
| ٥٥٧-٥٥٠ | ٨ - فهرس الأعلام الذين تُرجم لهم في الحواشي. |
| ٥٦١-٥٥٨ | ٩ - فهرس القبائل والأقوام والجماعات. |
| ٥٩٣-٥٦٢ | ١٠ - فهرس المصادر والمراجع. |

تخرس القرآن الكريم

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
١٦٧، ١٥٤	٢٣٠	<u>البقرة</u>			<u>الفاححة :</u>
١٤٩	٢٧١				(١)
١٥٦، ١٢٤	٢٧٥		١٣٨، ١٢٨	٢	
٢٤٤			٨٢	٧	
٢٤٠	٢٨٠				<u>البقرة :</u>
٢٤٠	٢٨٢				(٢)
١٦٨	٢٨٤		٤١٢	٢	
		<u>آل عمران</u>	٤١٩، ١٤٥	٢٦	
		(٣)	٤١٨	٣٤	
٢٢	٧٣		١٧٣، ٦٤	٣٥	
١٦٣	٨١		٨٢	٣٨	
١٢٤	١٠٥		٤	٤٣	
٤٧١	١٥٢		٤٥٩	٥٢	
١٥	١٥٩		٤٥٩، ١٠٥	٥٣	
١٣١	١٨٥		٦٢	٥٤	
		<u>النساء</u>	١٦٣	٨٣	
		(٤)	١٢٧	١٢٦	
١٤٧	١		٤١٩	١٣٣	
١٢٦	٤		٤٣٩	١٣٨	
١١	١١		١٦٣	١٤٥	
١٧، ٨	٥٩		٤٢١	١٩٥	
١٥	١١٥		١٢	٢٢٨	

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
١٥٨، ١٤٣	١٥٤	<u>الأنعام</u>	١٦٠	١٥٧	<u>النساء</u>
١٤٩، ١٦٥		<u>الأعراف</u>	١٢٦	١٦٢	<u>البقرة</u>
		(٧)			(٥)
١٤٧	١٠		١٣٢	١	
١٦٣	١٨		١٣٢	٢	
١٧٣	١٩		٤١٧، ٣١	٦	
٤١٣	٢٠		١٣٩، ٦١	٣٨	
١٣٥	٢٣		١٣	٦٧	
٥٨	٥٣		٣٨٢، ١٦٢	٦٩	
٦٢	٧٧		١٣٢، ١٢٧	٩٥	
١٣٨	٨٢		١٣٠	١١٧	
٨١	٨٩		٤٣٤، ٤١٩	١١٩	
١٥٩	١٥٥				
١٣	١٥٨				<u>الأنعام</u>
١٣٤	١٦٤				(٦)
		<u>الأنفال</u>	٥٨	٢٧	
		(٨)	١٢٩	٣٧	
			٧	٥٧	
١٤٧	٩		٢٣	٩١	
١٥٤	٦٠		١٤١، ١٢١	١٠٩	
			١٤٧، ١٤٥	١٣٧	
			١٤٠	١٣٩	
			١٧٣	١٤٨	

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
٤١٩ ، ٤١٤	٧٨	<u>هود</u>			<u>التوبة</u>
					(٩)
١٦٤	١١١		٦٥	٣	
١٢٦	١١٦		٤١٧	٧	
			٤١٧	١٠٨	
		<u>يوسف</u>			<u>يونس</u>
		(١٢)			(١٠)
٥٣	٢		١٢٣	١٠	
١٥٥	٤		٤١٥	١٥	
٦٤	٢٣		٤٧٢	١٦	
٨٢	٣٩		١٢٩	٢٠	
			٤٢٥ ، ٤١٣	٥٨	
		<u>الرعد</u>	١٢٦	٩٨	
		(١٣)			<u>هود</u>
١٢٩	٧				(١١)
١٢٩	٢٧		١٦٨ ، ١٥٧	١٥	
١٧١	٢٩		١٧١	١٨	
٨١	٣١		١٢٦	٤٣	
			١٣٥	٤٧	
		<u>ابراهيم</u>	١٣٠	٦٨	
		(١٤)	١٤٠ ، ٦٣	٧٢	
٤١٢	١٢		١٤٦ ، ١٤٤		
١٥٢	٣١		١٧٠ ، ١٤٨		
			٦١ ، ٥٩	٧٨	
			١٥٠ ، ١٤٣		

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
		<u>مريم</u>			<u>الحجر</u>
		(١٩)			(١٥)
١٤٨	٧		٤٤٥ ، ٩	٩	
٤٢١	٢٥		١٤٧	٢٠	
١٥٨	٦٢		٤٦	٢٢	
١٦٥	٦٩		٦٤	٥٤	
		<u>طه</u>			<u>النحل</u>
		(٢٠)			(١٦)
٢٣	٥		١٧٥	٢٤	
٤٥٩	٤٤		١٧٤	٣٠	
٤١٩ ، ٦٦	٦٣		١٢	٤٤	
١٧٠	١١٨		٢١٢	٤٧	
١٧٠	١١٩				
		<u>الأنبياء</u>			<u>الإسراء</u>
		(٢١)			(١٧)
١٦٠ ، ٦٥	٣		١٣٠	٥٩	
٨١	١٧		١٤٤	٧٦	
١٥٣	٢٢				<u>الكهف</u>
١٤٣	٩٢				(١٨)
٤١٨	١٠٨		١٢٦	١٢	
			١٢٦	١٩	
			١٧٤	١١٠	

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
١٥٥	١٨	<u>النمل</u> (٢٧)			<u>الحج</u> (٢٢)
١٣٠	٢٢		٤٢١	١٥	
		<u>العنكبوت</u>	٤٢١	٢٥	
١٣٠	٣٨	(٢٩)	٤٢١	٢٩	
		<u>الروم</u>	٥٩	٣٥	
		(٣٠)	١٢٦	٤٠	
٤٢٠	٤		١٥٣	٦٣	
١٦٣	٥١				
		<u>السجدة</u>			<u>الزمنون</u> (٢٣)
		(٣٢)	١٦٩	٥٢	
١٣١	١٢				
		<u>الأحزاب</u>			<u>النور</u> (٢٤)
		(٣٣)	١٣٩، ٦١	١	
١٨٣، ١٢٩	٣٥		١٣٩، ٦١، ١١	٢	
١٣	٣٦				<u>الفرقان</u>
٣٨٢	٥٦		١٣٠	٣٨	(٢٥)
		<u>سبا</u>			<u>الشعراء</u> (٢٦)
		(٣٤)	٤٨	٤	
١٧١، ٤٧	١٠		٥٣	١٩٥	
١٣٠	١٥				

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
		<u>الزمر</u>			<u>سبا</u>
		(٣٩)	١٦١	٣٣	
١٤٦	٣		١٤٠، ٤٨	٤٨	
١٦٦، ١٤٢	١٦				
٣٦٧					<u>فاطر</u>
١٧٢	٤٦				(٣٥)
٤٧١	٧٣		١٤٢	١	
		<u>قصص</u>	١٦٣	٤١	
١٣٠	١٧	(٤١)			<u>يس</u>
		<u>الشورى</u>	٤٢٦، ١٣٥	١	(٣٦)
		(٤٢)	١٣٥	٢	
١٥	٣٨-٣٧		٤٤٩، ١٥٥	٤٠	
١٤٨، ١٢٨	٥١				<u>الصافات</u>
		<u>الزحرف</u>			(٣٧)
		(٤٣)	٤١٢	١٣٧	
٤١٦، ١٢٣، ٦٠	٧٦				
		<u>الجاثية</u>			<u>ص</u>
٦٤	١٤	(٤٥)	١٤٩	٣	(٣٨)
١٣٨	٢٥		١٣٠	٦	
			٢٧٩	٢٢-٢١	
			٤٢١	٣٣	

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
		<u>النجم</u>			<u>الأحقاف</u>
		(٥٣)			(٤٦)
٩	٣		٥٣	١٢	
٩٠٥	٤		١٣٢	٢٤	
٦٣	٥٠				
		<u>القم</u>			<u>مجاد</u>
		(٥٤)			(٤٧)
١٤٦, ٦٠, ٤٧	١٠		٣٣٦	٤	
١٣١	٢٧		١٤٨, ٦٣	١٨	
		<u>الواقعة</u>			<u>الفتح</u>
		(٥٦)			(٤٨)
١٤٤	٢٢		٢٣	١٠	
		<u>الممتحنة</u>			<u>ق</u>
		(٦٠)			(٥٠)
٤٧٣	٤		١٣٥	٢-١	
		<u>الصف</u>			
		(٦١)	٧٥	٥	
١٥٢	١٢-١١-١٠		١٤٥	٢٣	
					<u>الذاريات</u>
					(٥١)
			١٦١	٢٣	

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
٥٠٢					
		<u>القيامة</u>			<u>الناثقون</u>
		(٧٥)			(٦٣)
٦٥	٤		١٦٤	١	
٤٥٢، ٤٢٩	٢٢		١٦٢، ١٢٧	١٠	
٤٥٢	٢٣		٣٨٥، ٣٣١		
١٦٦، ١٥٤	٢٥		٣٩٩		
		<u>الرسالات</u>			<u>القدر</u>
		(٧٧)			(٦٨)
٤٣٥، ٤٣٤	٣٥		١٥٦، ١٤٢	٤٣	
		<u>عبس</u>	٢٤٤		
		(٨٠)			<u>المعارج</u>
٥٤	٣١				(٧٠)
		<u>المطففين</u>	١٤٤، ١٤٠	١٥	
		(٨٣)	١٧٠		
١٧١	١		١٧٠	١٦	
٦٢	٣٦		٢٤٤، ١٤٢	٤٤	
		<u>الأعلى</u>			<u>الجن</u>
		(٨٧)			(٧٢)
٦٣	١٦		١٢٧	١٣	
		<u>الذکر</u>			<u>الذکر</u>
		(٧٤)			(٧٤)
			٧٤	٤	

<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الآية</u>	<u>السورة</u>
		<u>السد</u>			<u>الغاشية</u>
		(١١١)			(٨٨)
١٤٢	٤		٤٨	٣-١	
		<u>الإخلاص</u>			<u>الفجر</u>
		(١١٢)			(٨٩)
٣٧٦	٤		٦٢	١٦-١٥	
					<u>الشمس</u>
			١٦٤	١	(٩١)
					<u>الشرح</u>
			٥٦	٢	(٩٤)
					<u>العلق</u>
			١٧٠	١٦-١٥	(٩٦)
					<u>الكوثر</u>
			٩٧	١	(١٠٨)

فهرس القراءات القرآنية وأصحابها

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
١٤٥	البقرة ٢٦/٢	- إبراهيم بن أبي عبلة
١٤٤	الإسراء ٧٦/١٧	- أبي بن كعب
١٧١	سبا ١٠/٣٤	- الأعرج
٦٤	الجاثية ١٤/٤٥	
١٤٠	البقرة ٢٨٢/٢	- الأعمش
١٤٩، ١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	
١٦٥، ١٥٨		
١٤٣	الأنبياء ٩٢/٢١	
٤١٤	هود ٧٨/١١	- أهل المدينة
٦٤	الحجر ٥٤/١٥	
١٤٧	الأنفال ٩/٨	- أهل مكة
١٤٩	البقرة ١٧١/٢	- أبو بكر بن عاصم
١٧٠	طه ١١٩-١١٨/٢٠	
٤٢٠	الروم ٤/٣٠	- الجحدري
١٣٩	المائدة ٣٨/٥	- أبو جعفر
١٣٩	النور ٢-١/٢٤	

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
٦٤	الجاثية ١٤/٤٥	- أبو جعفر
١٧٥	النحل ٢٤/١٦	- الجمهور
١٤٩، ١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	- الحسن البصري
١٦٥، ١٥٨		
١٣٩-١٣٨	الأعراف ٨٢/٧	
٤٧٢	يونس ١٦/١٠	
١٥٠، ١٤٣	هود ٧٨/١١	
٤١٩		
١٤٣	الأنبياء ٩٢/٢١	
١٣٩-١٣٨	الجاثية ٢٥/٤٥	
٩٧	الكوثر ١/١٠٨	
١٣٩-١٣٨	الأعراف ٨٢/٧	- حماد بن سلمة
١٣٩-١٣٨	الجاثية ٢٥/٤٥	
١٤٠	البقرة ٢٨٢/٢	- حمزة الزيات
١٤٧	النساء ١/٤	
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	
١٤١، ١٣١	الأنعام ١٠٩/٦	- الخليل بن أحمد
١٣٣	الزخرف ٦٧/٤٣	- أبو زيد
١٣٨	الفاتحة ٢/١	- زيد بن علي
١٤٠	الأنعام ١٣٩/٦	

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	- زيد بن علي
١٥٠، ١٤٣	هود ٧٨/١١	
٤١٩		
١٤٣	الأنبياء ٩٢/١٢	
١٧٤	النحل ٣٠/١٦	
١٤٠	سبأ ٤٨/٣٤	
٩٧	الكوثر ١/١٠٨	- الزعفراني
١٤٥	البقرة ٢٦/٢	- روبة بن العجاج
٤١٩	طه ٦٣/٢٠	- السبعة عدا أبي عمرو
١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	- سعيد بن جبير
١٥٠، ١٤٣	هود ٧٨/١١	
٤١٩		
١٤٣	الأنبياء ٩٢/٢١	
٤٢٠	الروم ٤/٣٠	- أبو السقال
٦٤	الجاثية ١٤/٤٥	- شيبه
١٤٥	البقرة ٢٦/٢	- الضحاك
٩٧	الكوثر ١/١٠٨	- طلحة
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	- عاصم
١٤٢	المسد ٤/١١١	
١٤٧	الأنعام ١٣٧/٦	- ابن عامر

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	- ابن عامر
٨٢	الفاتحة ٧/١	- عبد الله بن أبي اسحاق
٨٢	البقرة ٣٨/٢	
٥٨	الأنعام ٢٧/٦	
١٤٠	الأنعام ١٣٩/٦	
١٤٩، ١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	
١٦٥، ١٥٨		
٥٨	الأعراف ٥٣/٧	
٨٢	يوسف ٣٩/١٢	
١٤٣	الأنبياء ٩٢/٢١	
١٤٠	سبأ ٤٨/٣٤	
١٣٥	يس ٢-١/٣٦	
١٢٣، ٦٠	الزخرف ٧٦/٤٧	
١٤٦، ١٤٠	هود ٧٢/١١	- عبد الله بن مسعود
٤١٢		
١٤٤	الإسراء ٦٧/١٧	
١٦٨	البقرة ٢٨٤/٢	- ابن عباس
٤١٨	آل عمران ١٥٩/٣	
٨١	الأمراف ٨٩/٧	
٨١	الرعد ٣١/١٣	

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
٨١	الأنبياء ١٧/٢١	- ابن عباس
٨١	الفتح ١٢/٤٨	
١٣٩	المائدة ٣٨/٥	- ابن أبي عتبة
١٤٠	الأنعام ١٣٩/٦	
١٤٠	سبا ٤٨/٣٤	
١٣٤	الأعراف ١٦٤/٧	- العشرة
١٢٧	المنافقون ١٠/٦٣	
١٣٩	المائدة ٣٨/٥	- عمرو بن فائد
١٣٩	النور ٢-١/٢٤	
١٤٩	البقرة ٢٧١/٢	- أبو عمرو بن العلاء
١٤٨	هود ٧٢/١١	
٦٤	يوسف ٢٣/١٢	
١٤٨	مريم ٧/١٩	
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	
١٤٢	فاطر ١/٣٥	
١٤٢	الزمر ١٦/٣٩	
٦٤	الجاثية ١٤/٤٥	
١٤٨	محمد ١٨/٤٧	
١٢٨	المنافقون ١٠/٦٣	
٤٢٠	الطلاق ٤/٦٥	

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
١٥٦، ١٤٢	الفلم ٤٣/٦٨	- أبو عمرو بن العلاء
٢٤٤		
٢٤٤	المعارج ٤٤/٧٠	
٤٢٠	الروم ٤/٣٠	- عون العقيلي
١٣٩	المائدة ٣٨/٥	- عيسى بن عمر
١٤٠	الأنعام ١٣٩/٦	
١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	
١٣٥	الأعراف ٢٣/٧	
١٥٠، ١٤٣	هود ٧٨/١١	
٤١٩		
١٤٣	الأنبياء ٩٢/٢١	
١٣٩	التور ٢-١/٢٤	
١٤٠	سبأ ٤٨/٣٤	
١٣٥	يس ٢-١/٣٦	
١٤٩	ص ٣/٣٨	
١٢٣	الزخرف ٧٦/٤٣	
١٣٥	ق ٢-١/٥٠	
١٦٩، ١٤٦	القمر ١٠/٥٤	
١٤٥	البقرة ٢٦/٢	- قطرب
١٤٩	البقرة ٢٧١/٢	- ابن كثير

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	- ابن كثير
٤١٥	يونس ١٥/١٠	- الكسائي
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	
١٦٥	مريم ٦٩/١٩	- الكوفيون
٤٢١	الحجج ٢٩/٢٢	
٤٢٥ ، ٤١٣	يونس ٥٨/١٠	- محمد (ص)
٤١٤ ، ١٥٠	هود ٧٨/١١	- محمد بن مروان السدي
٤١٩		
٩٧	الكوثر ١/١٠٨	- ابن محيصن
٤١٩	هود ٧٨/١١	- مروان بن الحكم
٤١٩	المائدة ١١٩/٥	- نافع
٤٢٠	الأنعام ١٦٢/٦	
١٤٧	الأعراف ١٠/٧	
١٤٧	الحجر ٢٠/١٥	
١٧٠	طه ١١٩-١١٨/٢٠	
١٦٩	المؤمنون ٥٢/٢٣	
١٣٩	المائدة ٣٨/٥	- يحيى بن يعمر
١٤٩ ، ١٤٣	الأنعام ١٥٤/٦	
١٦٥ ، ١٥٨		
١٤٣	الأنبياء ٩٢/٢١	

<u>الصفحة</u>	<u>السورة والآية</u>	<u>صاحب القراءة القرآنية</u>
١٣٩	النور ٢-١/٢٤	- يحيى بن يعمر
١٣٨	الفاتحة ٢/١	- يونس
٦٥	التوبة ٣/٩	
٦٦	طه ٦٣/٢٠	
٦٥	الأنبياء ٣/٢١	
٦٥	القيامة ٤/٧٥	

فهرس الأحاديث الشريفة

<u>الصفحة</u>	<u>الحديث الشريف</u>
٧٤	* إذا اشتبه عليكم شيء من القرآن، فاطلبوه من الشعر.
٦٩	* إذا لم تحلوا حراماً، ولم تحرموا حلالاً، وأصبتم المعنى، فلا بأس.
٤٠	* اذهب، والتمس، ولو خاتماً من حديد.
١٨	* أرأيت لو كان على أبيك دينٌ فقضيته، آكان ينفعه ذلك؟ قالت نعم، قال: فدين الله أحقُّ بالقضاء.
٥٥	* أقراني جبريل القرآن على حرف، فلم أزل أمتزیده حتى انتهي إلى سبعة أحرف.
٤١	* أمكتاكها بما معك من القرآن.
٣٥١	* إنَّ الله ينهاكم عن قيلٍ، وقال.
١٦	* إنَّ أمتي لاتجتمع على ضلالة.
٥٦	* أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ
٤٢٨	* إنَّ من أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون.
١٨٢، ٤١	* إنِّي عبد الله أكلاً كما يأكلُ العبدُ، وشارباً كما يشربُ العبدُ.
١٨٧، ١٨٦	
٤٢٦	* البكرُ تُمتأمرُ، والثيبيُّ تُعربُ عن نفسها.
١٣	* تركتُ فيكم أسرين، لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله، وصنتي.
١٠	* خذوا عني مناصككم.
١٨٦، ١٨٤	* سبوحاً قدوساً ربَّ الملائكة والروح.
١٨٨ ، ١٨٧	

- ١٠ - صلوا كما رأيتموني أصلي.
- ١٨٥ - فيها ونقضت.
- ١٨٧ - فولدني نفسي بيده، لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً كاساً.
- ٤٢٦ - كفى بالسيف شأ.
- ١٨٦ ، ١٨٤ - كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه، وينصرانه.
- ٤٢٧ ، ١٨٨
- ٤٢٧ - كما تكونون يؤلى عليكم.
- ٥٤ - لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن.
- ٤٢٦ - لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد.
- ٤٢٤ - ليس أنبرأ أصياماً في أتسفر.
- ٤٢٧ - ليس في الخضروات زكاة.
- ٤٢٧ - ليس في الخضروات صدقة.
- ١٦ - ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن.
- ١٨٦ ، ١٨٣ - ما من أيام أحب إلى الله عز وجلّ فيها الصوم منه في شهر ذي الحجة.
- ٤٢٥ ، ١٨٨
- ٤٢٧ - الناس كلهم مئة، لاتجد فيها راحلة واحدة.
- ٤٢٨ - نحن معاصراً الأنبياء لا نورث.
- ١٨٦ - ونخلع، ونترك من يفجرك.

* - يتعاقبون فيكم ملائكة.

* - يوشك رجل متكئ على أريكته، يحدث عنني، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله،

فما وجدنا فيه من حلال أحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، إلا وإن

فهرس الأمثال

<u>الصفحة</u>	<u>نص المثل</u>
٣٤٣	*- أتعميتاً مرةً ، وقيتاً أخرى-
٣٥٢	*- ادفع الشرَّ ولو إصبعاً.
٤٤٤	*- أذُلُّ من وتدٍ يقاع.
٣٥٢	*- استتيت الشاةُ .
٣٥٢	*- استنوق الجمُلُ.
٣٤٨.٣٢٨	*- أصبحَ ليلُ.
٤٤٤	
٣٤٨.٣٢٨	*- أطرقَ كرا.
٤٤٤	
٤٤٣	*- أطري فإنك ناعلةٌ
٣٤٢	*- أغدَّةٌ كغدَّةِ البعيرِ، وموتاً في بيت سُلويَّةِ.
٣٤٨.٣٢٨	*- افتدٍ مخنوقُ.
٤٤٤	
٤٤٤	*- أكذبُ من الأخيدِ الصَّبْحانِ.
٣٤٨	*- اللهمَّ ضبِّعاً، وذنباً.
٤٤٤	*- أمتُّ في الحجِّ لا فيك.

<u>الصفحة</u>	<u>نصّ المَثَل</u>
٣٥٠	* - أَمْرٌ مَبْكِيَاتِكَ، لَا أَمْرٌ مَضْحِكَاتِكَ.
٣٤٩	* - إِنَّ الْفَكَاهَةَ لَمَقْوَدَةٌ إِلَى الْأَذَى.
٣٤٩	* - إِنَّ لَا حَظِيَّةً، فَلَا أَلِيَّةٌ .
٣٤٧	* - أَوْ فَرَقًا خَيْرًا مِنْ حَبٍّ.
٤٤٣	* - بَعْدَ إِطْلَاعِ إِيْنَسِ.
٣٥٢، ٣٤٥	* - بَيْعُ الْمَلْطَى، لَا عَهْدَ وَلَا عَقْدَ.
٣٤٣	* - تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِيِّ لَا أَنْ تَرَاهُ.
٤٤٤	* - سُرْعَانَ ذِي إِهَالَةٍ .
٤٤٤	* - شَرٌّ أَهْرًا ذَا نَابٍ.
٤٤٣	* - شَرٌّ مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مُحَّةِ عِرْقُوبٍ.
٤٤٣	* - الصِّيفَ ضَيَّعَتِ اللَّبْنَ .
٣٥١، ٣٥٠	* - الطَّبَاءَ عَلَى الْبَقْرِ.
٤٤٢، ٣٤١	* - عَسَى الْفُؤَيْزُ أَبُوْسَاءَ.
٣٥١	* - غَضَبَ الْخَيْلِ عَلَى اللَّجْمِ.
٣٤٥	* - فِي عَضَتِي مَا يَنْبُتُ شَكِيرُهَا.
٣٦٠، ٣٤٧	* - قَضِيَّةٌ وَلَا أبا حَسَنِ.
٣٤٣	* - كَجَالِبِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرَةٍ.
٣٤٨، ٣٤٣	* - لَمْ يُحْرَمَ مِنْ فُصْدٍ لَهُ.
٣٥٢، ٣٤٥	* - مَتَعَرِّضًا لِعَتْنٍ لَمْ يَعْنِهِ.

الصفحة

٤٤٣
 ٣٥٠
 ٣٦٢
 ٣٥٢.٣٤٥

نصّ المَثَل

- *- محسِنَةٌ فِهْلِي.
 *- مَذْ شُبَّ إِلَى دُبَّ .
 *- مُطْرِنَا الزَّرْعَ وَ الضَّرْعَ.
 *- مَوَاعِيْدَ عَرْقُوْبٍ أَخَاهُ بِيْشْرِبِ .
-

فهرس الأشعار

باب الباء

			<u>فصل الباء المفتوحة:</u>
٣٤٢	جرير	وافر	واغترابا
			<u>فصل الباء المضمومة:</u>
٣٠٤ ، ١٣٤	الكميت	طويل	ومعرب
٢٧٨	النايفة الجمدي	طويل	فتصوتوا
٣٣٠	-	طويل	وتحلب
٢٣٢ ، ٧٦	الفضل بن عبد الرحمن	طويل	جالب
٣٨٢	ضائب البرجمي	طويل	لفريب
٢١٨	علفة بن عبدة	طويل	فصليب
٤٥٢	-	طويل	شاربه
٢٩٢	الفرزدق	طويل	طالبه
٣٩٥ ، ٢٨٣	ذو الرمة	بسيط	ولا عرب
٤٧٢	-	بسيط	شتوا
٤٧٢	-	بسيط	الخب
٢٠٩	-	بسيط	ذيب
١٣٣	هني بن أحمر الكناني	كامل	أعجب

فصل الباء المكسورة:

٢٠٧	ذو الرثة	طويل	والحرب
٢٠٧	ذو الرثة	طويل	ومن صعب
٢١٦	امرؤ القيس	طويل	مغرب
٤٤٠	أبو تمام	طويل	أشيب
٣١٣	النايفة الذبياني	طويل	بصاحب
٢٨٠	النايفة الذبياني	طويل	الكتائب
٢٨٦	هدبة بن خشرم	طويل	سكوب
٢٤٢	-	طويل	بليبي
٤٤١	المتنبي	بسيط	تهب
٤٣٧	-	بسيط	للمعجب
٣١٣	ابن الأيهم التغلبي	خفيف	الرقاب
٢٩٩ ، ٢٢٠	النايفة الجمدي	متقارب	تنضب

فصل الباء الساكنة:

٢٩٥	جرير	وافر	والعتاب
-----	------	------	---------

باب التاء

فصل التاء المضمومة:

٢٢٠	جذبة الأبرش	مديد	شمالات
-----	-------------	------	--------

باب الجيم

فصل الجيم المضمومة:

١٣١	النايفة الجعدي	طويل	دحاريج
٧٥	-	وافر	مريج
٤٤٩	-	وافر	تفوجرا

فصل الجيم المكسورة:

٢٦٨	ذو الرثة	بسيط	الفراريج
-----	----------	------	----------

باب الحاء

فصل الحاء المفتوحة:

٢٤٤	أبو ذؤيب الهذلي	وافر	طلبيحة
٢٩١	مضرس بن ربيعي	وافر	السريحا

فصل الحاء المضمومة:

٣٩٧ ، ١٤٥	الحارث بن نهيك	طويل	الطوائح
١٩٧	-	طويل	نابح
٣١٢	أبو ذؤيب الهذلي	طويل	تصيح
٣١٤	الحارث بن عباد	مجزوء الكامل	والمراح
٣١٤	مجزوء الكامل الحارث بن عباد		الوقاح

٥٢١

فصل الحاء المكسورة:

٢٩٧

ذو الرثة

طويل

السوانح

باب الدالفصل الدال المفتوحة:

٢٠٦

-

وافر

العبادا

٢٠٦

-

وافر

والجبادا

٤٣٦

جرير

وافر

الجرادا

فصل الدال المضمومة:

١٩٦

الحطيثة

طويل

ردّوا

٢٣١

أبو عطاء السندي

طويل

الرعذ

٢٤٥

رجل من بني أسد

طويل

حدائده

٧٥

زهير بن أبي سلمى

بسيط

فند

٢٢٢، ١٣٢

الزبرقان بن بدر

بسيط

حصد

٣٢٥

٢٩٤

أنس بن مدركة

وافر

يسود

٣٧٤

-

وافر

تعرد

٢٦٣

-

وافر

الثريد

فصل الدال المكسورة:

٣٤٦

-

طويل

الزند

٣٢٥

النايفة الذبياني

بسيط

التمد

٥٢٢			
١٤٥	النايفة الذبياني	بسيط	فقد
٣١٢	النايفة الذبياني	بسيط	الأبد
٣١٢	النايفة الذبياني	بسيط	من أحد
٣١٣	النايفة الذبياني	بسيط	الجلد
٣١٨	قيس بن زهير	وأخر	زياد
٣٠٨	الحارث بن هشام	كامل	مفسد
٢٤٥	أبو زبيد الطائي	خفيف	هجود
٢٠٤	جرير	متقارب	المسجد
٢٤٥	الفرزدق	متقارب	قعد
٢٢٤	الفرزدق	متقارب	أبو معبد

باب الرأء

فصل الرأء الساكنة:

٣٧٣	امرؤ القيس	متقارب	أجر
٣٧٣	النمر بن تولى	متقارب	نسر

فصل الرأء المفتوحة:

٩٧	ذو الرمة	طويل	سترا
٣٧٥	ابن ميادة	طويل	بهرأ
٢٣٠	ابن ميادة	طويل	صبرا
٤٣٢	النايفة الجمدي	طويل	وتجارأ
٣٤٢	الفرزدق	بسيط	هجرأ

٥٢٢			
٤٣١	الأحوص	كامل	مورا
٢٩١	سواده بن عدي	خفيف	والفقيرا
٢٢٢	كعب بن زهير	خفيف	مذعورا
٢٣٤	أبو دواد الايادي	متقارب	نارا

صل الراء المضمومة:

١٢٤	قيس بن ذريح	طويل	أقدر
٣٠٧	ذو الرمة	طويل	الجازر
٧٧	ذو الرمة	طويل	الخرم
١٩٧	عمر بن أبي ربيعة	طويل	طائر
٢٢٢	الحطيئة	طويل	حاضره
٢٨٩	الأخطل	بسيط	ذكر
٢٨٩	الأخطل	بسيط	المطر
٢٢٥	جرير	بسيط	القدر
٢٨٥	الفرزدق	بسيط	بشر
٣٠٢	اللعين	بسيط	والخور
٣٠٤	زهير	متقارب	غارها

صل الراء المكسورة :

٢٣٩	بشار	طويل	زهر
٣١٦	هدبة بن الخشرم	طويل	للصبر
٢٨٧	الراعي	طويل	لعامر
٢١٠	النايفة الذبياني	بسيط	أم عمار

٥٢٤			
٣٣٥	دريد بن الصعة	وافر	صبر
٢٩٣	النايفة الجمدي	وافر	قفار
٢٠٠	زهير	كامل	الذعر
٢٦٤، ٢٣٨	أبان اللاحقي	كامل	الأقدار
٦٠	-	الرميل	بن عمر
٦٠	-	الرميل	وقمر
٤٦١	النمر بن تولب	متقارب	نسر

باب الزاي

٢٠١	الشتاخ	طويل	صل الزاي المضمومة: أو معارز
-----	--------	------	--------------------------------

باب السين

٣٢٢، ٢٣٦	سحيم عبد بن الحسحاس	طويل	صل السين المضمومة: لابس
٣١٥	مالك بن خويلد الخناعي	بسيط	خلاس
٣١٥	مالك بن خويلد الخناعي	بسيط	عباس

صل السين المكسورة:

٢٠٤	الأسود بن يعفر	طويل	المجالس
٢٨٣	الفرزدق	كامل	لم يياس
١٩٤	المرثد الأسدي	كامل	متعيس
١٩٤	المرثد الأسدي	كامل	عرنس

باب الصاد

وصل الصاد المضمومة:

٢١٩	عدي بن زيد	وافر	حريص
-----	------------	------	------

باب الضاد

وصل الضاد المكسورة:

٣٢١، ٢١٨	طرفة بن العبد	طويل	بعض
----------	---------------	------	-----

باب الطاء

وصل الطاء المكسورة:

٢٠٢	المتنخل الهذلي	وافر	العباط
-----	----------------	------	--------

باب العين

وصل العين المفتوحة:

٢٢٧	الراعي	طويل	فتسرّعا
٢٢٧	الراعي	طويل	جنادعا
٤٣٩	عمر بن شأس	طويل	أشنعما
١٩٧	-	طويل	أوقعا
٤٧٠	-	الرجز	لامعا
١٩٦	المرار الأسدي	وافر	وقوعا
٧٣	أوس بن حجر	المنسرح	جدعا
٣١٠	أنس بن زنيم	الرمل	وضعه

صل العين المضمومة:

٧٥	-	طويل	أكارعه
١٩٣	العجير السلوي	طويل	أصنع
٢٩٦	مسكين الدارمي	طويل	يمتع
٢٩٨	الفرزدق	طويل	الزعازع
٢٤٥	الكميث بن معروف	طويل	يافع
٧٥	-	طويل	أتنع
٣٢٠	رجل من سلول	طويل	فاجع
٣٦٣	العباس بن مرداس	بسيط	الضجع
٣١٣	عمرو بن معديكرب	وافر	وجيع

صل العين المكسورة:

٢٢٤	الفرزدق	كامل	نفاع
٢٧٧	أنس بن العباس السلمي	سريع	الرافع

باب الفاءصل الفاء المضمومة:

٥٠	الفرزدق	طويل	مجلّف
١٩٣، ١٣٣	المنذر بن درهم	طويل	بالحيّ عارف
٤٠٠	قيس بن الخطيم	منسرح	نطف

صل الفاء المكسورة:

٢٨١	الفرزدق	بسيط	الصياريف
-----	---------	------	----------

باب القاف

صل القاف المضمومة:

١٩٩	جميل بشينة	طويل	سملق
٣٣٤	ذو الرتبة	طويل	يترقرق
٢٣٧	زياد الأعجم	وافر	السويق
١٩٦	العبيدي	وافر	فريق

صل القاف المكسورة:

٢٦٤، ٢٠٧، ٧٨	-	بسيط	مخراق
٤٣٧	-	بسيط	الأباريق
٤٣٧	-	خفيف	الأواقي
٣١٩	عدي بن زيد	خفيف	الساقى
٢٦٣	بعض العباديين	متقارب	بصدق

باب الكاف

صل الكاف المفتوحة:

٤٦٩	-	طويل	عيالكا
٢١٥	الأعشى	طويل	لسواتكا
٣١٦	عبد الله بن همام	متقارب	تاركا

صل الكاف المضمومة:

٢١٧	زهير	بسيط	الشبك
-----	------	------	-------

باب اللام

			صل اللام الساكنة:
٢٧٦	لبيد	رمل	المعل
			صل اللام المفتوحة:
٢٣٥	النعمان بن المنذر	بسيط	قيلا
٢١٥	الأعشى	كامل	أطفالها
٢٨٤	الأعشى	منسرح	مهلا
٢٦٨	عمر بن أبي ربيعة	خفيف	رملا
٢٩٥	أبو الأسود الدؤلي	متقارب	قليلًا
٣٠٥	العباس بن مرداس	متقارب	كميلا
٣٠٥	العباس بن مرداس	متقارب	هديلا
٢٧٧، ٢٦٧	عامر بن جوين الطائي	متقارب	إيقالها
			صل اللام المضمومة:
١٨٥	كعب بن زهير	طويل	وماكل
٢٩١، ١٣٢	الفرزدق	طويل	تعادله
	٣٢٤		
	٢٢٦	ذو الرتبة	حتيالها طويل
٢٢٩	كثير عزة	طويل	لا أقيلبها
٣٦٩، ٣٠٠	الأعشى	بسيط	نزل
	٣٩٩		

٥٢٩			
٧٨	كعب بن زهير	بسيط	لمقتول
٢١٩	طفيل الغنوي	بسيط	مكحول
٢٥٦، ١٩٥	-	بسيط	وحيله
٢٣١	أبو حنيفة التميمي	وافر	أو يزيل
٢٠٩	أسدي	مجزوء الكامل	لا يحفلوا
٢٠٩	أسدي	مجزوء الكامل	لم يفعلوا

صل اللام المكسورة:

٣١٧	امرؤ القيس	طويل	مقول
٢٩٥	امرؤ القيس	طويل	فحول
٣٠١	امرؤ القيس	طويل	عال
١٩٥	امرؤ القيس	طويل	وأوصالي
١٥٧	امرؤ القيس	طويل	الخال
١٩٤	كعب الغنوي	طويل	بقول
٤٤٠	أبو فراس الحمداني	طويل	نعال
٢٦٩	زيد الخيل	وافر	سالي
٢٩٢	ليبيد بن ربيعة	وافر	الدخال
٢٣٢	إبراهيم بن هرمة	وافر	السيول
٣٢٤	امرؤ القيس	كامل	نبلي
٤٤٩	جرير	كامل	لم تحلل
٣٠١	أبو كبير الهذلي	كامل	سهل
٣٠٩	عمرو بن معديكرب	كامل	جهول

٥٢٠			
٣٥١	تميم بن مقبل	رمل	وقال
٢١٨	أمية بن أبي الصلت	خفيف	العقال
٤٣٩	أمية بن أبي عائذ	متقارب	السعالي

باب الميم

			<u>صل الميم الساكنة:</u>
٢٦٠	باعث بن صريم	طويل	السلم
			<u>صل الميم المفتوحة:</u>
٢٠٤	عبدة بن الطبيب	طويل	تهديما
٣٢٤	عمر بن أبي ربيعة	طويل	كالدمي
٢٦٤	عمر بن أبي ربيعة	طويل	معظما
٤٣٤ ، ٢٧٤	الأعشى	واقر	مداما
٤٣٥	يزيد بن عمرو بن الصعق	واقر	الطعاما
١٣١	النايفة الجمدي	منسرح	العرما
			<u>صل الميم المضمومة:</u>
٢٢٨	عمر بن أبي ربيعة	طويل	يدوم
٢٤٥	الفرزدق	طويل	دعائه
٢٢٨	الأحوص	طويل	نجومها
٢١١	الأخطل	كامل	محروم
٢٢٧	الأخطل	كامل	عظيم

٥٢١			والمختوم
٢١٧	لبيد	كامل	<u>وصل الميم المكسورة:</u>
٤٦٠	-	كامل	سنام
٣٠٦	الأعشى	طويل	بسلم
٤٧٠	-	طويل	المعائم
١٩٥	-	طويل	واللهازم
٣٠٢	الفرزدق	وافر	كرام
١٨٥	الفرزدق	وافر	الكلام
٢٨٢	عنتره	كامل	الأدهم
٢١٩	سهيل	كامل	والأحلام
٣٣٥	الطرايح	سريع	من عامها

باب النون

			<u>وصل النون المفتوحة:</u>
٢٥٩	عمرو بن كلثوم	وافر	اليمين
٣٠٩، ٢٠٦	ذو الإصبع	هزج	إيانا
٢٠٦	ذو الإصبع	هزج	حسانا
٢٨٦	زياد بن واصل السلمي	متقارب	بالأبينا
			<u>وصل النون المضمومة:</u>
٣٢١	مالك بن خويلد	طويل	متماين
٢٨١	قعب بن أم صاحب	بسيط	ضننوا

٥٢٢			
٢١٢	أبو كبير الهذلي	بسيط	السفن
٣١٧	حميد الأرقط	بسيط	الساكنين
<u>صل التون المكسورة:</u>			
٢٢١	حسان بن ثابت	بسيط	مثلان
٢٢٤	جرير	بسيط	لا حين
٢٢١	عمرو بن معديكرب	وافر	فليني
٢١٦	النايفة الذبياني	وافر	من
٣٠٣	-	وافر	عتي
١٩٧	النايفة الجعدي	وافر	هجاني
٧٨	-	خفيف	والعقبان

باب الهاء

صل الهاء المفتوحة:

٢٩٠	ابن خياط العكلي	بسيط	غاويها
٢٩٠	ابن خياط العكلي	بسيط	نخليها
٢٨٢	أبو كاهل اليشكري	بسيط	أرانبيها
٢٣٢	ابن مروان النحوي	كامل	ألقاها

باب الواو

٣٧٠	يزيد بن أم الحكم	طويل	منهوي
-----	------------------	------	-------

باب الياء

٢٥٩	١٢٨	زهير	طويل	جائيا
٣٨٥	٣٣١			
	٣٩٩			
٢٠٥	٢٠٢	الفرزدق	طويل	مواليا

باب الألف اللينة

٣٢٤		عمر بن أبي ربيعة	طويل	كالدمى
-----	--	------------------	------	--------

فهرس الأرجاز

	الباء	
٢٧٠	المجاج	أو اقربا
	التاء	
٢٢٥	رؤية	مشتا
	الدال	
٢٨٤ ، ٢٦٩	أبو نخيلة	الملحد
٥١	-	الزواد
٥١	-	تكادي
	الراء	
٣٤١	أبو النجم	انمصر
٢٧٣	-	المور
٢٧٣	-	المهمور
٢٧٣	-	المسفور
٨٤	رؤية	نصرا
٣٣٢	-	بكارها
٣١٤	-	واستجزارها

٥٢٥		
٢٨٨	-	حشور
٢٠٠	روية	نظار
٢٠٠	أبو النجم المعجلي	حذار
٣٢٨	العجاج	عذيري
٢٢٦		
٣٤٨		
	السين	
٣١٨	العجاج	خمسا
٣١٤	جران العود	الميس
	الضاد	
٧٧	روية بن العجاج	غاضي
	العين	
٢٧٣، ٢٦٦	أبو النجم	لم أصنع
٤٦١		
١٩٩	-	أرباعها
	الفاء	
٢٢٨	أبو النجم	لام الف
	القاف	
٢٦٥، ٢٣٩	خلف الأحمر	نقائق

الكاف

٢٩٦	-	لا أخالكا
٢٩٦	-	حوالكا
٣٢١	طفيل بن يزيد الحارثي	تراكها
١٩٩	طفيل بن يزيد الحارثي	أوراكها

اللام

٧٦	المجاج بن روية	الداان
٣٠٦	حميد الأرقط	ماكول
٢٧٠	المجاج	حاطلا
٢٠٣	أبو النجم	من عل
٢٩٨	المجاج	المرمل
٢٨٨ ، ٢٢٦	المجاج	الأفضل
٢٠٣	أبو النجم	وأشمل
٢٧٦	أبو النجم	عن فل

الميم

١٣٤	الحماني	إبراهيمما
٣٢٣ ، ٢٣٠	أبو نخيلة	الستمي

النون

٢٧٩	خطام المجاشعي	الترسين
-----	---------------	---------

٥٢٧		
٢٩٥	العجاج	أو عساكن
٢٠٣	-	ومن دون
٤٣٢	روية	السعدينا
٢٢٥	روية	العين
	البياء	
٢٠٥	فرزدق	مقوليا
٣٤٢	العجاج	قنصري

فهرس الأعلام (١)

لهمة:

- | | |
|---|--|
| * - الأوص الرياحي: ٣٢٤ | * - الأمدي: ٢٤٢ |
| * - أرسطو: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٨٦ | * - أبان بن عبد الحميد اللاحي: ٢٣٨، ٢٦٤ |
| * - الأزرق العنبري: ٢٤٦ | * - إبراهيم النخعي: ٦ |
| * - أسامة بن الحارث: ٢٤٩ | * - إبراهيم بن هرمة: ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٤، ٢٣٢ |
| * - أبو الأسود الدؤلي: ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥ | * - ٢٤٩، ٤٨١ |
| * - ٣٦، ٣٩، ٤٥، ٥٧ | * - أبي بن كعب: ٣٢، ١٢٢، ١٤١، ١٤٤ |
| * - ٣٢٥، ٢٩٤، ٢٤٩، ٢٤٢، ١١٥، ٧٥ | * - أحمد بن أحمد الزبيدي: ٥٦ |
| * - الأسود بن يعفر: ٢٤٦ | * - ابن الأحمر: ٣٢٨ |
| * - الأشهب بن رميلة: ٢٤٦ | * - الأوص الأنصاري: ٢٢٨، ٢٥٠ |
| * - ذو الإصبع العدواني: ٢٥٠، ٣٢٨ | * - أحيحة بن الجلاح: ٢٥٠ |
| * - الأصفهاني أبو الفرج: ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢ | * - أبو الأزر الحماني: ٢٤٦ |
| * - الأصمعي: ٧٢، ٧٣، ٩٦، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٩ | * - الأخطل: ٩٦، ٩٩، ١٠٣، ٢٢٧، ٢٤٧، ٢٨٩ |
| * - ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٤، ٤٥٠، ٤٥١ | * - الأخفش الأكبر: ١٠٩، ١٥٨، ٢٠٦، ٣٢٢، ٣٢٨ |
| * - ٤٨٥ | * - ٣٦٧، ٤٣٠، ٤٨٥ |
| * - الأهرج: ٦٤، ١٢١، ١٧١ | * - الأخفش الأوسط: ٢٤٠، ٢٤١، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٢ |
| * - الأعشى: ٩٥، ١٠٣، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٧٤، ٢٨٤ | * - ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٣، ٤٢٤، ٤١٣ |
| * - ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٤٢، ٣٦٩، ٣٩٩ | * - ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩ |
| * - ٤٣٤، ٤٦٩ | * - ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨ |
| * - أعصر بن سعد: ٩٣، ٩٤ | * - ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٩٣ |

(١) - أسفطنا من فهرس الأعلام الغليل، وسببونه لكثرة ورودها كثرة مفردة، وأسفطنا من الأعلام لفظاً (ابن

وابنة، وبنث، وابو، وأم، وذو، وآل)

- * - البحري: ٤٣٨
- * - بخت نصر: ٣٨٣
- * - البراء بن عازب الخزرجي: ٦٧
- * - البرج بن مسهر: ٢٥١
- * - بشار بن برد: ٩٤، ٩٩، ١٠٤، ٢٣٩، ٢٤٠،

٢٤١، ٢٤٢

- * - بشر بن أبي خازم الأسدي: ٢٤٨
- * - بشير بن التكت: ٢٤٦
- * - البفداي عبد القادر: ٢٤٢
- * - أبو بكر الصديق (رض): ١٤، ٥٤، ٥٥
- * - أبو بكر بن مجاهد: ١٤١، ٤١٦

التاء:

- * - أبو تمام: ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٩١
- * - تميم بن أبي بن مقبل: ٢٤٧
- * - توبة بن الحُمير الخفاجي: ٢٤٧، ٢٥٨
- * - ابن تيمية: ٨٦

الثاء:

- * - أبو ثروان العكلي: ٤٤٦
- * - ثعلب: ٤٠٨، ٤١٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦

الجيم:

- * - جابر بن خنيّ التغلبي: ٢٤٧
- * - الجاحظ: ٢٤٢
- * - الجحدري: ٤٢٠
- * - جذيمة الأبرش: ٩٣، ٩٤، ٢١٩، ٢٥٠، ٢٥٩

* - الأعمش: ١٤٣

* - الأعور بن براء الكلبي: ٢٥١

* - الأعور الشني: ٢٥٠

* - الأغلب العجلي: ٢٤٧

* - الأقيشر الأسدي: ٩٦

* - إمام بن أقرم النميري: ٢٤٧

* - امرؤ القيس: ٩٥، ١٠٣، ٢١٦، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٩٥،

٣٠١، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٧٣

* - أمية بن أبي الصلت: ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٧،

٤٨٥

* - أمية بن أبي عائذ الهذلي: ٢٤٩، ٤٣٩

* - الأباري، أبو البركات: ٤٣٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٤

* - الأنباري أبو بكر: ٣٠

* - أنس بن زعيم: ٣١٠

* - أنس بن العباس: ٢٤٩، ٢٧٧

* - أنس بن مالك: ٥٦، ٦٧

* - أنس بن مدركة الخثعمي: ٢٥١، ٤٩٤

* - أوس بن ثابت: ١٩٠

* - أوس بن حجر: ٧٣، ٢٤٦

* - ابن الأيهم التغلبي: ٣١٣

الباء:

* - باعث بن صريم اليشكري: ٢٤٧، ٢٦٠

- * - الحجاج: ٧٨
- * - الحذلي: ٢٤٨
- * - حسان بن ثابت: (٢٢١، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٦٢)
- ٤٨٥
- * - الحسن البصري: ٦٨، ٧٠، ١٢٢، ١٣٩، ١٤٣
- * - الحسن البصري (تابع): ٤١٩، ٤٧٢
- * - الحسين بن مطير: ٩٥، ١٠٤
- * - الحصين بن الحمام المري: ٢٤٨
- * - الحطم القيسي: ٢٤٧
- * - الحطيئة: ٩٥، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٤٨، ٤٨٥
- * - حفص: ١٤١
- * - الحكم بن معمر الخضري: ٩٦
- * - حكيم بن معية الربيعي: ٢٤٦
- * - حماد بن سلفة: ٦٨، ١٣٩
- * - الحماني: ١٣٤، ٢٤٦
- * - حمزة بن حبيب الزيات: ١٤١، ١٤٧، ٤١٥
- * - حميد الأرقط: ٢٤٦، ٣٠٦، ٣١٧
- * - حميد بن ثور الهلالي: ٢٤٧
- * - حنظلة بن فاتك: ٢٤٨
- * - أبو حنيفة: ٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢
- * - حنين بن إسحاق: ٨٦، ٨٧
- * - أبو حيان الترحيدي: ٣٠
- * - أبو حيان النهوي: ١٨١، ٤٢١
- * - أبو حية النميري: ١٠٤، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٧

- * - أبو الجراح: ٤٤٦
- * - جران العمود: ٣١٤
- * - الجرمي: ٤٠٨، ٤٣٤
- * - جرير: ٩٥، ٩٦، ٩٩، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٩٥
- ٤٤٩، ٤٣٦، ٣٤٢، ٣٢٥
- * - جرير الضئلي: ٢٥١
- * - جرير بن عبد الله البجلي: ٢٥١
- * - أبو جعفر الرؤاسي: ٦٤، ١٣٩، ٤٧٥
- * - جميل بن معمر العذري: ٢٥١
- * - ابن جني: ٤٠، ٥٨، ٦٢، ٧٧، ٨٠، ٩٤، ٢٥٥
- ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٣٨، ٤٤٤، ٤٤٤، ٤٤٤، ٤٤٤
- ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٤، ٤٦٥
- * - جبينة: ٤٢٥
- الحاء :
- * - أبو حاتم السجستاني: ٢٣٤
- * - حاتم الطائي: ٢٥١
- * - ابن الحاجب: ٤٤١
- * - الحارثة بن بدر الفداني: ٢٢٩، ٢٤٦
- * - الحارث بن ظالم المري: ٢٤٨
- * - الحارث بن عباد: ٢٤٧، ٣١٤
- * - الحارث بن كعب: ٤٤٨
- * - الحارث بن كلدة الثقفي: ٢٤٧
- * - الحارث بن نبهان: ٤٢٧
- * - الحارث بن نسيك النهشلي: ٢٤٦، ٣٩٧
- * - الحارث بن هشام: ٣٠٨

- * - الربيع الأسدي: ٢٤٨
- * - الربيع بن ضبع الفزازي: ٢٤٨
- * - ابن رشيق: ٢٤٢
- * - الرضي الأستراباذي: ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٣٨، ٤٢٨
- * - الرماني: ٤٦٣
- * - ذو الرمة: ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٨٣، ٢٩٧
- ٣٠٧، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٩٥

الزاي:

- * - الزبارة: ٩٣، ٩٤
- * - الزبيرقان بن بدر: ١٣٢، ٢٢٢، ٢٤٦، ٣٢٥
- * - أبو زبيد الطائي: ٢٤٥، ٢٥١
- * - الزبيدي: ١١١
- * - الزجاج: ٤١٦
- * - الزجاجي: ٣٨٨، ٤١٦، ٤٢٥، ٤٦٢
- * - الزمخشري: ٤١٨، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٥٢، ٤٥٣
- ٤٥٣
- * - زهير السكب: ٢٤٦
- * - زهير بن أبي سلمى: ٧٥، ٩٥، ١٢٨، ٢١٧
- ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣٠٤
- ٣٢٤، ٣٣١، ٣٨٥، ٣٩٩
- * - زياد الأعجم: ٢٣٦، ٢٥٠
- * - زيادة بن زيد العذري: ٢٥١
- * - أبو زياد الكلابي: ٤٤٦
- * - زياد بن واصل السلمى: ٢٤٩، ٢٨٦

الغام:

- * - خالد بن الوليد: ٢٠٧
- * - خدّاش بن زهير العامري: ٢٤٧
- * - خرنق بن هقان: ٢٤٧
- * - الخرز بن لوزان السدوسي: ٢٤٧
- * - خطام المجاشعي: ٢٤٦
- * - خفاف بن ندبة: ٢٤٩
- * - خلف الأحمر: ٢٣٤، ٢٣٩، ٤٥٠
- * - الخنساء: ٢٤٩
- * - خوات بن جبير الأنصاري: ٢٥٠
- * - خولان: ٢٥١
- * - خياط العكلي: ٢٩٠
- * - أبو خيرة: ١٠٧

الذال:

- * - أبو ذؤاد الإيادي: ٧٢، ٢٣٤، ٢٥٠
- * - درنا بنت عبعة: ٢٤٧
- * - دريد بن الصّفة العامري: ٢٤٧، ٣٣٥
- * - أبو ذؤيب الهذلي: ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٠، ٣١٢
- ١٠٠، ٩٩، ٩٥، ٨٥، ٨٤، ٧٧
- ١٣٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٤٦
- ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٧٩، ٣٥٦، ٣٥٧
- ٣٧٢، ٤٣٢، ٤٨٥
- * - راشد بن شهاب البشكري: ٢٦٠
- * - الراعي النعميري: ٢٤٧، ٢٨٧

- * - سهل بن سعد: ٤٠
- * - السهيلي: ٤٢٨، ٤٩١
- * - سودة بن عدي بن زيد: ٢٤٦، ٢٩١
- * - سويد بن الطويلة: ٢٤٦
- * - سويد بن كراع العكلي: ٢٢٩، ٢٤٩
- * - السيرافي: ٤٠٧، ٤٦٢
- * - السيوطي: ٣٨، ٤٠، ٧١، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٣

٤٦٨، ٢٦٢

الشين:

- * - الشجري محمد بن العساف: ٩٤، ٤٥١
- * - ابن الشجري هبة الله بن علي: ٤٣٨
- * - شداد بن معاوية العبسي: ٢٤٨
- * - شريح بن الأحوص: ٢٤٧
- * - شقيق بن جزء: ٢٥٠
- * - الشعاع بن ضرار الذبياني: ٢٤٨، ٣٢٨
- * - الشمردل بن شريك اليربوعي: ٢٤٧
- * - الشنتمري: ٢٣٩
- * - شيبه: ٦٤

الصاد:

- * - صرمة بن أبي أنس الأنصاري: ٢٥٩
- * - صفية بنت عبد المطلب: ٢٤٩
- * - الصلتان العبدي: ٢٥٠

الضاد:

- * - ضايب بن الحارث البرجمي: ٢٢٢، ٢٤٧، ٣٨٢
- * - ضرار بن الأزور: ٢٤٨

- * - زيد بن أرقم اليشكري: ٢٦٠
- * - أبو زيد الأنصاري: ١٠٩، ٤٥٠، ٤٥١
- * - زيد بن ثابت: ٣٢، ٥٥
- * - زيد الخيل: ٢٥١
- * - زيد بن علي: ١٤٠، ١٤٣، ٤١٩
- * - زيد بن عمرو بن نفيل: ٢٤٩، ٢٦١

السين :

- * - ساعدة بن جؤنة: ٢٤٩
- * - سالم بن دارة: ٢٤٨
- * - سحيم عبد بني الحسحاس: ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٨
- * - سحيم بن وثيل الرياحي: ٢٤٦
- * - أبو سدرة الهجمي: ٢٤٦
- * - السدي: ٢١٢
- * - ابن السراج: ٤١، ٤٦٢
- * - سعد بن مالك القيسي: ٢٤٨
- * - سعيد بن جبيرة: ٧٤، ١٤٣، ٤١٩
- * - سعيد بن زيد: ٢٦١
- * - سعيد بن المسيب: ٦
- * - سفيان الثوري: ٦٩، ٢١٢
- * - ابن سلام الجمحي: ٣٣، ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٥٨، ٧٢
- * - سلعة بن عاصم: ٤٧٣، ٤٧٤
- * - السليك بن السلعة السعدي: ٢٤٦، ٣٢٥
- * - سليمان بن علي الهاشمي: ٧٣
- * - سماعة النعامي: ٢٤٨
- * - أبو السقال: ٤٢٠

- * - عبد العزيز الكلابي: ٢٤٧
- * - عبد الله بن فضالة بن شريك: ٢٦١
- * - عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي: ٢٩، ٣٩
- ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٥٨، ٥٩
- ٨٢، ٧٧، ٧٦، ٦٨، ٦٢، ٥٩
- ٨٩، ٨٨، ٩١، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩
- ١١٥، ١١٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣
- ٢٠٧، ٢٥٤، ٢٥٨، ٣٦٥، ٣٧١
- ٣٨٧، ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٨٠
- * - عبد الله بن الحارث السهمي: ٢٤٩
- * - عبد الله بن الزبير الأسدي: ٢٤٨
- * - عبد الله بن عبد الأعلى القرشي: ٢٤٩
- * - عبد بني عبس: ٢٤٨
- * - عبد الله بن عمرو بن العاص: ٧٠
- * - عبد الله بن عنمة الضبي: ٢٥٠
- * - عبد الله بن قيس الرقيات: ٢٤٩
- * - عبد الله بن مسعود: ٥، ٥٥، ١٢٢، ١٤١
- ١٤٤، ١٤٦
- * - عبد الله بن همام السلوي: ٢٤٧
- * - عبد الملك بن قريب بن علي: ٢٠٨
- * - عبد الملك بن نوفل المدني: ٤٩
- * - عبد مناف بن ربيع: ٢٤٩
- * - عبد يفيث بن وقاص الحارثي: ٢٥٠، ٢٥٥
- * - ابن أبي عيلة: ١٣٩، ١٤٠

الطاء :

- * - طرفة بن العبد: ٩٥، ١٠٣، ٢١٨، ٢٤٨، ٢٥٨
- ٣٢١
- * - الطرناح بن حكيم: ٩٦، ٢٣٧، ٢٥١، ٣٣٤
- * - طريف بن تميم العنبري: ٢٤٧
- * - طفيل بن كعب الفزوي: ٢١٤، ٢١٩، ٢٥٠
- * - طفيل الكناني: ٩٦
- * - طفيل بن يزيد الحارثي: ٢٥٠، ٣٢١
- * - أبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابي: ٢٤٩
- * - أبو الطيب اللغوي: ٣٠، ٣٤، ٤٠٨
- * - أبو الطيب المتنبي: ٤٣٨، ٤٤١
- العيسن :
- * - عائشة (رض) ٢٣، ٥٥
- * - عاصم بن أبي النجود: ١٤١، ١٤٢، ٤١٥
- * - عامر بن جُوَيْن الطائي: ٢٥١، ٢٧٧
- * - ابن عامر: ١٤١
- * - ابن عباس: ٢٣، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٨١
- ٢١٢، ٨٢
- * - العباس بن مرداس: ٣٠٥، ٣٦٣
- * - عبدة بن الطبيب: ٢٤٧
- * - عبد بني الحسحاس: ٢٥٨، ٣٢٢
- * - عبد الرحمن بن جهيم: ٢٤٨
- * - عبد الرحمن بن حسان: ٢٥٠، ٢٦١
- * - عبد الرحمن بن الحكم: ٢٤٩

* - أبو علي الفارسي: ٢١٣، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٦٤،

٤٦٥

* - علي بن المبارك الأحمر: ١٨١

* - علي بن نصر الجهضمي: ١١٧، ١٩٠

* - عمارة بن عقيل: ٤٤٩، ٤٥٠

* - العماني الراجز: ٢٤٧

* - عمران بن حطان: ٢٢٩، ٢٤٨

* - عمر بن الخطاب (رض): ٥، ١٥، ١٩، ٣٠،

٥٤، ٥٥، ٧٣، ٢١٢، ٣٤٧، ٣٦٠

* - عمر بن أبي ربيعة: ٩٦، ٩٩، ٢٢٨، ٢٤٩،

٣٢٤

* - عمرو بن أحمر: ٢٥٠

* - عمرو بن الإطنابة: ٢٥٠

* - عمرو بن الأهمم المنقري: ٢٤٧

* - عمرو بن الأيهم: ٢٤٨

* - عمرو الجنيبي: ٢٥٠

* - عمرو بن شأس: ٢٤٨

* - عمرو بن عبيدة المعتزلي: ٦٨، ٩٠، ٩١

* - عمرو بن عثمان: ١١٧

* - عمرو بن عدي: ٢٥٩

* - أبو عمرو بن العلاء: ٣٢، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٥،

٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٥٩،

٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٨،

٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢،

٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩،

* - عبدة بن الأبرص: ٩٥، ٢٤٨

* - عبدة بن الحر الجعفي: ٢٢٩، ٢٥٠

* - أبو عبيدة معمر بن المثني: ٤٣، ٤٧، ٦٥، ٦٦،

١٩٠، ٧٨، ٤٤٧

* - عتر بن دجاجة: ٢٤٧

* - عثمان بن عفان (رض): ٥٥، ٦٧، ٦٨

* - أبو عثمان المازني: ١١٨

* - العجاج بن رؤبة: ٧٦، ٧٧، ٩٥، ٩٩، ٢٠٧،

٢٤٧، ٢٦١، ٢٨٨، ٢٩٨، ٣٠٢،

٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٧٢

* - العجير السلولي: ٢٤٧

* - عدي بن الرقاع العاملي: ٢٥١

* - عدي بن زيد العبادي: ٧٢، ١٠٣، ٢١٤، ٢١٩،

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٥٥،

٢٦١، ٣١٩

* - عروة بن الورد: ٢٤٨

* - أبو عطاء السندي: ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٨

* - عقيبة الأسدي: ٢٣٣، ٢٤٨

* - عكرمة: ٢١٢

* - أبو العلاء المعري: ٢٥٩

* - علباء بن أرقم اليشكري: ٢٦٠

* - علقمة بن عبدة: ٦، ٢١٨، ٢٤٧

* - علي بن زيد بن جدعان: ٧٤

* - علي بن أبي طالب (رض): ٥، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣١،

٧١، ١٨٩، ٣٦٠

- * - عيسى بن عمر (تابع): ١١٩، ١١١، ١١٢،
 ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣،
 ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦،
 ١٦٩، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٠٨،
 ٢٠٩، ٢٩٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٥،
 ٣٦٧، ٣٧١، ٤١٩، ٤٣٠، ٤٥٥،
 ٤٧٥، ٤٨٠، ٤٨٥

الفين :

- * - أبو الفطريف الهادي: ٢٥٠
 * - غيلان بن حريث الربيعي: ٢٤٧

الفاء :

- * - فاخنة بنت عدوي: ٢٥٠
 * - الفارابي: ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥
 * - الفارعة بنت معاوية بن قشير: ٢٤٧
 * - الفراء: ٥٨، ١٨١، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٣،
 ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٨،
 ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠،
 ٤٥٣، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣،
 ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٩٣
 * - أبو فراس الحمداني: ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٩١
 * - الفرزدق: ٤٥، ٥٠، ٧٧، ٧٩، ٩٥، ٩٦، ٩٩،
 ١٠٠، ١٠٨، ١١٦، ١٣٢، ٢٢٣،
 ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٨١،
 ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٧،
 ٣٠٢، ٣٢٤، ٣٤٢، ٤٧٠

- أبو عمرو بن العلاء (تابع): ١١١، ١١٥، ١١٦، ١١٩،
 ١٢١، ١٣٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨،
 ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٦،
 ١٨١، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٤٤، ٣٥٥،
 ٣٥٦، ٣٨٧، ٤١٩،
 ٤٣٠، ٤٥٥، ٤٨٠

* - عمرو بن عمار الطائي: ٢٥١

* - عمرو بن عمار النهدي: ٢٥١

* - عمرو بن فائد: ١٣٩

* - عمرو بن قميصة: ٢٤٨

* - عمرو بن قنعاس المرادي: ٢٥٠

* - عمرو بن كلثوم: ٢٤٨، ٢٥٩

* - أبو عمرو المخزومي: ١١٧

* - عمرو بن معديكرب: ٢٢١، ٢٥٠، ٣٠٩، ٣١٣

* - عمروية: ٣٨٣

* - عنيسة الفيللي: ٥٧، ٧٦

* - عنصرة بن شداد العبسي: ٢٤٨، ٢٨٢

* - أبو عوف: ٢٤٨

* - عوف بن عطية بن الخرج التيمي: ٢٤٩

* - ابن عون: ١١٩

* - عون العقيلي: ٤٢٠

* - عيسى بن عمر الثقفي: ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥١،

٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧٧،

٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٠،

٩١، ٩٧، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٨،

- * - محمد (ص) (تابع): (١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤،
- ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩،
- ١٩٠، ٢٥٤، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٤،
- ٤٨٠
- * - محمد بن زياد الأعرابي: ٤٧٣
- * - محمد بن سيرين: ٦٧، ٧٠
- * - محمد بن عبد الله بن الطاهر: ٤٧٣
- * - محمد بن عبد الواحد: ٤٠٨
- * - محمد بن مروان السدي: ٦١، ١٥٠، ٤١٩
- * - محمد بن يحيى: ٤٠٧
- * - محمد بن يزيد: ٤٠٧
- * - ابن محيصن: ١٤٢
- * - المختل السعدي: ٢٤٧
- * - المرادي: ٤٥٩
- * - المرار الأسدي: ٢٤٨، ٣٢٥
- * - المرار بن سلامة العجلي: ٢٤٨
- * - المرار بن منقذ الحنظلي: ٢٤٧
- * - بنت مرة بن عاهان الحارثي: ٢٥٠
- * - المرزباني: ٢٤١
- * - أبو مرهب: ٢٥٩
- * - مروان بن أبي حفصة: ٩٩
- * - مروان بن الحكم: ٤١٩
- * - مروان بن سعيد النحوي: ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٥٠
- * - مزاحم العميلي: ٢٤٧
- * - مسكين الدارمي: ٢٤٧، ٢٩٦

* - ليلى الأخيلية: ٢٤٧

الميم:

- * - مؤرج السدوسي: ١١٧
- * - المأمون: ٢١
- * - مارسرجس: ٣٨٣
- * - المازني أبو عثمان: ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٣٤، ٤٦٠
- * - ابن مالك: ٤٢١، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٩١
- * - مالك بن أنس: ٦، ١٩٠
- * - مالك بن حريم الهمداني: ٢٥١
- * - مالك بن خويلد الخناعي: ٢٤٩، ٣١٥
- * - مالك بن خياط العكلي: ٢٤٩
- * - مالك بن الريب المازني: ٢٤٧
- * - مالك بن أبي كعب: ٢٥٠
- * - المبرّد: ٣٠، ٤٠، ٦٢، ٢٥٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٠
- ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٤
- ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢
- ٤٦٢، ٤٧٣، ٤٧٤
- * - المتلقس: ٢٥٠
- * - متمع بن نويرة: ٢٤٧
- * - المتنخل الهذلي: ٢٦٠
- * - مجاهد: ١٤١
- * - أبو محجن الثقفي: ٢٢٣، ٢٤٧
- * - محمد صلى الله عليه وسلم: ٩، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨
- ٤٠، ٤١، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠

- * - أبو المهدي الحجازي: ٨٣
- * - المهلهل بن ربيعة: ٩٥، ٢١٤، ٢١٩، ٢٤٨.
- ٤٣٦
- * - أبو موسى الأشعري: ١٩
- * - ابن ميادة: ٩٦، ١٠٣، ٢٣٠، ٢٤٨، ٣٧٥
- * - ميسون بنت بحدل الكلبية: ٢٢٩، ٢٥١
- * - ميمون الأقرن: ٥٧، ٧٦، ١١٥
- التون:
- * - النابغة الجعدي: ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٧٨.
- ٤٨٥، ٢٩٩، ٢٩٣
- * - النابغة الذبياني: ٩٥، ١٠٣، ١٠٨، ١١٦، ١٤٥.
- ٢١٥، ٢٤٨، ٢٨٠، ٣١٢، ٣١٣.
- ٣٢٥
- * - الناشئ: ٤٠٧
- * - نافع: ١٤١، ١٤٧، ٤٢٠
- * - النجاشي: ٧١، ٢٢٣، ٢٥٠
- * - أبو النجم العجلي: ٢٢٨، ٢٤٨، ٢٧٦، ٣٤١.
- ٤٦١، ٣٧٣
- * - أبو نخيلة السمدي: ١٠٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٧.
- ٤٨٥، ٣٢٣
- * - نصر بن عاصم: ١١٥
- * - أبو نصر الفارابي: ٢٥٢
- * - نصيب بن رباح: ٢٤٩
- * - النضر بن شميل: ١١٧، ١١٩، ١٩٠
- * - ابن النطاح: ١١٧

- * - المسيب بن علس: ٢٥٠
- * - ابن مضاء القرطبي: ٤٦٦
- * - معاوية بن بكر العليمي: ١١٧
- * - معد بن عدنان: ٨٤
- * - معديكرب: ٣٨٤، ٣٨٣
- * - معروف الدبيري: ٢٤٨
- * - المعري: ٢٤١، ٢٤٢
- * - معقل الهذلي: ٣٢١
- * - المعلوط بن بدل القريني: ٢٤٧
- * - معوذ الحكماء: ٢٤٧
- * - مفلح بن لقيط الأسدي: ٢٤٨
- * - المفيرة بن حبناء: ٢٤٧
- * - المفيرة بن عبد الله: ٩٦
- * - المفضل الضبي: ٧٣، ٢٣٥، ٤٣٠
- * - المفضل النكري: ٢٥٠
- * - مقياس العائذي: ٢٤٩
- * - ابن مقبل: ٣٥١
- * - ابن المقفع: ٨٦
- * - المقفع الكندي: ٢٥١
- * - الملبد بن حرملة: ٢٤٨
- * - مليح بن علاق القميني: ٢٤٨
- * - المنتجع التميمي: ٨٣
- * - المنخل اليشكري: ٢٤٩
- * - منذر بن درهم الكلبي: ٢٥١
- * - منظور بن مرثد الأسدي: ٢٤٨

- * - يزيد بن سنان بن أبي حارثة المري: ٢٤٨
- * - يزيد بن الطثيرة القشيري: ٢٤٧
- * - يزيد بن عبد المدان: ٢٥٠
- * - يزيد بن عمرو الصعق الكلابي: ٢٤٧، ٤٣٥
- * - يزيد بن مخزوم: ٢٥٠
- * - يزيد بن نهشل: ٣٩٧
- * - يعقوب: ١٤١
- * - ابن يعيش: ٤٣٨
- * - يوسف السمطي: ٦٨
- * - يوسف بن مهران: ٧٤
- * - يونس بن حبيب: ٣٢، ٤٥، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٥، ٦٦، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٨٥
- ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١٠٠، ١٠٦
- ١٠٩، ١١٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٦
- ١٣٨، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠
- ١٦٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣
- ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٧٩، ٣١٦
- ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٦٧
- ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٩
- ٣٩١، ٤٢٠، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٤٧
- ٤٥٥، ٤٨٥

- * - النعمان بن المنذر اللخمي: ٢٣٥، ٢٥٠
- * - نقادة الأسدي: ٢٤٨
- * - النمر بن تولب: ٢٤٩، ٢٥٢، ٣٧٣، ٤٦٠
- * - نهار بن توسعة اليشكري: ٢٤٨
- * - ابن نوفل: ١١١

الهاء:

- * - هابيل: ٣٠٤
- * - هدية بنت خشرم العذري: ٢٥١، ٢٨٦، ٣١٦
- * - هرمز: ٢٣٥
- * - ابن هشام: ١١٢، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٩١
- * - هشام الضرير: ١٨١
- * - هشام بن عقبة: ٢٤٩
- * - هشام المري: ٢٤٩
- * - ابن همام السلولي: ٣١٦
- * - هند بنت عتبة: ٢٤٩
- * - هني بن أحمر الكناني: ١٣٣، ٢٤٩
- * - أبو الهيثم العقيلي: ٤٤٦

الواو:

- * - وائلة بن الأسقع: ٦٩
- * - وعلة الجزمي: ٢٥١
- * - الوليد بن يزيد: ٩٩

الياء:

- * - يحيى بن يعمر: ٧٥، ١١٥، ١٣٩، ١٤٣
- * - بنت ذي يزن: ٨١
- * - يزيد بن الحكم النعفي: ٢٤٧، ٣٦٩

* الفهرس الثامن *

فهرس الأعلام الذين تُرجم لهم في الحواشي

الهزمة:

٢٣٨	* - أبان بن عبد الحميد اللاهفي
٦	* - إبراهيم النخعي
٢٣٢	* - إبراهيم بن هرمة
١٢٢	* - أبي بن كعب
٢٢٨	* - الأحوص الأنصاري
١٠٣	* - الأخطل
٢٠٦	* - الأخفش الأكبر
٢٤٠	* - الأخفش الأوسط
١٩٠	* - الأصمعي
١٢١	* - الأعرج
٢١٤	* - الأعشى
٩٤	* - أعصر بن سعد
٢٠٦	* - امرؤ القيس
٢١٨	* - أمية بن أبي الصلت

* - أنس بن زعيم

٣١٠

الباء :

* - البراء

٦٧

* - بشار بن برد

٢٣٩

* - بكر بن وائل

٢٤٧

* - أبو بكر بن مجاهد

٤١٦

التاء :

* - تغلب بن وائل

٢٤٧

الجيم :

* - جذيمة الأبرش

٩٤

* - جرير

٢٢٤

* - أبو جعفر المدني

١٤٣

الحاء :

* - الحارث بن بدر الغداني

٢٢٩

* - حسان بن ثابت

٢٢١

* - الحسن البصري

٧٠

* - الحطيئة

٢٢١

* - حماد بن سلمة

٦٨

* - حمزة الكوفي

١٤٣

* - أبو حنيفة النعمان

٩٠

* - أبو حية النميري

٢٣١

الخاء :

- * - خلف الأحمر ٢٣٤
- * - خلف البغدادي ١٤٣

الدا ل :

- * - أبو دؤاد اليرادي ٢٤٣

الراء :

- * - روية ٧٦
- * - الراعي النميري ٢٢٧
- * - الرباب بن طابخة ٢٤٩
- * - ذو الرمة ٢٢٦

الزاي :

- * - الزبارة ٩٤
- * - الزبرقان بن بدر ٢٢٢
- * - زهير السكب ٢٤٦
- * - زهير بن أبي سلمى ٢١٧
- * - زياد الأعجم ٢٣٦
- * - أبو زيد الأنصاري ١٩٠

السين :

- * - سحيم عهد بني الحسحاس ٢٣٦
- * - السدي ٢١٢
- * - سراقه ٢٠٩

- ٢٦٣ * - سعد بن مالك
- ٤٣٢ * - السعدون
- ٦ * - سعيد بن المسيب
- ٦٩ * - سفيان الثوري
- ٢٩ * - سويد بن كراع
- ٢٤٢ * - السيوطي

الشين :

- ٤٥١ * - الشجري محمد بن العساف
- ٢٣٩ * - الشنتمري

الضاد :

- ٢٢٢ * - ضايئ بن الحارث

الطاء :

- ٢١٨ * - طرفة بن العبد
- ٢٣٧ * - الطرماح بن حكيم
- ٢١٤ * - طفيل بن كعب الغنوي

العين :

- ١٤٣ * - عاصم الكوفي
- ١٤٢ * - ابن عامر الشامي
- ٣١ * - ابن عباس
- ٢٢٩ * - عبد الله بن الحر الجعفي
- ٧٠ * - عبد الله بن عمرو بن العاص

- ١٢٢ * - عبد الله بن مسعود
- ١٩٦ * - العبدى
- ١٩٠ * - أبو عبيدة
- ٧٦ * - العجاج
- ١٠٣ * - عدي بن زيد
- ٢٣١ * - أبو عطاء السندي
- ٢١٢ * - عكرمة بن عبد الله
- ٢٣٩ * - أبو العلاء المعري
- ٢١٨ * - علقمة بن عبدة
- ٦ * - علقمة بن قيس
- ٣٠ * - علي بن أبي طالب (رض)
- ١١٧ * - علي بن نصر الجهضمي
- ٢٢٨ * - عمر بن أبي ربيعة
- ٢٢٩ * - عمران بن حطان
- ١٤٢ * - أبو عمرو البصري
- ٩٠ * - عمرو بن عبيد المعتزلي
- ١٢١ * - أبو عمرو بن العلاء
- ٢٢١ * - عمرو بن معديكرب
- ٧٦ * - عنيسة بن معدان
- ٢٤٨ * - أبو عوف
- ١٢٢ * - عيس بن عمر

لغاء :

٢٣١ * - الفضل بن عبد الرحمن القرشي

لقاف :

٢٥٣ * - قيس بن بكر

١٢٤ * - قيس بن ذريح

لكاف :

٢٤٩ * - أبو كبير الهذلي

١٤٢ * - ابن كثير

٢٢٩ * - كثير عزة

١٤٣ * - الكسائي

٢٢٢ * - كعب بن زهير

٢٣٨ * - الكميت بن زيد

للام :

٢١٧ * - لبيد بن ربيعة

لميم :

١١٧ * - موزج بن عمرو السدوسي

٦ * - مالك بن أنس (رض)

٢٢٣ * - أبو محجن الثقفني

٦٧ * - محمد بن سيرين

١٩٦ * - المرار الأسدي

٢٣٢ * - مروان بن سعيد النهوي

- ٨٤ * - معد بن عدنان
 ٢٤٧ * - معوذ الحكماء
 ٢١٤ * - المهلهل بن ربيعة
 ٢٣٠ * - ابن ميادة
 ٢٢٩ * - ميسون بنت بحدل
 ٧٦ * - ميمون

النون :

- ٢٢٠ * - النابغة الجعدي
 ٢١٥ * - النابغة الذبياني
 ١٤٢ * - نافع المدني
 ٢٢٣ * - النجاشي
 ٢٢٨ * - أبو النجم المجلي
 ٢٣٠ * - أبو نخيلة السعدي
 ٢٥٢ * - أبو نصر الفارابي
 ١١٧ * - النضر بن شميل
 ٢٣٥ * - النعمان بن المنذر اللخمي

الهاء :

- ٢٤٩ * - هشام بن عقبة

الواو :

- ٦٩ * - وائلة بن الأسقع

٧٥

* - يحيى بن يعمر

٣٩٧

* - يزيد بن نهشل

١٤٣

* - يعقوب البصري

فهرس القبائل (١)

والاقوام والجماعات

		الهجرة:
٢٣٤	* - أهل الحيرة	
٢٥٣، ٢٥٢	* - أهل الشام	٢٥٠
٤٩٢، ٤٧٣	* - أهل الكوفة	٤٤٨
٢٥٥	* - أهل المدر	٢٥٢
٢٥٥	* - أهل الوبر	١١٦
٢٥٤	* - الأوس	٢٠٩، ١٠٢، ٧٣
٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥٠	* - زياد	٢٥٢، ٢٤٨، ٢٤٥
	<u>البياء:</u>	٣١١، ٢٥٤، ٢٥٣
٢٥٠	* - باهلة	٤٦٧، ٤٤٨، ٣٦٦
٤٦٢، ٤٥٧، ٣٥٧	* - البصريون	٤٧٥
٤٧٣، ٤٧٠، ٤٦٨		٢٥١
٤٩١، ٤٧٦، ٤٧٤		٤٥٢
٤٩٢		* - أعراب سواد الكوفة: ٤٩٣
٢٥٣، ٢٥٢، ٢٤٧	* - بكر بن وائل	٢٥١
٤٤٨، ٣٤٨		* - أهل الحجاز ٣٨١
٤٤٨	* - بلعنبر	* - أهل الحضرم ٤٧٠، ٨٠

٢٥١	* - حمير
٢٥٢	* - بنو حنيفة
	<u>النخاء :</u>
٢٥٤	* - الخزرج
٢٢٣	* - الخوارج
٢٥١	* - خولان
	<u>الراء :</u>
٢٤٩	* - بنو الزباب
	<u>السين :</u>
١٠٢	* - بنو سعد بن بكر
٢٥٢	* - سكان الطائف
٣٢٠	* - بنو سلول
٤٢٥.٢٤٩.١٠٢	* - بنو سليم
	<u>الضاد :</u>
٢٥٠	* - بنو ضبة
٢٥٠	* - بنو ضبيعة
	<u>الطاء :</u>
٤٢٤.٢٥٤.٢٥١	* - طينى
٤٧٢	
٤٧٥.٤٦٧.٢٥٢	* - الطائيون
٧٢	* - عماد

٢٥١	* - بهراء	
	<u>التاء :</u>	
٢٥٢.٢٤٧.١٠٣	* - تغلب	٢٥٣
٢٥٢.٢٤٦.١٠٢	* - نعيم	
٣١٢.٢٥٤.٢٥٣		
٣٦٦.٣٤٨.٣١٨		
٤٦٧.٤٤٨.٣٨١		
٤٧٥		
٣٦٦.٣٥٩	* - التميميون	
	<u>الثاء :</u>	
٢٥٢.١٠٢	* - ثقيف	
٧٢	* - ثمود	
	<u>الجيم :</u>	
٢٥٢.٢٥١.١٠٣	* - جنام	
١٠٢	* - جشم	
٤٢٥	* - جبينة	
	<u>الحاء :</u>	
٤٤٨	* - بنو الحارث بن كعب	
٢٣٦	* - بنو الحساس	
٤٧٥	* - الحطمة	

٢٥٢.٢٥١.١٠٣ * - قضاة

٢٥٣

٢٥٤.٢٥٣.٢٥٢ * - بنو قيس

٤٧٥.٤٦٧.٤٤٨

٣٢٥.١٠٢ * - قيس عيلان

الكاف :

١٠٢ * - بنو كلاب

٢٥٢.٢٤٩.١٠٢ * - كنانة

٤٧٥.٤٦٧.٢٥٤

٢٥٤.٢٥١.٢٥٠ * - كندة

٤٦٦.٤٦٢.٣٥٧ * - الكوفيون

٤٧٤.٤٧٠.٤٦٨

٤٩٣.٤٩١.٤٧٦

اللام :

٢٥٢.١٠٣ * - لخم

الميم :

٢٥٠ * - مذحج

١٠٣ * - بنو مرة بن عوف

٢٥٠ * - مزينة

٢٥١ * - مهرة

٢٥١ * - عاملة

٢٦٣ * - العباديون

٤٨٥ * - بنو العباس

٢٥٢.٢٥٠ * - بنو عبد القيس

٢٤٦ * - العدنانيون

٢٥٠.١٠٢ * - عدوان

٣٦٦.٣٥٩ * - بنو عددي

٢٠٢ * - بنو عقيل

٣٦٦.٣٥٩ * - العلوّيون

١٠٢ * - عليا هوازن

العين :

٢٥٢ * - غسان

٢٤٨.١٠٢ * - غطفان

٢٥٠ * - غنمي

الفاء :

٤٦٧.٢٥٢.٢٣٥ * - الفرس

القاف :

٢٥٢ * - القبط

٢٥٤.٢٥٠ * - القحطانيون

٢٥٤.٢٤٩.٥٣ * - قريش

٤٤٨ * - بنو قشير

النون :

* - النبط ٢٥٢

* - النمر ٢٥٢

* - نمير ٢٩٠

الهاء :

* - هذيل ٢٥٢,٢٤٩,٢١٢,٨٢

٤٧٥,٤٦٧

* - هذيل الحجازية ١٠٢

* - همدان ٢٥١

* - الهنود ٤٦٧

* - هوازن ٢٤٧,٢٠٢

الواو :

* - وائل ١٠٢

* الفهرس العاشر *

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم:
أبر القاسم الحسن بن بشر بن يحيى، ت ٣٧٠هـ. الأمدي :
- ٢- الإحكام في أصول الأحكام .
مطبعة المعارف ١٣٣٢هـ.
- ٣- المؤلف والمختلف.
تح: عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦١م
حسن إبراهيم حسن: إبراهيم حسن :
- ٤- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.
الطبعة السابعة، مصر ١٩٦٤م.
- المبارك بن محمد بن الجزري ت ٦٠٦ هـ. ابن الأثير :
- ٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة
مصر ١٢٨٠ هـ.
- ٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول.
دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م.
- ٧- النهاية في غريب الحديث .
تح: الزاوي والطناحي، القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، ت ٩٠ هـ. الأخطل :

٨- ديوان الأخطل

تح: أنطون صالحاني، بيروت ١٨٩١ م.
أبو الحسن سعيد بن مسعدة، ت ٢١٥ هـ.

الأخفش الأوسط:

٩- معاني القرآن

تح: فائز فارس، الطبعة الثانية، الكويت ١٩٨١ م.
ونسخة أخرى تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، الطبعة الأولى
بيروت ١٩٨٥ م. وقد أشرنا إليها في الحاشية.

أرسطو:

١٠- منطق أرسطو

تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ م.
أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، ت ٣٧٠ هـ.

الأزهري :

١١- تهذيب اللغة

تح: عبد السلام هارون ١٩٦٤ م.

ناصر الدين

الأسد :

١٢- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية.

مصر ١٩٦٢ م.

أبو نعيم، عبید الله بن الحسن بن أحمد ت ٥١٧ هـ.

الأصبهاني:

١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

مصر ١٣٥١ هـ.

أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦ هـ.

الأصبهاني :

١٤- كتاب الأغاني

مصور عن طبعة دار الكتب، مصر بلا تاريخ
وطبعة الساسي، وقد أشرنا إليها في الحاشية.

١٥- مقاتل الطالبين.

مصر ١٩٤٩ م.

أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل ت ٧ هـ.

الأعشى :

١٦- ديوان الأعشى

تح: رودولف جاير، فيثا ١٩٢٧ م.

سعيد

الأفغاني :

١٧- في أصول النحو

مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ م.

أبو الفضل، شهاب الدين محمود.

الألوسي :

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

دار إحياء التراث العربي، بيروت بلا تاريخ.

١٩- الضرائر

المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١ هـ.

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ت ٨٠ ق هـ.

امرؤ القيس:

٢٠- ديوان امرئ القيس

تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٥٨ م.

أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد، كمال الدين ت ٥٧٧ هـ.

الأنباري :

٢١- الإغراب في جدل الإغراب.

تح: سعيد الأفغاني، الجامعة السورية ١٩٥٧ م.

٢٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين.

تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة مصر ١٩٦١ م.

٢٣- لمع الأدلة

تح: سعيد الأفغاني، الجامعة السورية ١٩٥٧ م.

٢٤- نزهة الألباء في طبقات الأدباء

تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧ م.

أبو بكر، محمد بن القاسم ت ٣٢٨ هـ.

الأنباري :

٢٥- إيضاح الوقف والابتداء.

تح: محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧١ م.

٢٦- شرح القصائد السبع الطوال.

تح: عبد السلام هارون ١٩٦٣ م.

إبراهيم ورفاقه.

أنيس :

٢٧- المعجم الوسيط.

دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية، مصر ١٩٧٣ م.

أبو الوليد، سليمان بن خلف ت ٤٧٤ هـ.

الباجي :

٢٨- كتاب الحدود في الأصول.

تح: نزيه حقاد، بيروت ١٩٧٣ م.

أبو بكر، محمد بن الطيب القاضي الباقلائي ت ٦٠٣ هـ.

الباقلائي :

٢٩- الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به.

مطبعة السنة المحمدية، القاهرة بلا تاريخ.

أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ.

البخاري :

٣٠- أحاديث الجامع الصحيح.

طبع عثمان خليفة.

وطبعة بولاق التي أشرنا إليها في الحاشية.

٣١- صحيح البخاري.

مطابع دار الشعب، القاهرة .

صفحة بشير ت ١٩٩١م.

البرازي:

٣٢- منهج الأخص في إعراب القرآن.

رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، مصر.

كارل

بروكلمان :

٣٣- تاريخ الأدب العربي.

ترجمة عبد الحلیم النجار، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.

أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب ت ٤٦٣ هـ.

البغدادي:

٣٤- تاريخ بغداد

مصر ١٣٤٩ هـ.

عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣ هـ.

البغدادي:

٣٥- خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب.

بولاق ١٢٩٩ هـ.

أبو عبید، عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ.

البكري:

٣٦- اللالي في شرح أمالي القاضي.

مصر ١٩٣٦م.

أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن ت بعد ٣١٨ هـ.

الترمزي:

- ٣٧- صحيح الترمذي.
شرح ابن العربي المالكي. الطبعة الأولى، مصر ١٩٣٤ م.
ابن تغري بردي : أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ.
- ٣٨- النجوم الزاهرة.
دار الكتب المصرية ١٣٤٨ - ١٣٧٥ هـ.
التلمساني : أبو عبد الله، الشريف التلمساني المالكي ت ٨٤٧ هـ.
٣٩- مفتاح الوصول في ابتناء الفروع على الأصول.
دار الكتاب العربي، مصر ١٩٦٢ م.
ابن ثابت: حسان ت ٥٤ هـ.
٤٠- ديوان حسان بن ثابت.
تح: وليد عرفات ١٩٧٤ م.
ثعلب : أبو العباس، أحمد بن يحيى ت ٢٩١ هـ.
٤١- مجالس ثعلب.
تح: عبد السلام هارون، مصر الطبعة الثانية ١٩٥٦ م.
الجاحظ: أبو عثمان، عمر بن بحر بن محبوب الكناني ت ٢٥٥ هـ.
٤٢- البيان والتبيين.
تح: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٩ م.
٤٣- الحيوان.
تح: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية.
جرير: أبو حذرة، جرير بن عطية بن حذيفة الخطمي ت ١١٠ هـ.
٤٤- ديوان جرير

الصاوي ١٣٥٣ هـ.

محمد بن محمد ت ٨٣٣ هـ.

ابن الجزري :

٤٥- غاية النهاية في طبقات القراء.

تح: ج . برجستراسر، مصر ١٩٣٢ م.

٤٦- النشر في القراءات العشر.

تصحيح: علي محمد الضبياع، مصر بلا تاريخ.

مصطفى صالح

جطل :

٤٧- نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث

للهجرة.

جامعة حلب ١٩٧٨-١٩٧٩ م.

خالد عبد الكريم .

جمعة:

٤٨- شواهد الشعر في كتاب سيبويه.

الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م.

جميل بن عبد الله بن معمر العذري ت ٨٢ هـ.

جميل بشينة:

٤٩- ديوان جميل

جمع وتحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة ١٣٨٢ هـ.

أبو الفتح، عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ.

ابن جني :

٥٠- الخصائص.

تح: محمد علي النجار، الطبعة الثانية بيروت بلا تاريخ.

٥١- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات، والإضاح عنها.

الجزء الأول: تح: النجدي ناصف، والنجار، وشلبي، القاهرة ١٣٨٦ هـ.

الجزء الثاني: نخ: النجدي ناصف، وشلبي، القاهرة ١٣٨٩ هـ.

٥٢- المنصف في شرح التصريف.

نخ: إبراهيم مصطفى ١٣٧٩ هـ.

أبو الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ.

٥٣- صفوة الصفوة.

حيدر آباد ١٣٥٥ هـ.

سمدي

٥٤- القاموس الفقهي، لفة واصطلاحاً.

دار الفكر، الطبعة الأولى دمشق ١٩٨٢ م.

خديجة

٥٥- أهنية الصرف في كتاب سيبويه.

بغداد ١٩٦٥ م.

٥٦- كتاب سيبويه وشروحه.

الطبعة الأولى بغداد ١٩٦٧ م.

أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ت ٤٥٦ هـ.

٥٧- جمهرة أنساب العرب.

مصر ١٩٤٨ م.

عباس

٥٨- اللغة والنحو بين القديم والحديث.

دار المعارف، مصر ١٩٦٦ م.

٥٩- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة.

ابن الجوزي:

أبو جيب:

الحديثي:

أبن حزم:

حسن:

دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة .

محمد الخضر

حسين :

٦٠- القياس في اللغة العربية .

الطبعة الثانية، مصر ١٩٨٣ م.

محمد خير

الخلواني :

٦١- الاحتجاج وأصوله في النحو العربي.

رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر ١٩٧٤ م.

٦٢- سحيم عبد بني الحسحاس، شاعر الفزل والصبوة.

حلب ١٩٧٣ م.

٦٣- المفصل في تاريخ النحو.

الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩ م.

أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ.

ابن حنبل:

٦٤- مسند ابن حنبل.

بهاشه منتخب كنز العمال للمتقي الهندي،

دار المعارف بمصر بلاتاريخ .

وطبعة ١٩٤٨ م. التي أشرنا إليها في الحاشية.

الأندلسي، محمد بن يوسف، ت ٧٤٥ هـ.

أبو حيان:

٦٥- البحر المحيط.

طبعة السعادة ١٣٢٨ هـ.

التوحيد، علي بن محمد بن العباس ت ٣٨٠ هـ.

أبو حيان:

٦٦- البصائر والذخائر.

القاهرة ١٣٧٣ هـ.

الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ.

ابن خالويه:

٦٧- المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع.

عُني بنشره: ج برجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٣٤ م.

عبد الوهاب ت ١٩٥٥ م.

خلاف:

٦٨- أصول الفقه.

بلا تاريخ.

أبو زيد، ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨ هـ.

ابن خلدون:

٦٩- مقدمة كتابه: العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

القاهرة، بلا تاريخ.

أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٦٨١ هـ.

ابن خلكان:

٧٠- وفيات الأعيان.

مصر ١٣١٠ هـ.

حاجي، مصطفى بن عبد الله المشهور بـ (كاتب چلبى) ت ١٠٦٧ هـ.

خليفة:

٧١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

مصر ١٩٤١ م.

أبو عمرو، عثمان بن سعيد ت ٤٤٤ هـ.

الدائي:

٧٢- التيسير في القراءات السبعة.

استانبول، ١٩٣٠ م.

سليمان بن أشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ.

أبو داود:

٧٣- سنن أبي داود.

راجعه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،
محيي الدين

درويش:

٧٤- إعراب القرآن الكريم، وبيانه.

دار الإرشاد، حمص الطبعة الأولى ١٩٨٠ م.

أبو بكر، محمد بن الحسين بن دريد ت ٣٢١ هـ.

ابن دريد:

٧٥- الاشتقاق.

تح: عبد السلام هارون ١٩٥٨ م.

٧٦- جوهرة اللفظ.

حيدر آباد ١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ.

٧٧- وصف المطر والسحاب.

تح: عز الدين التنوخي، دمشق ١٩٦٣ م.

شهاب الدين، أحمد بن محمد الديماطي النقشبندي البتّا ت ١١١٧ هـ.

الديماطي:

٧٨- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر.

مطبعة حنفي، مصر ١٣٥٩ هـ.

أبو الأسود، ظالم بن عمرو الكناني ت ٦٩ هـ.

الدولي :

٧٩- ديوان أبي الأسود الدولي.

تح: محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٣٨٤ هـ.

دي بور:

٨٠- تاريخ الفلسفة في الإسلام.

ترجمة محمد عبد الهادي، الطبعة الرابعة ١٣٧٤ هـ.

أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ.

الذهبي:

٨١- تذكرة الحفاظ.

حيدر آباد ١٣٣٣ هـ.

٨٢- سير النبلاء (سير أعلام النبلاء).

مصر بلا تاريخ.

٨٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

مصر ١٣٢٥ هـ.

مصطفى صادق

الرافعي:

٨٤- تاريخ آداب العرب.

الطبعة الثانية مصر ١٩٤٠ م.

أبو الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ت ٥٩٥ هـ.

ابن رشد:

٨٥- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.

القاهرة بلا تاريخ.

أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٦٣ هـ.

ابن رشيق:

٨٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.

تح: محيي الدين عبد الحميد، بيروت.

غيلان بن عقبة ت ١١٧ هـ.

ذو الرمة:

٨٧- ديوان ذي الرمة.

تح: كارليل هنري هيس. كمبردج ١٩١٩ م.

محمد علي

أبو ريتان:

٨٨- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام.

دار النهضة العربية، ١٩٧٦ م.

أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف اليميني ت ٨٩٣ هـ.

٨٩- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح .

تصوير دار الإرشاد.

الزبيدي :

أبو بكر، محمد بن الحسن بن عبيد الله ت ٣٧٩ هـ.

٩٠- طبقات النحويين واللفويين.

تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤ م.

و طبعة ١٩٧٣ م. وقد أشرنا إليها في الحاشية .

أبو عبد الله، مصعب بن عبد الله بن مصعب ت ٢٣٦ هـ.

الزبيدي :

٩١- نسب قریش .

مصر ١٩٥٣ م.

أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٣٧ هـ.

٩٢- أمالي الزجاجي .

تح: عبد السلام هارون ١٩٥٠ م.

٩٣- الإيضاح في علل النحو.

تح: مازن المبارك، القاهرة ١٣٧٨ هـ.

٩٤- كتاب الجمل في النحو.

تح: علي توفيق الحمد، بيروت ١٩٨٤ م.

٩٥- مجالس العلماء.

تح: عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٢ م.

عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ت بعد ٤٠٣ هـ.

أبو زرعة:

١٧
لحاجي

٩٦- حجة القراءات.

تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

أبو الفيث، خير بن محمد ت ١٩٧٦ م.

الزركلي :

٩٧- الأعلام.

دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة بيروت ١٩٨٠ م.

أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ.

الزمخشري:

٩٨- الأحاجي النحوية.

تح: مصطفى الحدري ، حماة ١٩٦٩ م.

٩٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وهيون الأقاويل في وجوه التأويل.

دار المعرفة، بيروت.

محمد ت ١٩٧٤ م.

أبو زهرة :

١٠٠- أصول الفقه.

دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٨ م.

١٠١- الحديث والمحدثون.

القاهرة ١٩٥٨م.

زهير بن أبي سلمى المزني ت ١٣ ق هـ.

زهير:

١٠٢- ديوان زهير بن أبي سلمى.

دار الكتب ١٣٦٣ هـ.

أبو الخير، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢ هـ.

السخاوي:

١٠٣- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

نشر مكتبة الخانجي، مصر ١٩٥٦ م.

- ابن سعد:
 أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع ت ٢٠٣ هـ.
 ١٠٤- الطبقات الكبير.
 ليدن ١٣٢١ هـ.
- السكاكي:
 أبو يعقوب، سراج الدين، يوسف بن أبي بكر بن محمد ت ٦٢٦ هـ.
 ١٠٥- مفتاح العلوم.
 القاهرة ١٣١٧ هـ.
- ابن سلام:
 أبو عبد الله، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي ت ٢٣٢ هـ.
 ١٠٦- طبقات فحول الشعراء.
 تـج: محمود محمد شاكر، دار المعارف، بلا تاريخ .
 وطبعة القاهرة ١٩٧٤ م. وقد أشرنا إليها في الحاشية.
 إبراهيم
- سليبي:
 ١٠٧- أصول الفقه الإسلامي.
 جامعة دمشق ١٩٨٤-١٩٨٥ م.
- سيبويه:
 أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ.
 ١٠٨- الكتاب .
- ابن سيده:
 تـج: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.
 وطبعة بولاق التي أشرنا إليها في الحاشية.
 الأندلسي، علي بن إسماعيل ت ٤٥٨ هـ.
- السيرافي:
 ١٠٩- المختص.
 المطبعة الأميرية ١٣١٦-١٣٢٦ هـ.
 أبو سعيد، الحسن بن عبد الله بن المرزبان ت ٣٦٨ هـ.

١١٠- أخبار النحويين البصريين.

كرنكو، بيروت ١٩٣٩ م.

تح: محمد إبراهيم البناء، الطبعة الأولى ١٩٨٥م. وقد أشرنا إليها في الحاشية.

وطبعة الجزائر ١٩٣٦م. وقد أشرنا إليها في الحاشية.

١١١- شرح أبيات سيويه.

تح: محمد علي الرئح هاشم، القاهرة ١٩٧٤ م.

الشيخ الرئيس، أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن ت ٤٢٨هـ.

ابن سينا:

١١٢- منطق الإشارات.

بلا تاريخ.

جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ.

المسيوطي:

١١٣- الإنقان في علوم القرآن.

الطبعة الثالثة ١٩٥١ م.

١١٤- الأشباه والنظائر في النحو.

تح: إبراهيم محمد عبد الله، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٦ م.

والطبعة الثانية، حيدر آباد، وقد أشرنا إليها في الحاشية.

١١٥- كتاب الاقتراح.

نشر دار المعارف لصاحبها (أبو الحسنات) حلب.

١١٦- بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

مصر ١٣٢٦ هـ.

١١٧- الجامع الكبير.

بلا تاريخ

١١٨- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام.

تح: النشار الطبعة الأولى بلا تاريخ.

١١٩- شرح شواهد المنفي.

مصر ١٣٢٢ هـ.

وطبعة أخرى بتصحيح الشنقيطي، بيروت بلا تاريخ وقد أشرنا إليها في الحاشية.

١٢٠- المزهرة .

تح: جاد المولى وصاحبيه، القاهرة بلا تاريخ.

١٢١- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية.

بيروت بلا تاريخ.

أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى ت ٧٩٠ هـ.

الشاطبي:

١٢٢- الموافقات في أصول الأحكام.

مطبعة المكتبة التجارية.

أبو السعادات، هبة الله بن علي بن محمد ت ٥٤٢ هـ.

ابن الشجري:

١٢٣- آمالي ابن الشجري.

حيدر آباد ١٣٤٩ هـ.

محمد بن أحمد بن محمد ت ٦٨٥ هـ.

الشريشي:

١٢٤- شرح المقامات الحريرية.

تح: عبد المنعم خفاجي، القاهرة ١٩٥٢ م.

عبد الفتاح.

شلمي:

١٢٥- أبو علي الفارسي.

القاهرة ١٩٥٤ م.

- الشماع:
 معقل بن ضرار ت ٢٢ هـ.
 ١٢٦- ديوان الشماع بن ضرار.
 مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ.
- الشنتمري:
 الأعلام الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى ت ٤٧٦ هـ.
 ١٢٧- شعر زهير بن أبي سلمى.
 نج: فخر الدين قباوة، حلب ١٩٧٠م.
- الشويكاني:
 أبو عبد الله، محمد بن علي، الإمام الشويكاني ت ١٢٥٥ هـ.
 ١٢٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.
 الطبعة الأولى بلا تاريخ.
- الصالح:
 محمد أديب
 ١٢٩- لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية.
 دمشق ١٣٨٨ هـ.
- الصدر:
 محمد باقر
 ١٣٠- الأمس المنطقية للاستقراء.
 الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٢م.
- الصفير:
 محمود
 ١٣١- توجيه النعاة للقراءات الشاذة.
 رسالة ماجستير، جامعة حلب ١٩٨٥م.
- ضيف:
 شوقي
 ١٣٢- المدارس النحوية.
 القاهرة ١٩٦٨م.

- طاشكبري زاده: أبو الخير، أحمد بن مصطفى ت ٩٦٨ هـ.
- ١٣٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة.
- الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن ١٣٢٨-١٣٥٦ هـ.
- الطباخ: محمد راغب بن محمود ت ١٣٧٠ هـ.
- ١٣٤- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.
- حلب ١٣٤٢ هـ.
- الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ.
- ١٣٥- تاريخ الأمم والملوك.
- مصر ١٣٢٦ هـ.
- ١٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- تح: محمود محمد شاكر، مصر ١٩٦٩ م.
- طرفة: طرفة بن العبد بن سفيان ت نحو ٦٠ ق هـ.
- ١٣٧- ديوان طرفة بن العبد.
- بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، قازان ١٩٠٩ م.
- الطرمات: الطرمات بن حكيم ت نحو ١٢٥ هـ.
- ١٣٨- ديوان الطرمات بن حكيم.
- تح: فريتش كرنكو، لندن ١٩٢٧ م.
- طفيل الفنوي: طفيل بن عوف الفنوي ت نحو ١٣ ق هـ.
- ١٣٩- ديوان طفيل الفنوي.
- تح: فريتش كرنكو، لندن ١٩٢٧ م.
- أبو الطيب اللفوي: عبد الواحد بن علي العسكري ت ٣٥١ هـ.

- ١٤٠- مراتب النحويين.
مصر ١٣٧٥ هـ.
جعفر نابف عبانة :
- ١٤١- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي.
عمان ١٩٨٤ م.
مصر بن المثني التيمي ت ٢١٠ هـ. أبو عبيدة:
- ١٤٢- مجاز القرآن.
تج: محمد فواد سزكين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١ م.
محمد فواد عبد الباقي:
- ١٤٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
أبو الشعثاء، عبد الله بن روية ت نحو ٩٠ هـ. العجاج:
- ١٤٤- ديوان العجاج.
تج: عزة محمد حسن، بيروت ١٩٧١ م.
عدي بن زيد العبادي ت ٣٥ قهـ. عدي:
- ١٤٥- ديوان عدي بن زيد.
تج: محمد جبار المعبيد، بغداد ١٩٦٥ م.
ابن حجر، أبو الفضل ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ت ١٥٢ هـ. المسقلاني:
- ١٤٦- تهذيب التهذيب.
حيد آباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧ هـ.
- ١٤٧- الإصابة في تمييز الصحابة.

مصر ١٣٥٨ هـ.

محمد عبد الخالق

عضيمة :

١٤٨- أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية.

الطبعة الأولى ، الرياض ١٤٠٥ هـ.

١٤٩- فهارس كتاب صيبويه.

الطبعة الأولى، مصر ١٩٧٥ م.

بهاء الدين، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ت ٧٦٩ هـ.

ابن عقيل:

١٥٠- أضواء على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.

السعودية ١٩٧٢ م.

علقمة بن عبدة ت نحو ٢٠ قهـ.

علقمة الفحل:

١٥١- ديوان علقمة الفحل.

من مجموع خمسة دواوين، الرهبة ١٢٩٣ هـ.

شكري

عياد:

١٥٢- اللفظة والإبداع.

الطبعة الأولى، مصر ١٩٨٨ م.

أبو الثناء، بدر الدين، محمود بن أحمد ت ٨٥٥ هـ.

العيني :

١٥٣- المقاصد النحوية.

مصر ١٢٩٩ هـ.

حجة الإسلام، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد بن أحمد ت ٥٠٥ هـ.

الغزالي :

١٥٤- المستصفي.

الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٢٢ هـ.

١٥٥- المنقذ من الضلال.

تح: عبد الحلیم محمود، مكتبة الأنجلو ١٩٥٥م.

أبو نصر، محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان ت ٣٣٩ هـ.

الفارابي :

١٥٦- كتاب الحروف.

تح: محسن مهدي، بيروت ١٩٦٩م.

أبو علي، الحسن بن أحمد، ت ٣٧٧ هـ.

الفارسي :

١٥٧- الحجة في علل القرامات السبع.

تح: ناصف ورفيقه، القاهرة ١٩٦٥م.

الملك المويد، إسماعيل أبي الفداء.

أبو الفداء :

١٥٨- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء).

المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٥ هـ.

أبو زكريا، يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ.

الفراء :

١٥٩- معاني القرآن.

بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

١٦٠- المذكر والمؤنث.

تح: مصطفى الزرقا، حلب ١٣٤٥ هـ.

هتام بن غالب ت ١١٠ هـ.

الفرزدق :

١٦١- ديوان الفرزدق.

نشر الصاوي ١٣٥٤ هـ.

عبد الهادي

الفضلي :

١٦٢- القرامات القرآنية.

- دار القلم ١٩٨٠م.
فك:
 يوهان
 ١٦٣- العربية.
- ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥١م.
 مجد الدين، محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ.
الفيروز آبادي:
 ١٦٤- القاموس المحيط.
 مكتبة النوري، دمشق.
- عبد الفتاح
القاضي:
 ١٦٥- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية
 والدري.
 الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- أبو علي، إسماعيل بن القاسم بن عيدون ت ٣٥٦ هـ.
القالي:
 ١٦٦- الأمالي .
 دار الكتب ١٣٤٤ هـ.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ هـ.
ابن قتيبة:
 ١٦٧- الشمر والشعراء.
 تح: أحمد محمد شاكر، مصر ١٩٦٦م.
 وطبعة أخرى ١٩٣٢م. أشرنا إليها في الحاشية.
- ١٦٨- المعارف .
 المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ هـ.
- المقدسي، أبو محمد، موفى الدين، عبد الله بن أحمد ت ٦٢٠ هـ.
ابن قدامة:

١٦٩- روضة الناظر.

المطبعة السلفية ١٣٨٧ هـ.

أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٦٧١ هـ.

القرطبي:

١٧٠- الجامع لأحكام القرآن.

دار الكتب المصرية، بلا تاريخ.

أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب ت ١٧٠ هـ.

القرشي:

١٧١- جوهرة أشعار العرب.

بولاق ١٣٠٨ هـ.

علي بن يوسف ت ٦٤٦ هـ.

القفطي:

١٧٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة.

دار الكتب، مصر ١٣٦٩-١٣٧٤ هـ.

القزاز

القيرواني:

١٧٣- ما يجوز للشاعر في الضرورة.

تح: المنجي الكعبي، تونس ١٩٧١م.

مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧ هـ.

القيسي:

١٧٤- مشكل إعراب القرآن.

تح: ياسين محمد السواس، دار المأمون، الطبعة الثانية، دمشق بلا تاريخ

الجوزية، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر ت ٧٥١ هـ.

ابن قسيم:

١٧٥- الطرق الحكمية في السيامة الشرعية.

تح: محمد جميل غازي، جدة ١٩٨٥م.

أبو عبد الله، محيي الدين محمد، بن سليمان الرومي ت ٨٧٩ هـ.

الكافيجي:

١٧٦- شرح قواعد الإعراب.

تح: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٨٧م.

محمد بن شاکر بن أحمد

الکتبی:

١٧٧- قوات الوفيات.

مصر ١٢٩٩ هـ.

أبو الغداء، عماد الدين، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ.

ابن كثير:

١٧٨- البداية والنهاية في التاريخ.

مصر ١٣٥١-١٣٥٨ هـ.

١٧٩- تفسير القرآن العظيم.

دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م.

رضا

كحالة:

١٨٠- معجم قبائل العرب.

بيروت ١٩٦٨م.

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني ت ١٠٩٤ هـ.

الکفوي :

١٨١- الكلبيات .

دمشق ١٩٨١م.

أبو عقيل، لبید بن ربيعة العامري ت نحو ٤١ هـ.

لبید:

١٨٢- ديوان لبید.

تح: إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.

القزويني، محمد بن يزيد ت ٢٧٣ هـ.

ابن ماجة :

١٨٣- سنن المصطفى .

الطبعة الأولى، المطبعة التازية، مصر

أبو محمد، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصاري المصري
ت ٧٦١ هـ.

ابن مالك:

١٨٤- أوضح المسالك لألفية ابن مالك.

ومعه كتاب هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين
عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مصر ١٩٥٦ م.

مازن

المبارك:

١٨٥- النحو العربي : العلة النحوية، نشأتها وتطورها.

المكتبة الحديثة ١٩٦٥ م.

١٨٦- الرثاني النحوي.

دمشق ١٩٦٣ م.

أبو العباس، محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ.

المبرد:

١٨٧- الفاضل.

تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب، مصر ١٣٧٥ هـ.

١٨٨- الكامل في اللغة والأدب.

تح: شاكر والمبارك. القاهرة بلا تاريخ.

ونسخة أخرى بتحقيق أبي الفضل وقد أشرنا إليها في الحاشية.

١٨٩- المقتضب.

تح: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت بلا تاريخ.

أبو الطيب، أحمد بن الحسين ت ٣٥٤ هـ.

المتنبي:

١٩٠- ديوان المتنبي بشرح العكبري .

- مكة المكرمة ١٣٩٧هـ.
- ابن مجاهد: أبو بكر، أحمد بن موسى ت ٣٢٤هـ.
- ١٩١- السبعة في القراءات.
- تج: شوقي ضيف، القاهرة ١٩٧٢م.
- المخزومي: مهدي
- ١٩٢- مدرسة الكوفة.
- القاهرة ١٩٥٨م.
- مذكور: إبراهيم
- ١٩٣- في اللغة والأدب.
- سلسلة اقرأ، مصر
- المرادي: أبو محمد، الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي ت ٧٤٩هـ.
- ١٩٤- الجنى الداني في حروف المعاني.
- تج: طه محسن، العراق ١٩٧٦م.
- المرتضى: الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى ت ٤٣٦هـ.
- ١٩٥- أمالي المرتضى .
- مصر ١٣٢٥هـ.
- المرزباني: أبو عبيد الله، محمد بن عمران بن موسى ت ٣٨٤هـ.
- ١٩٦- معجم الشعراء.
- تج: عبد الستار فراج، مكتبة النوري، دمشق بلا تاريخ.
- مسعود: فوزي
- ١٩٧- ميبويه جامع النحو العربي.

- مصر، ١٩٨٦م.
- المسعودي: أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـ..
- ١٩٨ - مروج الذهب ومعادن الجوهر.
- مصر ١٢٨٣هـ.
- مسلم: مسلم بن حجاج القشيري ت ٢٦١ هـ.
- ١٩٩ - صحيح الإمام مسلم.
- القاهرة ١٣٤٩ هـ.
- مصري: يحيى
- ٢٠٠ - الرضي الأستراباذي، دراسة وتحقيق.
- رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
- ابن مضاء: القرطبي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٥٩٢ هـ.
- ٢٠١ - الرد على النحاة.
- تح: شوقي ضيف، مصر ١٩٤٧م.
- ابن المعتز: أبو العباس، عبد الله بن المعتز بالله ت ٢٩٦ هـ.
- ٢٠٢ - طبقات الشعراء.
- تح: عبد الستار فراج، مطبعة دار المعارف ١٩٦٨م.
- المعري: أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان ت ٤٤٩ هـ.
- ٢٠٣ - رسالة الغفران .
- تح: بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، الطبعة الثانية، مصر بلا تاريخ.
- والطبعة الرابعة في مصر، وقد أشرنا إليها في الحاشية.
- ٢٠٤ - رسالة الملائكة.

- تح: سليم الجندي، بيروت، بلا تاريخ.
 أبو العباس، المفضل بن محمد بن يعلى ت ١٦٨هـ.
المفضل الضبي:
 ٢٠٥- المفضليات.
- تح: أحمد شاکر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٣٧١هـ.
 ٢٠٦- شرح الملوي على السلم.
 المطبعة الأزهرية المصرية.
الملوي:
 محمد عبد الرؤوف ت ١٠٣١هـ.
المتاوي:
 ٢٠٧- فيض التقدير.
 طبعة مصطفى محمد، مصر، بلا تاريخ.
 الإفريقي، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ.
ابن منظور:
 ٢٠٨- لسان العرب.
 بيروت، بلا تاريخ.
- أبو الفضل النيسابوري، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت ٥١٨هـ.
 ٢٠٩- مجمع الأمثال.
 تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النصر، دمشق وبيروت
 بلا تاريخ.
النايفة:
 زياد بن معاوية الذبياني، ت نحو ١٨ قهـ.
 ٢١٠- ديوان النايفة.
 من مجموع خمسة دواوين، الوهبة ١٢٩٣هـ.
- قيس بن عبد الله، الجعدي ت ٥٠هـ.
 ٢١١- ديوان النايفة الجعدي.

تح: عبد العزيز رباح، دمشق ١٣٨٤هـ.

علي النجدي

٢١٢- ميبويه إمام النحاة.

عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

أبو جعفر أحمد بن محمد ت ٣٣٨هـ.

٢١٣- إهراب القرآن.

تح: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٠م.

محمد بن إسحاق ت ٤٣٨هـ.

٢١٤- القهرست.

مطبعة الإستقامة بلا تاريخ.

وطبعة طهران بلا تاريخ، وقد أشرنا إليها في الحاشية.

أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي ت ٣٠٣هـ.

٢١٥- المجتبى في مختصر السنن الكبرى.

المطبعة المصرية، ١٣١٢هـ.

أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧٠١هـ.

٢١٦- تفسير القرآن الجليل؛ المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل.

دار الكتاب العربي، بيروت بلا تاريخ.

٢١٧- كشف الأسرار على شرح المنار.

المطبعة الأميرية بلا تاريخ.

علي ساسي

٢١٨- مفاهج البحث عند مفكري الإسلام.

ناصف:

النحاس:

ابن النديم:

النسائي :

النسفي:

النشار:

دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

حسين

نصار:

٢١٩- يونس بن حبيب.

سلسلة أعلام العرب، القاهرة ١٩٦٨م.

أحمد راتب

النفاح:

٢٢٠- فهرس شواهد سيبريه.

بيروت ١٩٧٠م.

٢٢١- ديوان الهذليين.

الهذليون :

دار الكتب ١٣٦٩ هـ.

أبو عبيدة، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ت ٤٠١ هـ.

الهروي :

٢٢٢- غريب الحديث.

بلا تاريخ.

أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف ت ٢٦١ هـ.

ابن هشام:

٢٢٣- مفتي اللبيب عن كتب الأعراب.

تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله. دمشق ١٣٨٤هـ.

إسرائيل

ولفنسون :

٢٢٤- تاريخ اللغات السامية.

القاهرة ١٩٢٩م.

أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦ هـ.

ياقوت الحموي:

٢٢٥- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).

طبعة الرفاعي، القاهرة، بلا تاريخ.

وطبعة دار المأمون، وقد أشرنا إليها في الحاشية.

٢٢٦- معجم البلدان.

مصر ١٣٢٣-١٣٢٥ هـ.

موفق الدين، يعيش بن علي بن يعيش، ت ٦٤٣ هـ.

أبن يعيش:

٢٢٧- شرح المفصل.

عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبى، القاهرة بلا تاريخ.

٢٢٨- مجلة مجمع اللغة العربية.

المجلات :

المجلد ١٨ الجزء العاشر.

٢٢٩- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

المجلد ١٤ لعام ١٩٢٨ م.

**

*